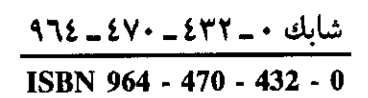


مواقف الشيعة

تأليف
علي الأحمدي الميانجي

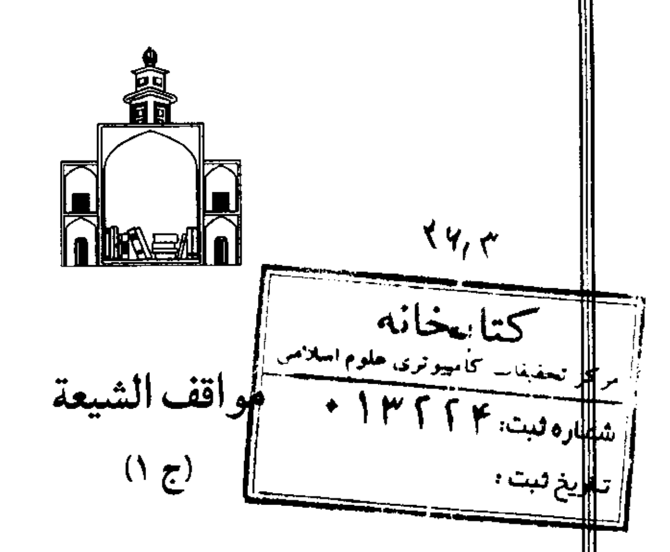
الجزء الأول

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين / قم المشرفة



شابك ٠ـ ٤٣٢ـ ٤٧٠ـ ٩٦٤

ISBN 964 - 470 - 432 - 0



مواقف الشيعة

(ج ١)

■ تأليف: آية الله الشيخ علي الأحمدى الميانجى رحمه الله □

■ الموضوع: تاريخ □

■ طبع ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي □

■ عدد الصفحات: ٥٠٤ صفحة □

■ عدد الأجزاء: ثلاثة أجزاء □

■ المطبوع: ٥٠٠ دورة □

■ الطبعة: الثانية □

■ التاريخ: ١٤٢٢ هـ. ق. □

■ السعر: ١٨٠٠ توماناً □

مؤسّسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد والثناء لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى عترته آل الله، واللعنة الدائمة على أعدائهم أعداء الله إلى يوم لقاء الله.

وبعد، فإنّ الناظر في كتب السِيَر والموسوعات التاريخية عند المسلمين يجدها حافلة بأخبار الملوك والأُمراء وذكر مجالسهم ومحافلهم على اختلاف مستوياتها حتى لو كانت مجالساً فاقدة للضوابط الخُلقية والآداب والرسوم الشرعية، وكأنّ وظيفة المؤرّخ والكاتب لم تكن إلّا الكتابة عن حياة الخلفاء وسلاطين الجور وماجرى عليهم من حوادث، أمّا سائر الناس فلا تجد الإشارة إلى عظمائهم وما حفلت به حياتهم من مواقف كريمة أو ماجرى عليهم من جور وظلم وتضييع للحقوق وسفك للدماء المحترمة فضاع الكثير الكثير من الأرقام التاريخية التي يمكن لولا ذلك التضييع أن تؤثّر في نتائج الكثير من الدراسات والبحوث في مقاطع التاريخ الاسلامي والذي يؤدّي بدوره إلى اظهار كثير من الحقائق المخفية وتزييف الكثير من الدعاوى الباطلة التي صارت سبباً في تشتّت الأُمّة وتفرّق الكلمة.

وأكثر جماعة بُخس حقّها في هذا المجال على رغم أصالتها وموقعها المهمّ في المسيرة الاسلامية هم الشيعة الامامية لا لذنب إلّا التمسّك بالثقلين الشريفين كتاب الله وعترة نبيّه صلوات الله عليهم أجمعين، فلم يكتب في حقّهم إلّا النزر اليسير وعلى شكل مبعثر في الكتب لا يناسب شأن هذه الجماعة وموقعها في الأُمة

الإسلامية. *هذا مضافاً إلى تزوير الكثير ممّا يتعلّق بهم وتشويه سمعتهم وإلصاق التُهم بهم، كلُّ ذلك خدمةً لأعدائهم، الأمر الذي يضاعف المسؤولية على ذوي الأقلام النزيهة والكتّاب المنصفين في حقل التاريخ أن يهبّوا لنصرة الحقّ وتفنيد الأباطيل وإزالة الغبار عن ناصية هذه الطائفة الغرّاء ولا يخافوا في الحقّ لومة لائم.

والكتاب ـ الماثل بين يديك عزيزنا القارئ ـ يعدّ واحداً من الجهود المشكورة والمساعي المبرورة في هذا المضمار، فقد أشار فيها المؤلّف سماحة آية الله الشيخ عليّ الأحمديّ الميانجيّ زيد عزّه إلى الكثير من مواقف الشيعة ورجالاتها وما جرىٰ بينهم وبين أهل زمانهم من أحداث ووقائع ولطائف وحكايات جديرة بالاعتبار وجمعها في كتاب واحد وسمّاه بـ«مواقف الشيعة» بعد أن كانت موزّعةً في العشرات من المصادر والكتب، فجزاه الله خير الجزاء.

وقد تصدّت مؤسّستنا لطبع هذا الكتاب ونشره بعد تصحيحه وتنظيمه خدمةً للمكتبة الإسلامية، سائلين المولىٰ عزّ شأنه للمؤلّف ولمن ساهم في تهيئة هذا الكتاب المزيد من التوفيق إنّه بالإحسان والتفضّل لخليق.

مؤسّسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

مقدّمة المؤلّف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ربّ العالمين، والصلاة والسّلام على أشرف بريّته وخاتم رسله وأنبيائه محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين، واللعن على أعدائهم أجمعين الى يوم الدّين.

اللّهمّ كن لوليّك الحجة ابن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه السّاعة وفي كلّ ساعة وليّاً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتّى تُسكنه أرضك طوعاً وتمتّعه فيها طويلاً.

أحمدك اللّهمّ استتماماً لنعمتك واستسلاماً لعزّتك واستزادةً لكرمك واستعصاماً من معصيتك، وأستعينك اللّهمّ فاقةً الى كفايتك والتجاءً إلى هدايتك إنّه لايضلّ من هديته ولا يفتقر من كفيته ورحمته.

اللّهمّ نوّر قلوبنا بمعرفتك ومعرفة نبيك وآل نبيّك الطاهرين المعصومين ولاة أمرك المأمونين على سرّك، وأدخلنا في حصن ولايتهم واسلك بنامنهجهم، وألزمنا طاعتهم وجنّبنا معصيتهم.

وبعد، فقد منّ الله عليّ بإتمام طبع كتاب «مواقف الشيعة» المشتمل على المناظرات والاحتجاجات الواقعة بين الشيعة وبين خصومهم، فرأيت أن أذكر اُموراً ترتبط بهذا الموضوع ولا يخلو ذكرها عن فائدة.

فنقول:

١ـ الجدل والجدال كما قال الراغب: هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل أي:أحكمت فتله.

قال الطبرسي رحمه الله: المخاصمة والمجادلة والمناظرة والمحاجّة نظائر وإن كان بينهما فرق، فإنّ المجادلة هي المنازعة فيما وقع فيه خلاف بين اثنين، والمخاصمة: المنازعة بالمخالفة بين اثنين على وجه الغلظة، والمناظرة: فيما يقع بين النظيرين، المحاجّة: في محاولة إظهار الحجة، وأصل المجادلة من الجدل و هو شدة الفتل[١].

ظاهر عبارتي الراغب والطبرسي: أنّ الجدال أعمّ من أن يكون فيه الشدّة أم لا؟ ولكن ظاهر كلام بعض اللغويّين أنّه ما كان بالشدّة ولعلّه بالنظر إلى أصل اللّغة وهو اشتقاقه من جدلت الحبل أي فتلته[٢].

٢ـ وعلى كلّ حال الجدال على قسمين: محمود ومذموم.

فالمحمود:ما كان لغرض ظهور الحقّ وإزهاق الباطل ولم يستلزم ارتكاب حرام.

قال الطبرسي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: «وجادلهم بالّتي هي أحسن»[٣]: ناظرهم بالقرآن وبأحسن ماعندك من الحجج وتقديره: بالكلمة الّتي هي أحسن. والمعنى: افتل المشركين واصرفهم عمّا هم عليه من الشرك بالرفق والسكينة ولين الجانب في النصيحة ليكونوا أقرب الى الإجابة فإنّ الجدل هو فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج، وقيل: هو أن يجادلهم على قدر ما يحتملونه[٤].

---

(١) مجمع البيان: ج٣/١٠٦ الطبعة الخامسة في تفسيرقوله تعالى «ولاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم» الآية/١٠٨ من سورة النساء.

(٢) قال في تاج العروس: «جدله أي الحبل احكم فتله. قال ابن الكمال: الجدال: مراء يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها. وقال الفيّومي هو التخاصم بما يشغل عن ظهور الحقّ ووضوح الصواب ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلّة لظهور أرجحها وهو محمود إن كان للوقوف على الحق، وإلّا فمذموم». (راجع تاج العروس: ج٧/٢٥٤).

(٣) النحل/١٢٥.

(٤) راجع مجمع البيان: ج٦/٣٩٢ الطبعة الخامسة وراجع أيضاً الكشاف وتفسير ابن كثير والقرطبي.

وقال في تفسير قوله تعالى: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلّا بالّتي هي أحسن»[١]: أي بالطريقة الّتي هي أحسن وإنّما يكون أحسن اذا كانت المناظرة برفق ولين لإرادة الخير والنفع بها، ومثله قوله تعالى: «فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّر أو يخشى»[٢] والأحسن الأعلى في الحسن من جهة قبول العقل له، وقد يكون أيضاً أعلى من جهة قبول الطبع وقد يكون في الآخرين جميعاً. وفي هذا دلالة على وجوب الدعاء الى الله تعالى على أحسن الوجوه وألطفها واستعمال القول الجميل في التّنبيه على آيات الله وحججه «إلّا الذين ظلموا منهم» أي إلّا من أبى أن يقرّ بالجزية منهم ونصب الحرب فجادلوا هؤلاء بالسيف»[٣].

اقول: اذا كان الجدال والحجاج لإظهار الحقّ وإقامة الدليل والبرهان ولم يكن مستلزماً لإنكار الحقّ ولا وهنه ولا طرد الناس عن قبول الحقّ و كان في لينٍ وسكينةٍ ورفقٍ وبعبارة أُخرى :كان بطريقة أحسن من كلّ الجهات فهو محمود.

ومن أجلّ مصاديق الجدال بالتي هي أحسن ما حكاه الله سبحانه عن أنبيائه العظام صلوات الله على نبينا وآله وعليهم كاحتجاجات إبراهيم ونوح وشعيب وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام واحتجاج مؤمن آل فرعون، ومن ألطفها ماذكره في ذيل آية المجادلة «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلّا بالّتي هي أحسن إلّا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنّا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون»[٤] حيث رخّص في المجادلة بالّتي هي احسن ثمّ اتى بالمثال للمجادلة بالّتي هي احسن من حيث البيان في عدم التصريح بكفرهم واظهار الايمان بما جاء به نبيهم ثم التعقيب بقوله: «ونحن له مسلمون».

والمذموم:ماكان على خلاف ما ذكر:

---

(١) العنكبوت/٤٦.

(٢) طه/٤٤.

(٣) المجمع: ج٨/٢٨٧.

(٤) العنكبوت/٤٦.

بأن كان لأجل المغالبة وإظهار القدرة والمفاخرة، أو لأجل جلب قلوب الضعفاء من الناس ونيل الشهوات أو إطفاء نائرة الغضب وتشفّي النفس.

أو كان الغرض حقاً ولكنّ كان المجادل ضعيفاً عن إقامة الدليل فيأتي بالباطل ليثبت الحق، أو ينكر الحق للعجز عن الجواب لو اعترف به[١].

وفي الحديث: ذكر عند الصّادق عليه السلام الجدال في الدين وأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام قد نهوا عنه، فقال الصادق عليه السلام: لم ينه عنه مطلقاً لكنّه نهى عن الجدال بغير الّتي هي أحسن، أما تسمعون الله يقول: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلّا بالّتي هي أحسن»[٢] و«قوله تعالى: «ادعُ الى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتي هي أحسن»[٣] فالجدال بالّتي هي أحسن قد قرنه العلماء بالدين[٤] والجدال بغير التي هي أحسن محرّم وحرّمه الله على شيعتنا. وكيف يحرّم الله الجدال جملة وهو يقول: «وقالوا لن يدخل الجنّة إلّا من كان هوداً أو نصارى»[٥] قال الله تعالى: «تلك أمانيّهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»[٦]. فجعل علم الصّدق والايمان بالبرهان، وهل يؤتى بالبرهان إلّا في الجدال بالّتي هي أحسن! قيل: يا ابن رسول

---

(١) ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم المجادلة المذمومة وذكر أيضاً الجهة الموجبة للذم، قال الله سبحانه في سورة الحج/٣: «ومن الناس من يجادل في الله بغير علم» ذمّهم بمجادلتهم من غير علم وقال في سورة الحج/٨: «ومن الناس من يجادل في الله بغير علمٍ ولا هدىً ولا كتاب منير» ذمّهم بمجادلتهم من غير علم ولا هداية من الله ولا كتاب. وقال في سورة غافر/٥: «وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق» ذمّهم بمجادلتهم في الباطل وبدليل باطل لإدحاض الحق.

(٢) العنكبوت/٤٦.

(٣) النحل/١٢٥.

(٤) كذا في البحار: ج٢/١٢٥ والاحتجاج: ج١/١٤ ونور الثقلين: ج٣/٩٥ والبرهان: ج٢/٣٨٨، وفي كنزالدقائق ج٥/٤١٩ «قد أمر به العلماء بالدّين» والمعنى على هذا واضح، وعلى الأول «أنّ الجدال بالتي هي أحسن جعله العلماء قريناً للدين» يعني واجب ولازم لمن كان له الدين.

(٥) و(٦) البقرة/١١١.

الله فما الجدال بالّتي هي أحسن والّتي ليست بأحسن؟ قال: أما الجدال بغير التّي هي أحسن: أن تجادل مبطلاً فيورد عليك فلا تردّه بحجة قد نصبها الله تعالى ولكن تجحد قوله أو تجحد حقاً يريد ذلك المبطل أن يعين به باطله فتجحد ذلك الحقّ مخافة أن يكون له عليك فيه حجة لأنك لا تدري كيف المخلص منه فذلك حرام على شيعتنا أن يصيروا فتنةً على ضعفاء إخوانهم وعلى المبطلين. أمّا المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم اذا تعاطى مجادلته وضعف في يده حجّة له باطله، وأمّا الضّعفاء فتغمّ قلوبهم لمايرون من ضعف المحقّ في يد المبطل. وأمّا الجدال التي هي أحسن فهو ما أمر الله تعالى به نبيّه أن يجادل به من جحد البعث بعدالموت وإحياءه له فقال الله حاكياً عنهم «وضرب لنا مثلاً»[١] الحديث[٢].

أقول: قال العلّامة المجلسي رحمه الله تعالى ونعم ما قال: ويظهر من الأخبار أنّ المذموم منه ما كان الغرض فيه الغلبة وإظهار الكمال والفخر أو التعصّب وترويج الباطل. وأمّا ما كان لإظهار الحقّ ورفع الباطل ودفع الشّبه عن الدين وإرشاد المضلّين فهو من أعظم أركان الدين لكن التميز بينهما في غاية الصعوبة والإشكال، وكثيراً ما يشتبه أحدهما بالآخر في بادي النظر وللنفس تسويلات خفيّة لا يمكن التخلّص منها إلّا بفضله تعالى[٣].

قال الأحمدي: ولأجل ذلك نهى الإمام عليه السلام ثلّةً من أصحابه عن الجدال لما يرى فيه من الضّعف في إقامة البرهان والحجّة ورخّص لجمعٍ منهم أو أمرهم على الاحتجاج والمجادلة بالّتي هي أحسن. قال عليه السلام للطيّار: أمّا كلام مثلك فلابأس (أي من اذاطار يحسن أن يقع واذا وقع يحسن أن يطير). وقال لعبدالرحمن بن الحجّاج: يا عبدالرحمن كلّم أهل المدينة، كان أبوالحسن

---

(١) يس/٧٩.
(٢) راجع المصادر المتقدمة.
(٣) البحار: ج٢/١٢٧.

عليه السلام يأمر محمّد بن حكيم أن يجالس أهل المدينة، وأن يكلّمهم ويخاصمهم[١].

٣ـ قام بهذا الركن الدينيّ العظيم الأنبياء العظام عليهم السلام كما حكى الله سبحانه عنهم في القرآن الكريم وأتباعهم كمؤمن آل فرعون، وقام به رسول الله صلّى الله عليه وآله في مكّة في احتجاجه صلّى الله عليه وآله مع المشركين وفي المدينة مع اليهود والنّصارىٰ والمشركين، وبعده أميرالمؤمنين عليّ بن أبي‌طالب وآله المعصومين عليهم السلام في الدعوة الى الله تعالى بالموعظة والمجادلة بالّتي هي أحسن.

وهذه الاحتجاجات مضبوطة في كتب الفريقين، وقد جمعها العلامة المحقّق أبومنصور أحمد بن علي بن أبي‌طالب الطبرسي رحمه الله تعالى من علماء القرن السادس في كتابه القيّم «الاحتجاج».ونقل العلامة المجلسي رحمه الله تعالى ما في الاحتجاج وغيره في البحار.

وألّف جماعة من علمائنا كتباً في الاحتجاج.وذكر العلامة المحقّق المتتبع الآغا بزرگ رحمه الله أسماء هذه الكتب وأسماء مؤلّفيها في كتابه: «الذريعة الى تصانيف الشيعة» تحت عناوين: «الاحتجاج» و«الاحتجاجات»[٢] و«ردّ» و«ردود»[٣] و«الجواب» و«الجوابات»[٤] و«المناظرة»و«المناظرات»[٥] عدا ما ذكره بأسماء أخرى كالرّسالة والرسائل والرجعة والرجوع و...

وقد أوردنا في هذا الكتاب المتواضع طرفاً من احتجاجات الشيعة مع خصومهم كي يكون تذكرةً لي ولغيري. نعم قد ذكرنا استطراد الجدال بين الشيعيّين أيضاً.

---

(١) الى غير ذلك ممّن رخّص لهم أو أمرهم بذلك وممّن نهاهم، ذكرها العلامة المجلسي رحمه الله تعالى في البحار ج ٢/١٢٧ ب١٧.

(٢) راجع الذريعة: ج١/٢٨١ـ٢٨٤.

(٣) المصدر السابق: ج١٠/١٧٣ـ٢٣٨.

(٤) المصدر السابق: ج٥/١٧٠ـ٢٤١.

(٥) المصدر السابق: ج٢٢/٢٨٠ـ٣٥٠.

٤ ـ سمّيناه بـ «مواقف الشيعة مع خصومهم» والمراد من الشيعة هنا ما اصطلح عليه علماء العامّة، فإنّهم يطلقون هذا الاسم على كلّ من يفضّل عليّاً على عثمان.

قال الحافظ شهاب الدين أبوالفضل أحمدبن علي بن حجرالعسقلاني المتوفّى سنة ٨٥٢ هـ في ترجمة أبانَ بن تغلب: فالتشيّع في عرف المتقدّمين هو اعتقاد تفضيل علي على عثمان، وأنّ عليّاً كان مصيباً في حروبه، وأنّ مخالفه مخطئ مع تقديم الشيخين وتفضيلهما، وربّما اعتقد بعضهم أنّ عليّاً أفضل الخلق بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله، واذا كان ذلك ورعاً ديّناً صادقاً مجتهداً فلا تردّ روايته بهذا لاسيّما إن كان غير داعية. وأمّا التشيّع في عرف المتأخّرين فهو الرفض المحض، فلا تقبل رواية الرافضيّ الغالي ولا كرامة[١].

وقال الحافظ الذّهبي المتوفّى سنة ٧٤٨ وفي ترجمة أبان بن تغلب: فالشيعيّ الغالي في زمان السلف وعرفهم من تكلّم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفةٍ ممّن حارب عليّا رضي الله عنه وتعرّض لسبّهم، والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفّر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين أيضاً فهو ضالّ معثّر.. ولم يكن أبان يعرض للشيخين أصلاً بل قد يعتقد عليّاً أفضل منهما[٢].

وقال ابن حجر المتوفّى سنة ٨٥٢ هـ: والتشيّع محبّة عليّ وتقديمه على الصحابة، فمن قدّمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيّعه ويطلق عليه رافضيّ وإلّا فشيعيّ، فإن انضاف الى ذلك السبّ أو التصريح بالبغض فغال في الرفض وإن اعتقد الرجعة الى الدّنيا فأشدّ في الغلوّ[٣].

٥ ـ من تدبّر في هذه الاحتجاجات يستفيد منها الأُمور التّالية:

ألف: يعرف ميزان القوّة العاقلة والتفكروالدقّة عند الشيعة، وأنّهم علماء وحكماء وعقلاء بل في القمّة من العقليّات، وأنّ لهم النشاط السامي في التفكر

---

(١) تهذيب التهذيب: ج١/٥٤.

(٢) ميزان الاعتدال: ج٢/٦.

(٣) مقدّمة فتح الباري: ص٤٥٩ و٤٦٠.

والتحقيق والغور في المسائل النظرية وتمييز الحق من الباطل لايسأمون ولايملّون فيقف طبعاً عندئذٍ على ضعف مخالفيهم من هذه الجهات.

ب: هذه الاحتجاجات تفيد القارئ شدّة اهتمام الشيعة بالأُمور الدينيّة أُصولاً وفروعاً.

وقد اشتهرت الشيعة بذلك في القرون السالفة، اشتهروا بالدقّة والتحرّي في أُمور دينهم واهتمامهم بذلك بحيث اذا رأى الناس أحداً يدقّق في المسائل الدينيّة حكموا بأنّه رافضي. كان اسد بن عمرو على قضاء واسط فقال: رأيت قبلة واسط رديئةً جدّاً وتبين لي ذلك فتحرّفت فيها، فقال قوم من أهل واسط: إنّه رافضي، فقيل لهم: ويلكم هذا من أصحاب أبي حنيفة[1].

ج- يظهر للقارئ المدقّق المنصف فطانة الشيعة ويقظتهم وأنّهم لا يخدعون، ويتّضح إحاطة الشيعة بكتب مخالفيهم وعقائدهم بعد احاطتهم بكتبهم وعقائدهم حتى أنّ الشيعي يطير ولا يقع ويُفحِم خصمه ولا يُفحَم ويَغلب ولايُغلب.

د- يظهر أيضاً إنصافهم في البحث وتحرّيهم الحق في الجدل، لا يريدون غير إبانة الحقّ وانكشاف الواقع.

٦- اذا لاحظ المتدبّر المنصف هذه الاحتجاجات واستنتج منها ما ذكرنا من عقل الشيعيّ ودقّته وتدبّره وغوره في المسائل وتحرّيه الحقائق وتجنّبه عن الباطل والاعتساف وتحلّيه بالحلم والإنصاف واهتمامه بالمسائل الدينيّة وإحاطته بعقائد مخالفه وتبحّره في عقيدته سأل نفسه: من أين اكتسب هؤلاء هذه الفضائل؟ وفي أيّ مدرسة؟ وعند أي استاذ؟ وأجاب أكتسب من بيت الوحي وفي مدرستهم وعند أئمة أهل البيت عليهم السلام، فيتّضح له معنى قوله سبحانه: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى»[2] وقوله تعالى: «قل ما سألتكم من أجرٍ فهو لكم إن أجري

---

(١) الصحيح من السيرة: ج١/٢٠ وج٣/٢٧٥.

(٢) الشورى/٢٣.

إلّا على الله»[١] وقوله تعالى: «قل ما أسألكم عليه من أجرٍ إلّا من شاء أن يتخذ الى ربّه سبيلاً»[٢] حيث جعل أجر الرسالة المودّة الى القربى وأثمرت المودّة الهداية والتكامل والتقوى وكلّ فضيلة، ويفهم معنى ماورد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في فضائل أهل البيت عليهم السلام كحديث الثقلين وحديث السفينة والمنزلة وحديث أنا مدينة العلم الى مئاتٍ وأُلوفٍ من الأحاديث المضبوطة في كتب الفريقين متواتراً أو متظافراً.

وصحّ عندئذٍ ما قاله أميرالمؤمنين عليه السلام في أهل بيته صلوات الله عليهم: «هم عيش العلم وموت الجهل،هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه»[٣] و«وبينكم عترة نبيكم وهم أزمّة الحق وأعلام الدين ألسنة الصدق فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش»[٤] و«فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرّحمن إن نطقوا صدقوا وإن صمتوا لم يسبقوا»[٥].

فمن صدّقهم وقبل ولايتهم ونزل بمعناهم وسكن في مدارسهم ـ مدارس الآيات ـ صار من حملة علومهم وتحلّى بالفضائل وتخلّى عن الرذائل وارتوى من منهلٍ عذبٍ صافٍ نميرٍ تطفح ضفتاه ولا يترنّق جانباه، اللّهمّ اجعلنا ممّن يواليهم ويحبّهم ويتبرأ من أعدائهم، آمين.

٧ـ فمن راجع كتب المخالفين (أي أهل السنّة) وشاهد كلماتهم في الشيعة وعلمائهم رأى عجباً من الاعتساف وترك الانصاف، وقد جمع العلامة المتتبّع المحقق الأميني في الجزء الثالث من كتابه القيم «الغدير»[٦] كلماتهم في الشّيعة، ولا بأس

---

(١) سباء/٤٧.

(٢) الفرقان/٥٧.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة/١٤٥.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة/٨٥.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة/١٥٤.

(٦) راجع ص٧٨-٣٢٩.

بالإشارة الى بعضها:

فعن ابن عبد ربّه في العقد الفريد «الرافضة يهود هذه الأُمّة يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النصرانيّة».

وعن الفَرْق بين الفِرَق للبغدادي: «لم يكن في الروافض قطّ إمام في الفقه ولا إمام في رواية الحديث ولا إمام في اللغة والنحو ولا موثوق به في المغازي والسير والتواريخ ولا إمام في التأويل والتفسير وإنّما كان أئمّة هذه العلوم أهل السنّة والجماعة».

وعن كتاب الفصل «إنّ الروافض ليسوا من المسلمين...».

ثمّ نسبوا الى الشيعة عقائد سخيفةً عجيبةً ممّا لا يرتضيه أيّ شيعي، اقرأ واقض بما أراك الله تعالى، ثمّ قس بين المدرستين و بين خرّيجيها، والحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.

قم المحميّة

يوم الثلاثاء ١٨ من المحرم الحرام عام ١٤١٥

الموافق لـ ١٣٧٣/٤/٧ هـ ش

علي الأحمدي الميانجي

(١)

المفيد رحمه الله مع الخيّاط

قال: وأخبرني الشيخ أيدّه الله قال: قال أبو القاسم الكعبي: سمعت أبا الحسين الخيّاط يحتجّ في إبطال قول المرجئة في الشفاعة بقوله تعالى: «أفمن حقّ عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار» قال: والشفاعة لا تكون إلاّ لمن استحقّ العقاب.

فيقال له: ماكان أغفل أبا الحسين وأعظم رقدته! أترى أنّ المرجئة إذا قالت: إنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله يشفع فيشفّع فيمن يستحقّ العقاب قالوا: إنّه هو الذي ينقذ من في النار؟ أم يقولون: إنّ الله سبحانه هو الذي أنقذه بفضله ورحمته وجعل ذلك إكراماً لنبيّه صلّىٰ الله عليه وآله؟ فأين وجه الحجّة فيما تلاه؟ أو ما علم أنّ من مذهب خصومه القول بالوقف في الأخبار وأنّهم لايقطعون بالظاهر على العموم والاستيعاب؟ فلو كان القول يتضمّن نفي خروج أحد من النار لما كان ذلك ظاهراً ولامقطوعاً به عند القوم، فكيف ونفس الكلام يدلّ على الخصوص دون العموم بقوله تعالىٰ: «أفمن حقّ عليه كلمة العذاب»،وإنّما يعلم من المراد بذلك بدليل دون نفسه؛ وقد حصل الإجماع على أنّه توجه إلى الكفّار، وليس أحد من أهل القبلة يدين بجواز الشفاعة للكفّار، فيكون ماتعلّق به الخياط حجّةً عليه.

ثمّ قال أبو القاسم: وكان أبو الحسين -يعني الخيّاط- يتلو في ذلك أيضاً قوله عزّوجلّ: «تالله إنَّ كنّا لفي ضلال مبين ★ إذ نسوّيكم بربّ العالمين ★

وماأضلّنا إلّا المجرمون * فمالنا من شافعين * ولاصديقٍ حميم»[1].

قال الشيخ أدام الله عزّه: فيقال له: مارأيت أعجب منكم يامعشر المعتزلة! تتكلّمون فيما قد شارككم الناس فيه من العدل والتوحيد أحسن كلام حتىّ إذا صرتم إلى الكلام في الإمامة والإرجاء صرتم فيهما عامّةً حشويّة! تخبطون خبط عشواء، لا تدرون ماتاتون وماتذرون!

ولكن لاأعجب من ذلك، وأنتم إنّما جوّدتم فيما عاونكم عليه غيركم واستفد تموه من سواكم، وقصرتم فيما تفرّدتم به؛ لاسيّما في نصرة الباطل الذي لايقدر على نصرته في الحقيقة قادر.

ولكن العجب منكم في ادّعائكم الفضيلة والبينونة بها من سائر الناس؛ ولو والله حكى عنكم هذا الاستدلال مخالف لكم لارتبنا بحكايته؛ ولكن لاريب وشيوخكم يحكونه عن مشائخهم، ثمّ لايقنعون حتىّ يوردوه على سبيل التبجّح به والاستحسان له. وأنت أيّها الرجل من غلوّك فيه جعلته أحد الغرر.

وأنت وإن كنت أعجميّ الأصل والمنشأ فأنت عربيّ اللسان صحيح الحسّ؛ وظاهر الآية في الكفّار خاصّة، لايخفى ذلك على الأنباط فضلاً عن غيرهم، حيث يقول الله عزّوجلّ حاكياً عن الفرقة بعينها وهي تعني معبوداتها من دون الله تعالى وتخاطبها، فيقول: «إذ نسوّيكم بربّ العالمين» فيعترفون بالشرك بالله عزّوجلّ، ثمّ يقولون: «وماأضلّنا إلاّ المجرمون» وقبل ذلك يقسمون فيقولون: «تالله إن كناّ لفي ضلال مبين».

فهل ياأبا القاسم ـ أصلحك الله ـ تعرف أحداً من خصومك في الإرجاء والشفاعة يذهب إلى جواز الشفاعة لعبّاد الأصنام المشركين بالله عزّوجلّ والكفّار برسله عليهم السلام حتى استحسنت استدلال شيخك بهذه الآية على

---

(١) الشعراء: ٩٧ ـ ١٠١.

المشبّهة زعمت والمجبّرة ومن ذهب مذهبهم من العامّة؟ فان ادّعيت علم ذلك تجاهلت، وإن زعمت أنّه إذا بطلت الشفاعة للكفّار فقد بطلت في الفسّاق أتيت بقياسٍ طريفٍ من القياس الذي حكي عن أبي حنيفة أنّه قال: «البول في المسجد أحياناً أحسن من بعض القياس».

وكيف تزعم ذلك؟ وأنت إنّما حكيت مجرّد القول في الآية ولم تذكر وجه الاستدلال منها.

وإن ما توهّمت أنّ الحجّة في ظاهرها غفلة عظيمة حصلت منك!

على أنّه إنّما يصحّ القياس على العلل والمعاني دون الصور والألفاظ.

والكفّار إنّما بطل قول من ادّعى الشفاعة لهم أن لو ادّعاها مدّعٍ بصريح القرآن لاغير، فيجب أن لا تبطل الشفاعة لفسّاق الملّة إلاّ بنصّ القرآن أيضاً أو قولٍ من الرسول صلّى الله عليه وآله يجري مجرى القرآن في الحجّة، وإذا عدم ذلك بطل القياس فيه.

مع أنّا قد بيّنا أنّك لم تقصد القياس وإنّما تعلّقت بظاهر القرآن، وكشفنا عن غفلتك في التعلّق به؛ فليتأمّل ذلك أصحابك وليستحيوا لك منه.

على أنّه قد روي عن الباقر محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام أنّه قال: في هذه الآية دليل على وجود الشفاعة، قال: وذلك أنّ أهل النار لو لم يروا يوم القيامة الشافعين يشفعون لبعض من استحقّ العقاب فيشفّعون ويخرجون بشفاعتهم من النار أو يعفون عنها بعد الاستحقاق لما تعاظمت حسراتهم ولاصدر عنهم هذا المقال، لكنهمّ لـمّا رأوا شافعاً يشفع فيشفّع وصديقاً حميماً يشفع لصديقه فيشفّع عظمت حسرتهم عند ذلك وقالوا: «فمالنا من شافعين ★ ولاصديقٍ حميمٍ ★ فلو أنّ لنا كرّةً فنكون من المؤمنين».

ولعمري إنّ مثل هذا الكلام لايرد إلاّ عن إمام هدىً أو من أخذ عن أئمّة الهدى عليهم السلام!

فأمّا ماحكاه أبو القاسم الكعبي فيليق بمقال الخيّاطين، ونتيجة عقول السخفاء والضعفاء في الدين[1].

(٢)

المفيد مع المخالفين

ومن كلام الشيخ أدام الله عزّه: سئل في مجلس الشريف أبي الحسن أحمد بن القاسم العلوي المحمّدي أدام الله عزه فقيل له: ماالدّليل على أنّ أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان أفضل الصحابة؟ فقال: الدليل على ذلك قول النبي صلّى الله عليه وآله: «اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر» فجاء أميرالمؤمنين عليه السلام وقد ثبت أنّ أحبّ الخلق إلى الله عزّوجلّ أعظمهم ثواباً عند الله تعالى وأنّ أعظم الناس ثواباً لايكون إلاّ لأنّه أشرفهم أعمالاً وأكثرهم عبادةً لله تعالى، وفي ذلك برهان على فضل أميرالمؤمنين عليه السلام على الخلق كلّهم سوى الرسول عليه وآله السلام.

فقال له السائل: ماالدليل على صحّة هذا الخبر؟ وماأنكرت أن يكون غير معتمد، لأنّه إنّما رواه أنس بن مالك وحده؛ وأخبار الآحاد ليست بحجّةٍ فيما يقطع على الله عزّوجلّ بصوابه.

فقال الشيخ أدام الله عزّه: هذا الخبر وإن كان من أخبار الآحاد على ماذكرت من أنّ أنس بن مالك رواه وحده، فانّ الامّة بأجمعها قد تلقّته بالقبول، ولم يروا أنّ أحداً ردّه على أنس ولاأنكر صحّته عند روايته، فصار الإجماع عليه هو الحجّة في صوابه؛ ولم يخلّ ببرهانه كونه من أخبار الآحاد بما شرحناه.

مع أنّ التّواتر قد ورد بأنّ أميرالمؤمنين عليه السلام احتجّ به في مناقبه يوم

(١) البحار: ج١٠ ص٤٢٨-٤٣١.

الدار، فقال: انشدكم الله، هل فيكم أحد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: «اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر» فجاء أحد غيري؟ قالوا: اللّهم لا، قال: اللّهم اشهد؛ فاعترف الجميع بصحّته. ولم يك أميرالمؤمنين عليه السلام ليحتجّ بباطلٍ لاسيّما وهو في مقام المنازعة والتوصّل بفضائله إلى أعلى الرتب التي هي الإمامة والخلافة للرّسول صلّى الله عليه وآله وإحاطة علمه بأنّ الحاضرين معه في الشورى يريدون الأمر دونه، مع قول النبيّ صلّى الله عليه وآله: «علي مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور حيثما دار» وإذا كان الأمر على ماوصفناه دلّ على صحّة الخبر حسبما بيّناه.

فاعترض بعض المجبّرة فقال: إنّ احتجاج الشيعة برواية أنس من أطرف الأشياء، وذلك أنّهم يعتقدون تفسيق أنس بل تكفيره فيقولون: إنّه كتم الشهادة في النصّ حتىّ دعا عليه أميرالمؤمنين عليه السلام ببلاء لايواريه الثياب، فبرص على كبر السنّ ومات وهو أبرص؛ فكيف يستشهد برواية الكافرين؟.

فقالت المعتزلة: قد أسقط هذا الكلام الرجل ولم يجعل الحجّة في الرواية أنساً، وإنّما جعلها الإجماع؛ فهذا الذي أوردته هذيان، وقد تقدم إبطاله.

فقال السائل: هب إنّا سلّمنا صحة الخبر، ماأنكرت أن لايفيد ماادّعيت من فضل أميرالمؤمنين عليه السلام على الجماعة، وذلك: أنّ المعنى فيه «اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي» يريد أحبّ الخلق إلى الله عزّوجلّ في الأكل معه، دون أن يكون أراد أحبّ الخلق إليه في نفسه لكثرة أعماله، إذ قد يجوز أن يكون الله سبحانه يحبّ أن يأكل مع نبيّه من غيره أفضل منه، ويكون ذلك أحبّ إليه للمصلحة.

فقال الشيخ أدام الله عزّه: هذا الذي اعترضت به ساقط، وذلك أنّ محبّة الله تعالى ليست ميل الطباع وإنّما هي الثواب، كما أنّ بغضه وغضبه ليسا

باهتياج وإنّما هما العقاب؛ ولفظ «أفعل» في أحب وأبغض لايتوجّه إلاّ إلى معناهما من الثواب والعقاب، ولامعنى على هذا الأصل لقول من زعم: أنّ أحبّ الخلق إلى الله عزّوجلّ يأكل مع رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله توجّه إلى محبّة الأكل، والمبالغة في ذلك بلفظ «أفعل» لأنّه يخرج اللفظ عمّا ذكرناه من الثواب الى ميل الطّباع، وذلك محال في صفة الله سبحانه.

وشيءٌ آخر: وهو أنّ ظاهر الخطاب يدلّ على ماذكرناه، دون ماعارضت به أن لو كانت المحبّة على غير معنى الثواب، لأنّه صلّىٰ الله عليه وآله قال: «اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر» وقوله: «بأحبّ خلقك إليك» كلام تامّ، وبعده: «يأكل معي من هذا الطائر» كلام مستأنف ولايفتقر الأوّل إليه، ولو كان أراد ماذكرت لقال: «اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليك في الأكل معي» فلمّا كان اللفظ على خلاف هذا وكان على ماذكرناه لم يجز العدول عن الظاهر إلى محتملٍ على المجاز.

وشيءٌ آخر: وهو أنّه لو تساوى المعنيان في ظاهر الكلام لكان الواجب عليك تحميلهما اللفظ معاً، دون الاقتصار على أحدهما، إلاّ بدليل، لأنّه لايتنافى الجمع بينهما، فيكون أراد بقوله: «أحبّ خلقك إليك» في نفسه وللأكل معي؛ وإذا كان الأمر على مابيّنّاه سقط اعتراضك.

فقال رجل من الزيدية ـ كان حاضراً ـ للسائل: هذا الاعتراض ساقط على أصلك وأصلنا، لأنّا نقول جميعاً: إنّ الله تعالى لايريد المباح، والأكل مع النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله مباح وليس بفرضٍ ولانفلٍ فيكون الله يحبّه، فضلاً عن أن يكون بعضه أحبّ إليه من بعض. وهذا السائل من أصحاب أبي هاشم، فلذلك أسقط الزيديّ كلامه على أصله، إذ كان يوافقه في الأصول على مذهب أبي هاشم.

فخلّط السائل هنيئة، ثمّ قال للشيخ أدام الله عزّه: فأنا أعترض باعتراضٍ

آخر، وهو أن أقول: ماأنكرت أن يكون هذا القول إنّما أفاد أنّ عليّاً عليه السلام كان أفضل الخلق في يوم الطائر، ولكن بم تدفع أن يكون قد فضّله قوم من الصحابة عند الله تعالى بكثرة الأعمال والمعارف بعد ذلك؟ وهذا الأمر لايعلم بالعقل، وليس معك سمع في نفس الخبر يمنع من ذلك، فدّل على أنّه عليه السلام أفضل من الصحابة كلّهم إلى وقتنا هذا، فانّا لم نسألك عن فضله عليهم وقتاً بعينه.

فقال الشيخ أدام الله عزّه: هذا السؤال أوهن مما تقدّم، والجواب عنه أيسر؛ وذلك: أنّ الامّة مجمعة على إبطال قول من زعم أنّ أحداً اكتسب أعمالاً زادت على الفضل الذي حصل لأميرالمؤمنين عليه السلام على الجماعة؛ من قبل أنّهم بين قائلين:

فقائل يقول: إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام كان أفضل من الكلّ في وقت الرسول صلّى الله عليه وآله ولم يساوه أحد بعد ذلك، وهم الشيعة الإماميّة والزيديّة وجماعة من شيوخ المعتزلة وجماعة من أصحاب الحديث.

وقائل يقول: إنّه لم يبن لأميرالمؤمنين عليه السلام في وقتٍ من الأوقات فضل على سائر الصحابة يقطع به على الله تعالى ويجزم الشهادة بصحّته، ولابان لأحدٍ منهم فضل عليه، وهم الواقفة في الأربعة من المعتزلة، منهم: أبوعليّ وأبو هاشم وأتباعهما.

وقائل يقول: إنّ أبا بكر كان أفضل من أميرالمؤمنين عليه السلام في وقت الرسول صلّى الله عليه وآله وبعده، وهم جماعة من المعتزلة وبعض المرجئة وطوائف من أصحاب الحديث.

وقائل يقول: إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام خرج عن فضله بحوادثٍ كانت منه فساواه غيره، وفضّل عليه من أجل ذلك من لم يكن له فضل عليه، وهم الخوارج جماعة من المعتزلة، منهم: الأصمّ والجاحظ وجماعة من أصحاب

الحديث أنكروا قتال أهل القبلة.

ولم يقل أحد من الأمّة: إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام كان أفضل عند الله سبحانه من الصحابة كلّهم ولم يخرج عن ولاية الله عزّوجلّ ولاأحدث معصية الله تعالى ثمّ فضّل عليه غيره بعمل زاد به ثوابه على ثوابه، ولاجوّز ذلك فيكون معتبراً؛ فاذا بطل الاعتبار به للاتفاق على خلافه سقط، وكان الإجماع حجّةً يقوم مقام قول الله تعالى في صحّة ماذهبنا إليه؛ فلم يأت بشيءٍ.

ذاكرني الشيخ أدام الله عزّه هذه المسألة بعد ذلك فزادني فيها زيادة ألحقتها:

وهي أن قال: إنّ الذي يسقط مااعترض به السائل من تأويل قول النبي صلّى الله عليه وآله: «اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليك» على المحبّة للأكل معه دون محبّته في نفسه بإعظام ثوابه بعد الذي ذكرناه في إسقاطه: أنّ الرواية جاءت عن أنس بن مالك أنّه قال: لمّا دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يأتيه الله تعالى بأحبّ الخلق إليه قلت: اللّهم اجعله رجلاً من الأنصار ليكون لي الفضل بذلك، فجاء عليّ عليه السلام فرددته وقلت له: رسول الله على شغل، فمضى؛ ثمّ عاد ثانية، فقال لي: استأذن على رسول الله صلّى الله عليه وآله فقلت له: إنّه على شغل؛ فجاء ثالثةً فاستأذنت له ودخل؛ فقال له النبيّ صلّى الله عليه وآله:قد كنت سألت الله أن يأتيني بك دفعتين، ولو أبطأت عليّ الثالثة لأقسمت على الله عزّوجلّ أن يأتيني بك.

فلولا أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله سأل الله عزّوجلّ أنّ يأتيه بأحبّ خلقه إليه في نفسه وأعظمهم ثواباً عنده وكانت هذه من أجلّ الفضائل لما آثر أنس أن يختصّ بها قومه، ولولا أنّ أنساً فهم ذلك من معنى كلام الرسول صلّى الله عليه وآله لما دافع أمير المؤمنين عليه السلام عن الدّخول ليكون ذلك الفضل لرجلٍ من الأنصار فيحصل له جزء منه.

وشيٌ آخر: وهو أنّه لو احتمل معنىً لايقتضي الفضيلة لأميرالمؤمنين عليه السلام لما احتجّ به أميرالمؤمنين عليه السلام يوم الدّار، ولاجعله شاهداً على أنّه أفضل من الجماعة؛ وذلك: أنّه لولم يكن الأمر على ماوصفناه وكان محتملاً لما ظنّه المخالفون ـمن أنّه سأل ربّه تعالى أن يأتيه بأحب الخلق إليه في الأكل معه ـ لما أمن أميرالمؤمنين عليه السلام من أن يتعلّق بذلك بعض خصومه في الحال أو يشتبه ذلك على إنسان؛ فلمّا احتجّ به على القوم واعتمده في البرهان دلّ على أنّه لم يك مفهوماً منه إلاّ فضله. وكان إعراض الجماعة أيضاً عن دفاعه عن ذلك بتسليم ما ادُّعي دليلاً على صحّة ماذكرناه.

وهذا بعينه يسقط قول من زعم: أنه يجوز مع إطلاق النبيّ صلّى الله عليه وآله في أميرالمؤمنين عليه السلام مايقتضي فضله عند الله تعالى على الكافّة وجود من هو أفضل منه في المستقبل، لأنّه لو جاز ذلك لما عدل القوم عن الاعتماد عليه، ولجعلوه شبهةً في منعه ممّا ادّعاه من القطع على نقصانهم عنه في الفضل؛ وفي عدول القوم عن ذلك دليل على أنّ القول مقيد بإطلاق فضله عليه السلام ومؤمّن من بلوغ أحدٍ منزلته في الثواب بشيءٍ من الأعمال؛ وهذا بيّن لمن تدبّره[1].

(٣)

المفيد مع أبي بكر بن صراما

ومن حكايات الشيخ أدام الله عزّه وكلامه: حضر الشيخ مجلس أبي منصور ابن المرزبان، وكان بالحضرة جماعة من متكلّمي المعتزلة، فجرى كلام وخوض في شجاعة الإمام.

فقال أبو بكر بن صراما: عندي أنّ أبا بكر الصديق كان من شجعان

---

(١) البحار: ج١٠ ص٤٣١-٤٣٦.

العرب ومتقدّميهم في الشجاعة!.

فقال الشيخ أدام الله عزّه: من أين حصل ذلك عندك ؟ وبأيّ وجهٍ عرفته؟.

فقال: الدليل على ذلك: أنّه رأى قتال أهل الردّة وحده في نفرٍ معه، وخالفه على رأيه ذلك جمهور الصحابة، وتقاعدوا عن نصرته، فقال: أما والله، لو منعوني عقالاً لقاتلتهم؛ ولم يستوحش من اعتزال القوم له، ولاضعّف ذلك نفسه ولامنعه من التصميم على حربهم؛ فلولا أنّه كان من الشجاعة على حدٍّ يقصر الشجعان عنه لما أظهر هذا القول عند خذلان القوم له.

فقال الشيخ أدام الله عزّه: ماأنكرت على من قال لك: إنّك لم تلجأ إلى معتمدٍ عليه في هذا الباب؛ وذلك أنّ الشجاعة لا تعرف بالحسّ لصاحبها فقط ولابادّعائها، وإنّما هي شيءٌ في الطبع يمدّه الاكتساب؛ والطريق إليها أحد الأمرين: إمّا الخبر عنها من جهة علّام الغيوب المطّلع على الضمائر جلّت عظمته فيعلم خلقه حال الشجاع وإن لم يبد منه فعل يستدلّ به عليها. والوجه الآخر: أن يظهر منه أفعال يعلم بها حاله، كمبارزة الأقران ومقاومة الشجعان ومنازلة الأبطال والصبر عند اللقاء وترك الفرار عند تحقّق القتال؛ ولايعلم ذلك أيضاً بأوّل وهلةٍ ولابواحدةٍ من الفعل حتىّ يتكرّر ذلك على حدّ يتميز به صاحبه ممّن حصل له ذلك اتّفاقاً أو على سبيل الهوج والجهل بالتدبير.

وإذا كان الخبر عن الله سبحانه بشجاعة أبي بكر معدوماً وكان هذا الفعل الدالّ على الشجاعة غير موجود للرّجل فكيف يجوز لعاقلٍ أن يدّعي له الشجاعة بقولٍ قاله ليس من دلالتها في شيءٍ عند أحدٍ من أهل النظر والتّحصيل؟لاسيّما ودلائل جبنه وهلعه وخوفه وضعفه أظهر من أن يحتاج فيها إلى التأمّل؛ وذلك أنّه لم يبارز قطّ قرناً ولاقاوم بطلاً ولاسفك بيده دماً، وقد شهد مع رسول الله صلّى الله عليه وآله مشاهده؛ فكان لكلّ أحد من الصحابة

أثر في الجهاد إلّا له، وفرّ في يوم أحد، وانهزم في يوم خيبر، وولّى الدّبر يوم التقى الجمعان، وسلم رسول الله صلّى الله عليه وآله في هذه المواطن مع ما كتب الله عزّوجلّ عليه من الجهاد؛ فكيف تجتمع دلائل الجبن ودلائل الشجاعة لرجلٍ واحدٍ في وقتٍ واحدٍ لولا أنّ العصبيّة تميل بالعبد إلى الهوى؟.

و قال رجل من طيّاب الشيعة كان حاضراً: عافاك الله، أي دليل هذا؟ وكيف يعتمد عليه؟ وأنت تعلم أنّ الانسان قد يغضب فيقول:لو سامني السلطان هذا الأمر قبلته؛ وإنّ عندنا لشيخاً ضعيف الجسم ظاهر الجبن يصلّي بنا في مسجدنا، فما يحدث أمر يضجره وينكره إلاّ قال: والله لأصبرنّ على هذا أو لأُجاهدنّ فيه ولو اجتمعت فيه ربيعة ومضر.

فقال:ليس الدليل على الشجاعة ماذكرت دون غيره، والذي اعتمدنا عليه يدلّ كما يدلّ الفعل والخبر، ووجه الدّلالة فيه: أنّ أبا بكر باتّفاق لم يكن مؤوف العقل ولاغبيّاً ناقصاً، بل كان بالإجماع من العقلاء، وكان بالاتفاق جيدّ الآراء، فلولا أنّه كان واثقاً من نفسه عالماً بصبره وشجاعته لما قال هذا القول بحضرة المهاجرين والأنصار، وهو لايأمن أن يقيم القوم على خلافه فيخذلونه ويتأخّرون عنه ويعجز هو لجبنه أن لو كان الأمر على ماادّعيتموه عليه، فظهر منه الخلف في قوله، وليس يقع هذا من عاقل حكيم، فلمّا ثبتت حكمة أبي بكر دلّ مقاله الذي حكيناه على شجاعته كما وصفناه.

فقال الشيخ أدام الله عزّه: ليس تسليمنا لعقل أبي بكر وجودة رأيه تسليماً لما ادّعيت من شجاعته بما رويت عنه من القول، ولايوجب ذلك في عرفٍ ولاعقلٍ ولاسنّةٍ ولاكتابٍ؛ وذلك أنّه وإن كان ماذكرت من الحكمة فليس يمنع أن يأتي بهذا القول من جبنه وخوفه وهلعه ليشجّع أصحابه ، ويحضّ المتأخرين عنه على نصرته، ويحثّهم على جهاد عدوّه، ويقوّي عزمهم في معونته، ويصرفهم عن رأيهم في خذلانه؛ وهكذا يصنع الحكماء في تدبيراتهم، فيظهرون

من الصبر ماليس عندهم، ومن الشجاعة ماليس في طبايعهم حتى يمتحنوا الأمر وينظروا في عواقبه؛ فإن استجاب المتأخّرون عنهم ونصرهم الخاذلون لهم، وكّلوا الحرب إليهم وعقلوا الكلفة بهم؛ وإن أقاموا على الخذلان واتّفقوا على ترك النصرة لهم والعدول عن معونتهم أظهروا من الرّأي خلاف ماسلف، وقالوا: قد كانت الحال موجبةً للقتال وكان عزمنا على ذلك تامّاً، فلمّا رأينا أشياعنا وعامّة أتباعنا يكرهون ذلك أوجبت الضرورة إعفاءهم عمّا يكرهون والتدبير لهم بما يؤثرون؛ وهذا أمر قد جرت به عادات الرؤساء في كلّ زمان ولم يكن تنقّلهم من رأيٍ إلى رأيٍ مسقطاً لأقدارهم عند الأنام.

فلا ينكر أن يكون أبو بكر إنّما أظهر التصميم على الحرب لحثّ القوم على موافقته في ذلك، ولم يبد لهم جزعه لئلّا يزيد ذلك في فشلهم ويقوى به رأيهم؛ واعتمد على أنّهم إن صاروا إلى أمره ونجع هذا التدبير في تمام غرضه فقد بلغ المراد، وإن لم ينجع ذلك عدل عن الرأي الأوّل كما وصفناه في حال الرؤساء في تدبيراتهم.

على أنّ أبا بكر لم يقسم بالله تعالى في قتال أهل الردّة بنفسه وإنّما أقسم بأنصاره الذين اتّبعوه على رأيه؛ وليس في يمينه بالله سبحانه لينفذنّ خالداً وأصحابه ليصلوا بالحرب دليلٌ على شجاعته في نفسه.

وشيءٌ آخر: وهو أنّ أبا بكر قال هذا القول عند غضبه لمباينة القوم له، ولاخلاف بين ذوي العقول أنّ الغضبان يعتريه عند غضبه من هيجان الطباع مايفسد عليه رأيه، حتّى يقدم من القول على مالايفي به عند سكون نفسه، ويعمل من الأعمال مايندم عليه عند زوال الغضب عنه، ولايكون وقوع ذلك منه دليلاً على فساد عقله ووجوب إخراجه عن جملة أهل التدبير؛ وقد صرّح بذلك الرّجل في خطبته المشهورة عنه التي لايختلف إثنان فيها، وأصحابه خاصّةً يصولون بها ويجعلونها من مفاخره، حيث يقول: «إنّ رسول الله صلّى الله عليه

وآله خرج من الدنيا وليس أحد يطالبه بضربة سوط فما فوقها، وكان صلّى الله عليه وآله معصوماً من الخطأ يأتيه الملائكة بالوحي؛ فلا تكلّفوني ماكنتم تكلّفونه، فانّ لي شيطاناً يعتريني عند غضبي، فاذا رأيتموني مغضباً فاجتنبوني؛ «أوثر في أشعاركم وأبشاركم» فقد أعذر هذا الرجل إلى القوم فيما يأتيه عند غضبه من قول وفعل، ودلّهم على الحال فيه؛ فلذلك أمن من نكير المهاجرين والأنصار عليه مقاله عند غضبه مع إحاطة العلم منهم بما لحقه في الحال من خلاف المخالفين عليه حتى بعثه على ذلك المقال؛ فلم يأت بشيء[1].

(٤)

المفيد مع الزيديّة

قال الشيخ أدام الله حراسته: كان يختلف إليّ حدث من أولاد الأنصار يتعلّم الكلام، فقال لي يوماً: اجتمعت البارحة مع الطبراني شيخ من الزيديّة، فقال لي: أنتم يامعشر الإماميّة حنبليّة وأنتم تستهزئون بالحنبلية! فقلت: وكيف ذلك؟ فقال: لأنّ الحنبليّة تعتمد على المنامات وأنتم كذلك، والحنبليّة تدّعي المعجز لأكابرها وأنتم كذلك، والحنبليّة ترى زيارة القبور والاعتكاف عندها وأنتم كذلك؛ فلم يكن عندي جواب ارتضيه، فما الجواب؟.

قال الشيخ أدام الله عزّه: فقلت له: ارجع إليه وقل له:قد عرضت ماألقيته عليّ على فلان، فقال: قل له: إن كانت الإماميّة حنبليّة بما وصفت أيّها الشيخ فالمسلمون بأجمعهم حنبليّة، والقرآن ناطق بصحة الحنبليّة وصواب مذاهب أهلها.

وذلك أنّ الله عزّوجلّ يقول: «إذ قال يوسف لأبيه ياأبتِ إنّي رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ۞ قال يابنيّ لا تقصص

(١) البحار: ج١٠ ص٤٣٦-٤٣٩.

رؤيـاكَ على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إنّ الشيطان للإنسان عدوّ مبين» فأثبت الله جلّ اسمه المنام، وجعل له تأويلاً عرّفه أولياءه عليهم السلام وأثبته الأنبياء ودانت به خلفاؤهم وأتباعهم من المؤمنين، واعتمدوه في علم مايكون، وأجروه مجرى الخبر مع اليقظة وكالعيان له. وقال سبحانه: «ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إنّي أراني أعصر خمراً وقال الآخر إنّي أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبّئنا بتأويله إنّا نريك من المحسنين» فنبّأهما بتأويله؛ وذلك على تحقيق منه لحكم المنام، وكان سؤالهما مع جهلهما بنبوّته دليلاً على أنّ المنامات حقّ عندهم والتأويل لأكثرها صحيح إذا وافق معناها. وقال عزّ اسمه: «وقال الملك إنّي أرى سبع بقراتٍ سمانٍ يأكلهنّ سبع عجاف وسبع سنبلاتٍ خضرٍ وأُخر يابساتٍ ياأيّها الملأ افتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون * قالوا أضغاث أحلامٍ ومانحن بتأويل الأحلام بعالمين» ثمّ فسّرها يوسف عليه السلام فكان الأمر كما قال. وقال سبحانه في قصّة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: «فلمّا بلغ معه السعي قال يابنيّ إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك فانظر ما ذا ترى قال يأبت افعل ماتؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين» فأثبتا عليهما السلام الرؤيا وأوجبا الحكم بها، ولم يقل إسماعيل لأبيه عليه السلام: ياأبت لا تسفك دمي برؤياً رأيتها، فانّ الرؤيا قد تكون من حديث النفس وأخلاط البدن وغلبة الطباع بعضها على بعض؛ كما ذهبت إليه المعتزلة.

فقول الإماميّة في هذا الباب مانطق به القرآن، وقول هذا الشيخ هو قول الملأ من أصحاب الملك حين قالوا: «أضغاث أحلام». ومع ذلك فانّا لسنا نثبت الأحكام الدّينيّة من جهة المنامات، وإنّما نثبت من تأويلها ما جاء به الأثر عن ورثة الأنبياء عليهم السلام.

فأمّا قولنا في المعجزات: فهو كقول الله تبارك وتعالى: «وأوحينا إلى أُمّ

موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليمّ ولاتخافي ولاتحزني إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين» فضمّن هذا القول تصحيح المنام، إذ كان الوحي إليها في المنام يعلمها بما كان قبل كونه. وقال سبحانه في قصّة مريم عليها السلام: «فأشارت إليه قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبيّاً ★ قال إنّي عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً ★ وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيّاً» فكان نطق المسيح معجزاً لمريم عليها السلام إذ كان شاهداً ببراءة ساحتها؛ وأُمّ موسى ومريم لم تكونا نبيّتين ولامرسلتين، ولكنّهما كانتا من عباد الله الصالحين؛ فعلى مذهب هذا الشيخ كتاب الله تعالى يصحّح الحنبليّة.

وأمّا زيارة القبور: فقد أجمع المسلمون على زيارة قبر النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله حتى أنّه من حجّ ولم يزره فقد جفاه وثلم حجّه بذلك الفعل، وقد قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله: «من سلّم عليّ من عند قبري سمعته ومن سلّم عليّ من بعيد بلغته عليه سلام الله ورحمته وبركاته. وقال صلّىٰ الله عليه وآله للحسن عليه السلام:

«من زارك بعد موتك أو زار أباك أو زار أخاك فله الجنّة». وقال له عليه السلام أيضاً في حديثٍ له أوّل مشروحٍ في غير هذا الكتاب: «تزورك طائفة من أُمّتي يريدون به برّي وصلتي، فاذا كان يوم القيامة زرتها في الموقف، فأخذت بأعضادها فأنجيتها من أهواله وشدائده».

ولاخلاف بين الأُمّة أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله لمّا فرغ من حجّة الوداع لاذ بقبرٍ قد درس، فقعد عنده طويلاً، ثمّ استعبر؛ فقيل له: يارسول الله، ماهذا القبر؟ فقال: «هذا قبر أُميّ آمنة بنت وهب، سألت الله في زيارتها فأذن لي». وقال صلّىٰ الله عليه وآله: «قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا

فزوروها،وكنت نهيتكم عن ادّخار لحوم الأضاحي ألا فادّخروها». وقد كان أمر صلّى الله عليه وآله في حياته بزيارة قبر حمزة عليه السلام وكان يلمّ به وبالشهداء. ولم تزل فاطمة عليها السلام بعد وفاته صلّى الله عليه وآله تغدوا إلى قبره وتروح. والمسلمون يناوبون على زيارته وملازمة قبره.

فإن كان ماتذهب إليه الإماميّة من زيارة مشاهد الأئمّة عليهم السلام حنبليّةً وسخفاً من العقل فالإسلام مبنيّ على الحنبليّة، ورأس الحنبليّة رسول الله صلّى الله عليه وآله! وهذا قول متهافت جّداً يدلّ على قلّة دين قائله وضعف رأيه وبصيرته.

ثمّ قلت له: يجب أن تعلمه أنّ الذي حكيت عنه قد حرّف القول وقبّحه ولم يأت على وجه.

والذي نذهب إليه في الرؤيا: أنّها على أضرب، فضرب منها يبشّر الله به عباده ويحذّرهم، وضرب تحزين من الشيطان وكذب يخطره ببال النائم، وضرب من غلبة الطباع بعضها على بعض.

ولسنا نعتمد على المنامات كما حكى، لكنّا نأنس بما يبشّر به ونتخوّف ممّا يحذّر فيها، من وصل إليه شيئ من علمها عن ورثة الأنبياء عليهم السلام ميّز بين حقّ تأويلها وباطله، ومن لم يصل إليه شيئ من ذلك كان على الرجاء والخوف.

وهذا يسقط مالعلّه سيتعلّق به في منامات الأنبياء عليهم السلام من أنّها وحي، لأنّ تلك مقطوع بصحّتها، وهذه مشكوك فيها. مع أنّ منها أشياء قد اتّفق ذوو العادات على معرفة تأويلها حتى لم يختلفوا فيه ووجدوه حسناً.

وهذا الشيخ لم يقصد بكلامه الإماميّة، لكنّه قصد الأمّة ونصر البراهمة والملحدة. مع أنّي أعجب من هذه الحكاية عنه، وأنا أعرفه يميل إلى مذهب أبي هاشم ويعظّمه ويختاره؛ وأبو هاشم يقول في كتابه «المسألة في الإمامة»: إنّ أبا

بكر رأى في المنام كأنّ عليه ثوباً جديداً عليه رقمان، ففسّره على النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال له: إن صدقت رؤياك فستخبر بولدٍ وتلي الخلافة سنتين»
فلم يرض شيخه أبو هاشم أن أثبت المنامات حتى أوجب له الخلافة وجعلها دلالةً على الإمامة! فيجب على قول هذا الشيخ الزيديّ عند نفسه أن يكون أبو هاشم رئيس المعتزلة عنده حنبليّاً، بل يكون أبو بكر حنبلياً، بل رسول الله صلّى الله عليه وآله! لأنّه صحّح المنام وأوجب به الأحكام؛ وهذا من بهرج المقال(١).

(٥)

المفيد مع شيخ المعتزلة

ثمّ قال رضي الله عنه: ومن حكايات الشيخ أيّده الله قال: حضرت مجمعاً لقومٍ من الرؤساء، وكان فيهم شيخ من أهل الريّ معتزليّ، يعظمونه لمحلّ سلفه وتعلّقه بالدولة، فسئلت عن شيءٍ من الفقه، فأفتيت فيه على المأثور عن الأئمّة عليهم السلام.

فقال ذلك الشيخ: هذه الفتيا تخالف الإجماع: فقلت له: عافاك الله، من تعني بالإجماع؟ فقال: الفقهاء المعروفين بالفتيا في الحلال والحرام من فقهاء الأمصار. فقلت: هذا أيضاً مجمل من القول، فهل تدخل آل محمّدٍ عليهم السلام في جملة هؤلاء الفقهاء، أم تخرجهم من الإجماع؟ فقال: بل أجعلهم في صدر الفقهاء، ولو صحّ عنهم ماترو ونه لما خالفناه.

فقلت له: هذا مذهب لاأعرفه لك ولا لمن أومأت إليه ممّن جعلتهم الفقهاء، لأنّ القوم بأجمعهم يرون الخلاف على أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو سيّد أهل البيت في كثيرٍ ممّا قد صحّ عنه من الأحكام،

---

(١) البحار: ج١٠ ص٤٣٩-٤٤٣.

فكيف تستوحشون من خلاف ذريّته وتوجبون على أنفسكم قبول قولهم على كلّ حال؟.

فقال: معاذ الله! ماننذهب إلى هذا ولايذهب إليه أحد من الفقهاء، وهذه شناعة منك على القوم بحضرة هؤلاء الرؤساء.

فقلت له: لم أحكِ إلاّ ماأُقيم عليه البرهان، ولاذكرت إلاّ معروفاً لايمكن أحدا من أهل العلم دفعي عنه لما هوعليه من الاشتهار، لكنّك أنت تريد أن تتجمّل بضدّ مذهبك على هؤلاء الرؤساء. ثمّ أقبلت على القوم، فقلت:

لاخلاف عند شيوخ هذا الرّجل وأئمّته وفقهائه وسادته أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قد يجوز عليه الخطأ في شئ يصيب فيه عمرو بن العاص زيادةً على ماحكيت عنه من المقال! فاستعظم القوم ذلك وأظهروا البراءة من معتقده، وأنكره هو وزاد في الإنكار. فقلت له: أليس من مذهبك ومذهب هؤلاء الفقهاء أنّ عليّاً عليه السلام لم يكن معصوماً كعصمة النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله؟ قال: بلى. قلت: فلم لايجوز عليه الخطأ في شئ من الأحكام؟ فسكت.

ثمّ قلت له: أليس عندكم أن أميرالمؤمنين عليه السلام قد كان يجتهد رأيه في كثيرٍ من الأحكام، وأنّ عمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري والمغيرة بن شعبة كانوا من أهل الاجتهاد؟ قال: بلى. قلت له: فما الذي يمنع من إصابة هؤلاء القوم مايذهب على أميرالمؤمنين عليه السلام من جهة الاجتهاد مع ارتفاع العصمة عنه وكون هؤلاء القوم من أهل الاجتهاد؟ فقال: ليس يمنع من ذلك مانع. قلت له: فقد أقررت بما أنكرت الآن؛ ومع هذا فليس من أصلك أنّ كلّ أحدٍ بعد النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله يؤخذ من قوله ويترك إلاّ ماانعقد عليه الإجماع. قال: بلى. قلت له: أفليس هذا يسوّغكم الخلاف على أميرالمؤمنين عليه السلام في كثيرٍ من أحكامه التي لم يقع عليه الإجماع؟.

وبعد، فليست لي حاجة إلى هذاالتعسّف، ولاأنامفتقرفيما حكيت إلى هذا

الاستدلال، لأنّه لاأحد من الفقهاء إلاّ وقد خالف أميرالمؤمنين عليه السلام في بعض أحكامه ورغب عنها إلى غيرها؛ وليس فيهم أحد وافقه في جميع ماحكم به من الحلال والحرام.

وإنّي لأعجب من إنكارك ماذكرت، وصاحبك الشافعيّ يخالف أميرالمؤمنين عليه السلام في الميراث والمكاتب ويذهب إلى قول زيد فيهما! ويروي عنه أنّه كان لايرى الوضوء من مسّ الذكر، ويقول هو: إنّ الوضوء منه واجب وإنّ عليّاً عليه السلام خالف الحكم فيه بضربٍ من الرأي! وحكى الربيع عنه في كتابه المشهور: أنّه لابأس بصلاة الجمعة والعيدين خلف كلّ أمينٍ وغير مأمونٍ ومتغلّب، صلّى عليّ بالناس وعثمان محصور؛ فجعل الدلالة على جواز الصلاة خلف المتغلّب على أمر الامّة صلاة الناس خلف عليٍّ في زمن حصر عثمان، فصرّح بأنّ عليّاً كان متغلّباً؛ ولاخلاف أنّ المتغلّب على أمر الأُمّة فاسق ضالّ. وقال: لابأس بالصلاة خلف الخوارج، لأنّهم متأوّلون وإن كانوا فاسقين.

فمن يكون هذا مذهبه ومقالة إمامه وفقيهه يزعم معه أنّه لو صحّ له عن أميرالمؤمنين شيئ أو عن ذرّيته لدان به! لولا أنّ الذاهب الى هذا يريد التلبيس.

وليس في فقهاء الأمصار ـ سوى الشافعي ـ إلاّ وقد شارك الشافعي في الطعن على أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ وتزييف كثيرٍ من قوله والردّ عليه في أحكامه؛ حتى أنّهم يصرّحون بأنّ الذي يذكره أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ في الأحكام معتبر، فان أسنده إلى النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ قبلوه منه على ظاهر العدالة، كما يقبلون من أبي موسى الأشعري وأبي هريرة والمغيرة بن شعبة مايسندونه إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله بل كما يقبلون من حمّالٍ في السوق على ظاهر العدالة مايرويه مسنداً إلى النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ فأمّا ماقال أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ من غير إسناد إلى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ كان موقوفاً على سيرهم ونظرهم

واجتهادهم؛ فان وضح صوابه فيه قالوا به من حيث النظر، لامن حيث حكمه به وقوله، وإن عثروا على خطيئةٍ فيه اجتنبوه وردّوه عليه وعلى من اتّبعه فيه؛ فزعموا أنّ آراءهم هي المعيار على قوله ـ عليه السلام ـ .

وهذا مالايذهب إليه من وجد في صدره جزء من مودّته ـ عليه السلام ـ وحقّه الواجب له وتعظيمه الذي فرضه الله تعالى ورسوله صلّىٰ الله عليه وآله: بل لايذهب إلى هذا القول إلاّ من ردّ على رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قوله: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور حيثما دار» وقوله صلّىٰ الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» وقوله صلّىٰ الله عليه وآله: «عليّ أقضاكم» وقول أمير المؤمنين عليه السلام: ضرب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يده على صدري وقال: «اللّهم اهد قلبه وثبّت لسانه» فما شككت في قضاءٍ بين اثنين.

فلمّا ورد عليه هذا الكلام تحيّر، وقال: هذه شناعات على الفقهاء والقوم، لهم حجج على ماحكيت عنهم.

فقال له بعض الحاضرين: نحن نبرأُ إلى الله من هذا المقال وكلّ دائنٍ به. وقال له آخر: إن كان مع القوم حجج على ماحكاه الشيخ فهي حجج على إبطال مادّعيت أوّلاً من ضدّ هذه الحكاية؛ ونحن نعيذك بالله أن تذهب إلى هذا القول! فانّ كلّ شيئ تظنه حجّة عليه فهو كالحجة في إبطال نسبوة النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ. فسكت مستحيياً ممّا جرى؛ وتفرّق الجمع[١].

(٦)
المفيد مع بعض المعتزلة

قال الشيخ أدام الله عزه: قال لي يوماً بعض المعتزلة: لو كان ماتدّعونه من هذا الفقه الذي تضيفونه إلى جعفر بن محمدٍ وأبيه وابنه ـ عليهم السلام ـ حقّاً وأنتم

(١) البحار: ج١٠ ص٤٤٣-٤٤٥.

صادقون في الحكاية عنهم لوجب أن يقع لنا -معشرمخالفيكم- العلم الضروري بصحّة ذلك حتى لانشكّ فيه، كما وقع لكم صحّة الحكاية عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وداود وغيرهم من فقهاء الأمصار برواية أصحابهم عنهم؛ فلمّا لم نعلم صحّة ماتدّعونه مع سماعنا لأخباركم وطول مجالستنا لكم دلّ على أنّكم متخرّصون في ذلك ! وبعد فما بال كلّ من عددنا من فقهاء الأمصار قد استفاض عنهم القول في الفتيا استفاضةً منعت من الرّيب في مذاهبهم، وأنتم أئمّتكم أعظم قدراً من هؤلاء وأجلّ خطراً؛ لاسيّما مع ماتعتقدون فيهم: من العصمة وعلوّ المنزلة والفضل على جميع البريّة، والبينونة من الخلق بالمعجزة وما اختصّوا به من خلافة الرسول-عليه وآله السلام-وفرض الطاعة على الجنّ والإنس؟ و انّ هذا لشيئ عجيب !

قال الشيخ أدام الله عزّه :فقلت له: إنّ الجواب عن هذا السؤال قريب جدّاً، غير أنّي أُقلّبه عليك ، فلا يمكنك الانفصال منه إلاّ بإخراج من ذكرت من جملة أهل العلم ونفي المعرفة عنهم وإسقاط مقال من زعمت أنّهم كانوا من أصحاب الفتيا؛ والعلم الضروري حاصل لكلّ من سمع الأخبار بضدّ ذلك وخلافه، وأنّهم-عليهم السلام-كانوا من أجلّة أهل الفتيا.

وذلك : أنّنا وإن كنّا كاذبين على قولك فلابدّ لهؤلاء القوم-عليهم السلام- من مقالٍ في الفتيا يتضمّن بعض ماحكيناه عنهم؛ فما بالنا معشر الشيعة،بل مابالكم-معشر الناصبة-لا تعلمون مذاهبهم على الحقيقة بالضرورة، كما تعلمون مذاهب أهل الحجاز والعراق ومن ذكرت من فقهاء الأمصار؟ فان زعمت أنّك تعلم لهم في الفتيا مذهباً بخلاف مانحكيه عنهم علم اضطرار-مع تديّننا بكذبك في ذلك-لم نجد فرقاً بيننا وبينك إذا ادّعينا أنّنا نعلم صحّة مانحكيه عنهم بالاضطرار؛ وإنّك وأصحابك تعلمون ذلك ، ولكنّكم تكابرون العيان، وهذا مالافصل فيه.

فقال: إنّما لم نعلم مذهبهم باضطرار، لأنّه مبثوث في مذاهب الفقهاء إذا كانوا-عليهم السلام-يختارون مااختاروا من قول الصحابة والتابعين، فتفرّق مجموع أخبارهم في مذاهب الفقهاء.

فقلت له: فانّ هذا بعينه موجود في مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي ومن عددت، لأنّ هؤلاء تخيّروا من أقوال الصحابة والتابعين، فكان يجب أن لانعلم مذاهبهم باضطرار؛ على أنّك إن قنعت بهذا الاعتلال، فانّا نعتمد عليه في جوابك، فنقول: إنّنا إنّما تعرّفنا على علم الاضطرار بمذاهبهم عليهم السلام؛ لأنّ الفقهاء تقسّموا مذاهبهم المنصوصة عندنا، فدانوا بها على سبيل الاختيار، لأنّ قولهم متفرّق في مقال الفقهاء؛ فلذلك لم يقع العلم به باضطرار.

فقال: فهب أنّ الأمر كما وصفت، مابالنا لانعلم مارويتم عنهم من خلاف جميع الفقهاء علم اضطرار؟.

فقلت له: ليس شئ ممّا تومئ إليه إلاّ وقد قاله صحابيّ أو تابعيّ وإن اتّفق من ذكرت من فقهاء الأمصار على خلافه الآن؛ فلمّا قدّمنا ممّا رضيته من الاعتلال لم يحصل علم الاضطرار. مع أنّك تقول لامحالة: بأنّ قولهم عليهم السلام في هذه الأبواب بخلاف ماعليه غيرهم فيها، وهوماأجمع عليه عندك فقهاء الأمصار من الصحابة والتابعين بإحسان؛ فما بالنا لانعلم ذلك من مقالهم علم اضطرار؟ وليس هو ممّا تحدّثته مذاهب الفقهاء ولااختلف فيه عندك من أهل الإسلام أحد؛ فبأيّ شئ تعلقت في ذلك تعلّقنا به في إسقاط سؤالك، والله الموفق للصواب.

فلم يأت بشيء تجب حكايته؛ والحمد لله.

قال السيد رضي الله عنه مؤلّف الفصول المختارة: وقلت للشيخ عقيب هذه الحكاية لي: إن حمل هؤلاء القوم أنفسهم على أن يقولوا: إنّ جعفر بن محمّد وأباه محمّد بن عليّ وابنه موسى بن جعفر عليهم السلام لم يكونوا من أهل الفتيا

لكنّهم كانوا من أهل الزهد والصلاح؟.

قال: يقال لهم: هب انّا سامحناكم في هذه المكابرة وجوّزناها لكم، أليس من قولكم وقول كلّ مسلمٍ وذميٍّ وعدوٍّ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ووليٍّ له: إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام كان من أهل الفتيا؟ فلا بدّ من أن يقولوا: بلى فيقال لهم: فما بالنا لانعلم جميع مذاهبه في الفتيا كما نعلم جميع مذاهب من عددتموه من فقهاء الأمصار بل من الصحابة كزيد وابن مسعود وعمر بن الخطاب؟.

إن قالوا إنكم تعلمون ذلك باضطرار، قلنا لهم: وذلك هو ماتحكونه أنتم عنه أو مانحكيه نحن ممّا يوافق حكايتنا عن ذريّته عليهم السلام.فان قالوا: هو مانحكيه دونكم، قلنا لهم: ونحن على أصلكم في إنكار ذلك مكابرون. وإن قالوا: نعم، قلنا لهم: بل العلم حاصل لكم بما نحكيه عنه خاصّة وأنتم في إنكار ذلك مكابرون؛ وهذا مالافصل فيه.

وهو أيضاً يسقط اعتلالهم في عدم العلم الضروري بمذاهب الذرّية لما ذكروه من تقسيم الفقهاء لها، لأنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قد سبق الفقهاء الذين أشاروا إليهم، وكان مذهب عليّ عليه السلام متفرّداً. فان اعتلّوا بأنّه كان منقسماً في قول الصحابة فهم أنفسهم ينكرون ذلك ، لروايتهم عنه الخلاف؛ مع أنّه يجب أن لايعرف مذهب عمر وابن مسعود، لأنّهما كانا منقسمين في مذاهب الصحابة. وهذا فاسد من القول بيّن الاضمحلال.

قال الشيخ أدام الله عزّه: وهذا كلام صحيح، ويؤيّده علمنا بمذاهب المختارين من المعتزلة والزيدية والخوارج، مع انبثاثها في أقوال الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار.

وقال الشيخ أدام الله حراسته: وقد ذكرت الجواب عمّا تقدّم من السؤال في هذا الباب في كتابي المعروف بـ«تقرير الأحكام» ووجوده هناك يغني عن

تكراره هاهنا، إذ هو في موضعه مستقصىً عن البيان[١].

(٧)

المفيد مع علي بن نصر

ثمّ قال السيّد رحمه الله: قال الشيخ أدام الله تأييده: سألني أبو الحسن عليّ ابن نصر الشاهد ـ بعكبرا في مسجده وأنا متوجّه إلى سرّ من رأى ـ فقال: أليس قد ثبت عندنا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان أعلم الصحابة كلّها وأعرفها بمعالم الدين، وكانوا يستفتونه ويتعلمون منه لفقرهم إليه، وكان غنيّاً عنهم لايرجع إلى أحد منهم في علم ولايستفيد عليه السلام منهم؟ فقلت: نعم هذا قولنا، وهو الواضح الذي لاخفاء به ولايمكن عاقلاً دفعه ولايقدم أحد على إنكاره، إلاّ أن يرتكب البهت والمكابرة.

فقال أبو الحسن: فانّ بعض أهل الخلاف قد احتجّ عليّ في دفع هذا بأن قال: وردت الرواية عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «ماحدّثني أحد بحديث إلاّ استحلفته عليه، ولقد حدّثني أبو بكر وصدق أبو بكر» فلو كان يعلم عليه السلام جميع الدين ولايفتقر إلى غيره لما احتاج إلى استحلاف من يحدّثه، ولاالاستظهار في يمينه ليصحّ عنده علم ماأخبر به. وقد روى أيضاً أنّه صلوات الله عليه حكم في شيء، فقال له شابّ من القوم: أخطأت ياأمير المؤمنين! فقال عليه السلام: صدقت أنت وأخطأت. فماذا يكون الجواب عن هذا الكلام؟ وكيف الطريق إلى حلّه؟.

فقلت: أوّل مافي هذا الكلام: أنّ الأخبار لا تتقابل ويحكم ببعضها على بعض حتى تتساوى في الصّفة؛ فيكون الظاهر المستفيض مقابلاً لمثله في الاستفاضة، والمتواتر مقابلاً لمثله في التواتر، والشاذّ مقابلاً لمثله في الشذوذ؛

(١) البحار: ج١٠ ص٤٤٣ـ٤٤٨.

وماذكرناه عن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام مستفيض قد تواتر به الخبر على التحقيق، وماذكره هذا الرّجل عنه عليه السلام من الحديثين: فأحدهما شاذّ وارد من طريق الآحاد غير مرضيّ الإسناد، والآخر ظاهر البطلان، لانقطاع إسناده وعدم وجوده في نقل معروفٍ من الثقات؛ وليس يجوز المقابلة في مثل هذه الأخبار، بل الواجب إسقاط الظاهر منها الشاذّ، وإبطال المتواتر ماضادّه من الآحاد.

والثاني: أنّه لما ذكره الخصم من الحديث الأوّل عن أميرالمؤمين عليه السلام غير وجه، يلائم ماذكرناه من فضل مولانا أميرالمؤمنين صلوات الله عليه في العلم على سائر الأنام.

منها: أنّه صلوات الله عليه إنّما كان يستحلف على الأخبار لئلّا يجترئ مجترئ على الإضافة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله بسماع مالم يسمعه منه، وإنّما أُلقي اليه عنه فحصل عنده بالبلاغ.

ومنها: أنّه عليه السلام كان يستحلف مع العلم بصدق المخبر ليتأكّد خبره عند غيره من السامعين، فلا يشكّ فيه ولايرتاب.

ومنها: أنّه عليه السلام استحلف فيما عرفه يقيناً ليكون ذلك حجّةً له إذا حكم على أهل العناد، ولايقول منهم قائل عند حكمه بذلك: قد حكم بالشاذ.

ومنها: أن يكون استحلافه صلوات الله عليه للمخبر بما لايتضمّن حكماً في الدّين ويتضمّن أدباً وموعظة ولفظة حكمة أو مدحة لانسان أو مذمّته، فلا يجب إذا علم ذلك من غيره أن يكون فقيراً في علم الدين إليه وناقصاً في العلم عن رتبته.

على أنّ لفظ الحديث «ماحدّثني أحد بحديثٍ إلاّ استحلفته» فهذا يوجب بالضروة أنّه كان يستحلف على مايعلم، لانّه محال أن يكون كلّ من حدّثه بما لايعلم، فاذا ثبت أنّه قد استحلف على علمٍ لأحدٍ ماذكرناه أو لغيره من العلل

بطل مااعتمده هذا الخصم.

وأمّا الحديث الثاني: فظهور بطلانه أوضح من أن يخفىٰ، وذلك: أنّه قال فيه: إنّ شاباً قال له: ليس الحكم فيه ذلك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام على مازعم الخصم: أصبت أنت وأخطأت؛ وهذا واضح السقوط على مابيّنّاه، لأنّه لا يخلو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، أن يكون حكم بالخطأ مع علمه بأنّه خطأ، أو يكون حكم بالخطأ وهو يظنّ أنّه صواب؛ فان كان حكم بالخطأ على أنّه خطأ عاند في دين الله وضلّ باقدامه على تغيير حكم الله، وهو صلوات الله عليه يجلّ عن هذه الرتبة، ولايعتقد مثل هذا فيه الخوارج فضلاً عمّن دونهم في عداوته من الناصبة؛ وإن كان حكم بالخطأ وهو يظنّ أنّه صواب، فكيف زال ظنّه عن ذلك فانتقل عنه بقول رجل واحد لايعضده برهان؟ فهذا مالايتوهّم على أحد من أهل الأديان.

على أنّه لو كان لهذا الحديث أصل أو كان معروفاً عند أحد من أهل الآثار لكان الرجل مشهوراً معروفاً بالعين والنسب مشهور القبيلة والمكان، ولكان أيضاً الحكم الذيّ جرى فيه هذا الأمر مشهوراً عند الفقهاء ومدوّناً عند أصحاب الأخبار. وفي عدم معرفة الرجل وتعين الحكم وعدمه من الاصول دليل على بطلانه، كما بيّناه.

على أنّ الأُمّة قد اتفقت عنه صلوات الله عليه أنّه قال: «ضرب رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله بيده على صدري وقال: اللّهم اهد قلبه وثبّت لسانه، فما شككت في قضاءٍ بين اثنين» وهذا مضادّ لوقوع الخطأ منه في الأحكام، ومانع لدخول الشك عليه في شيء منها والارتياب.

وأجمعوا أنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله قال: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، يدور حيثما دار» وليس يجوز أن يكون من هذا وصفه يخطئ في الدّين أو يشك في الأحكام.

وأجمعوا أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: «عليّ أقضاكم» وأقضى الناس ليس يجوز أن يخطئ في الأحكام، ولايكون غيره أعلم منه بشيء من الحكم.

فدلّ ذلك على بطلان ما اعترض به الخصم، وكشف عن وهيه على البيان. وبالله التوفيق وإيّاه لنستهدي إلى سبيل الرشاد[١].

(٨)

المفيد مع رجل من الزيدية

قال السيّد المرتضى رضي الله عنه: وحضر الشيخ أبوعبدالله أدام الله عزّه بمسجد الكوفة فاجتمع إليه من أهلها وغيرهم أكثر من خمسمائة إنسان فابتدر له رجل من الزيدية أراد الفتنة والشناعة؛ فقال: بأيّ شيءاستجزت إنكار إمامة زيد بن عليّ؟ فقال له الشيخ: إنّك قد ظننت عليّ ظنّاً باطلاً، وقولي في زيد لايخالفني عليه أحد من الزيديّة؛ فلا يجب أن يتصوّر مذهبي في ذلك بالخلاف.

فقال له الرجل: ومامذهبك في إمامة زيد بن عليّ؟ فقال له الشيخ: أنا أثبت من إمامة زيد رحمه الله ماتثبته الزيدية، وأنفي عنه من ذلك ماتنفيه! فأقول: إنّ زيداً رحمة الله عليه كان إماماً في العلم والزّهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنفي عنه الإمامة الموجبة لصاحبها العصمة والنصّ والمعجز. وهذا مالايخالفني عليه أحد من الزيدية حيثما قدمت.

فلم يتمالك جميع من حضر من الزيدية أن شكروه ودعوا له، وبطلت حيلة الرجل فيما أراد من التشنيع والفتنة[٢].

---

(١) البحار: ج١٠ ص٤٤٨-٤٥١.

(٢) البحار: ج١٠ ص٤٥١.

(٩)
المفيد مع أبي عليّ ابن شاذان

قال السيوطي في «تنويـر الحوالك» في شرح موّطأ مالك في البحث عن أنّ الأنبياء عليهم السلام يـورّثون أم لا؟ نـاقلاً عن الباجـي: وقالـت الاماميّة: إنّ جميع الأنبياء يورّثون، وتعلّقوا في ذلك بأنواع من التخليط لاشبهة فيها، مع ورود هذا النصّ، يعني حديث «لانورّث مـاتركناه صدقة»، قال ـأي الـباجي ـ: وقد أخبرني القاضي أبو جعفر السماني أنّ أبا عليّ ابن شاذان ـوكان من أهل العلم بهذا الشأن إلاّ أنّه لم يكـن قرأ عربية ـ فـناظر يوماً في هـذه المسألة أبا عبدالله بن المعلّم ـوكان إمام الإماميَّة وكان مع ذلك من أهل العلم بالعربيّة ـ فاستدلّ ابن شـاذان على أنّ الأنبياء لايورّثون بحديث «إنّا معاشر الأنبـياء لانُورث ماتركناه صـدقة» فقال له ابن المـعلّم: أمّا ماذكرت من هـذا الحديث فانّما هو «صدقة» نصـب على الحال، فيـقتضي ذلـك: أنّ مـاتركه الـنبي صلّىٰ الله عـليه وآله على وجه الصدقة لايورّث عنـه، ونحـن لانمنع هذا، وإنّما نمنع ذلـك فيما تـركه على غير هذا الوجه.

واعتمد هـذه الـنكتة العـربية، لما علـم أنّ ابن شاذان لايعرف هـذا الشأن ولايفرق بين الحال وغيره؛ فلـمّا عاد الكلام إلى ابن شاذان قـال له: ماادّعيت مـن قـوله صلّىٰ الله عليـه وسلّـم: «لانورّث ماتركـنـاه صـدقة» إنّما هو صدقة مـنصوب على الحـال، وأنت لا تـمنـع هـذا الحكـم فيما تركـه الأنبـيـاء على هذا الوجه[١].

---

(١) تنوير الحوالك: ج٢ ص٢٥٦.

(١٠)

المفيد مع عليّ بن عيسى الرماني

كان الشيخ المفيد رحمه الله من أهل عكبر ثمّ انحدر وهو صبيّ مع أبيه إلى بغداد، واشتغل بالقراءة على الشيخ أبي عبدالله المعروف بجعل؛ وكان منزله في درب رياح من بغداد.

وبعد ذلك اشتغل بالدرس عند أبي ياسر في باب خراسان من البلدة المذكورة؛ ولمّا كان أبو ياسر المذكور ربّما عجز عن البحث معه والخروج عن عهدته أشار إليه بالمضيّ إلى عليّ بن عيسى الرمّاني الذي هو من أعاظم علماء الكلام؛ فقال الشيخ: إنّي لاأعرفه ولاأجد أحداً يدلّني عليه، فأرسل أبو ياسر معه بعض تلامذته وأصحابه.

فلمّا مضى ـ وكان مجلس الرمّاني مشحوناً بالفضلاء ـ جلس الشيخ في صفّ النعال، وبقي يتدرّج للقرب كلّما خلّي المجلس شيئاً فشيئاً لاستفادة بعض المسائل من صاحب المجلس.

فاتّفق أنّ رجلاً من أهل البصرة دخل وسأل الرّمّاني وقال له: ماتقول في حديث الغدير وقصّة الغار؟ فقال الرمّاني: خبر الغار دراية وخبر الغدير رواية، والرواية لا تعارض الدراية؛ ولـمّا كان ذلك الرجل البصري ليس له قوّة معارضةٍ سكت وخرج.

وقال الشيخ: إنّي لم أجد صبراً عن السكوت عن ذلك، فقلت: أيّها الشيخ، عندي سؤال، فقال: قل؛ فقلت: ماتقول فيمن خرج الإمام العادل فحاربه؟ فقال: كافر، ثمّ استدرك فقال: فاسق؛ فقلت: ماتقول في أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ فقال: إمام؛ فقلت، ماتقول في حرب طلحة والزبير له في حرب الجمل؟ فقال: إنّهما تابا؛ فقلت: خبر الحرب

دراية والتوبة رواية! فقال: وكنت حاضراً عند سؤال الرجل البصري؟ فقلت: نعم؛ فقال: رواية برواية وسؤالك متّجه وارد.

ثمّ إنّه سأله من أنت؟ وعند من تقرأ من علماء هذه البلاد؟ قلت: عند الشيخ أبي عليّ جعل؛ ثمّ قال له مكانك! ودخل منزله، وبعد لحظة خرج وبيده رقعة ممهورة؛ فدفعها إليّ وقال: ادفعها إلى شيخك أبي عبدالله.

فأخذت الرقعة من يده ومضيت إلى مجلس الشيخ المذكور، ودفعت إليه الرقعة؛ ففتحها وبقي مشغولاً بقراءتها وهو يضحك! فلمّا فرغ من قراءتها، قال: إنّ جميع ماجرى بينك وبينه قد كتب إليّ به! أوصاني بك، ولقّبك بالمفيد[1].

(١١)

المفيد مع القاضي عبدالجبّار

عن القاضي (في المجالس) عن مصابيح القلوب، قال: بينما القاضي عبدالجبّار ذات يومٍ في مجلسه في بغداد ومجلسه مملوّ من علماء الفريقين، إذ حضر الشيخ وجلس في صفّ النّعال. ثمّ قال للقاضي: إنّ لي سؤالاً، فان أجزت بحضور هؤلاء الأئمّة؟ فقال له القاضي: سل؛ فقال: ماتقول في هذا الخبر الذي ترويه طائفة من الشيعة «من كنت مولاه فعليّ مولاه» أهو مسلّم صحيح عن النبي صلّى الله عليه وآله يوم الغدير؟ فقال: نعم خبر صحيح؛ فقال الشيخ: ماالمراد من لفظ «المولى» في الخبر؟ فقال: هو بمعنى «أولى» فقال الشيخ: فما هذا الخلاف والخصومة بين الشيعة والسنّة؟ فقال الشيخ: أيّها الأخ، هذه رواية وخلافة أبي بكر دراية، والعادل لايعادل الرواية بالدّراية.

---

(١) روضات الجنّات: ج٦ ص١٥٩-١٦٠ عن السرائر للحليّ وورّام ابن أبي فراس. ومستدرك البحار: ج٢ ص٣٩٠ عن ورّام في كتابه تنبيه الخواطر. وقاموس الرجال: ج٨ عن السّرائر. ومستدرك الوسائل: ج٣ ص٥١٨ عن ورّام والسرائر.

فقال الشيخ: ماتقول في قول النبي صلّى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «حربك حربي وسلمك سلمي»؟ قال القاضي: الحديث صحيح؛ فقال: ماتقول في أصحاب الجمل؟ فقال القاضي: أيّها الأخ، إنّهم تابوا؛ فقال الشيخ: أيّها القاضي، الحرب دراية والتوبة رواية! وأنت قررت في حديث الغدير أنّ الرواية لا تعارض الدّراية. فبهتّ الشيخ القاضي ولم يحر جواباً، ووضع رأسه ساعة؛ ثمّ رفع رأسه وقال: من أنت؟ فقال: خادمك محمّد بن محمّد بن النعمان الحارثي، فقام القاضي من مقامه وأخذ بيد الشيخ وأجلسه في مسنده، وقال: أنت المفيد حقّاً! فتغيّرت وجوه علماء المجلس.

فلمّا أبصر القاضي ذلك منهم قال: أيّها الفضلاء، إنّ هذا الرجل ألزمني وأنا عجزت عن جوابه، فان كان أحد منكم عنده جواب عمّا ذكر فليذكر، ليقوم الرجل ويرجع مكانه[1].

(١٢)
المفيد مع بعض الخصوم

ذكر مجلس جرى لشيخنا المفيد أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان مع بعض الخصوم في قولهم: إنّ كلّ مجتهد مصيب.

قال شيخنا رضي الله عنه: كنت أقبلت في مجلسٍ على جماعةٍ من متفقّهة العامّة، فقلت لهم: إنّ أصلكم الذي تعتمدون عليه في تسويغ الاختلاف يحظر عليكم المناظرة ويمنعكم من الفحص والمباحثة، واجتماعكم على المناظرة يناقض أُصولكم في الاجتهاد وتسويغ الاختلاف.

قال: بلى، فما الذي يلزمنا على هذا القول؟

---

(١) سفينة البحار: ج٢ ص٣٩٠ ومستدرك الوسائل: ج٣ ص٣٢٠.

قال شيخنا: قلت: فخبّرني الآن عن موضع المناظرة، أليس إنّما هو التماس الموافقة ودعاء الخصم بالحجّة الواضحة إلى الانتقال إلى موضع الحجّة وتنفير له عن الإقامة على ضدّ ماعليه البرهان؟

قال: لا،ليس هذا موضع المناظرة، وإنّما موضوعها الإقامة للحجّة والإبانة عن الرجحان. وماالذي يجرّانه إلى ذلك والمعنى الملتمس به؟ أهو تبعيد الخصم عن موضع الرجحان والتنفير له عن المقالة بايضاح حجّتها، أم الدعوة إليها بذلك واللطف في الاجتذاب إليها به؟ فان قلت: إنّ الغرض للمحتجّ التبعيد عن قوله بايضاح الحجّة عليه والتنفير عنه باقامة الدلالة على صوابه، قلت قولاً يرغب عنه كلّ عاقل، ولايحتاج مع تهافته إلى كسره. وإن قلت: إنّ الموضح عن مذهبه بالبرهان داعٍ إليه بذلك والدالّ عليه بالحجج والبيّنات يجتذب بها إلى اعتقاده صرت بهذا القول -وهو الحقّ الذي لاشبهة فيه- إلى ماأردناه: من أنّ موضوع المناظرة إنّما هو الموافقة ورفع الاختلاف والمنازعة؛ وإذا كان ذلك كذلك، فلو حصل الغرض في المناظرة وماأجرى به إليه لارتفعت الرحمة وسقطت التوسعة وعدم الرّفق من الله بعباده،ووجب في صفته العنت والتضييق، وذلك ضلال من قائله؛ فلابدّ على أصلكم في الاختلاف من تحريم النظر والاحتجاج، وإلاّ فمتى صحّ ذلك وكان أولى من تركه فقد بطل قولكم في الاجتهاد؛ وهذا مالاشبهة فيه على عاقل.

فاعترض رجل آخر من ناحية المجلس، فقال: ليس لي الغرض في المناظرة الدعوة إلى الاتّفاق، وإنّما الغرض فيها إقامة الفرض من الاجتهاد.

فقال له الشيخ رضي الله عنه: هذا الكلام كلام صاحبك هذا بعينه في معناه، وأنتما جميعاً حائدان عن التحقيق والصواب.

وذلك: أنّه لابدّ في فرض الاجتهاد من غرض، ولابدّ لفعل النظر من

معقول؛ فان كان الغرض في أداء الفرض بالاجتهاد البيان عن موضع الرجحان فهو الدعاء في المعقول إلى الوفاق والإيناس بالحجّة إلى المقال؛ وإن كان الغرض فيه التعمية والإلغاز فذلك محال؛لوجود المناظر مجتهداً في البيان والتحسين لمقاله بالترجيح على قول خصمه في الصواب؛ وإن كان معقول فعل النظر ومفهومه غرض صاحبه الذي هو البيان عن نحلته والتنفير عن خلافها والتحسين لها والتقبيح لضدّها والترجيح لها على غيرها ـ وكنا نعلم ضرورةً أنّ فاعل ذلك لايفعله للتبعيد من قوله وإنّما يفعله للتقريب منه والدّعاء إليه ـ فقد ثبت ماقلناه؛ ولو كان الدّال على قوله الموضح بالحجج عن صوابه المجتهد في تحسينه وتشييده غير قاصدٍ بذلك إلى الدعاء إليه ولامزيد للاتّفاق عليه لكان المقبّح للمذهب الكاشف عن عواره الموضح عن ضعفه ووهنه داعياً بذلك إلى اعتقاده ومرغباً به إلى المصير إليه؛ ولو كان ذلك كذلك لكان الذمّ للشيء مدحاً والمدح له ذمّاً له، والترغيب في الشيء ترهيباً عنه والترهيب عن الشيء ترغيباً فيه، والأمر به نهياً عنه والنهي عنه أمراً به ، والتحرّز منه إيناساً به؛ وهذا مالايذهب إليه سليم العقل؛ فبطل بذلك ماتوهّمتموه ووضع ماذكرناه في تناقض نحلتهم على مابيّناه. والله نسأل التوفيق.

قال شيخنا رضي الله عنه: ثمّ عدلت إلى صاحب المجلس، فقلت له: لو سلم هؤلاء القوم من المناقضة التي ذكرناها ـ ولن يسلموا أبداً منها بما بيّناه ـ لما سلموا من الخلاف على الله فيما أمر به والردّ للنصّ في كتابه والخروج عن مفهوم أحكامه بما ذهبوا إليه من حسن الاختلاف وجوازه في الأحكام؛ قال الله عزّوجلّ: «ولا تكونوا كالّذين تفرّقوا واختلفوا من بعدما جاءتهم البيّنات وأُولئك لهم عذاب عظيم» فنهى تعالى عن الاختلاف نهياً عامّاً ظاهراً وحذّر منه وزجر منه وتوعّد على فعله بالعقاب، وهذا منافٍ لجواز الاختلاف. وقال سبحانه: «واعتصموا بالله جميعاً ولا تفرّقوا» فنهى عن التفرّق وأمر الكافّة بالاجتماع،

وهذا في إبطال قولٍ سوّغ الاختلاف. وقال سبحانه: «ولايزالون مختلفين إلاّ مارحم ربّك» فاستثنى المرحومين من المختلفين، ودلّ على أنّ المختلفين قد خرجوا بالاختلاف عن الرّحمة، لاختصاص من خرج عن صفتهم بالرحمة؛ ولولا ذلك لما كان لاستثناء المرحومين من المختلفين معنىً يعقل. وهذا بيّن لمن تأمّله.

قال صاحب المجلس: أرى هذا الكلام كلّه يتوجّه على من قال: «إنّ كلّ مجتهد مصيب» فما تقول فيمن قال: «إنّ الحقّ في واحد» ولم يسوّغ الاختلاف؟

قال الشيخ رضي الله عنه: فقلت له: القائل بأنّ الحقّ في واحد وإن كان مصيباً فيما قال على هذا المعنى خاصّة، فانّه يلزم المناقضة بقوله: «إنّ المخطئ في الحقّ معفو عنه غير مؤاخذ بخطئه فيه» واعتماده في ذلك على أنّه لو أخذ به للحقه العنت والتضييق، فقد صار بهذا القول إلى معنى قول الأوّلين فيما عليهم المناقضة، وألزمهم من أجله ترك المباحثة والمكالمة، وإن كان القائلون باصابة المجتهد من الحقّ يزيدون عليه في الإصابة معترف له ومقرّ بأنّه مصيب في خلافه مأجور على مباينته؛ وهذه المقالة تدعو إلى ترك اعتقادها بنفسها ويكشف عن قبح باطنها وظاهرها. وبالله التوفيق[1].

(١٣)
المفيد مع الخليفة عمر بن الخطاب

قال الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان رحمه الله: رأيت في المنام سنةً من السنين كأنّي قد اجتزت في بعض الطرق فرأيت دائرةً فيها ناس كثير، فقلت: ماهذا؟ قالوا: هذه حلقة فيها رجل يقصّ.

فقلت: من هو؟ قالوا: عمر بن الخطّاب! ففرّقت الناس ودخلت الحلقة، وإذا أنا برجل يتكلّم على الناس بشيءٍ لم احصّله؛ فقطعت عليه الكلام.

---

(١) روضات الجنات: ج٦ ص١٦٥-١٦٧.

وقلتَ: أيّها الشيخ: أخبرني ماوجه الدلالة على فضل صاحبك أبي بكر -عتيق ابن أبي قحافة- من قول الله تعالى: «ثاني اثنين إذ هما في الغار»؟ [فانّي أرى من ينتحل مودّتكما يذكر أنّ له فضلاً كثيراً].

فقال: وجه الدّلالة على فضل أبي بكر من هذه الآية في ستّة مواضع:

أوّلها: أنّ الله تعالى ذكر النبيّ صلّىٰ الله عليه وذكر أبا بكر معه، فجعله ثانيه، فقال: «ثاني اثنين إذ هما في الغار».

والثاني: أنّه وصفهما بالاجتماع في مكانٍ واحدٍ تأليفاً بينهما، فقال: «إذ هما في الغار».

والثالث: أنّه أضافه إليه بذكر الصحبة ليجمعه بينهما بما يقتضي الرتبة، فقال: «إذ يقول لصاحبه».

والرابع: أنّه أخبر عن شفقة النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله عليه ورفقه به لموضعه عنده فقال: «لاتحزن».

والخامس: أنّه أخبر أنّ الله معهما على حدٍّ سواءٍ ناصراً لهما ودافعاً عنهما فقال: «إنّ الله معنا».

والسادس: أنّه أخبر عن نزول السكينة على أبي بكر، لأنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله لم تفارقه السكينة قطّ، فقال: «فأنزل الله سكينته عليه».

فهذه ستّة مواضع تدلّ على فضل أبي بكر من آية الغار؛ لايمكنك ولا لغيرك الطعن فيها.

فقلت له: جُرت بكلامك في الاحتجاج لصاحبك عنه؛ وإنّي بعون الله سأجعل جميع ماأتيت به كرماد اشتدّت به الريح في يومٍ عاصف.

أمّا قولك: إنّ الله تعالى ذكر النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وجعل أبا بكر ثانيه فهو إخبار عن العدد، لعمري! لقد كانا اثنين، فما في ذلك من الفضل؟ ونحن نعلم ضرورةً أنّ مؤمناً ومؤمناً أو مؤمناً وكافراً اثنان؛ فما أرى لك في ذكر

العدد طائلاً تعتمده.

وأمّا قولك: إنّه وصفهما بالاجتماع في المكان فانه كالأوّل، لأنّ المكان يجمع المؤمن والكافر، كما يجمع العدد المؤمنين والكفّار. وأيضاً فانّ مسجد النبيّ صلّى الله عليه وآله أشرف من الغار، وقد جمع المؤمنين والمنافقين والكفّار؛ وفي ذلك قوله عزّوجلّ: «فما للذين قبلك مهطعين ★ عن اليمين وعن الشمال عزين». وأيضاً فانّ سفينة نوح قد جمعت النبيّ والشيطان والبهيمة والكلب! والمكان لايدلّ على ماأوجبت من الفضيلة؛ فبطل فضلان.

وأمّا قولك: إنّه أضاف إليه بذكر الصحبة فانّه أضعف من الفضلين الأوّلين، لأنّ اسم الصحبة يجمع بين المؤمن والكافر؛ والدليل على ذلك قوله تعالى: «قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالّذي خلقك من ترابٍ ثمّ من نطفةٍ ثمّ سوّاك رجلاً». وأيضاً فانّ اسم الصحبة تطلق بين العاقل وبين البهيمة؛ والدليل على ذلك من كلام العرب ـ الذي نزل القرآن بلسانهم، فقال الله عزّوجلّ: «وماأرسلنا من رسولٍ إلاّ بلسان قومه» ـ أنّهم سمّوا الحمار صاحباً فقالوا:

إنّ الحمار مع الحمار مطيّة ... فاذا خلوت به فبئس الصاحب

وأيضاً قد سمّوا الجماد مع الحيّ صاحباً، قالوا ذلك في السيف شعراً:

زرت هنداً وذاك غير اختيان ... ومعي صاحب كتوم اللسان

[زرت هنداً وذاك بعد اجتناب ... ومعي صاحب كلوم اللسان]

يعني السيف؛ فاذا كان اسم الصحبة يقع بين المؤمن والكافر وبين العاقل والبهيمة وبين الحيوان والجماد فأيّ حجّة لصاحبك فيه؟

وأمّا قولك: إنّه قال: «لاتحزن» فانّه وبال عليه ومنقصة له ودليل على خطئه، لأنّ قوله: «لاتحزن» نهي، وصورة النهي قول القائل: «لاتفعل» لايخلو أن يكون الحزن وقع من أبي بكر طاعةً أو معصيةً، فان كان طاعةً فإنّ

النبي صلّى الله عليه وآله لاينهى عن الطاعات بل يأمر بها ويدعو إليها، وإن كان معصيةً فقد نهاه النبيّ صلّى الله عليه وآله عنها؛ وقد شهدت الآية بعصيانه بدليل أنّه نهاه.

وأمّا قولك: انّه قال: «إنّ الله معنا» فانّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قد أخبر أنّ الله معه، وعبّر عن نفسه بلفظ الجمع، كقوله: «إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون». وقيل أيضاً في هذا: إنّ أبا بكر قال: يارسول الله، حزني على أخيك عليّ بن أبي طالب ماكان منه، فقال له النبيّ صلّى الله عليه وآله: «لاتحزن إنّ الله معنا» أي معي ومع أخي عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وأمّا قولك: إنّ السكينة نزلت على أبي بكر فانّه ترك للظاهر، لأنّ الذي نزلت عليه السكينة هو الذي أيدّه بالجنود؛ وكذا يشهد ظاهر القرآن في قوله: «فأنزل الله سكينته عليه وأيدّه بجنودٍ لم تروها» فان كان أبو بكر هو صاحب السكينة فهو صاحب الجنود، وفي هذا إخراج للنبيّ صلّى الله عليه وآله من النبوّة.

على أنّ هذا الموضع لو كتمته عن صاحبك كان خيراً، لأنّ الله تعالى أنزل السكينة على النبيّ صلّى الله عليه وآله في موضعين كان معه قوم مؤمنون فشركهم فيها؛ فقال في أحد الموضعين: «فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى» وقال في الموضع الآخر: «أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها» ولـمّا كان في هذا الموضع خصّه وحده بالسكينة قال: «فأنزل الله سكينته عليه» فلو كان معه مؤمن لشركه معه في السكينة كما شرك من ذكرنا قبل هذا من المؤمنين؛ فدلّ إخراجه من السكينة على خروجه من الإيمان.

فلم يحر جواباً. وتفرّق الناس، واستيقظت من نومي[١].

(١٤)

المفيد مع أبي العباس ابن المنجّم

قال الشيخ أدام الله عزّه: حضرت يوماً مجلساً، فجرى فيه كلام في رذالة بني تيم بن مرّة وسقوط أقدارهم؛ فقال شيخ من الشيعة: قد ذكر أبو عيسى الورّاق فيما يدلّ على ذلك قول الشاعر:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأذنون وهم شهود
وإنّك لو رأيت عبيد تيم وتيماً قلت: أيّهم العبيد؟

فذكر الشاعر: أنّ الرائي لهم لا يفرّق بين عبيدهم وساداتهم من الضّعة وسقوط القدر.

فانتدب له أبو العباس هبة الله بن المنجّم، فقال له: ياشيخ، ما أعرفك بأشعار العرب؟ هذا في تيم بن مرّة أو تيم الرّباب؟ وجعل يتضاحك بالرّجل ويتماجن عليه ويقول له: سبيلك أن تؤلّف دواوين العرب، فانّ نظرك بها حسن.

قال الشيخ أدام الله عزّه: فقلت جعلت هذا الباب رأس مالك؛ ولو أنصفت في الخطاب لأنصفت في الاحتجاج؛ وإن أخذنا معك في أبيات هذا الشعر تعلّق البرهان فيه بالرجال والكتب المصنّفات واندفع المجلس ومضى الوقت، ولكن بيننا وبينك كتب السير. وكلّ من اطّلع على حديث الجمل وحرب البصرة فهل يريب في شعر عمير بن الأهلب الضبيّ وهو يجود بنفسه بالبصرة، وقد قتل بين يدي الجمل وهو يقول:

---

(١) الاحتجاج: ج٢ ص٣٢٥-٣٢٩. وروضات الجنّات: ج٦ ص١٦٩-١٧١ عن الكراجكي. والنوادر للسيّد الجزائري. والبحار: ج٢٧ ص٣٢٧ عن الاحتجاج.

لقد أوردتنا حومة الموت أمّنا فلم ننصرف إلاّ ونحن رواء
نصرنا قريشاً ضلّةً من حلومنا ونصرتنا أهل الحجاز عناء
لقد كان في نصر ابن ضبة امه وشيعتها مندوحة وغناء
نصرنا بني تيم بن مرّة شقوة وهل تيم إلاّ أعبد وإماء؟

فهذا رجل من أنصار عائشة ومن سفك دمه في ولايتها يقول هذا القول في قبيلتها! بلا ارتيابٍ بين السير؛ ولم يك بالذي يقوله في تلك الحال إلاّ وهو معروف عند الرجال غير مشكوكٍ فيه عند أحدٍ من العارفين بقبائل العرب في سائر الناس. فأخذ في الصحيح ولم يأت بشيءٍ (١).

(١٥)
المفيد يجيب عن المسائل العكبرية

قال الشيخ المفيد رحمه الله في أجوبة المسائل العكبريّة حين سئل عن قوله تعالى: «إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا» وأجاب بوجوه فقال: وقد قالت الإماميّة: إنّ الله تعالى ينجز الوعد بالنّصر للأولياء قبل الآخرة عند قيام القائم عليه السلام والكرّة التي وعد بها المؤمنين في العاقبة (٢).

(١٦)
جميل بن كعب مع معاوية

ذكر المدائني:أنّ معاوية أسر جميل بن كعب الثعلبي ـ وكان من سادات ربيعة وشيعة عليّ وأنصاره ـ فلمّا وقف بين يديه قال: الحمد لله الذي أمكنني منك ، ألست القائل يوم الجمل:

أصبحت الأمّة في أمر عجب والملك مجموع غداً لمن غلب

(١) مستدرك الوسائل: ج٣ ص٥١٩ عن الفصول المختارة.
(٢) البحار: ٥٣ ص١٣٠.

قد قلت قولاً صادقاً غير كذب إنّ غداً تهلك أعلام العرب؟

قال: لا تقل ذلك، فانّها مصيبة. قال معاوية: وأيّ نعمةٍ أكبر من أن يكون الله قد أظفرني برجل قد قتل في ساعة واحدة عدّة من حماة أصحابي؛ اضربوا عنقه، فقال: اللهم اشهد أنّ معاوية لم يقتلني فيك ولاأنك ترضى قتلي ولكن قتلني على حطام الدنيا، فان فعل فافعل به ماهو أهله، وإن لم يفعل فافعل به ماأنت أهله. فقال معاوية: قاتلك الله! لقد سببت فأبلغت في السب، ودعوت فبالغت في الدعاء[1].

(١٧)
شدّاد بن أوس مع معاوية

قال معاوية لشداد بن أوس: قم فاذكر علياً فانتقصه! فقام شداد، فقال:

الحمد لله الذي افترض طاعته على عباده، وجعل رضاه عند أهل التقوى آثر من رضا غيره، على ذلك مضى أوّلهم وعليه مضى آخرهم. أيّها الناس، إنّ الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر، وإنّ الدنيا أكل حاضر يأكل منها البرّ والفاجر، وإنّ السّامع المطيع لله لاحجّة عليه، وإنّ السامع العاصي لله لاحجّة له، وإنّه لاطاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق؛وإذاأرادالله بالناس خيراً استعمل عليهم صلحاءهم، وقضى بينهم فقهاؤهم، وجعل المال في سمحائهم؛ وإذا أراد بالعباد شراً عمل عليهم سفاؤهم، وقضى بينهم جهلاؤهم، وجعل المال عند بخلائهم؛ وإنّ من إصلاح الولاة أن تصلح قرناءها.

ثمّ التفت إلى معاوية، فقال:

نصحك يامعاوية من أسخطك بالحق، وغشّك من أرضاك بالباطل.

فقطع معاوية عليه كلامه وأمر بانزاله، ثمّ لاطفه وأمر له بمال.

---

(١) مروج الذهب: ج٣ ص٤٨ دار الهجرة: قم.

فلمّا قبضه، قال: ألست من السمحاء الذين ذكرت؟ فقال: إن كان لك مال غير مال المسلمين أصبته حلالاً وأنفقته إفضالاً فنعم، وإن كان مال المسلمين احتجبته دونهم أصبته اقتراقاً وأنفقته إسرافاً، فان الله يقول: «إنّ المبذّرين كانوا إخوان الشياطين» (١).

(١٨)

محمد بن الحنفية مع عبدالله بن الزبير

عن سعيد بن جبير، قال: خطب عبدالله بن الزبير، فنال من عليٍّ عليه السلام فبلغ ذلك محمّد بن الحنفيّة، فجاء إليه وهو يخطب. فوضع له كرسيّ فقطع عليه خطبته، وقال: يامعشر العرب شاهت الوجوه! أينتقص عليّ وأنتم حضور؟ إنّ عليّاً كان يدالله على أعداء الله وصاعقةً من أمره، أرسله على الكافرين والجاحدين لحقّه، فقتلهم بكفرهم؛ فشنؤوه وأبغضوه وأضمروا له السيف والحسد وابن عمّه صلّىٰ الله عليه وآله حيّ بعد لم يمت. فلمّا نقله الله إلى جواره وأحبّ له ماعنده أظهرت له رجال أحقادها وشفت أضغانها؛ فمنهم من ابتزّه حقّه، ومنهم من ائتمر به ليقتله، ومنهم من شتمه وقذفه بالأباطيل. فان يكن لذريّته وناصري دعوته دولة تنشر عظامهم وتحفر على أجسادهم والأبدان منهم يومئذٍ بالية بعد أن تقتل الأحياء منهم وتذلّ رقابهم، فيكون الله عزّ اسمه قد عذّبهم بأيدينا وأخزاهم ونصرنا عليهم وشفى صدورنا منهم. إنّه والله مايشتم عليّاً إلاّ كافر يسرّ شتم رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ويخاف أن يبوح به، فيكنّي بشتم عليّ عليه السلام عنه. أما إنّه قد تخطّت المنيّة منكم من امتدّ عمره وسمع قول رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله فيه: «لايحبّك إلاّمؤمن ولايبغضك إلاّ منافق» وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون.

---

(١) أبن أبي الحديدفي النهج:ج١٨ ص٣٨٩. والبحار: ج٨ ط الكمپاني ص٥٣٠ عن مجالس المفيد ره.

فعاد ابن الزبير إلى خطبته، وقال: عذرت بني الفواطم يتكلّمون، فما بال ابن أُمّ حنيفة؟.

فقال محمّد: يابن أُمّ رومان، ومالي لاأتكلم؟ وهل فاتني من الفواطم إلاّ واحدة ولم يفتني فخرها، لأنّها امّ أخويّ؟ انا ابن فاطمة بنت عمران بن عائذ ابن مخزوم جدّة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله،وأنا ابن فاطمة بنت أسد بن هاشم كافلة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله والقائمة مقام أُمّه. أما والله! لولا خديجة بنت خويلد ماتركت في بني أسد بن عبدالعزّى عظماً إلاّ هشمته. ثمّ قام وانصرف[1].

(١٩)
طارق بن عبدالله مع معاوية

روى صاحب كتاب الغارات: أنّ عليّاً عليه السلام لمّا حدّ النجاشي غضبت اليمانيّة لذلك، وكان أخصّهم به طارق بن عبدالله بن كعب النهدي؛ فدخل عليه، فقال: ياأميرالمؤمنين، ماكنّا نرى أنّ أهل المعصية والطاعة وأهل الفرقة والجماعة عند ولاة العدل ومعادن الفضل سيّان في الجزاء، حتىّ رأينا ماكان من صنيعك بأخي الحارث، فأوغرت صدورنا وشتّت أُمورنا وحملتنا على الجادّة التي كنّا نرى أنّ سبيل من ركبها النار.

فقال عليّ عليه السلام: «وإنّها لكبيرة إلاّ على الخاشعين» ياأخانهد! وهل هو إلاّ رجل من المسلمين انتهك حرمةً من حرم الله؟ فأقمنا عليه حدّاً كان كفّارته! إنّ الله تعالى يقول: «ولايجرمنّكم شنآن قومٍ على أنّ لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى».

قال: فخرج طارق من عنده فلقيه الأشتر، فقال: ياطارق، أنت القائل

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج٤ ص٦٢-٦٣. ومروج الذهب: ج٣ ص٨٩.

لأميرالمؤمنين: «أوغرت صدورنا وشتّت امورنا»؟ قال طارق: نعم أنا قائلها؛ قال: والله ماذاك كما قلت! إنّ صدورنا له لسامعة وإن امورنا له لجامعة؛ فغضب طارق وقال: ستعلم ياأشتر أنّه غير ماقلت! فلمّا جنّه الليل همس هو والنّجاشي إلى معاوية.

فلمّا قدما عليه دخل آذنه فأخبره بقدومهما؛ وعنده وجوه أهل الشام، منهم: عمرو بن مرّة الجهني، وعمرو بن صيفي، وغيرهما.

فلمّا دخلا نظر معاوية إلى طارق، وقال: مرحباً بالمورق غصنه المعرق أصله والمسوّد غير المسود، من رجل كانت منه هفوة ونبوة، باتّباعه صاحب الفتنة ورأس الضلالة والشبهة الذي اغترز في ركاب الفتنة حتىّ استوى على رحالها، ثمّ أوجف في عشوة ظلمتها وتيه ضلالتها، وأتبعه رجرجة من الناس وأشابة من الحثالة لاافئدة لهم «أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها».

فقام طارق، فقال: يامعاوية، إنّي متكلّم فلا يسخطك؛ ثمّ قال وهو متّكئ على سيفه: إنّ المحمود على كلّ حالٍ ربّ علا فوق عباده، فهم منه بمنظرٍ ومسمع، بعث فيهم رسولاً منهم يتلو كتاباً لم يكن من قبله ولايخطّه بيمينه إذاً لارتاب المبطلون، فعليه السلام من رسولٍ كان بالمؤمنين برّاً رحيما.

أمّا بعد، فانّ ماكنّا نوضع فيما أوضعنا فيه بين يدي إمامٍ تقيٍّ عادلٍ مع رجال من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله أتقياء مرشدين، مازالوا مناراً للهدى ومعالم للدّين، خلفاً عن سلف مهتدين، أهل دين لادنيا، كلّ الخير فيهم؛ وأتبعهم من الناس ملوك وأقيال وأهل بيوتات وشرف ليسوا بناكثين ولاقاسطين، فلم يكن رغبة من رغب عن صحبتهم إلّا لمرارة الحقّ حيث جرّعوها، ولوعورته حيث سلكوها، وغلبت عليهم دنياً مؤثرة وهوى متبع، وكان أمر الله قدراً مقدورا؛ وقد فارق الإسلام قبلنا جبلّة بن الأيهم فراراً من الضيم وأنفاً من الذلّة؛ فلا تفخرنّ يامعاوية! إن شددنا نحوك الرحال وأوضعنا إليك

الركاب. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولجميع المسلمين.

فعظم على معاوية ماسمعه وغضب، لكنّه أمسك وقال: ياعبدالله! إنّا لم نرد بما قلنا أن نوردك مشرع ظمأ ولا أنّ نصدرك عن مكرع ريّ، ولكنّ القول قد يجري بصاحبه إلى غير ماينطوي عليه من الفعل.

ثمّ أجلسه معه على سريره ودعا له بمقطّعاتٍ وبرودٍ يضعها عليه، وأقبل نحوه بوجهه يحدّثه حتى قام.

وقام معه عمرو بن مرّة وعمرو بن صيفي الجهنيّان، فأقبلا عليه بأشدّ العتاب وأمضّه يلومانه في خطبته وماواجه به معاوية.

فقال طارق: والله ماقمت بما سمعتماه حتى خيّل ليّ أنّ بطن الأرض خير لي من ظهرها عند سماعي ماأظهر من العيب والنقص لمن هو خير منه في الدنيا والآخرة؛ ومازهت به نفسه وملكه عجبه وعاب أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله واستنقصهم، فقمت مقاماً أوجب الله عليّ فيه ألّا أقول إلّا حقّاً؛ وأيّ خير فيمن لاينظر مايصير إليه غداً؟.

فبلغ عليّاً عليه السلام قوله: فقال: لو قتل النهديّ يومئذٍ لقتل شهيداً.[1]

(٢٠)
بنو هاشم مع بني اميّة

بينا عمر بن عبدالعزيز جالساً في مجلسه دخل حاجبه ومعه امرأة أدماء طويلة حسنة الجسم والقامة، ورجلان متعلّقان بها، ومعهم كتاب من ميمون ابن مهران إلى عمر؛ فدفعوا إليه الكتاب، ففضّه فاذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم: إلى أميرالمؤمنين عمر بن عبدالعزيز من ميمون بن

---

(١) ابن أبي الحديد في النهج: ج٤ ص٨٩ - ٩٢ والبحار: ج٨ ط الكمپاني ص٥٣٨ عن الغارات أيضاً، وسيأتي ص٥٨٣.

مهران، سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد، فانّه ورد علينا أمر ضاقت به الصدور وعجزت عنه الأوساع، وهربنا بأنفسنا عنه، ووكلناه إلى عالمه، لقول الله عزّوجلّ: «ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم». وهذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والآخر أبوها؛ وإنّ أباها ـ ياأميرالمؤمنين ـ زعم أنّ زوجها حلف بطلاقها أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام خير هذه الأمّة وأولاها برسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وأنّه يزعم أنّ ابنته طلّقت منه وأنّه لايجوز له في دينه أنّ يتّخذه صهراً، وهويعلم أنّها حرام عليه كأمّه. وإنّ الزوج يقول له: كذبت وأثمت لقد برّ قسمي وصدقت مقالتي، وأنّها امرأتي على رغم أنفك وغيظ قلبك! فاجتمعوا إليّ يختصمون في ذلك؛ فسألت الرجل عن يمينه، فقال: نعم قد كان ذلك، وقد حلفت بطلاقها أنّ عليّاً خير هذه الأُمّة وأولاها برسول الله صلّىٰ الله عليه وآله عرفه من عرفه وأنكره من أنكره فليغضب من غضب وليرضى من رضي. وتسامع الناس بذلك، فاجتمعوا له؛ وإن كانت الألسن مجتمعة فالقلوب شتّىٰ. وقد علمت ياأميرالمؤمنين! اختلاف الناس في أهوائهم وتسرّعهم إلى مافيه الفتنة؛ فأحجمنا عن الحكم لتحكم بما أراك الله. وإنّهما تعلّقا بها، وأقسم أبوها أن لايدعها معه، وأقسم زوجها أن لايفارقها ولو ضربت عنقه، إلاّ أن يحكم عليه بذلك حاكم لايستطيع مخالفته والامتناع منه؛ فرفعناهم إليك ياأميرالمؤمنين، أحسن الله توفيقك وأرشدك. وكتب في أسفل الكتاب:

إذا ما المشكلات وردن يوماً	فحارت في تأمّلها العيون
وضاق القوم ذرعاً عن بناها	فأنت لها أبا حفص أمين
لأنّك قد حويت العلم طرّاً	وأحكمك التجارب والشؤون
وخلّفك الإله على الرعايا	فحظّك فيهم الحظّ الثمين

قال: فجمع عمر بن عبدالعزيز بني هاشم وبني أُميّة وأفخاذ قريش، ثمّ قال لأبي المرأة: ماتقول أيّها الشيخ؟ قال: ياأميرالمؤمنين! هذا الرجل زوّجته ابنتي وجهّزتها إليه بأحسن مايجهّز به مثلها؛ حتىّ إذا أمّلت خير ورجوت صلاحه حلف بطلاقها كاذباً، ثمّ أراد الإقامة معها. فقال له عمر: ياشيخ، لعلّه لم يطلّق امرأته فكيف حلف؟ قال الشيخ: سبحان الله! الذي حلف عليه لأبين حنثاً وأوضح كذباً من أن يختلج في صدري منه شكّ مع سنّي وعلمي، لأنّه زعم أنّ علياً خير هذه الامة، وإلاّ فامرأته طالق ثلاثاً. فقال للزوج: ماتقول؟ أهكذا حلفت؟ قال: نعم؛ فقيل: إنّه لمّا قال نعم كاد المجلس يرتجّ بأهله؛ وبنواُمية ينظرون إليه شزراً، إلاّ أنّهم لم ينطقوا بشيء، كلّ ينظر الى وجه عمر.

فأكبّ عمر مليّاً ينكت الأرض بيده، والقوم صامتون ينظرون مايقوله؛ ثمّ رفع رأسه، وقال:

إذا ولي الحكومة بين قومٍ ... أصاب الحقّ والتمس السدادا

وماخير الإمام إذا تعدّى ... خلاف الحقّ واجتنب الرشادا

ثمّ قال للقوم: ماتقولون في يمين هذا الرّجل؟ فسكتوا؛ فقال: سبحان الله! قولوا.

فقال رجل من بني اميّة: هذا حكم في فرج ولسنا نجترئ على القول فيه وأنت عالم بالقول مؤتمن لهم وعليهم، قل ماعندك، فانّ القول مالم يكن يحقّ باطلاً ويبطل حقّاً جائز عليّ في نفسي. قال: لاأقول شيئاً.

فالتفت إلى رجل من بني هاشم من ولد عقيل بن أبي طالب، فقال له: ماتقول فيما حلف به هذا الرجل ياعقيلي؟ فاغتنمها، فقال: ياأميرالمؤمنين! إن جعلت قولي حكماً أو حكمي جائزاً قلت، وإن لم يكن ذلك فالسكوت أوسع لي وأبقى للمودّة. قال: قل، وقولك حكم وحكمك ماضٍ.

فلمّا سمع ذلك بنو اميّة قالوا: ماأنصفتنا ياأميرالمؤمنين! إذ جعلت الحكم إلى غيرنا ونحن من لحمتك واولي رحمك؛ فقال عمر: اسكتوا! أعجزاً ولؤماً؟ عرضت ذلك عليكم آنفاً فما انتدبتم له. قالوا: لأنّك لم تعطنا ماأعطيت العقيلي ولاحكّمتنا كما حكّمته؛ فقال عمر: إن كان أصاب وأخطأتم وحزم وعجزتم وأبصر وعميتم، فما ذنب عمر لاأبالكم! أتدرون مامثلكم؟ قالوا: لاندري؛ قال: لكن العقيلي يدري. ثمّ قال: ماتقول يارجل؟ قال: نعم ياأميرالمؤمنين! كما قال الأوّل:

دعيتم إلى عمر فلمّا عجزتم — تناوله من لايداخله عجز
فلمّا رأيتم ذاك أبدت نفوسكم — نداماً، وهل يغني من الحذر الحرز؟

فقال عمر: أحسنت وأصبت! فقل ما سألتك عنه؛ قال: ياأميرالمؤمين! برّ قسمه ولم تطلق امرأته؛ قال: وأنّى علمت ذاك؟ قال: نشدتك الله ياأميرالمؤمنين! ألم تعلم أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام وهو عندها في بيتها عائد لها: يابنية! ماعلتك؟ قالت: الوعك ياأبتاه! وكان عليّ غائباً في بعض حوائج النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله فقال لها: أتشتهين شيئاً؟ قالت: نعم أشتهي عنباً وأنا أعلم أنّه عزيز وليس وقت عنب؛ فقال صلّىٰ الله عليه وآله: إنّ الله قادر على أن يجيئنا به، ثمّ قال: اللّهم ائتنا به مع أفضل امّتي عندك منزلة. فطرق عليّ الباب ودخل، ومعه مكتل قد ألقى عليه طرف رداءه؛ فقال له النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله ماهذا ياعلي؟ قال: عنب التمسته لفاطمة عليها السلام فقال: الله أكبر! الله أكبر! اللّهم كما سررتني بأن خصصت عليّاً بدعوتي فاجعل فيه شفاء بنيّتي. ثمّ قال: كلي على اسم الله يابنيّة! فأكلت. وماخرج رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله حتىّ استقلّت وبرأت.

فقال عمر: صدقت وبررت، أشهد لقد سمعته ووعيته يارجل! خذ بيد امرأتك، فان عرض لك أبوها فاهشم أنفه.

ثمّ قال: يابني عبدمناف! والله مانجهل مايعلم غيرنا ولابنا عميً في ديننا، ولكنّا كما قال الأوّل:

تصيّدت الدّنيا رجالاً بفخّها فلم يدركوا خيراً بل استقبحوا الشرا
وأعماهم حبّ الغنى وأصمّهم فلم يدركوا إلاّ الخسارة والوزرا

قيل: فكانّما ألقم بنو امّية حجراً. ومضى الرجل بامرأته.

وكتب عمر إلى ميمون بن مهران:

عليك سلام، فانّي أحمد إليك الله الذي لاإله إلاّ هو. أمّا بعد، فانّي قد فهمت كتابك؛ وورد الرّجلان والمرأة، وقد صدق الله يمين الزوج وأبرّ قسمه وأثبته على نكاحه؛ فاستيقن ذلك واعمل عليه. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

(٢١)

المقداد مع عبدالرحمن بن عوف

قال الشعبي: فحدثني عبدالرحمن بن جندب، عن أبيه جندب بن عبدالله الأزدي، قال: كنت جالساً بالمدينة حيث بويع عثمان؛ فجئت فجلست إلى المقداد بن عمرو، فسمعته يقول: والله مارأيت مثل ماأتى إلى أهل هذا البيت. وكان عبدالرحمن بن عوف جالساً، فقال: وماأنت وذاك يامقداد!؟ قال المقداد: إنّي والله احبّهم لحبّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وإنّي لأعجب من قريش وتطاولهم على الناس بفضل رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ثمّ انتزاعهم سلطانه من أهله. قال عبدالرحمن: أما والله لقد أجهدت نفسي لكم. قال المقداد: أما والله لقد تركت رجلاً من الذين يأمرون بالحقّ وبه يعدلون، أما والله لو أنّ لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إيّاهم ببدر واُحد.

---

(١) ابن أبي الحديد في النهج: ج٢٠ ص٢٢٢-٢٢٦.

فقال عبدالرحمن: ثكلتك امّك! لايسمعنّ هذا الكلام الناس، فانّي أخاف أن تكون صاحب فتنة وفرقة.

قال المقداد: إنّ من دعى إلى الحقّ وأهله وولاة الأمر لايكون صاحب فتنة، ولكن من أقحم الناس في الباطل وآثر الهوى على الحقّ، فذلك صاحب الفتنة والفرقة.

قال: فتربّد وجه عبدالرحمن، ثمّ قال: لو أعلم أنّك إيّاي تعني لكان لي ولك شأن.

قال المقداد: إيّاي تهدّد يابن امّ عبدالرحمن؟ ثمّ قام عن عبدالرحمن وانصرف.

قال جندب بن عبدالله: فأتبعته وقلت له: ياعبدالله، أنامن أعوانك، فقال: رحمك الله، إنّ هذا الأمر لايغني فيه الرجلان ولاالثلاثة[١].

(٢٢)
أبو الأسود وعمران مع عائشة

بعد ورود عائشة وطلحة والزبير البصرة، أرسل عثمان بن حنيف إلى أبي الأسود الدّؤلي وعمران بن الحصين الخزاعي، فأمرهما أن يسيرا حتىّ يأتياه بعلم القوم وماالذي أقدمهم؛ فانطلقا حتىّ إذا أتيا حفر أبي موسى، وبه معسكر القوم، فدخلا على عائشة فنالاها ووعظاها وذكّراها وناشداها الله، فقالت لهما: القيا طلحة والزبير.

فقاما من عندها ولقيا الزبير فكلّماه فقال لهما: إنّا جئنا للطلب بدم عثمان، وندعو الناس إلى أن يردّوا أمر الخلافة شورى ليختار الناس لأنفسهم.

فقالا له: إنّ عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها، وأنت تعلم قتلة

(١) ابن أبي الحديد في النهج: ج٩ ص٥٦-٥٧ وج٨ ط الكمپاني ص٣٣٠، وسيأتي ص٥٢٥.

عثمان من هم وأين هم؟ وإنّك وصاحبك وعائشة كنتم أشدّ الناس عليه وأعظمهم إغراءً بدمه، فأقيدوا من أنفسكم! وأمّا إعادة أمر الخلافة شورى فكيف وقد بايعتم عليّاً طائعين غير مكرهين؟ وأنت ياأبا عبدالله! لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله صلّى الله عليه وآله وأنت آخذ قائم سيفك تقول: ماأحد أحقّ بالخلافة منه ولاأولى بها منه! وامتنعت من بيعة أبي بكر، فأين ذلك الفعل من هذا القول؟[1].

(٢٣)
أبو أيّوب مع معاوية

كتب معاوية إلى أبي أيّوب خالد بن زيد الأنصاري ـ صاحب منزل رسول الله صلّى الله عليه وآله وكان سيّداً معظّماً من سادات الأنصار، وكان من شيعة علي عليه السلام ـ كتاباً. «لا تنسى الشيباء ـ شيباء خ ل ـ أبا عذرتها وقاتل بكرها» فلم يدر أبو أيّوب ماهو؟ فأتى به عليّاً، وقال: ياأمير المؤمنين! إنّ معاوية ـ ابن آكلة الأكباد وكهف المنافقين ـ كتب إليّ بكتاب لاأدري ماهو؟.

فقال له عليّ: وأين الكتاب؟ فدفعه إليه فقرأه وقال: نعم، هذا مثل ضربه لك، يقول: «ماأنسى الذي لا تنسى الشيباء، لا تنسى أبا عذرتها» والشيباء المرأة البكر ليلة افتضاضها، لا تنسى بعلها الذي افترعها أبداً، ولا تنسى قاتل بكرها وهو أوّل ولدها؛ كذلك لاأنسى أنا قتل عثمان.

[وروى عمر بن شمر: أنّ معاوية] كتب في أسفل كتاب أبي أيّوب.

أبلغ لديك أبا أيّوب مألكة ... إنّا وقومك مثل الذئب والنّقد
أما قتلتم أمير المؤمنين؟ فلا ... ترجو الهوادة عندي آخر الأبد

---

(١) أبن أبي الحديد في النهج: ج٩ ص٣١٣.

إنّ الـذي نـلـتـمـوه ظـالمين لـه ... أبـقـت حرارتـه صـدعـاً على كـبدي
إنّـي حـلـفـت يمـينـاً غير كـاذبة ... لـقـد قـتـلتم إمــامـاً غير ذي أود
لاتحسبـوا أنّـنـي أنسى مصيبته ... وفي الـبـلاد من الأنصـار مـن أحـد
أعـزز عـلـيَّ بـأمر لست نـائـلـه ... واجـهـد علينـا فلسنا بيضة الـبلد
قد أبـدلّ الله مـنـكـم خير ذي كـلع ... والـيـحصبين أهـل الحقّ في الجـنـد
إنّ الـعـراق لـنـا فـقـع بـقـرقرة ... أو شحـمـة بـزّهـا شاوٍ ولم يـكـد
والشـام يـنـزلهـا الأبـرار بلـدتها ... أمـن وحـومتهـا عـرّيسـة الأسـد

فلمّا قرأ الكتاب على عليّ عليه السلام قال: لشدّ ماشحذكم معاوية يامعشر الأنصار! أجيبوا الرجل. فقال أبو أيّوب: ياأمير المؤمنين ما أشاء أن أقول شيئاً من الشعر يعبأ به الرجال إلّا قلته، قال: فأنت إذاً أنت.

فكتب أبو أيّوب إلى معاوية: [أمّا بعد، فانّك كتبت إليّ] لا تنسى الشيباء ـ وقال في هذا الحديث: الشيبياء: الشمطاء ـ ثكل ولدها ولاأبا عذرتها (لا تنسى الشيبـاء أبا عذرها ولاقاتـل بكرها خ ل) فضربتها مثلاً بقتل عثمان، ومانحن وقتل عثمان؟ إنّ الذي تربّص بعثمان وثبّط يزيد بن أسد وأهل الشام في نصرته لأنت، وإنّ الذي قتلوه لغير الأنصار.

وكتب في آخر كتابه:

لا توعـدنّا ابـن حـرب إنـنـا بشر ... لانبتـغـي ودّ ذي البغضاء مـن أحد
فـاسعوا جميعاً بني الأحـزاب كـلّكم ... لسـنـا نـريـد ولاكـم آخـر الأبـد
نحن الـذين ضربنـا الـناس كـلّهـم ... حتى استـقـامـوا وكـانوا عـرضة الأود
والـعـام قصرك منّـا إن أقمت لـنـا ... ضـربـاً يـزيّـل بين الـرّوح والجسد
أمّـا عـلـيّ فـانّـا لـن نـفـارقه ... مـارقـرق الآل في الـداويّـة الجرد
أما تـبـدّلـت منّـا بـعـد نصرتـنـا ... ديـن الـرسول أنـاسـا سـاكني الجند
لايـعـرفون ـ أضـلّ الله سـيـعـهـم ـ ... إلّا اتّـبـاعـكـم ياراعـي الـنـقـد

فقد بغى الحقّ هضماً شرّ ذي كلع والـيـحصبيّون طراً بيضة البلد
ألا نـدافـع كـفّـاً دون صاحبها حـدّ الشـقـاق ولاأمّ ولاولـد[1].

(٢٤)

جعدة بن هبيرة مع عتبة بن أبي سفيان

قال عتبة بن أبي سفيان في يوم من أيّام صفيّن: إنّي لاقٍ بالغداة جعدة بن هبيرة، فقال معاوية: بخٍ بخٍ! قومه بنو مخزوم، وامّه امّ هاني بنت أبي طالب، كفؤ كريم...

بعث معاوية إلى عتبة، فقال: ماأنت صانع في جعدة؟ قال: ألقاه اليوم واقاتله غداً. وكان لجعدة في قريش شرف عظيم، وكان له لسان، وكان من أحبّ النّاس إلى عليّ عليه السلام فغدا عليه عتبة فنادى: أبا جعدة أبا جعدة! فاستأذن عليّاً عليه السلام في الخروج إليه، فأذن له. واجتمع الناس، فقال عتبة: ياجعدة إنه والله ماأخرجك علينا إلّا حبّ خالك وعمك (ابن أبي سلمة) عامل البحرين، وإنّا والله! مانزعم أنّ معاوية أحقّ بالخلافة من عليّ لولا أمره في عثمان؛ ولكن معاوية أحقّ بالشام لرضا أهلها به، فاعفُ لنا عنها؛ فوالله! مابالشام رجل به طرق إلاّ وهو أجدّ من معاوية في القتال، وليس بالعراق رجل له مثل جدّ عليّ في الحرب؛ ونحن أطوع لصاحبنا منكم لصاحبكم؛ وماأقبح بعليّ أن يكون في قلوب المسلمين أولى الناس حتى إذا أصاب سلطاناً أفنى العرب.

فقال جعدة: أمّا حبيّ لخالي: فلو كان لك خال مثله لنسيت أباك ! وأمّا ابن أبي سلمة: فلم يصب أعظم من قدره؛ والجهاد أحب إليّ من العمل. وأمّا فضل عليّ على معاوية فهذا مالايختلف فيه اثنان. وأمّا رضاكم اليوم بالشام

---

(١) وقعة صفّين لنصر: ص٣٦٧-٣٦٩ وابن أبي الحديد في النهج: ج٨ص٣٦٠ط الكمپاني.

فقد رضيتم بها أمس، فلم نقبل. وأمّا قولك : ليس بالشام أحد إلاّ وهو أجدّ من معاوية، وليس بالعراق رجل مثل جدّ عليّ، فهكذا ينبغي أن يكون، مضى بعليّ يقينه وقصّر بمعاوية شكه؛ وقصد أهل الحقّ خير من جهد أهل الباطل. وأمّا قولك : نحن أطوع لمعاوية منكم لعليّ ، فوالله مانسأله إن سكت ولانردّ عليه إن قال. وأمّا قتل العرب: فانّ الله كتب [القتل و] القتال؛ فمن قتله الحقّ فإلى الله.

فغضب عتبة وفحش على جعدة، فلم يجبه وأعرض عنه. وانصرفا جميعاً مغضبين[1].

(٢٥)
يحيىٰ مع الحجّاج

كنز الفوائد للكراجكي: قال الشعبي: كنت بواسط وكان يوم أضحى، فحضرت صلاة العيد مع الحجّاج؛ فخطب خطبة بليغة؛ فلمّا انصرف جاءني رسوله، فأتيته، فوجدته جالساً مستوفزاً. قال: ياشعبي، هذا يوم أضحى، وقد أردت أن اُضحّي فيه برجل من أهل العراق! وأحببت أن تستمع قوله، فتعلم أنّي قد أصبت الرأي فيما أفعل به.

فقلت: أيّها الأمير، أو ترى أن تستنّ بسنّة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وتضحّي بما أمر أن يضحّى به وتفعل مثل فعله، وتدع ماأردت أن تفعله به في هذا اليوم العظيم إلى غيره ؟

فقال: ياشعبي، إنّك إذا سمعت مايقول صوّبت رأيي فيه، لكذبه على الله وعلى رسوله وإدخاله الشبهة في الإسلام.

---

(١) وقعة صفّين لنصر: ص٤٦٣ ـ ٤٦٤. وابن أبي الحديد في النهج: ج٨ ص٩٨ ـ ٩٩. وفتوح ابن اعثم: ج٣ ص١٧٧ ـ ١٧٨.

قلت: أفيرى الأمير أن يعفيني من ذلك؟ قال: لابدّ منه. ثمّ أمر بنطع فبسط، وبالسيّاف فاحضر؛ وقال: أحضروا الشيخ، فأتوا به، فاذا هو يحيى بن يعمر! فاغتممت غمّاً شديداً، وقلت في نفسي: وأيّ شيئ يقوله يحيى مما يوجب قتله؟.

فقال له الحجّاج: أنت تزعم أنّك زعيم العراق؟! قال يحيى: أنا فقيه من فقهاء العراق. قال: فمن أيّ فقهك زعمت أنّ الحسن والحسين من ذرّية رسول الله؟ قال: ماأنا زاعم ذلك، بل قائله بحقّ. قال: وبأيّ حقّ قلته؟ قال: بكتاب الله عزّوجلّ. فنظر إليّ الحجّاج وقال: اسمع مايقول! فانّ هذا ممّا لم أكن سمعته عنه؛ أتعرف أنت في كتاب الله عزّوجلّ أنّ الحسن والحسين من ذرية محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ فجعلت افكّر في ذلك، فلم أجد في القرآن شيئاً يدلّ على ذلك. وفكرّ الحجّاج مليّاً، ثمّ قال ليحيى: لعلك تريد قول الله تعالى: «فمن حاجّك من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين». وأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله خرج للمباهلة ومعه عليّ وفاطمة والحسن والحسين؟

قال الشعبي: فكأنّما اهدى إلى قلبي سروراً، وقلت في نفسي: قد خلص يحيى. وكان الحجّاج حافظاً للقرآن؛ فقال له يحيى: والله إنّها لحجّة في ذلك بليغة، ولكن ليس منها أحتجّ لما قلت؛ فاصفر وجة الحجّاج وأطرق مليّاً، ثمّ رفع رأسه إلى يحيى وقال له: إن أنت جئت من كتاب الله بغيرها في ذلك فلك عشرة آلاف درهم، وإن لم تأت بها فأنا في حلّ من دمك؛ قال: نعم.

قال الشعبي: فغمّني قوله، وقلت: أما كان في الذي نزع به الحجّاج مايحتجّ به يحيى ويرضيه بأنّه قد عرفه وسبقه إليه وتخلّص منه حتى ردّ عليه وأفحمه؟ فان جاءه بعد هذا بشيء لم آمن أن يدخل عليه فيه من القول مايبطل به حجّته

لئلاّ يقال: إنّه قد علم ما قد جهله هو.

فقال يحيى للحجّاج: قول الله تعالى: «ومن ذرّيته داود وسليمان» من عنى بذلك؟ قال الحجّاج: إبراهيم -عليه السلام، قال: فداود وسليمان من ذرّيته؟ قال: نعم. قال يحيى: ومن نصّ الله عليه بعد هذا أنّه من ذرّيته؟ فقرأ الحجاج «وأيّوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين» قال يحيى: ومن؟ قال: «وزكرّيا ويحيى وعيسى» قال يحيى: ومن أين كان عيسى من ذرّية إبراهيم عليه السلام ولاأب له؟ قال: من امّه مريم عليها السلام قال يحيى: فمن أقرب: مريم من إبراهيم أم فاطمة من محمّد صلّى الله عليه وآله، وعيسى من إبراهيم والحسن والحسين عليهما السلام من رسول الله صلّى الله عليه وآله؟

قال الشعبي: فكأنّما ألقمه حجراً! فقال: اطلقوه قبّحه الله، وادفعوا إليه عشرة آلاف درهم لابارك الله له فيها!

ثمّ أقبل عليَّ فقال: قد كان رأيك صواباً، ولكنّا أبيناه. ودعا بجزور فنحره، وقام فدعا بطعامٍ فأكل وأكلنا معه. وماتكلّم بكلمة حتى انصرفنا، ولم يزل ممّا احتجّ به يحيى بن يعمر واجماً[1].

(٢٦)
يحيى مع الحجّاج

وفي طبقات السيوطي: قال الحاكم: فقيه أديب نحوي أخذ النحو عن أبي الأسود: ولمّا بنى الحجاج واسط سأل الناس ماعيبها؟ فقال له يحيى: بنيتها من غير مالك وسيسكنها غير ولدك؛ فغضب الحجّاج وقال: ماحملك على ذلك؟ قال: ما أخذ الله تعالى على العلماء في علمهم أن لا يكتموا الناس

---

(١) البحار: ج١٠ ص١٤٧ الطبع الحديث. وقاموس الرجال: ج٩ والعقد الفريد: ج٢ ص١٧٥ وج٥ ص٢٠. ويأتي عن المحاضرات للراغب.

حديثاً.

فنفاه إلى خراسان، فولّاه قتيبة بن مسلم قضاءها؛ فقضى في أكثر بلادها: نيسابور، ومرو، وهراة؛ وآثاره ظاهرة. وفي الجهشياري: قال له الحجّاج: هل ألحن؟ قال: تلحن لحناً خفيّاً تزيد حرفاً أو تنقص حرفاً، وتجعل «إنّ» في موضع «أنّ» قال: إن وجدتك بعد ثلاثة بالعراق قتلتك[1].

(٢٧)
مؤمن الطاق مع أبي حنيفة

قال أبو حنيفة لأبي جعفر مؤمن الطّاق: ماتقول في الطلاق الثلاث؟ قال: أعلى خلاف الكتاب والسّنة؟ قال: نعم؛ قال أبو جعفر: لايجوز ذلك. قال أبو حنيفة: ولم لايجوز ذلك؟ قال: لأنّ التزويج عقد بالطاعة فلا يحلّ بالمعصية، وإذا لم يجز التزويج بجهة المعصية لم يجز الطلاق بجهة المعصية؛ وفي إجازة ذلك طعن على الله عزّوجلّ فيما أمر به وعلى رسُوله فيما سنّ، لأنّه إذا كان العمل بخلافهما فلا معنى لهما؛ وفي قولنا: من شذّ عنهما ردّ إليهما وهو صاغر. قال أبو حنيفة: قد جوّز العلماء ذلك، قال أبو جعفر: ليس العلماء الذين جوّزوا للعبد العمل بالمعصية واستعمال سنّة الشيطان في دين الله؛ ولاعالم أكبر من الكتاب والسنّة. فلم تجوّزون للعبد الجمع بين مافرّق الله من الطلاق الثلاث في وقت واحد، ولاتجوّزون له الجمع بين مافرّق الله من الصلوات الخمس؟ وفي تجويز ذلك تعطيل الكتاب وهدم السنّة؛ وقد قال الله جلّ وعزّ: «ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه».

ماتقول ياأبا حنيفة في رجل قال: إنّه طالق امرأته على سنّة الشيطان، أيجوز له ذلك الطلاق؟ قال أبو حنيفة: فقد خالف السنة وبانت منه امرأته

---

(١) قاموس الرجال: ج٩ ص٤٣١.

وعصى ربّه. قال أبو جعفر: فهو كما قلنا إذا خالف سنّة الله عمل بسنّة الشيطان، ومن أمضى بسنّته فهو على ملّته، ليس له في دين الله نصيب.

قال أبو حنيفة: هذا عمر بن الخطّاب، وهو من أفضل أئمّة المسلمين، قال: إنّ الله جلّ ثناؤه جعل لكم في الطلاق أناة فاستعجلتموه وأجزنا لكم ما استعجلتموه. قال أبو جعفر: إنّ عمر كان لايعرف أحكام الدين. قال أبو حنيفة: وكيف ذلك؟ قال أبو جعفر: ماأقول فيه ماتنكره.

أمّا أوّل ذلك: فانه قال: «لايصلي الجنب حتىّ يجد الماء ولو سنة» والأُمّة على خلاف ذلك.

وأتاه أبو كيف العائذي، فقال: ياأميرالمؤمنين، إنّي غبت فقدمت وقد تزوّجت امرأتي! فقال: «إن كان قد دخل بها فهو أحقّ بها، وإن لم يكن دخل بها فأنت أولى بها» وهذا حكم لايعرف والأُمّة على خلافه.

وقضى في رجل غاب عن أهله أربع سنين أنّها تتزوّج إن شاءت. والامّة على خلاف ذلك، إنّها لا تتزوّج أبداً حتى تقوم البيّنة أنّه مات أو طلّقها.

وإنّه قتل سبعة نفر من أهل اليمن برجل واحد، وقال: لولا ماعليه أهل صنعاء لقتلتهم به. والامّة على خلافه.

وأُتي بامرأة حبلى شهدوا عليها بالفاحشة فأمر برجمها، فقال له عليّ عليه السلام: إن كان لك السبيل عليها فما سبيلك على مافي بطنها؟ فقال: «لولا عليّ لهلك عمر».

وأُتي بمجنونة قد زنت فأمر برجمها، فقال له عليّ عليه السلام: أما علمت أنّ القلم قد رفع عنها حتى تصح؟ فقال: «لولا عليّ لهلك عمر».

وإنّه لم يدرك الكلالة فسأل النبيّ صلّى الله عليه وآله عنها فأخبره بها فلم يفهم عنه، فسأل ابنته حفصة أن تسأل النبي عن الكلالة فسألته؛ فقال لها: أبوك أمرك بهذا؟ قالت: نعم فقال لها: إنّ أباك لايفهمها حتى يموت.

فمن لم يعرف الكلالة فكيف يعرف أحكام الدين؟[١].

(٢٨)

الفضّال مع أبي حنيفة

كتاب الفصول للسيد رحمه الله: أخبرني الشيخ أدام الله عزّه مرسلاً، قال: مرّ الفضّال بن الحسن بن فضّال الكوفي بأبي حنيفة، وهو في جمع كثير يملي عليهم شيئاً من فقهه وحديثه. فقال لصاحب كان معه: والله لاأبرح أو أُخجل أبا حنيفة! قال صاحبه: إنّ أبا حنيفة ممّن قد علت حاله وظهرت حجّته. قال: مه! هل رأيت حجّة كافر علت على مؤمن؟ ثمّ دنا منه، فسلّم عليه فردّ وردّ القوم السلام بأجمعهم.

فقال: ياأبا حنيفة رحمك الله إنّ لي أخاً يقول: إنّ خير الناس بعد رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأنا أقول: إنّ أبا بكر خير الناس وبعده عمر، فما تقول أنت رحمك الله؟ فأطرقّ ملياً ثمّ رفع رأسه، فقال: كفى بمكانهما من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله كرماً وفخراً، أماعلمت أنّهما ضجيعاه في قبره، فأيّ حجّة أوضح لك من هذه؟.

فقال له فضّال: إنّي قد قلت ذلك لأخي، فقال: والله لئن كان الموضع لرسول الله صلّىٰ الله عليه وآله دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حقّ، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله صلّىٰ الله عليه وآله فقد أساءا وما أحسنا إذا رجعا في هبتهما ونكثا عهدهما. فأطرق أبو حنيفة ساعةً ثمّ قال له: لم يكن له ولالهما خاصّة، ولكنّهما نظرا في حقّ عائشة وحفصة فاستحقّا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما.

فقال له فضّال: قد قلت له ذلك، فقال: أنت تعلم أنّ النبيّ صلّىٰ الله

---

(١) البحار: ج١٠ ص٢٣٠-٢٣١ الطبع الحديث.

عليه وآله مات عن تسع حشايا، ونظرنا فاذا لكلّ واحدة تسع الثمن، ثمّ نظرنا في تسع الثمن فاذا هو شبر في شبر، فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك ؟ وبعد، فما بال حفصة وعائشة ترثان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وفاطمة بنته تمنع الميراث؟ فقال أبو حنيفة: ياقوم نحّوه عنّي فانّه والله رافضي خبيث![1].

(٢٩)

الفضل بن شاذان مع المخالفين

وقال رضي الله عنه: ومن حكايات الشيخ أدام الله عزّه قال: سُئِل أبو محمّد الفضل بن شاذان النيشابوري رحمه الله فقيل له: مالدليل على إمامة أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ فقال: الدليل على ذلك من كتاب الله عز وجلّ، ومن سنة نبيه صلّىٰ الله عليه وآله ومن إجماع المسلمين.

فأمّا كتاب الله تبارك وتعالى: فقوله عزّوجلّ: «ياأيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم» فدعانا سبحانه إلى طاعة أُولي الأمر كما دعانا إلى طاعة نفسه وطاعة رسوله، فاحتجنا إلى معرفة أُولي الأمر كما وجبت علينا معرفة الله تعالى ومعرفة الرسول عليه وآله السلام، فنظرنا في أقاويل الامّة فوجدناهم قد اختلفوا في اولي الأمر وأجمعوا في الآية على مايوجب كونها في عليّ ابن أبي طالب عليه السلام فقال بعضهم: أُولي الأمر هم امراء السرايا، وقال بعضهم: هم العلماء، وقال بعضهم: هم القوّام على الناس والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وقال بعضهم: هم أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب والأئمّة من ذريّته عليهم السلام.

فسألنا الفرقة الاولى فقلنا لهم: أليس عليّ بن أبي طالب عليه السلام من امراء السرايا؟ فقالوا: بلى. فقلنا للثانية: ألم يكن عليه السلام من العلماء؟

---

(١) البحار: ج١٠ ص٢٣١-٢٣٢ وج٤٤ ص١٥٥ وج٤٧ ص٤٠٠.

قالوا: بلى. فقلنا للثالثة: أليس علي-عليه السلام-قد كان من القوّام على الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ فقالوا: بلى. فصار أمير المؤمنين-عليه السلام-معيّناً بالآية باتّفاق الامّة واجتماعها، وتيقّنّا ذلك باقرار المخالف لنا في الإمامة والموافق عليها؛ فوجب أن يكون إماماً بهذه الآية، لوجود الاتّفاق على أنّه معنيّ بها. ولم يجب العدول إلى غيره والاعتراف بامامته، لوجود الاختلاف في ذلك وعدم الاتّفاق ومايقوم مقامه من البرهان.

وأمّا السنّة: فانّا وجدنا النبيّ-صلّى الله عليه وآله-استقضى عليّاً-عليه السلام-على اليمن، وأمّره على الجيوش، وولّاه الأموال وأمره بأداءها إلى بنيّ جذيمة الذين قتلهم خالد بن الوليد ظلماً، واختاره لأداء رسالات الله سبحانه والإبلاغ عنه في سورة براءة، واستخلفه عند غيبته على من خلّف. ولم نجد النبي-صلّى الله عليه وآله-سنّ هذه السنن في أحد غيره، ولااجتمعت هذه السنن في أحد بعد النبيّ-صلّى الله عليه وآله-كما اجتمعت في عليّ-عليه السلام-وسنّة رسول الله-صلّى الله عليه وآله-بعد موته واجبة كوجوبها في حياته. وإنّما تحتاج الامّة إلى الإمام بهذه الخصال التي ذكرناها؛ فاذا وجدناها في رجل قد سنّها الرسول صلّى الله عليه وآله فيه كان أولى بالإمامة ممّن لم يسنّ النبيّ فيه شيئاً من ذلك.

وأمّا الإجماع: فانّ إمامته ثبتت من جهته من وُجوه:

منها: أنّهم قد أجمعوا جميعاً أنّ عليّاً-عليه السلام-قد كان إماماً ولو يوماً واحداً، ولم يختلف في ذلك أصناف أهل الإمامة؛ ثمّ اختلفوا، فقالت طائفة: كان إماماً في وقت كذا وكذا، وقالت طائفة: بل كان إماماً بعد النبيّ-صلّى الله عليه-وآله في جميع أوقاته؛ ولم تجمع الامّة على غيره أنّه كان إماماً في الحقيقة طرفة عين، والإجماع أحقّ أنّ يتّبع من الاختلاف.

ومنها: أنّهم أجمعوا جميعاً على أنّ عليّاً عليه السلام كان يصلح للإمامة وأنّ

الإمامة تصلح لبني هاشم، واختلفوا في غيره؛ وقالت طائفة: لم يكن تصلح لغير عليّ بن أبي طالب-عليه السلام ولا تصلح لغير بني هاشم؛ والإجماع حقّ لاشبهة فيه، والاختلاف لاحجّة فيه.

ومنها: أنّهم أجمعوا على أنّ عليّاً عليه السلام-كان بعد النبيّ-صلّى الله عليه وآله ظاهر العدالة واجبة له الولاية، ثمّ اختلفوا؛ فقال قوم: كان مع ذلك معصوماً من الكبائر والضلال، وقال آخرون: لم يك معصوماً. ولكن كان عدلاً برّاً تقيّاً على الظاهر لايشوب ظاهره الشوائب؛ فحصل الإجماع على عدالته عليه السلام واختلفوا في نفي العصمة عنه عليه السلام ثمّ أجمعوا على أنّ أبا بكر لم يكن معصوماً واختلفوا في عدالته؛ فقالت طائفة: كان عدلاً، وقال آخرون: لم يكن عدلاً، لأنّه أخذ ماليس له؛ فمن أجمعوا على عدالته واختلفوا في عصمته أولى بالإمامة وأحقّ ممّن اختلفوا في عدالته وأجمعوا على نفي العصمة عنه[1].

(٣٠)

الفضل بن شاذان مع المخالفين

سئل الفضل بن شاذان-رحمه الله عمّا روته الناصبة عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه قال: «لااوتى برجل يفضّلني على أبي بكر وعمر إلاّ جلدته حدّ المفتري» فقال: إنّما روى هذا الحديث سويد بن غفلة، وقد أجمع أهل الآثار على أنّه كان كثير الغلط. وبعد، فانّ نفس الحديث متناقض، لأنّ الامّة مجمعة على أنّ عليّاً عليه السلام كان عدلاً في قضيّته، وليس من العدل أن يجلد حدّ المفتري من لم يفتر، لانّ هذا جور على لسان الامّة كلّها، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام عندنا بريءمن ذلك.

قال الشيخ أدام الله عزّه: وأقول: إنّ هذا الحديث إن صحّ عن أميرالمؤمنين

---

(١) البحار: ج١٠ ص٣٧٤-٣٧٧.

عليه السلام ـ ولن يصحّ بأدلّة أذكرها بعد ـ فانّ الوجه فيه أنّ الفاضل بينه وبين الرّجلين إنّما وجب عليه حدّ المفتري من حيث أوجب لهما بالمفاضلة مالايستحقّانه من الفضل، لأنّ المفاضلة لايكون إلاّ بين مقارنين في الفضل وبعد أن يكون في المفضول فضل؛ وإذا كانت الدلائل على أنّ من لاطاعة معه لافضل له في الدين، وأنّ المرتدّ عن الإسلام ليس فيه شيء من الفضل الديني، وكان الرجلان بجحدهما النصّ قبل قد خرجا عن الإيمان، بطل أن يكون لهما فضل في الإسلام؛ فكيف يحصل لهما من الفضل مايقارب فضل أميرالمؤمنين عليه السلام؟ ومتى فضّل إنسان أميرالمؤمنين عليه السلام عليهما فقد أوجب لهما فضلاً في الدّين. فانّما استحقّ حدّ المفتري الذي هو كاذب دون المفتري الذي هو راجم بالقبيح، لأنّه افترى بالتفضيل لأميرالمؤمنين عليه السلام عليهما من حيث كذب في إثبات فضل لهما في الدين؛ ويجري في هذا الباب مجرى من فضّل البرّ التقي على الكافر المرتدّ الخارج عن الدين، ومجرى من فضّل جبرئيل عليه السلام على إبليس، ورسول الله صلّىٰ الله عليه وآله على أبي جهل بن هشام، في أنّ المفاضلة بين من ذكرناه يوجب لمن لافضل له على وجهٍ فضلاً مقارباً لفضل العظماء عند الله تعالى؛ وهذا بيّن لمن تأمّله.

مع أنّه لو كان هذا الحديث صحيحاً وتأويله على ماظنّه القوم يوجب أن يكون حدّ المفتري واجباً على الرسول صلّىٰ الله عليه وآله ـ وحاشا له من ذلك! لأنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قد فضّل أميرالمؤمنين عليه السلام ـ على سائر الخلق، وآخى بينه وبين نفسه، وجعله بحكم الله في المباهلة نفسه، وسدّ أبواب القوم إلاّ بابه، وردّ أكثر الصحابة عن إنكاحهم إبنته سيّدة نساء العالمين عليها السلام وأنكحه، وقدّمه في الولايات كلّها ولم يؤخّره، وأخبر أنّه يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، وأنّه أحبّ الخلق إلى الله تعالى، وأنّه مولى من كان مولاه من الأنام، وأنّه منه بمنزلة هارون من موسى بن عمران، وأنّه أفضل من

سيّدي شباب أهل الجنّة، وأنّ حربه حربه وسلمه سلمه؛ وغير ذلك مما يطول شرحه إن ذكرناه.

وكان أيضاً يجب أن يكون عليه السلام قد أوجب الحدّ على نفسه، إذ أبان فضله على سائر أصحاب الرسول صلّى الله عليه وآله حيث يقول: «أنا عبد الله وأخو رسول الله، لم يقلها أحد قبلي ولايقولها أحد بعدي إلاّ مفترٍ كذّاب، صلّيت قبلهم سبع سنين» وفي قوله لعثمان وقد قال له: «أبو بكر وعمر خير منك» فقال: «بل أنا خير منك ومنهما عبدت الله عزّوجلّ قبلهما وعبدته بعدهما».

وكان أيضاً قد أوجب الحدّ على إبنه الحسن وجميع ذرّيته وأشياعه وأنصاره وأهل بيته، فانّه لاريب في اعتقادهم فضله على سائر الصحابة؛ وقد قال الحسن عليه السلام صبيحة الليلة التي قبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد قبض الليلة رجل، ماسبقه الأوّلون بعمل ولاأدركه الآخرون» وهذه المقالة متهافتة جداً.

وقال الشيخ أيدّه الله: ولست أمنع العبارة بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان أفضل من أبي بكر وعمر على معنى تسليم فضلهما من طريق الجدل أو على معتقد الخصوم في أنّ لهما فضلاً في الدين، وأمّا على تحقيق القول في المفاضلة فانّه غلط وباطل.

قال الشيخ: وشاهد ما أطلقت من القول ونظيره قول أمير المؤمنين عليه السلام في أهل الكوفة: «اللّهم إنّي قد مللتهم وملّوني وسئمتهم وسئموني، اللهم فأبدلني بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شراً منّي» ولم يكن في أمير المؤمنين عليه السلام وإنّما اخرج الكلام على اعتقادهم فيه؛ ومثله قول حسّان بن ثابت وهو يعني رسول الله صلّى الله عليه وآله:

أتهجوه ولست له بكفؤٍ فخيركما لشرّكما الفداء

ولم يكن في رسول الله صلّى الله عليه وآله شرّ، وإنّما اخرج الكلام على

معتقد الهاجي فيه؛ وقوله تعالى: «وإنّا أو إيّاكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين» ولم يكن الرّسول على ضلال[١].

(٣١)

داود مع ابن طاهر

دخل أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري على محمّد بن طاهر بعد قتل يحيى بن عمر المقتول بشاهي، فقال له: أيّها الأمير! إنّا قد جئناك لنهنّئك بأمر لو كان رسول الله صلّى الله عليه وآله حيّاً لعزّيناه به[٢].

(٣٢)

عبد الله بن عباس مع يزيد

قال اليعقوبي:[٣] أخذ ابن الزبير عبد الله بن عبّاس بالبيعة له، فامتنع عليه، فبلغ يزيد بن معاوية أنّ عبد الله بن عبّاس قد امتنع على ابن الزبير، فسرّه ذلك، وكتب الى ابن عباس:

أمّا بعد، فقد بلغني أنّ الملحد ابن الزبير دعاك إلى بيعته وعرض عليك الدخول في طاعته لتكون على الباطل ظهيراً وفي المآثم شريكاً، وأنك امتنعت عليه واعتصمت ببيعتنا وفاءً منك لنا وطاعةً لله فيما عرّفك من حقّنا، فجزاك الله من ذي رحمٍ بأحسن مايجزي به الواصلين لأرحامهم! فانّي أنس من الأشياء، فلست بناسٍ برّك وحسن جزائك وتعجيل صلتك بالذي أنت منّي أهله في الشرف والطاعة والقرابة بالرسول؛ وانظر ـ رحمك الله ـ فيمن قبلك من قومك ومن يطرأ عليك من الآفاق ممّن يسحره الملحد بلسانه وزخرف قوله، فأعلمهم حسن رأيك في طاعتي والتمسّك ببيعتي، فانّهم لك أطوع ومنك

(١) البحار: ج١٠ ص٣٧٧-٣٧٩.

(٢) البحار: ج١٠ ص٣٩١.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٤٧.

أسمع منهم للمحلّ الملحد؛ والسلام.

فكتب إليه عبدالله بن عبّاس:

من عبدالله بن عبّاس إلى يزيد بن معاوية.

أمّا بعد، فقد بلغني كتابك بذكر دعاء ابن الزبير إيّاي إلى نفسه وامتناعي عليه في الذي دعاني إليه من بيعته؛ فان يك ذلك كما بلغك فلست حمدك أردت ولاودّك ؛ ولكن الله بالذي أنوي عليهم. وزعمت أنك لست بناسٍ ودّي، فلعمري ماتؤتينا ممّا في يديك من حقّنا إلاّ القليل، وإنّك لتحبس عنّا منه العريض الطويل! وسألتني أن أحثّ الناس عليك وأخذلهم عن ابن الزبير، فلا،ولاسروراً ولاحبوراً! وأنت قتلت «الحسين بن عليّ» بفيك الكثكث ولك الأُثلب؛ إنّك إن تمنّيك نفسك ذلك لعازب الرأي، وإنّك لأنت المفند المهوّر؛ لاتحسبني لاأباً لك !

نسيت قتلك حسيناً وفتيان بني عبدالمطلب مصابيح الدجى ونجوم الأعلام؟ غادرهم جنودك مصرّعين في الصعيد مرمّلين بالتراب مسلوبين بالعراء لامكفّنين، تسفي عليهم الرياح وتعاورهم الذئاب وتنتابهم عرج الضباع، حتى أتاح الله لهم أقواماً لم يشتركوا في دمائهم، فاجنوهم في أكفانهم. وبي والله وبهم عززت وجلست مجلسك الذي جلست يايزيد!

ومـاأنس من الأشياء فلست بناسٍ تسليطك الدعيّ العاهر ابن العاهر البعيد رحماً اللئيم أباً وامّاً الذي في أدّعاء أبيك إيّاه مااكتسب أبوك به إلاّ العار والخزي والمذلّة في الآخرة والاولى وفي الممات والمحيا. إنّ نبيّ الله قال: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» فألحقه بأبيه كما يلحق بالعفيف النقيّ ولده الرشيد. وقد أمات أبوك السنّة جهلاً وأحيا البدع والأحداث المضلّة عمداً.

ومـاأنسَ من الأشياء، فلست بناسٍ إطرادك «الحسين بن عليّ» من حرم رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى حرم الله ودسّك إليه الرجال تغتاله،

فأشخصته من حرم الله إلى الكوفة، فخرج منها خائفاً يترقّب؛ وقد كان أعزّ أهل البطحاء بالبطحاء قديماً، وأعزّ أهلها بها حديثاً، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين لو تبوّأ بها مقاماً واستحلّ بها قتالاً؛ ولكن كره أن يكون هو الذي يستحلّ حرمة البيت وحرمة رسول الله صلّى الله عليه وآله فأكبر من ذلك مالم تكبر، حيث دسست إليه الرجال فيها ليقاتل في الحرم؛ ومالم يكبر ابن الزبير، حيث ألحد بالبيت الحرام وعرضه للعائر وأراقل العالم. وأنت لأنت المستحلّ فيما أظنّ بل لاشكّ فيه أنّك للمحرّف العريف، فانّك حلف نسوة صاحب ملاه؛ فلما رأى سوء رأيك شخص إلى العراق ولم يتبغك ضراباً وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

ثمّ إنّك الكاتب إلى ابن مرجانة أن يستقبل حسيناً بالرجال، وأمرته بمعاجلته وترك مطاولته والإلحاح عليه حتى يقتله ومن معه من بني عبد المطلب، أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؛ فنحن اولئك لسنا كآبائك الأجلاف الجفاة الأكباد الحمير.

ثمّ طلب الحسين بن عليّ إليه الموادعة وسألهم الرجعة، فاغتنمتم قلّة أنصاره واستئصال أهل بيته فعدوتم عليهم؛ فقتلوهم كأنّما قتلوا أهل بيت من الترك والكفر.

فلا شيء عندي أعجب من طلبك ودّي ونصري وقد قتلت بني أبي وسيفك يقطر من دمي! وأنت آخذ ثاري؛ فان يشأ الله لايطل لديك دمي ولا تسبقني بثأري، وإن سبقتني به في الدنيا فقبلنا ماقتل النبيّون وآل النبيّين، وكان الله الموعد وكفى به للمظلومين ناصراً ومن الظالمين منتقماً؛ فلا يعجبنّك إنّ ظفرت بنا اليوم، فوالله لنظفرنّ بك يوماً.

فأمّا ماذكرت من وفائي ومازعمت من حقّي: فان يك ذلك كذلك، فقد والله بايعت أباك وإنّي لأعلم أنّ بني عمّي وجميع بني أبي أحقّ بهذا الأمر من

أبيك ؛ ولكنكم ـ معاشرقريش ـ كاثرتمونا فاستأثرتم علينا سلطاننا ودفعتمونا عن حقّنا، فبعداً على من اجترأ على ظلمنا واستغوى السفهاء علينا وتولّى الأمر دوننا! فبعداً لهم كما بعدت ثمود وقوم لوطٍ وأصحاب مدين ومكذّبوا المرسلين!.

ألا ومن أعجب الأعاجيب وماعشت أراك الدّهر العجيب حملك بنات عبدالمطلب وغلمة صغاراً من ولده إليك بالشام كالسبي المجلوب، تُري الناس أنّك قهرتنا وأنّك تأمّرت علينا!

ولعمري، لئن كنت تمشي وتصبح آمناً لجرح يدي إنّي لأرجو أن يعظم جراحك بلساني ونقضي وإبرامي؛ فلا يستغربك الجذل، ولايمهلك الله بعد قتلك عترة رسول الله صلّى الله عليه وآله إلاّ قليلاً حتىّ يأخذك أخذاً أليماً، فيخرجك الله من الدنيا ذميماً أثيماً. فعش لاأباً لك! فقد والله أرداك عندالله مااقترفت. والسلام على من أطاع الله[1].

(٣٣)

بنو هاشم مع معاوية

حجّ معاوية سنة (٤٤)... ولمّاصارإلى المدينة أتاه جماعة من بني هاشم وكلّموه في امورهم، فقال: أما ترضون يابني هاشم أن نقرّ عليكم دماءكم؟ وقد قتلتم عثمان حتى تقولوا ماتقولون؛ فوالله لأنتم أجلّ دماً من كذا وكذا وأعظم في القول.

فقال له ابن عباس: كلّما قلت لنا يامعاوية من شرٍّ بين دفّتيك، وأنت

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ج٢ ص٧٧. وتذكرة السّبط: ص٢٧٥ عن الواقدي وابن هشام وابن اسحق وقال في آخره: فلمّا قرأ يزيد كتابه أخذته العزّة بالإثم وهمّ بقتل ابن عبّاس، فشغله عنه أمر ابن الزّبير، ثمّ أخذه الله بعد ذلك بيسير أخذاً عزيزاً. والبحار: ج٤٥ ص٣٢٣-٣٢٤.

والله أولى بذلك منّا ! أنت قتلت عثمان، ثمّ قمت تغمص على الناس أنّك تطلب بدمه؛ فانكسر معاوية.

فقال ابن عبّاس: والله ما رأيتك صدقت إلاّ فزعت وانكسرت.

قال فضحك معاوية، وقال: والله ما أحبّ أنّكم لم تكونوا كلّمتموني[١].

(٣٤)

عبدالله بن عباس مع معاوية

وفد عبدالله بن عبّاس على معاوية، قال: فوالله إنّي لفي المسجد إذ كبّر معاوية في الخضراء؛ فكبّر أهل الخضراء، ثمّ كبّر أهل المسجد تكبير أهل الخضراء؛ فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبدمناف من خوخة لها، فقالت: سرّك الله ياأميرالمؤمنين ماهذا الذي بلغك فسررت به؟ قال: موت الحسن بن عليّ! فقالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! ثمّ بكت وقالت: مات سيّد المسلمين وابن بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم. فقال معاوية: نعمّا والله مافعلت، إنّه كان كذلك أهلاً أن تبكي عليه.

ثمّ بلغ الخبر ابن عباس رضي الله عنهما فراح فدخل على معاوية قال: علمت ياابن عبّاس أنّ الحسن توفّى؟ قال: ألذلك كبّرت؟ قال: نعم. قال: [أما] والله ما موته بالذي يؤخّر أجلك، ولاحفرته بسادّة حفرتك؛ ولئن أصبنا به فقد أصبنا قبله بسيد المرسلين وإمام المتّقين ورسول ربّ العالمين، ثمّ بعده سيد الاوصياء؛ فجبر الله تلك المصيبة ورفع تلك العثرة.

فقال: ويحك ياابن عباس! ماكلّمتك [قطّ] إلّا وجدت معدّاً[٢].

---

(١) تأريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٢٢.

(٢) مروج الذهب: ج٣ ص٨، في نسخة دار الهجرة ج٢، ص٤٣٠.

(٣٥)
ابن عباس مع معاوية

في الأمالي للسيّد: ولمّا أتى معاوية نعي الحسن بن علي عليهم السلام بعث إلى ابن عبّاس رضي الله عنه وهو لايعلم الخبر؛ فقال له: هل عندك خبر من المدينة؟ قال: لا، قال أتانا نعي الحسن وأظهر سروراً!

فقال ابن عبّاس: إذاً لاينسأ في أجلك ولا تسدّ حفرتك. قال: أحسبه قد ترك صبيته صغاراً، قال: كلّنا كان صغيراً وكبر. قال: وأحسبه قد كان بلغ سنّاً، قال: مثل مولده لايجهل. قال معاوية: وقال قائل: إنّك أصبحت سيّد قومك، قال: وأمّا أبو عبد الله الحسين بن عليّ حيّ فلا[1].

(٣٦)
عبدالله مع معاوية

إنّ معاوية مرّ بحلقة من قريش، فلمّا رأوه قاموا غير عبد الله بن عبّاس؛ فقال له: ياابن عبّاس، مامنعك من القيام كما قام أصحابك إلاّ لموجدة أنّي قاتلتكم بصفّين! فلا تجد من ذلك ياابن عبّاس فانّ عثمان قتل مظلوماً! قال ابن عبّاس: فعمر بن الخطّاب قد قتل مظلوماً؟ قال: عمر قتله كافر. قال ابن عباس: فمن قتل عثمان؟ قال قتله المسلمون. قال: فذاك أدحض لحجّتك.

قال: فانّا قد كتبنا في الآفاق ننهي عن ذكر مناقب عليّ وأهل بيته عليهم السلام فكفّ لسانك. فقال: يامعاوية! أتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال: لا، قال: أفتنهانا عن تأويله؟ قال: نعم. قال: فنقرأه ولا نسأل عما عنى الله

---

(١) يوجد في البحار: ج٤٤ ص١٥٩ عن ربيع الأبرار للزمخشري والعقد الفريد. وملحقات إحقاق الحق ج١١ ص١٨١ عن مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٧٨. وتاريخ الخميس ج٢ ص٢٩٣. وتاريخ الاسلام والرجال قريباً ممّا مرّ. وسيأتي بلفظ آخر في ج٢ ص٦١ عن الموفقيات.

به! ثمّ قال: فأيّهما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟ قال: العمل به . قال: كيف نعمل به ولا نعلم ماعنى الله؟ قال: سل عن ذلك من يتأوّله على غير ماتتأوّله أنت وأهل بيتك . قال: إنّما انزل القرآن على أهل بيتي أنسأل عنه آل أبي سفيان؟. يامعاوية أتنهانا أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من حلال وحرام؟ فان لم تسأل الامّة عن ذلك حتى تعلم تهلك وتختلف!

قال أقرؤا القرآن وتأوّلوه، ولا تروو ا شيئاً مّما أنزل الله فيكم وارووا ماسوى ذلك . قال: فانّ الله يقول في القرآن: «يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون».

قال: ياابن عبّاس! اربع على نفسك وكفّ لسانك ، وإن كنت لابدّ فاعلاً فليكن ذلك سرّاً لايسمعه أحد علانية.

ثمّ رجع إلى بيته فبعث إليه بمائة ألف درهم[1].

(٣٧)
عبدالله بن عباس مع معاوية

حضر عبدالله بن عباس مجلس معاوية ابن أبي سفيان، فأقبل عليه معاوية، فقال: ياابن عبّاس، إنّكم تريدون أن تحرزوا الإمامة كما اختصصتم بالنبوّة، والله لا يجتمعان أبداً؛ إنّ حجّتكم في الخلافة مشتبهة على الناس، إنكم تقولون: نحن أهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله فما بال خلافة النبوّة في غيرنا؟ وهذه شبهة، لأنّها تشبه الحقّ وبها مسحة من العدل؛ وليس الأمر كما تظنّون، إنّ الخلافة تنقلب في أحياء قريش برضى العامّة وشورى الخاصّة؛ ولسنا نجد الناس يقولون: ليت بني هاشم ولّونا ولو ولّونا كان خيراً لنا في دنيانا وأُخرانا؛

---

(١) الاحتجاج: ج٢ ص١٥ ط نجف. والبحار: ج٤٤ ص١٢٤ ونقل صدره في البحار ج٨ ص٥٣٤ ط الكمباني عن الكشف عن الموفقيات.

ولو كنتم زهدتم فيها أمس كما تقولون ماقاتلتم عليها اليوم؛ والله لو ملكتموها يابني هاشم لما كانت ريح عاد ولاصاعقة ثمود بأهلك للناس منكم!

فقال ابن عباس رحمه الله: أمّا قولك يامعاوية: إنا نحتجّ بالنبوّة في استحقاق الخلافة فهو والله كذلك، فانّ لم يستحقّ الخلافة بالنبوّة فبم يستحق؟.

وأمّا قولك: إنّ الخلافة والنبوّة لايجتمعان لأحد، فأين قول الله عزّوجلّ: «أم يحسدون الناس على ماآتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً» فالكتاب هو النبوّة، والحكمة هي السنّة، والملك هو الخلافة؛ فنحن آل إبراهيم والحكم بذلك جارٍ فينا إلى يوم القيامة.

وأمّا دعواك على حجتّنا أنّها مشتبهة: فليس كذلك، وحجّتنا أضوأ من الشمس وأنور من القمر، كتاب الله معنا، وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله فينا؛ وإنّك لتعلم ذلك، ولكن ثنى عطفك وصعّرك قتلنا أخاك وجدّك وخالك وعمّك، فلا تبك على أعظمٍ حائلة وأرواحٍ في النّار هالكة، ولا تغضبوا لدماء أراقها الشرك وأحلها الكفر ووضعها الدين.

وأمّا ترك تقديم الناس لنا فيا خلا وعدولهم عن الإجماع علينا: فما حرموا منّا أعظم ممّا حرمنا منهم. وكلّ أمرٍ إذا حصل حاصله ثبت حقّه وزال باطله.

وأمّا افتخارك بالملك الزائل الذي توصّلت إليه بالمحال الباطل: فقد ملك فرعون من قبلك فأهلكه الله. وماتملكون يوماً يابني أُميّة إلاّ ونملك بعدكم يومين، ولا شهراً إلاّ ملكنا شهرين، ولاحولاً إلّا ملكنا حولين.

وأمّا قولك إنّا لو ملكنا كان أهلك للناس من ريح عاد وصاعقة ثمود: فقول الله يكذبك في ذلك، قال الله عزّوجلّ «وماأرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين» فنحن أهل بيته الأدنون. وظاهر العذاب بتملّكك رقاب المسلمين ظاهر للعيان؛ وسيكون من بعدك تملّك ولدك وولد أبيك أهلك للخلق من الريح

العقيم. ثمّ ينتقم الله بأوليائه ويكون العاقبة للمتقين(١).

(٣٨)

أياس مع عبدالرحمن

عن عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، قال: كان أياس بن معاوية لي صديقاً، فدخلنا على عبدالرحمن بن القاسم ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وعنده جماعة من قريش يتذاكرون السلف؛ ففضّل قوم أبابكر وقوم عمر وآخرون علياً رضي الله عنهم أجمعين فقال: أياس إنّ علياً رحمه الله كان يرى أنّه أحقّ بالأمر؛ فلمّا بايع الناس أبابكر ورأى أنّهم قد اجتمعوا عليه وأنّ ذلك قد أصلح العامّة، اشترى صلاح العامّة بنقض رأي الخاصّة ،يعني بني هاشم. ثمّ ولي عمر ـ رحمه الله ـ ففعل مثل ذلك به وبعثمان رضي الله عنه فلمّا قتل عثمان رحمه الله فاختلف الناس وفسدت الخاصّة والعامّة وجد أعواناً فقام بالحقّ ودعا إليه(٢).

(٣٩)

سعيد مع عمر بن عليّ

عن أبي داود الهمداني، قال: شهدت سعيد بن المسيّب، وأقبل عمر بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام فقال له سعيد: ياابن أخي، ماأراك تكثر غشيان مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله كما يفعل إخوتك وبنو عمّك ؟ فقال عمر: ياابن المسيّب، كلما دخلت فأجيئ فاشهدك ؟ فقال سعيد: ماأحبّ أن تغضب، سمعت والدك علياً يقول: والله، إنّ لي من الله مقاماً لهو

(١) البحار: ج٤٤ ص١١٧ـ١١٨ عن مجالس المفيد ره وكشف الغمة: ١٢٦ وج٨ ص٥٣٣ـ٥٣٤ مع اختلاف أوجب إيراده فيما بعد.

(٢) المحاسن للبيهقي: ج١ ص٧٥.

خير لبني عبد المطلب ممّا على الأرض من شيء؛ فقال عمر: سمعت والدي يقول: مامن كلمة حكمة في قلب منافق فيخرج من الدنيا حتى يتكلّم بها [فقال سعيد: ياابن اخي جعلتني منافقاً!] قال: ذاك ماأقول لك، ثمّ انصرف(١).

(٤٠)

مالك بن العجلان مع معاوية

قال معاوية يوماً وعنده أشراف الناس من قريش وغيرهم: أخبروني بخير الناس أباً وامّاً، وعمّاً وعمّةً، وخالاً وخالةً، وجداً وجدّةً؟.

فقام مالك بن العجلان، فأومأ إلى الحسن، فقال: هاهو ذا، أبوه عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه وامّه فاطمة بنت رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم وعمّه جعفر الطيّار في الجنان، وعمّته امّ هاني بنت أبي طالب، وخاله القاسم ابن رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلم وخالته بنت رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلم زينب، وجدّه رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وجدّته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فسكت القوم، ونهض الحسن.

فأقبل عمرو بن العاص على مالك، فقال أحبّ بني هاشم حملك على أنّ تكلّمت بالباطل؟ فقال ابن العجلان: ماقلت إلاّ حقّاً؛ وماأحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق إلاّ لم يعط امنيته في دنياه وختم له بالشقاء في آخرته. بنو هاشم أنضرهم عوداً وأوراهم زنداً، كذلك يامعاوية؟ قال: اللهم نعم(٢).

---

(١) الغارات: ج٢ ص٥٧٩.

(٢) محاسن البيهقي:ج١ ص١٣١.

(٤١)

حرّةبنت حليمة مع الحجّاج

روي عن جماعة ثقاتٍ أنّه لمّا وردت حرّة بنت حليمة السعدية رضي الله عنها على الحجّاج بن يوسف الثقفي ومثلت بين يديه، فقال لها: أنت حرّة بنت حليمة السعدية؟ فقالت له: فراسة من غير مؤمن! فقال لها: الله جاء بك؛ فقد قيل عليك: إنّك تفضّلين علياً على أبي بكر وعمر وعثمان.

قالت: لقد كذب الذي قال: إنّي افضله على هؤلاء خاصّة. قال: وعلى من غير هؤلاء؟ قالت: افضّله على آدم ونوح ولوط وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى بن مريم!

فقال لها: أقول لك إنّك تفضّليه على الصحابة فتزيدين عليهم سبعةً من الأنبياء من أُولي العزم! فان لم تأتيني ببيان ماقلت وإلّا ضربت عنقك.

فقالت: ماأنا فضّلته على هؤلاء الأنبياء، بل الله عزّوجلّ فضّله في القرآن عليهم في قوله تعالى في حقّ آدم: «فعصى آدم ربّه فغوى» وقال في حقّ علي: «وكان سعيه مشكورا».

فقال: أحسنت ياحرّة، فبم تفضّليه على نوح ولوط؟قالت: الله تعالى فضّله عليها بقوله: «ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما» وعليّ بن أبي طالب كان ملائكة (ملاكه ظ) تحت سدرة المنتهى زوجته بنت محمّد صلّى الله عليه وآله فاطمة الزهراء التي يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها.

فقال الحجّاج: أحسنت ياحرّة، فبم تفضّلينه على أب الأنبياء إبراهيم خليل الله؟ فقالت: الله ورسوله فضّله بقوله: «وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبي» وأميرالمؤمنين قال قولاً لم

يختلف فيه أحد من المسلمين: «لو كشف لي الغطاء ماازددت يقيناً» وهذه كلمة لم يقلها قبله ولابعده أحد.

قال: أحسنت ياحرّة، فبم تفضّلينه على موسى نجيّ الله؟ قالت: يقول الله عزّوجلّ: «فخرج منها خائفاً يترقّب» وعليّ بن أبي طالب بات على فراش رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله لم يخف حتى أنزل الله في حقه «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله».

قال أحسنت يا حرّة، قال: فبم تفضلينه على داود؟ قالت: الله فضّله عليه بقوله: «ياداود إنّا جعلناك خليفةً في الأرض فاحكم بين الناس بالحقّ ولا تتّبع الهوى» قال لها: في أيّ شيء كانت حكومته؟ قالت: في رجلين: أحدهما كان له كرم وللآخر غنم، فنفشت الغنم في الكرم فرعته، فاحتكما إلى داود، فقال: تباع الغنم وينفق ثمنها على الكرم حتى يعود إلى ماكان عليه؛ فقال له ولده: لاياأبة، بل نأخذ من لبنها وصوفها؛ فقال الله عزّوجلّ: «ففهّمناها سليمان» وإنّ مولانا أميرالمؤمنين رضي الله عنه قال: «اسألوني عمّا فوق، اسألوني عمّا تحت، اسألوني قبل أن تفقدوني» وانّه-رضي الله عنه-دخل على النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله يوم فتح خيبر، فقال النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله للحاضرين: «أفضلكم وأعلمكم عليّ».

فقال لها: أحسنت ياحرّة، فبم تفضّلينه على سليمان؟ قالت: الله فضّله عليه بقوله: «ربّ هب ليّ ملكاً لاينبغي لأحدٍ من بعدي» ومولانا عليّ-رضي الله عنه-قال: «يادنيا قد طلّقتك ثلاثاً، لارجعة لي فيك» فعند ذلك أنزل الله عليه «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علواً في الأرض ولافساداً».

قال: أحسنت ياحرّة، فبم تفضّيلنه على عيسى؟ قالت: الله فضّله عليه بقوله: «وإذ قال الله ياعيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتّخذوني وأُميّ إلهين من دون الله قال سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحقٍّ إن كنت قلته

فقد علمته تعلم مافي نفسي ولاأعلم مافي نفسي إنّك أنت علّام الغيوب» إلى آخر الآية، فأخّر الحكومة؛ ومولانا عليّ بن أبي طالب لمّا ادّعى النصيريّة فيه ماادّعوا وهم أهل النهروان قاتلهم، ولم يؤخّر حكومتهم.

فهذه كانت فضائله، لا تعدل بفضائل غيره.

قال: أحسنت ياحرّة، خرجت من جوابك، ولولا ذلك لكان ذلك؛ ثمّ أجازها وأعطاها وسرّحها تسريحاً (رحمة الله عليها)[1].

(٤٢)
غانمة مع معاوية

قيل: ولمّا بلغ غانمة بنت غانم سبّ معاوية وعمرو بن العاص بني هاشم، قالت لأهل مكّة: أيّها الناس، إنّ قريشاً لم تلد من رقم ولارُقم، سادت وجادت، وملكت فملكت، وفضّلت ففضلت، واصطفيت فاصطفت، ليس فيها كدر عيب ولا أفن ريب، ولاحشروا طاعنين، ولاحادوا نادمين، ولاالمغضوب عليهم ولاالضالّين.

إنّ بني هاشم أطول الناس باعاً، وأمجد الناس أصلاً، وأحلم الناس حلماً، وأكثر الناس عطاءً، منّا عبدمناف الذي يقول فيه الشاعر:

كانت قريش بيضةً فتفلّقت فالمخّ خالصها لعبد مناف

وولده هاشم الذي هشم الثريد لقومه، وفيه يقول الشاعر:

هشم الثريد لقومه وأجارهم ورجال مكة مسنتون عجاف

ثمّ منّا عبدالمطلب الذي سقينا به الغيث، وفيه يقول الشاعر:

ونحن سنيّ المحل قام شفيعنا بمكّة يدعو والمياه تغور

---

(١) ملحقات إحقاق الحقّ: ج٥ ص٤٧ عن درّبحر المناقب. والبحار: ج٤٦ ص١٣٤ عن فضائل بن شاذان والروضة. وقاموس الرجال: ج١٠ ص٤١٥.

وابنه أبو طالب عظيم قريش، وفيه يقول الشاعر:

آتيته ملكاً فقام بحاجتي وترى العُليّج خائباً مذموماً

ومنّا العباس بن عبد المطلب، أردفه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فأعطاه ماله، وفيه يقول الشاعر:

رديف رسول الله لم أر مثله ولا مثله يوم القيامة يوجد

ومنّا حمزة سيّد الشهداء، وفيه يقول الشاعر:

أبا يعلى لك الأركان هدّت وأنت الماجد البرّ الوصول

ومنّا جعفر ذو الجناحين أحسن الناس حسناً وأكملهم كمالاً ليس بغدّارٍ ولا ختّار، بدّله الله جلّ وعزّ بكلّ يدٍ له جناحاً يطير به في الجنّة، وفيه يقول الشاعر:

هاتوا كجعفرنا ومثل عليّنا كانا أعزّ الناس عند الخالق

ومنّا أبو الحسن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أفرس بني هاشم، وأكرم من احتفى وتنعّل بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ومن فضائله ماقصر عنكم أنباؤها، وفيه يقول الشاعر:

وهذا عليّ سيّد الناس فاتّقوا عليّاً بإسلام تقدّم من قبل

ومنّا الحسن بن عليّ رضي الله عنه سبط رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وسيّد شباب أهل الجنّة، وفيه يقول الشاعر:

ومن يك جدّه حقّاً نبيّاً فانّ له الفضيلة في الأنام

ومنّا الحسين بن عليّ رضوان الله عليه حمله جبرئيل عليه السلام على عاتقه، وكفى بذلك فخراً، وفيه يقول الشاعر:

نفى عنه عيب الآدميّين ربّه ومن مجده مجد الحسين المطهّر

ثمّ قالت: يامعشر قريش، والله مامعاوية بأمير المؤمنين ولا هو كما يزعم؛ هو والله شانئ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم إنّي آتية معاوية، وقائلة له

مايعرق جبينه ويكثر منه عويله.

فكتب عامل معاوية إليه بذلك؛ فلمّا بلغه أنّ غانمة قد قربت منه أمر بدار ضيافته فنظفت وألقي فيها فرش، فلمّا قربت من المدينة استقبلها يزيد في حشمه ومماليكه؛ فلمّا دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن غانم؛ فقال لها يزيد: إنّ عبدالرحمن يأمرك أن تصيري إلى دار ضيافته ـ وكانت لا تعرفه ـ فقالت: من أنت كلأك الله؟ قال: يزيد بن معاوية، قالت: فلا رعاك الله ياناقص لست بزائد! فتغير لون يزيد وأتى أباه فأخبره، فقال: هي أسنّ قريش وأعظمهم؛ فقال يزيد كم تعدّ لها ياأميرالمؤمنين؟ قال: كانت تعدّ على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله أربعمائة عام، وهي من بقيّة الكرام.

فلمّا كان من الغد أتاها معاوية، فسلّم عليها، فقالت: على المؤمنين السلام وعلى الكافرين الهوان.

ثمّ قالت: من منكم ابن العاص؟ قال عمرو: هاأنذا؛ فقالت: وأنت تسبّ قريشاً وبني هاشم؟ وأنت والله أهل السبّ وفيك السبّ وإليك يعود السبّ ياعمرو! إنّي والله لعارفة بعيوبك وعيوب أُمّك وإنّي أذكر لك ذلك عيباً عيباً:

ولدت من أمة سوداء، مجنونة حمقاء، تبول من قيام، ويعلوها اللئام، إذا لامسها الفحل كانت نطفتها أنفذ من نطفته، ركبها في يوم واحد أربعون رجلاً!!! وأمّا أنت: فقد رأيتك غاوياً غير راشد، ومفسداً غير صالح؛ ولقد رأيت فحل زوجتك على فراشك، فما غرت ولاأنكرت!

وأمّا أنت يامعاوية، فما كنت في خير، ولاربّيت في خير؛ فما لك ولبني هاشم؟ أنساء بني أُميّة كنسائهم؟ أم أعطى أُميّة ماأعطى هاشم في الجاهلية والإسلام؟ وكفى فخراً برسول الله صلّى الله عليه وآله.

فقال معاوية: أيّتها الكبيرة، أنا كافّ عن بني هاشم؛ قالت فانّي: أكتب

إليك عهداً؛ كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم دعا ربّه أن يستجيب لي خمس دعوات، أفأجعل تلك الدعوات كلّها فيك؟ فخاف معاوية وحلف لها أن لايسبّ بني هاشم أبداً[١].

(٤٣)

أُمّ سلمة مع عائشة

روي عن عائشة رضي الله عنها أنها دخلت على امّ سلمة بعد رجوعها من وقعة الجمل، وقد كانت أُمّ سلمة حلفت أن لا تكلّمها أبداً من أجل مسيرها إلى محاربة عليّ بن أبي طالب. فقالت عائشة: السلام عليك ياأُمّ المؤمنين، فقالت: ياحائط، ألم أنهك ألم أقر لك؟. قالت عائشة: فإنّي أستغفر الله وأتوب إليه، كلّميني ياأُمّ المؤمنين! قالت: ياحائط! ألم أقل لك ألم أنهك؟ فلم تكلّمها حتى ماتت. وقامت عائشة وهي تبكي وتقول: واأسفاه! على مافرّط منّي[٢].

(٤٤)

أبو عليّ

عن أبي عليّ المحمودي، عن أبيه، قال: قلت لأبي الهذيل العلّاف:إنّي أتيتك سائلاً. قال أبوالهذيل: سل وأسأل الله العصمة والتوفيق.

فقال أبي: أليس من دينك أنّ العصمة والتوفيق لايكونان من الله لك إلّا بعمل تستحقّه به؟ قال: ابو الهذيل: نعم. قال: فما معنى دعاؤك اعمل وخذ؟ قال له أبو الهذيل: هات سؤالك.

فقال له: شيخي، خبّرني عن قول الله عزّوجلّ: «اليوم أكملت لكم دينكم»، قال أبو الهذيل: قد أكمل لنا الدين. فقال شيخي، فخبّرني أن

(١) المحاسن للبيهقي: ج١ ص١٤٥-١٤٩.

(٢) المحاسن للبيهقي: ج١ ص٤٨١.

أسألك عن مسألة لاتجدها في كتاب الله ولافي سنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله ولافي قول الصحابة ولافي حيلة فقهائهم ماأنت صانع؟ فقال: هات، فقال: شيخي، خبّرني عن عشرة كلّهم عنيّن وقعوا في طهرٍ واحدٍ بامرأةٍ وهم مختلف الأمر، فنهم من وصل إلى نصف حاجته، ومنهم من قارب حسب الإمكان منه؛ هل في خلق الله اليوم من يعرف حدّ الله في كلّ رجل منهم مقدار ماارتكب من الخطيئة فيقيم عليه الحدّ في الدنيا ويطهّره منه في الآخرة؟ ولنعلم ماتقول في أنّ الدين قد أكمل لك؛ فقال: هيهات![1].

(٤٥)

إسماعيل ابن الصادق عليه السلام مع القاسم بن محمد

كان القاسم بن محمّد بن يحيى بن طلحة بن عبيدالله التيمي ـ يلقب أبا بعرة وليَ شرطة الكوفة لعيسى بن موسى بن محمّد بن عليّ بن عبدالله بن العباس ـ كلّم إسماعيل بن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام بكلام خرجا فيه إلى المنافرة؛ فقال القاسم بن محمّد:

لم يزل فضلنا وإحساننا سابغاً عليكم ـ يابني هاشم ـ وعلى بني عبدمناف كافّة. فقال إسماعيل: أيّ فضل وإحسان أسديتموه إلى بني عبدمناف؟ أغضب أبوك جدّي بقوله: «ليموتن محمّد ولنجولنّ بين خلاخيل نسائه كما جال بين خلاخيل نسائنا» فأنزل الله تعالى مراغماً لأبيك «وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ولاأن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً»! ومنع ابن عمّك امّي حقّها من فدك وغيرها من ميراث أبيها! وأجلب أبوك على عثمان وحصره حتى قتل! ونكث بيعة عليّ وشام السيف في وجهه وأفسد قلوب المسلمين عليه! فان كان لبني عبدمناف قوم غير هؤلاء أسديتم إليهم إحساناً فعرّفني من هم

---

(١) البحار: ج٤٩ ص٢٨٢.

جعلت فداك ![١].

(٤٦)

كلام لقيس بن سعد مع معاوية

قال اليعقوبي في ذكر صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان لعنه الله: وأتاه قيس بن سعد بن عبادة، فقال: بايع قيس! قال: إن كنت لأكره مثل هذا اليوم يامعاوية! فقال له: مه رحمك الله! فقال: لقد حرصت أن أفرّق بين روحك وجسدك قبل ذلك، فأبى الله ياابن أبي سفيان إلّا ماأحبّ. قال: فلا يردّ أمر الله.

قال: فأقبل قيس على الناس بوجهه، فقال:

يامعاشر الناس، لقد اعتضتم الشرّ من الخير واستبدلتم الذلّ من العزّ والكفر من الإيمان، فأصبحتم بعد ولاية أميرالمؤمنين وسيّد المسلمين وابن عمّ رسول ربّ العالمين، وقد وليكم الطليق يسومكم الخسف ويسيرفيكم بالعسف؛ فكيف تجهل ذلك أنفسكم؟ أم طبع الله على قلوبكم وأنتم لا تعقلون؟.

فجثا معاوية على ركبتيه ثمّ أخذ بيده وقال: أقسمت عليك، ثمّ صفّق على كفّه، ونادى الناس: بايع قيس! فقال: كذبتم والله! مابايعت[٢].

(٤٧)

قيس بن سعد مع معاوية

قال معاوية لقيس بن سعد: رحم الله أبا حسن، فلقد كان هشّاً بشّاً ذا فكاهة.

قال قيس: نعم كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله يمزح ويتبسّم إلى

---

(١) ابن أبي الحديد: ج٩ ص٣٢٣-٣٢٤.

(٢) وتجد القصة في الغدير: ج٢ ص١٠٤.

أصحابه؛ وأراك تسرّ حسواً في ارتغاء وتعيبه بذلك. أما والله، لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قدمسّه الطوى؛ تلك هيبة التقوى وليس كما يهابك طغام أهل الشام[1].

(٤٨)

قيس مع معاوية

قال المسعودي في مروج الذهب في أحوال معاوية:

دخل قيس بن سعد بعد وفاة عليّ ووقوع الصلح في جماعة من الأنصار على معاوية؛ فقال لهم معاوية: يامعشر الأنصار، بم تطلبون ماقبلي؟ فوالله لقد كنتم قليلاً معي كثيراً عليّ، ولفللتم حدّي يوم صفّين حتى رأيت المنايا تلظّى في أسنّتكم، وهجوتموني في [أسلافي] بأشدّ من وقع الأسنّة؛ حتى إذا أقام الله ماحاولتم ميله قلتم: إرع [فينا] وصيّة رسول الله صلّى الله عليه وآله هيهات! يأبى الحقين العذرة يأبى الحقير القدرة ذر

فقال قيس: نطلب ماقبلك بالإسلام الكافي به الله، لابما تمتّ به إليك الأحزاب. وأمّا عداوتنا لك فلو شئت كففتها عنك. وأمّا هجاؤنا إيّاك ، فقول يزول باطله ويثبت حقّه. وأمّا استقامة الأمر فعلى كرهٍ كان منّا.

وأمّا فلّنا حدّك يوم صفّين، فانّا كنّا مع رجل نرى طاعته لله طاعة. وأمّا وصيّة رسول الله بنا، فمن آمن به رعاها بعده. وأمّا قولك:يأبى الحقين العذرة، فليس دون الله يد تحجزك منّا يامعاوية! فقال معاوية يموه: ارفعوا حوائجكم.

نقله في العقد الفريد[2] باختلاف قليل، وزاد بعد قوله «يد تحجزك عنّا يا معاوية» فدونك امرك يامعاوية! فانّما مثلك كما قال الشاعر:

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج١ ص٢٥ الطبعة الحديثة المصرية.

(٢) العقد الفريد: ج٤ ص٣٤.

يـــالـــكِ مـــن قـــبّـــرةٍ بمـــعـــمـــرِ   خلا لك الجوّ فبيضي واصفري[١].

(٤٩)

قيس مع النعمان

قال نصر: ثمّ إنّ معاوية سأل النعمان أن يخرج إلى قيس فيعاتبه ويسأله السلم، فخرج النعمان حتى وقف بين الصفَّين؛ فقال: ياقيس، أنا النعمان بن بشير. فقال قيس: هيه يابن بشير! فما حاجتك؟ فقال النعمان: ياقيس، إنّه قد أنصفكم من دعاكم إلى مارضي لنفسه؛ ألستم معشر الأنصار تعلمون أنكم أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار؟ وقتلتم أنصاره يوم الجمل؟ وأقحمتم خيولكم على أهل الشام بصفّين؟ فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم عليّاً لكانت واحدة بواحدة، ولكنّكم خذلتم حقّاً ونصرتم باطلاً؛ ثمّ لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتى أعلمتم في الحرب ودعوتم إلى البراز، ثمّ لم ينزل بعليّ أمر قطّ إلّا هوّنتم عليه المصيبة ووعدتموه الظفر؛ وقد أخذت الحرب منّا ومنكم ماقد رأيتم، فاتقوا الله في البقية!.

فضحك قيس، ثمّ قال: ماكنت أراك يانعمان تجترئ على هذه المقالة! إنّه لاينصح أخاه من غشّ نفسه، وأنت والله الغاش الضالّ المضلّ.

امّا ذكرك عثمان: فان كانت الأخبار تكفيك فخذها مني، قتل عثمان من لست خيراً منه وخذله من هو خير منك. وأمّا أصحاب الجمل: فقاتلناهم على النكث. وأمّا معاوية: فوالله لئن اجتمعت عليه العرب [قاطبة] لقاتلته الأنصار.

وأمّا قولكَ: إنّا لسنا كالناس، فنحن في هذه الحرب كما كنّا مع رسول الله نتّقي السيوف بوجوهنا والرّماح بنحورنا حتى جاء الحقّ وظهر أمر الله وهم

(١) راجع الغدير: ج٢ ص١٠٥ عن الامتاع والمؤانسة ج٣ ص١٧٠، والعقد، والمروج.

كارهون.

ولكن انظر يانعمان، هل ترى مع معاوية إلاّ طليقاً أو أعرابيّاً أو يمانيّاً مستدرجاً بغرور! انظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه؟ ثمّ انظر هل ترى مع معاوية أنصاراً غيرك وغير صويحبك؟ ولستما والله، ببدريّين [ولاعقبيّين] ولاأُحُديّين، ولالكما سابقة في الإسلام ولاآية في القرآن، ولعمري، لئن شغبت علينا لقد شغب علينا أبوك !

وقال قيس في ذلك:

والراقصات بكلّ أشعث أغبر ... خوص العيون تحثّها الرّكبان
مابن المخلّد ناسياً أسيافنا ... فيمن نحاربه ولاالنعمان
[تركا العيان وفي العيان كفاية ... لو كان يدفع صاحبيك عيان
وجدا معاوية بن صخرٍ شبهه ... فيها التلبّس والبيان يهان
ذكرا ابن عفان فقلت إلا اربعا ... ماانتما سبغها ولاعثمان
ماتعدل الأنصار عنه ساعة ... والحق في الأنصار والبرهان
وجدت قريش في الحوادث منطقاً ... هذا الشقي وصهره مروان
لم تبسطوا كفّاً لنصرة هالك ... لالاولاعصبت عليه بنان]

كذا في الفتوح[1].

(٥٠)

قيس مع النعمان

إنّ معاوية دعا النعمان ومسلمة، فقال: ياهذان، لقد غمّني مالقيت من الأوس والخزرج، صاروا واضعي سيوفهم على عواتقهم يدعون إلى النزال حتى

(١) وقعة صفّين:ص٤٤٨-٤٤٩، والإمامة والسياسة ج١ ص١٠٢. والغدير:ج٢ ص٨٢، وابن أبي الحديد في النهج:ج٨ص٨٧-٨٨، والبحار:ج٨ص٤٦٣ ط الكمپاني. وفتوح ابن اعثم:ج٣ص٢٨١.

والله جبّنوا أصحابي الشجاع والجبان؛ وحتى والله! ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلّا قالوا: قتلته الأنصار. أما والله، لألقينّهم بجدي وحديدي، ولأعبينّ لكلّ فارس منهم فارساً ينشب في حلقه؛ ثمّ لأرمينّهم بأعدادهم من قريش، رجال لم يغذهم التمر والطفيشل، يقولون: نحن الأنصار؛ قد والله! آووا ونصروا ولكن أفسدوا حقّهم بباطلهم...

وانتهى الكلام إلى الأنصار؛ فجمع قيس بن سعد الأنصاري الأنصار، ثمّ قام خطيباً فيهم، فقال:إنّ معاوية قد قال مابلغكم وأجاب عنكم صاحباكم؛ فلعمري! لئن غظتم معاوية اليوم لقد غظتموه بالأمس، وإن وترتموه في الإسلام فقد وترتموه في الشرك ؛ ومالكم إليه من ذنب [أعظم] من نصر هذا الدّين الذي أنتم عليه؛ فجدّوا اليوم جدّاً تنسونه [به] ماكان أمس، وجدّوا غداً [جدّاً] تنسونه [به] ماكان اليوم؛ وأنتم مع هذا اللواء الذي كان يقاتل عن يمينه جبرائيل وعن يساره ميكائيل، والقوم مع لواء أبي جهل والأحزاب. وأمّا التمر: فإنّا لم نغرسه ولكن غلبنا عليه من غرسه.

وأمّا الطّفيشل فلوكان طعامنا لسمّينا به، كما سمّيت قريش السخينة ثمّ قال قيس بن سعد في ذلك :

يابن هند دع التوثّب في الحر ... ب إذا نحن في البلاد نأينا
نحن من قد رأيت فادن إذا شئـ ... ـتَ بمن شئت في العجاج إلينا
إن برزنا بالجمع نلقك في الجمـ ... ـع وإن شئت محضة أسرينا
فالقنا في اللفيف نلقك في الخز ... رج ندعو في حربنا أبوينا
أيّ هذين ماأردت فخذه ... ليس منّا ولامنك الهوينا
ثمّ لاتنزع العجاجة حتى ... تنجلي حربنا لنا أوعلينا
ليت ماتطلب الغداة أتانا ... أنعم الله بالشهادة عينا
إنّنا الذين إذا الفتـ ... ـح شهدنا وخيبراً وحنينا

بعد بدرٍ وتلك قاصمة الظهر وأحدٍ وبالنضير ثنينا
يوم الأحزاب قد علم النا س شفينا من قبلكم واشتفينا[١].

(٥١)

قيس مع معاوية

لمّا قدم معاوية ابن أبي سفيان حاجّاً في خلافته، فاستقبله أهل المدينة؛ فنظر فاذا الذين استقبلوه مافيهم أحد من قريش، فلمّا نزل قال:

مافعلت الأنصار؟ وما بالها لم تستقبلني؟

فقيل له: إنّهم محتاجون لا دوابّ لهم

فقال معاوية: فأين نواضحهم؟

فقال قيس بن سعد بن عبادة ـ وكان سيّد الأنصار وابن سيّدها ـ: أفنوها يوم بدرٍ وأُحدٍ وما بعدهما من مشاهد رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله حين ضربوك وأباك على الإسلام حتىّ ظهر أمر الله وأنتم كارهون. فسكت معاوية. فقال قيس: أما إنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله عهد إلينا أنّا سنلقي بعده أثرة.

قال معاوية: فما أمركم به؟

فقال: أُمرنا أن نصبر حتى نلقاه.

قال: فاصبروا حتى تلقوه[٢].

وزاد مايأتي:

ثمّ قال: يامعاوية، تعيّرنا بنواضحنا، والله لقد لقيناكم عليها يوم بدرٍ وأنتم

---

(١) وقعة صفّين: ص٤٤٥-٤٤٧. وابن أبي الحديد:ج٨ ص٨٦ الطبعة الجديدة :ج٣ ص٢٩٢ الطبعة القديمة المصرية. والغدير:ج٢ ص٨٠. وفتوح ابن اعثم:ج٣ ص١٨١.

(٢) البحار: ج٤٤ ص١٢٤، والاحتجاج: ج٢ ص١٥ ط نجف. والغدير: ج٢ ص١٠٦ عن سليم بن قيس الكوفي التابعي.

جاهدون على إطفاء نور الله وأن تكون كلمة الشيطان هي العليا. ثمّ دخلت أنت وأبوك كرهاً في الإسلام الذي ضربناكم عليه.

فقال معاوية: كأنّك تمنّ علينا بنصرتكم إيّانا، فلله ولقريش بذلك المنّ والطول! ألستم تمنّون علينا ـ يامعشر الأنصار ـ بنصرتكم رسول الله؟ وهو من قريش، وهو ابن عمّنا ومنّا، فلنا المنّ والطول أن جعلكم الله أنصارنا وأتباعنا، فهداكم بنا.

فقال قيس: إنّ الله بعث محمّداً صلّىٰ الله عليه وآله رحمةً للعالمين، فبعثه إلى النّاس كافّة وإلى الجنّ والإنس والأحمر والأسود والأبيض، اختاره لنبوّته، واختصّه برسالته؛ فكان أوّل من صدّقه وآمن به ابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأبو طالب يذبّ عنه ويمنعه ويحول بين كفار قريش وبين أن يردعوه أو يؤذوه، وأمره أن يبلّغ رسالة ربّه؛ فلم يزل ممنوعاً من الضيم والأذى حتى مات عمّه أبو طالب. وأمر ابنه بموازرته، فوازره ونصره، وجعل نفسه دونه في كلّ شديدةٍ وكلّ ضيق وكلّ خوف؛ واختص الله بذلك عليّاً عليه السلام من بين قريش، وأكرمه من بين جميع العرب والعجم.

فجمع رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله فيهم أبو طالب و أبو لهب وهم يومئذ أربعون رجلاً، فدعاهم رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وخادمه عليّ عليه السلام ورسول الله صلّىٰ الله عليه وآله في حجر عمّه أبي طالب؛ فقال: أيكم ينتدب أن يكون أخي ووزيري ووصيّي وخليفتي في امّتي وولـيّ كلّ مؤمن بعدي؟ فسكت القوم حتى أعادها ثلاثاً؛ فقال عليّ عليه السلام: أنا يارسول الله! صلّىٰ الله عليك؛ فوضع رأسه في حجره وتفل في فيه وقال: «اللّهم املأ جوفه علماً وفهماً وحُكماً» ثمّ قال لأبي طالب: ياأبا طالب، اسمع الآن لابنك وأطع، فقد جعله الله من نبيّه بمنزلة هارون من موسى. وآخى صلّىٰ الله عليه وآله بين عليّ وبين نفسه.

فلم يدع قيس شيئاً من مناقبه إلاّ ذكره واحتجّ به.

وقال: منهم جعفر بن أبي طالب الطيّار في الجنة بجناحين، اختصه الله بذلك من بين الناس، ومنهم حمزة سيّد الشهداء، ومنهم فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة؛ فاذا وضعت من قريش رسول الله صلّى الله عليه وآله وأهل بيته وعترته الطيبيّن فنحن والله خيرمنكم يامعشرقريش،وأحبّ إلى الله ورسوله وإلى أهل بيته منكم. لقد قبض رسول الله فاجتمعت الأنصار إلى أبي، ثمّ قالوا: نبايع سعداً؛ فجاءت قريش فخاصمونا بحجّة عليّ وأهل بيته وخاصمونا بحقه وقرابته. فما يعدوا قريش أن يكونوا ظلموا الأنصار وظلموا آل محمّد. ولعمري مالأحد من الأنصار ولالقريش ولالأحد من العرب والعجم في الخلافة حقّ مع عليّ بن أبي طالب وولده من بعده!

فغضب معاوية وقال:يابن سعد، عمّن أخذت هذا وعمّن رويته وعمّن سمعته؟ أبوك أخبرك بذلك وعنه اخذته؟ فقال قيس: سمعته وأخذته ممّن هو خيرمن أبي وأعظم عليّ حقّاً من أبي! قال: من؟ قال:عليّ بن أبي طالب، عالم هذه الأُمّة، وصدّيقها الذي أنزل الله فيه: «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب» فلم يدع آية نزلت في عليّ إلاّ ذكرها.

قال معاوية: فانّ صدّيقها أبوبكر، وفاروقها عمر، والذي عنده علم الكتاب عبدالله بن سلام. قال قيس: أحقّ هذه الأسماء وأولى بها الذي أنزل الله فيه: «أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه» والذي نصبه رسول الله صلّى الله عليه وآله بغدير خمّ، فقال: «من كنت مولاه أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه» وقال في غزوة تبوك : «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لانبيّ بعدي»[1].

---

(١) وأشار إليه اليعقوبي:ج٢ ص٢١٢ ونقله في البحار:ج٨ ط الكمباني ص٥١٨ـ ٥١٩ عن سليم.

(٥٢)

قيس مع الخوارج

خرج قيس في النهروان إلى الخوارج، فقال لهم: عباد الله، أخرجوا إلينا طلبتنا منكم وادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه وعودوا بنا إلى قتال عدوّنا وعدوكم، فانّكم ركبتم عظيماً من الأمر! تشهدون علينا بالشرك والشرك ظلم عظيم، تسفكون دماء المسلمين وتعدّونهم مشركين!

فقال له عبدالله بن شجرة السلمي: إنّ الحقّ قد أضاءلنا فلسنا متابعيكم أو تأتونا بمثل عمر.

فقال قيس: مانعلمه فينا غير صاحبنا، فهل تعلمونه فيكم؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم الله في أنفسكم أن تهلكوها، فانّي لاأرى الفتنة إلاّ وقد غلبت عليكم[1].

(٥٣)

بنو هاشم و بنو اميّة

عن عبدالملك بن مروان، قال: كنّا عند معاوية ذات يوم وقد اجتمع عنده جماعة من قريش، وفيهم عدّة من بني هاشم.

فقال معاوية: يابني هاشم، بم تفتخرون علينا؟ أليس الأب و الاُم واحداً والدار والمولد واحداً؟ فقال ابن عبّاس: نفخر عليكم بما أصبحت تفخر به على سائر قريش، وتفخر به قريش على [سائر] الأنصار، وتفخر به الأنصار على سائر العرب، وتفخر به العرب على سائر العجم برسول الله صلّى

(١) الغدير: ج٢ ص٨٣ عن الطبري: ج٦ ص ٤٧ وفي طبعة ليدن ج٦ ص٣٣٧٧. والكامل لابن الأثير: ج٣ ص١٣٧.

الله عليه وآله وبما لا تسطيع له إنكاراً ولامنه فراراً.

فقال مُعاوية: يابن عبّاس، لقد اعطيت لساناً ذلقاً تكاد تغلب بباطلك حقّ سواك. فقال ابن عبّاس: مه! فانّ الباطل لايغلب الحقّ؛ ودع عنك الحسد، فلبئس الشعار الحسد.

فقال معاوية: صدقت، أما والله إنّي لأحبك لخصال أربع، مع مغفرتي لك خصالاً أربع. فأمّا ماأحبك: فلقرابتك من رسول الله صلّى الله عليه وآله وأمّا الثانية فإنّك رجل من اسرتي وأهل بيتي ومن مصاص عبدمناف، وأمّا الثالثة فإن أبي كان خلاً لأبيك، وأما الرابعة فانّك لسان قريش وزعيمها وفقيهها. وأمّا الأربع التي غفرت لك: فعدوك عليّ بصفّين فيمن عدا، وإساءتك في خذلان عثمان فيمن أساء، وسعيك على عائشة اَمّ المؤمنين فيمن سعى، ونفيك عني زياداً فيمن نفى. فضربت أنف هذا الأمر وعينه حتى استخرجت عذرك من كتاب الله عزّوجلّ وقول الشعراء. أما ماوافق كتاب الله عزّوجلّ، فقوله: «خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً» وأما ماقالت الشعراء فقول أخي بني دينار:

ولست بمستبق أخاً لا تلمّه على شعث أيّ الرّجال المهذّب

فاعلم أنّي قد قبلت فيك الأربع الاولى، وغفرت لك الأربع الاخرى؛ وكنت في ذلك كما قال الأوّل:

سأقبل ممّن قد احبّ جميله وأغفر ماقد كان من غير ذلكا

ثمّ أنصت. فتكلم ابن عبّاس، فقال بعد حمد الله والثناء عليه:

وأمّا ماذكرت أنك تحبّني لقرابتي من رسول الله صلّى الله عليه وآله فذلك الواجب عليك وعلى كلّ مسلم آمن بالله وبرسوله، لأنّه الأجر الذي سألكم رسول الله صلّى الله عليه وآله على ماآتاكم به من الضياء والبرهان المبين، فقال عزّوجلّ: «قل لااسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» فمن لم يجب

رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى ماسأله خاب وخزي وكبا في جهنّم.

وأمّا ماذكرت أنّي رجل من اسرتك وأهل بيتك فذلك كذلك، وإنّما اردت به صلة الرحم؛ ولعمري إنّك اليوم وصول ممّا قد كان منك ممّا لا تثريب عليك فيه اليوم!

وأمّا قولك: إنّ أبي كان خلاً لأبيك فقد كان ذلك وقد سبق فيه قول الأوّل:

سأحفظ من آخىٰ أبي في حياته وأحفظه من بعده في الأقارب
ولست لمن لايحفظ العهد وامقاً ولاهو عند النائبات بصاحب

وأمّا ماذكرت أنّي لسان قريش وزعيمها وفقيهها، فانّي لم أعط من ذلك شيئاً إلّا وقد اُوتيته، غير أنّك قد أبيت بشرفك وكرمك إلاّ أن تفضّلني وقد سبق في ذلك قول الأوّل:

وكلّ كريم للكرام مفضّل يراه له أهلاً وإن كان فاضلاً

وأمّا ماذكرت من عدوي عليك بصفين، فوالله لولم أفعل ذلك لكنت من ألأم العالمين! أكانت نفسك تحدّثك يا معاوية أنّي أخذل ابن عميّ أميرالمؤمنين وسيّد المسلمين، وقد حشد له المهاجرون والأنصار والمصطفون الأخيار؟ لم يامعاوية؟ أشك في ديني؟ أم حيرة في سجيّتي؟ أم ضنّ بنفسي؟.

وأمّا ماذكرت من خذلان عثمان، فقد خذله من كان أمسّ رحماً به منّي، ولي في الأقربين والأبعدين اسوة؛ وإنّي لم اعد عليه فيمن عدا، بل كففت عنه كما كفّ أهل المروّات والحجى.

وأمّا ماذكرت من سعي على عائشة، فانّ الله تعالى أمرها أن تقرّ في بيتها وتحتجب بسترها، فلمّا كشفت جلباب الحياء وخالفت نبيّها صلّى الله عليه وآله وسعنا ماكان منّا اليها.

وأمّا ماذكرت من نفي زياد فاني لم أنفه، بل نفاه رسول الله صلّى الله

عليه وآله إذ قال: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» وإنّي من بعد هذا لأُحبّ ماسرّك في جميع امورك.

فتكلّم عمرو بن العاص، فقال: ياامير المؤمنين، والله ماأحبك ساعةً قطّ، غير أنّه قد اعطي لساناً ذرباً فقلبه كيف شاء؛ وإنّ مثلك ومثله كما قال الأوّل ،وذكر بيت شعر، فقال ابن عبّاس: إنّ عمرواً داخل بين العظم واللّحم والعصاء واللّحاء؛ وقد تكلم، فليستمع فقد وافق قرناً؛ أما والله ياعمرو، إنّي لأبغضك في الله وماأعتذر منه؛ إنّك قمت خطيباً فقلت: أنا شانئ محمد، فأنزل الله عزّوجلّ: «إنّ شانئك هو الأبتر» فأنت أبتر الدين والدنيا، وأنت شانئ محمد في الجاهلية والإسلام؛ وقد قال الله تبارك وتعالى: «لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله» وقد حاددت الله ورسوله قديماً وحديثاً؛ ولقد جهدت على رسول الله جهدك وأجلبت عليه بخيلك ورجلك حتى إذا غلبك الله على أمرك وردّ كيدك في نحرك وأوهن قوتك وأكذب أُحدوثتك نزعت وأنت حسير. ثمّ كدت بجهدك لعداوة أهل بيت نبيّه من بعده؛ ليس بك في [ذلك] حبّ معاوية ولاآل معاوية إلّا العداوة لله عزّوجلّ ولرسوله صلّى الله عليه وآله مع بغضك وحسدك القديم لأبناء عبدمناف؛ ومثلك في ذلك كما قال الأوّل:

تعرّض لي عمرو وعمرو خزاية تعرّض ضبع القفر للأسد الورد
فما هو لي ندّ فأشتم عرضه ولا هو لي عبد فأبطش بالعبد

فتكلّم عمرو بن العاص. فقطع عليه معاوية وقال: أما والله ياعمرو، ماأنت من رجاله، فان شئت فقل وإن شئت فدع. فاغتنمها عمرو وسكت.

فقال ابن عبّاس: دعه يامعاوية، فوالله لأسمنّه بميسمٍ يبقى عليه عاره وشناره إلى يوم القيامة، تتحدّث به الإماء والعبيد، ويتغنّى به في المجالس، ويتحدّث به في المحافل.

ثمّ قال ابن عبّاس: ياعمرو، وابتدأ في الكلام؛ فمدّ معاوية يده فوضعها على في ابن عبّاس، وقال له: أقسمت عليك ياابن عبّاس إلّا أمسكت. وكره أن يسمع أهل الشام مايقول ابن عبّاس. وكان آخر كلامه أخسأ أيّها العبد وأنت مذموم! وافترقوا[١].

(٥٤)

ابن عبّاس ومعاوية

سأل معاوية ابن عبّاس، قال: فما تقول في عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ قال: عليّ أبو الحسن عليه السلام عليّ كان والله علم الهدى، وكهف التقى، ومحلّ الحجى، ومحتد الندا، وطود النهى، وعلم الورى، ونوراً في ظلمة الدجى، وداعياً إلى المحجة العظمى، ومستمسكاً بالعروة الوثقى، وسامياً إلى المجد والعلى، وقائد الدين والتقى، وسيّد من تقمّص وارتدى؛ بعل بنت المصطفى، وأفضل من صام وصلّى، وأفخر من ضحك وبكى؛ صاحب القبلتين؛ فهل يساويه مخلوق كان أو يكون؟[٢].

(٥٥)

ابن عبّاس مع رجل

عن سعيد بن مسيّب، قال سمعت رجلاً يسأل ابن عبّاس عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال له ابن عبّاس: إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام صلّى القبلتين، وبايع البيعتين، ولم يعبد صنماً ولاوثناً؛ ولم يضرب على رأسه بزكم ولابقدح؛ ولد على الفطرة ولم يشرك بالله طرفة عين.

فقال الرجل: إنّي لم أسألك عن هذا، إنّما أسألك عن حمله سيفه على

(١) الخصال: ج١ ص٢١١-٢١٥. والبحار: ج٤٤ ص١١٣-١١٦.

(٢) البحار: ج٤٤ ص١١٢عن كتابي الفضائل والروضة.

عاتقه يختال به حتى أتى البصرة فقتل بها أربعين ألفاً، ثمّ صار إلى الشام فلقى حواجب العرب فضرب بعضهم ببعض حتى قتلهم، ثمّ أتى النهروان وهم مسلمون فقتلهم عن آخرهم.

فقال له ابن عبّاس: أعليّ أعلم عندك أم أنا؟ فقال: لوكان عليّ عندي أعلم منك لما سألتك. قال: فغضب ابن عبّاس حتى اشتدّ غضبه، ثمّ قال: ثكلتك امك! عليّ علّمني، وكان علمه من رسول الله صلّى الله عليه وآله ورسول الله علّمه الله من فوق عرشه؛ فعلم النبيّ صلّى الله عليه وآله من الله، وعلم عليّ من النبيّ، وعلمي من علم عليّ؛ وعلم أصحاب محمّد كلّهم في علم عليّ كالقطرة الواحدة في سبعة أبحر[1].

(٥٦)
ابن عباس وعمرو بن العاص

قال نصر: إنّ معاوية لمّا يئس من جهة الأشعث قال لعمرو بن العاص: إنّ رأس الناس بعد عليّ هو عبدالله بن عباس، فلو ألقيتُ إليك كتاباً لعلّك ترقّقه به، فانّه إن قال شيئاً لم يخرج عليّ منه؛ وقد أكلتنا الحرب، ولاأرانا نصل [إلى] العراق إلّا بهلاك أهل الشام. قال له عمرو: إنّ ابن عبّاس لايخدع، ولو طمعت فيه [لـ]طمعت في عليّ. فقال معاوية: عليّ ذلك.

فكتب إليه عمرو: أمّا بعد، فانّ الذي نحن وأنتم فيه،ليس بأوّل أمر قاده البلاء [وساقته العافية خ ل] وأنت رأس هذا الجمع بعد عليّ، فانظر فيما بقي ودع مامضى؛ فوالله ماأبقت هذه الحرب لنا ولكم حياةً ولاصبراً؛ واعلموا أنّ الشام لا تملك إلّا بهلاك العراق، وأنّ العراق لايملك إلّا بهلاك الشام؛ وماخيرنا بعد هلاك أعدادنا منكم؟ وماخيركم بعد هلاك أعدادكم منّا؟

(١) أمالي الشيخ ـ رحمه الله ـ ج١ ص١١ ط نجف.

ولسنا نقول: ليت الحرب غارت، ولكنا نقول: ليتها لم تكن! وإنّ فينا من يكره القتال كما أنّ فيكم من يكرهه؛ وإنّما هو أمير مطاع، أو مأمور مطيع، أو مؤتَمن مشاور، وهو أنت وأمّا الأشتر الغليظ الطبع القاسي [القلب] فليس بأهل أن يدعى في الشورى ولا في خواصّ أهل النّجوى.

وكتب في أسفل الكتاب:

طال البلاء ومايرجى له آسٍ بعد الإله سوى رفق ابن عباس
قولا له قول من يرضى بحظوته ولا تنس حظك إنّ الخاسر الناسي
ياابن الذي زمزم سقيا الحجيج له أعظم بذلك من فخر على الناس
كلّ لصاحبه قرن يساوره اسد العرين اسود بين أخياس
لوقيس بينهم في العرب لاعتدلوا العجز بالعجز ثمّ الرأس بالرأس
انظر فدى لك نفسي قبل قاصمة للظهر ليس لها راق ولاآسي
إنّ العراق وأهل الشام لن يجدوا طعم الحياة مع المستغلق القاسي
بُسر وأصحاب بُسر والذين هم داء العراق رجال أهل وسواسِ
قوم عراة من الخيرات كلّهم فما يساوي به أصحابه كاسي
إني أرى الخير في سلم الشآم لكم والله يعلم مابالسلم من بأس
فيها التقى وامور ليس يجهلها إلاّ الجهول ومباالنوكى كأكياس

قال: فلمّا فرغ من شعره عرضه على معاوية، فقال معاوية: لاأرى كتابك على رقة شعرك.

فلمّا قرأ ابن عبّاس الكتاب أتى به عليّاً فأقرأه شعره، فضحك وقال: قاتل الله ابن العاص، ماأغراه بك ياابن عبّاس! أجبه، وليردّ عليه شعره الفضل بن العبّاس فانّه شاعر؛ فكتب ابن عبّاس إلى عمرو:

أما بعد، فانّي لاأعلم رجلاً من العرب أقلّ حياءً منك! إنّه مال بك معاوية إلى الهوى، وبعته دينك بالثمن اليسير؛ ثمّ خبطت بالناس في عشوةٍ

طمعاً في الملك ؛ فلمّا لم تر شيئاً أعظمت الدنيا إعظام أهل الذنوب، وأظهرت فيها نزاهة أهل الورع؛ فان كنت ترضي الله بذلك فدع مصر وارجع إلى بيتك . وهذه الحرب ليس فيها معاوية كعليّ، ابتدأها عليّ بالحقّ وانتهى فيها إلى العذر، وبدأها معاوية بالبغي وانتهى فيها إلى السرف. وليس أهل العراق فيها كأهل الشام، بايع أهل العراق عليّاً وهو خير منهم، وبايع معاوية أهل الشام وهم خير منه. ولست أنا وأنت فيها بسواء، أردت الله، وأردت أنت مصر. وقد عرفت الشيءالذي باعدك منّي، ولاأرى الشيءالذي قرّبك من معاوية؛ فان ترد شرّاً لانسبقك به، وإن ترد خيراً لا تسبقنا إليه [والسلام].

ثمّ دعا [أخاه] الفضل بن العبّاس، فقال: ياابن أُمّ، أجب عمراً. فقال الفضل:

ياعمرو حسبك من خدع ووسواس فاذهب فليس لداء الجهل من آسي
الا تواتر طعن في نحوركم يشجي النفوس ويشفي نخوة الراس
هذا الدواء الذي يشفي جماعتكم حتىّ تطيعوا عليّاً وابن عبّاس
أمّا عليّ فانّ الله فضّله بفضل ذي شرف عال على الناس
إن تعقلوا الحرب نعقلها مُخيّسة أو تبعثوها فانّا غير أنكاس
قد كان منّا ومنكم في عجاجتها مالايردّ وكلّ عرضة الباس
قتلى العراق بقتلى الشام ذاهبة هذا بهذا ومابالحقّ من بأس
لابارك الله في مصر لقد جلبت شرّاً وحظّك منها حسوة الكأس
ياعمرو إنّك عار من مغارمها والراقصات ومن يوم الجزا كاسي

ثمّ عرض الشعر والكتاب على عليّ، فقال: لاأراه يجيبك بشيء بعدها إن كان يعقل؛ ولعلّه يعود فتعود له.

فلمّا انتهى الكتاب إلى عمرو أتى به معاوية، فقال: أنت دعوتني إلى هذا، ماكان أغناني وإيّاك عن بني عبد المطلب فقال: ان قلب ابن عباس وقلب عليٍّ

قلب واحد، كلاهما ولد عبد المطّلب، وإن كان قد خشن فقد لان، وإن كان قد تعظّم أو عظّم صاحبه فلقد قارب وجنح إلى السلم.

وإنّ معاوية كان يكاتب ابن عبّاس، وكان يجيبه بقول ليّن؛ وذلك قبل أن يعظم الحرب. فلمّا قتل أهل الشام قال معاوية: إنّ ابن عبّاس رجل من قريش، وأنا كاتب إليه في عداوة بني هاشم لنا، واخوّفه عواقب هذه الحرب، لعلّه يكفّ عنّا؛ فكتب إليه:

أمّا بعد، فانكمّ-يامعشر بني هاشم-لستم إلى أحد أسرع بالمساءة منكم إلى أنصار عثمان بن عفّان، حتى أنّكم قتلتم طلحة والزبير لطلبهما دمه واستعظامهماماينل منه؛ فان يكن ذلك لسلطان بني اميّة فقد وليها عديّ وتيم [فلم تنافسوهم] وأظهرتم لهم الطاعة، وقد وقع من الأمر ماقد ترى، وأكلت هذه الحُرب بعضها من بعض حتى استوينا فيها؛ فما أطمعكم فينا أطمعنا فيكم، ومآيسكم منّا آيسنا منكم وقد رجونا غير الذي كان، وخشينا دون ماوقع؛ ولستم بملاقينا اليوم بأحدّ من حدّ أمس ولاغداً بأحدّ من حدّ اليوم. وقد قنعنا بما كان في أيدينا من ملك الشام، فاقنعوا بما في أيديكم من ملك العراق؛ وأبقوا على قريش، فانّما بقي من رجالها ستّة: رجلان بالشام، ورجلان بالعراق، ورجلان بالحجاز؛ فأمّا اللذان بالشام فأنا وعمرو، وأمّا اللذان بالعراق فأنت وعليّ، وأما اللذان بالحجاز فسعد وابن عمر؛ وإثنان من ستّة ناصبان لك وإثنان واقفان [فيك]. وأنت رأس هذا الجمع اليوم، ولو بايع لك الناس بعد عثمان كنّا إليك أسرع منّا إلى عليّ. في كلام كثير كتب إليه.

فلمّا انتهى الكتاب إلى ابن عبّاس أسخطه، ثمّ قال: حتى متى يخطب [ابن هند] إلي عقلي؟ وحتى متى أُجمجم على مافي نفسي؟ فكتب إليه:

أمّا بعد [فقد أتاني كتابك وقرأته] فأما ماذكرت من سرعتنا [إليك]

بالمساءة في أنصار ابن عفّان وكراهيّتنا لسلطان بني اميّة : فلعمري لقد أدركت في عثمان حاجتك حين استنصرك فلم تنصره، حتىّ صرت إلى ماصرت إليه؛ وبيني وبينك في ذلك ابن عمّك وأخو عثمان الوليد بن عقبة !

وأمّا طلحة والزبير [فانّهما أجلبا عليه وضيّقا خناقه ثمّ خرجا] ينقضان البيعة ويطلبان الملك ، فقاتلناهما على النكث، وقاتلناك على البغي .

وأمّا قولك : إنّه لم يبق من قريش غير ستّة، فماأكثر رجالها! وأحسن بقيّتها! [و] قد قاتلك من خيارها من قاتلك لم يخذلنا إلّا من خذلك .

وأمّا إغراؤك إيّانا بعديّ وتيم: فأبو بكر وعمر خير من عثمان، كما أنّ عثمان خير منك ؛ وقد بقي لك منّا يوم ينسيك ماقبله ويخاف مابعده.

وأمّا قولك : إنّه لو بايع الناس لي لاستقامت لي، فقد بايع الناس عليّاً وهو خير منّي فلم يستقيموا له، وإنّما الخلافة لمن كانت له في المشورة.

وماأنت يامعاوية والخلافة؟ وأنت طليق وابن طليق [والخلافة للمهاجرين الأوّلين وليس الطلقاء منها في شي. والسلام].

فلمّا انتهى الكتاب إلى معاوية، قال: هذا عملي بنفسي ، لاوالله! لاأكتب إليه كتاباً سنة [كاملة] وقال معاوية في ذلك :

دعوت ابن عبّاس إلى حدّ خطّةٍ ... وكان امرءاً أُهدي إليه رسائلي
فأخلف ظنّي والحوادث جمّة ... ولم يك فيما قال منّي بواصل
وما كان فيما جاء مايستحقه ... ومازاد أنّ أغلى عليه مراجلي
فقل لابن عبّاس تراك مفرّقاً ... بقولك من حولي وإنّك آكلي
وقل لابن عبّاس تراك مخوّفاً ... بجهلك حلمي إنني غير غافل
فأبرق وأرعد مااستطعت فانّني ... إليك بما يشجيك سبط الأنامل

فلمّا قرأ ابن عبّاس الشعر قال: «لن أشتمك بعدها».

وقال الفضل بن عبّاس:

ألا يا ابن هندٍ، إنّي غير غافلٍ ... وإنّك ماتسعى له غير نائل
لأنّ الذي اجتبت إلى الحرب نابها ... عليك وألقت بركها بالكلاكل
فأصبح أهل الشام ضربين: خيرة ... وفقعة قاعٍ أو شحيمة آكل
وأيقنت أنّا أهل حقٍّ وإنّما ... دعوت لأمرٍ كان أبطل باطل
دعوت ابن عبّاس إلى السلم خدعةً ... وليس لها حتّى تدين بقابل
فلا سلم حتىّ تشجر الخيل بالقنا ... وتضرب هامات الرّجال الأماثل
وآليت: لاأُهدي إليه رسالةً ... إلى أن يحول الحول من رأس قابل
أردت به قطع الجواب وإنّما ... رماك فلم يخطئ بنات المقاتل
وقلت له لو بايعوك تبعتهم ... فهذا عليّ خير حاف وناعل
وصيّ رسول الله من دون أهله ... وفارسه إن قيل: هل من منازل
فدونكه إن كنت تبغي مهاجراً ... أشمّ كنصل السيف غير حلاحل

فعرض شعره على عليّ، فقال: أنتّ أشعر قريش؛ فضرب بها الناس إلى معاوية[1].

(٥٧)

ابن عبّاس وابن الزبير

تزوّج عبدالله بن الزبير أُمّ عمرو ابنة منظور بن زبّان الفزاريّة، فلمّا دخل بها قال لها تلك الليلة: أتدرين من معك في حجلتك؟ قالت: نعم عبدالله بن الزبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزّى.

---

(١) وقعة صفّين: ص٤١٠-٤١٧. والإمامة والسياسة: ج١ ص١٠٤. والغدير: ج١٠ ص٣٢٥ عنه وعن ابن أبي الحديد: ج٢ ص٢٨٩ القديمة المصرية وج ٨ ص٦٣- ٦٧ الجديدة وفي العقد الفريد: ج٤ ص١٣ نقل نبذاً من كتاب عمرو إليه، ولكنّه لم يشر إلى كونه كتاباً وصرّح بأنه كان بعد قتل علي -عليه السلام- وفي أنساب الأشراف ج١ ص٣٠٧-٣٠٩ نقل كتاب عمرو إليه وجوابه. وكذا في فتوح ابن أعثم: ج٣ ص٢٤٩-٢٥٩.

قال: ليس غير هذا؟ قالت: فما الذي تريد؟ قال: معك من أصبح في قريش بمنزلة الرأس من الجسد، لابل بمنزلة العينين من الرأس. قالت: أما والله، لو أنّ بعض بني عبدمناف حضرك لقال لك خلاف قولك. فغضب وقال: الطعام والشراب عليّ حرام حتىّ احضرك الهاشميّين وغيرهم من بني عبدمناف فلا يستطيعون لذلك إنكاراً. قالت: إن أطعتني لم تفعل، وأنت أعلم وشأنك.

فخرج إلى المسجد فرأى حلقة فيها قوم من قريش، منهم:عبدالله بن العباس، وعبدالله بن الحصين بن الحارث بن عبدالمطلب بن عبدمناف، فقال لهم ابن الزبير: احبّ أن تنطلقوا معي إلى منزلي؛ فقام القوم بأجمعهم حتى وقفوا على باب بيته. فقال ابن الزبير: ياهذه! اطرحي عليك سترك. فلمّا أخذوا مجالسهم دعا بالمائدة، فتغدّى القوم؛ فلمّا فرغوا قال لهم: إنّما جمعتكم لحديث ردّته عليّ صاحبة الستر، وزعمت أنّه لو كان بعض بني عبدمناف حضرني لمّا أقرّ لي بما قلت؛ وقد حضرتم جميعاً. وأنت ياابن عبّاس، ماتقول؟ إنّي اخبرتها أنّ معها في خدرها من أصبح في قريش بمنزلة الرأس من الجسد بل بمنزلة العينين من الرأس، فردّت عليّ مقالتي.

فقال ابن عبّاس: أراك قصدت قصدي، فان شئت أن أقول قلت، وإن شئت أن أكفّ كففت. قال: بل قل، وماعسى أن تقول؟.

ألست تعلم إنّي ابن الزبير حواري رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وأنّ أميّ أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين، وإنّ عمّتي خديجة سيّدة نساء العالمين، وإنّ صفيّة عمّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم جدّتي، وإنّ عائشة أمّ المؤمنين خالتي، فهل تستطيع لهذا إنكاراً؟.

قال ابن عبّاس: لقد ذكرت شرفاً شريفاً وفخراً فاخراً غير أنّك تفاخر من لفخره فخرت وبفضله سموت. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنّك لم تذكر فخراً

إلّا برسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم وأنا أولى بالفخر به منك .

قال ابن الزبير: لو شئت لفخرت عليك بما كان قبل النبوّة.

قال ابن عبّاس:

قد أنصف القارة من راماها

نشدتكم الله أيّها الحاضرون! أعبد المطلب أشرف أم خويلد في قريش؟ قالوا: عبدالمطلب قال: أفهاشم كان أشرف فيها أم أسد؟ قالوا: بل هاشم. قال: أفعبدمناف أشرف أم عبدالعزّى؟ قالوا: عبدمناف.

فقال ابن عبّاس:

تنافرني يا ابن الزبير، وقد قضى عليك رسول الله لاقول هازل
ولو غيرنا يا ابن الزبير فخرته ولكنّما ساميت شمس الأصائل!

قضى لنا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله بالفضل في قوله: «ما افترقت فرقتان إلّا كنت في خيرهما» فقد فارقناك من بعد قصيّ بن كلاب، أفنحن في فرقة الخير أم لا؟ إن قلت: نعم خصمت، وإن قلت: لا كفرت!

فضحك بعض القوم.

فقال ابن الزبير: أمّا والله، لولا تحرّمك بطعامنا يا ابن عبّاس لأعرقت جبينك قبل أن تقوم من مجلسك!

قال ابن عبّاس: ولم؟ أبباطل؟ فالباطل لايغلب الحقّ، أم بحقّ؟ فالحقّ لايخشى من الباطل!

فقالت المرأة من وراء الستر: إنّي والله لقد نهيته عن هذا المجلس فأبى إلّا ماترون!

فقال ابن عبّاس: مه أيتها المرأة! اقنعي ببعلك، فما أعظم الخطر! وما أكرم الخبر! فأخذ القوم بيد ابن عبّاس ـ وكان قد عمي ـ فقالوا: انهض يا أيّها الرّجل! فقد أفحمته غير مرّة؛ فنهض وقال:

ألا يـاقـومـنـا ارتحـلـوا وسـيـروا فـلـو تـرك الـقـطـا لـغـفـا ونـامـا

فقال ابن الزبير: ياصاحب القطا، أقبل عليّ، فما كنت لتدعني حتى أقول: وأيم الله، لقد عرف الأقوام: أنّي سابق غير مسبوق، وابن حواريّ وصدّيق متبجج في الشرف الأنيق خير من طليق!

فقال ابن عبّاس: دسعت بجرّتك فلم تبق شيئاً! هذا الكلام مردود من امرئٍ حسود؛ فان كنت سابقاً فالى من سبقت؟ وإن كنت فاخراً فبمن فخرت؟ فان كنت أدركت هذا الفخر باسرتك دون اسرتنا فالفخر لك علينا، وإن كنت إنّما أذركت باسرتنا فالفخر لنا عليك، والكثكث في فمك ويديك. وأمّا ماذكرت من الطليق، فوالله لقد ابتلي فصبر وأنعم عليه فشكر، وأن كان والله لوفياً كريماً غير ناقض بيعة بعد توكيدها، ولامسلم كتيبةٍ بعد التأمّر عليها.

فقال ابن الزبير: أتعيّر الزبير بالجبن؟ والله إنّك لتعلم منه خلاف ذلك.

قال ابن عبّاس: والله إنّي لاأعلم إلاّ أنّه فرّ وماكرّ، وحارب فما صبر، وبايع فماتمّم، وقطع الرحم، وأنكر الفضل، ورام ماليس له بأهل.

وأدرك منها بعض ماكان يرتجى وقصّر عن جري الكرام وبلّدا
وماكان إلّا كالهجين أمامه عناق فجاراه العناق فأجهدا

فقال ابن الزبير: لم يبق يابني هاشم غير المشاتمة والمضاربة!.

فقال عبدالله بن الحصين بن الحارث: أقمناه عنك ياابن الزبير وتأبى إلّا منازعته، والله لو نازعته من ساعتك إلى انقضاء عمرك ماكنت إلاّ كالسّغب الظمآن يفتح فاه يستزيد من الريح، فلا يشبع من سغب ولايروي من عطش؛ فقل إن شئت أو فدع. وانصرف القوم[1].

---

(١) ابن أبي الحديد: ج٩ ص٣٢٤-٣٢٧.

(٥٨)

الشريف المرتضى مع أبي العلاء

دخل أبو العلاء المعرّي على السيّد المرتضىٰ ـقدس الله روحهـ فقال: أيّها السيّد، ماقولك في الكلّ؟ فقال السيّد: ماقولك في الجزء؟ فقال: ماقولك في الشعرى؟ فقال: ماقولك في التدوير؟ قال: ماقولك في عدم الانتهاء؟ فقال: ماقولك في التحيّز والناعورة؟ فقال: ماقولك في السبع؟ فقال: ماقولك في الزائد البرّي من السبع؟ فقال: ماقولك في الأربع؟ فقال: ماقولك في الواحد والاثنين؟. فقال: ماقولك في المؤثر؟ فقال: ماقولك في المؤثرات؟ فقال: ماقولك في النحسين؟ فقال: ماقولك في السعدين؟ فبهت أبو العلاء.

فقال السيّد المرتضى رضي الله عنه عند ذلك: ألا كلّ ملحد ملهد. وقال أبو العلاء: من أين أخذته؟ قال: من كتاب الله «يابنيَّ لا تشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم» وقام وخرج. فقال السيّد ـرضي الله عنه :وقد غاب عنّا الرّجل وبعد هذا لايرانا.

فسئل السيّد ـرضي الله عنهـ عن شرح هذه الرموز والإشارات، فقال: سألني عن الكلّ وعنده الكلّ قديم، ويشير بذلك إلى عالم سمّاه «العالم الكبير» فقال لي: ماقولك فيه؟ أراد أنّه قديم؛ وأجبته عن ذلك وقلت له: ماقولك في الجزء؟ لأنّ عندهم الجزء محدث وهو متولّد عن العالم الكبير، وهذا الجزء عندهم هو العالم الصغير؛ وكان مرادي بذلك: أنّه إذا صحّ أنّ هذا العالم محدث فذلك الذي أشار إليه إن صحّ فهو محدث أيضاً، لأنّ هذا من جنسه على زعمه والشي الواحد والجنس الواحد لايكون بعضه قديماً وبعضه محدثاً ؛ فسكت لما سمع ماقلته.

وأمّا الشعرى: أراد أنّها ليست من الكواكب السيّارة؛ فقلت له: ماقولك

في التدوير والدوران فالشعرى لايقدح في ذلك.

وأمّا عدم الانتهاء: أراد بذلك أنّ العالم لاينتهي لأنّه قديم؛ فقلت له: قد صحّ عندي التحيّز والتدوير، وكلاهما يدلّان على الانتهاء.

وأمّا السبع:أراد بذلك النجوم السيّارة التي هي عندهم ذوات الأحكام؛ فقلت له: هذا باطل بالزائد البرّي الذي يحكم فيه بحكم لا يكون ذلك الحكم منوطاً بهذه النجوم السيّارة التي هي: الزهرة والمشتري، والمريخ، وعطارد، والشمس، والقمر، وزحل.

وأمّا الأربع: أراد بها الطبايع؛ فقلت له: ماقولك في الطبيعة الواحدة الناريّة يتولّد منها دابّة بجلدها تمسّ الأيدي ثمّ يطرح ذلك الجلد على النار فيحترق الزهومات ويبقى الجلد صحيحاً؟ لأنّ الدابة خلقها الله على طبيعة النار والنار لاتحرق النّار؛ والثلج أيضاً يتولّد فيه الديدان، وهو على طبيعة واحدة؛ والماء في البحر على طبيعتين تتولّد منه السموك والضفادع والحيّات والسلاحف وغيرها. وعنده لايحصل الحيوان إلاّ بالأربع، فهذا مناقض لهذا.

وأمّا المؤثّر: أراد به الزّحل؛ فقلت له: ماقولك في المؤثرات؟ أردت بذلك أنّ المؤثرات كلّهنّ عنده مؤثرات، فالمؤثر القديم كيف يكون مؤثراً؟

وأمّا النحسين: أراد بهما أنّهما من النجوم السيّارة إذا اجتمعا يخرج من بينهما سعد؛ فقلت له: ماقولك في السعدين إذا اجتمعا خرج من بينهما النحس؟ هذا حكم أبطله الله تعالى ليعلم الناظر أنّ الأحكام لا تتعلق بالمسخّرات، لأنّ الشاهد يشهد على أنّ العسل والسكر اذا اجتمعا لايحصل منهما الحنظل والعلقم، والحنظل والعلقم إذا اجتمعا لايحصل منهما الدبس والسكر؛ هذا دليل على بطلان قولهم.

وأمّا قولي:ألا كلّ ملحد ملهد: أردت أنّ كلّ مشرك ظالم، لأنّ في اللغة: ألحد الرجل:إذا عدل عن الدين وألهد إذا ظلم؛ فعلم أبو العلاء ذلك، وأخبرني

عن علمه بذلك فقرأت «يا بنيّ لا تشرك بالله» الآية[١].

(٥٩)

أحمد بن السيّار مع المفيد

قال السيّد المرتضى -رضي الله عنه- في كتاب الفصول: اتفق للشيخ أبي عبدالله المفيد -رحمة الله عليه- اتّفاق مع القاضي أبي بكر أحمد بن سيّار في (دار السلام ب خ) دار الشريف أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن طاهر الموسويّ -رضي الله عنه، وكان بالحضرة جمع كثير يزيد عددهم على مائة إنسان، وفيهم أشراف من بني عليّ وبني العباس ومن وجوه الناس والتجّار؛ حضروا في قضاء حقّ الشريف -رحمه الله، فجرى من جماعة من القوم خوض في ذكر النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام، وتكلّم الشيخ أبو عبدالله -أيده الله- في ذلك بكلام يسير على ما اقتضته الحال.

فقال له القاضي أبو بكر ابن سيّار: خبّرني ما النصّ في الحقيقة؟ وما معنى هذه اللفظة؟.

فقال الشيخ -أيّده الله-: النصّ هو الإظهار والإبانة، من ذلك قولهم: «فلان قد نصّ قلوصه» إذا أبانها بالسير وأبرزها من جملة الإبل؛ ولذلك سميّ المفرش العالي منصّة، لأنّ الجالس عليه يبيّن بالظهور من الجماعة، فلمّا أظهره المفرش سمّي منصّة -على ما ذكرناه- ومن ذلك أيضاً قولهم: «قد نصّ فلان مذهبه» إذا أظهره وأبانه؛ ومنه قول الشاعر:

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش إذا هي نصّته ولا بمعطل

يريد: إذا أظهرته، وقد قيل: نصبته؛ والمعنى في هذا يرجع إلى الإظهار. فأمّا هذه اللفظة: فانّها قد جعلت مستعملة في الشريعة على المعنى الذي قدّمت.

---

(١) البحار: ج١٠ ص٤٠٦-٤٠٨ والاحتجاج: ج٢ ص٣٢٩-٣٣٦.

ومتى أردت حدّ المعنى منها قلت: حقيقة النصّ هو القول المُنبئ عن المقول فيه على سبيل الإظهار.

فقال القاضي: ماأحسن ماقلت! ولقد أصبت فيا أوضحت وكشفت فخبّرني الآن إذا كان النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله قد نصّ على إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام فقد أظهر فرض طاعته، وإذا أظهره استحال أن يكون مخفيّاً.

فما بالنا لانعلمه إن كان الأمر على ماذكرت في حدّ النصّ وحقيقته؟.

فقال الشيخ أيّده الله: أمّا الإظهار من النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله فقد وقع ولم يكن خافياً في حال ظهوره؛ وكلّ من حضره فقد علمه ولم يرتب فيه ولااشتبه عليه.

وأمّا سئوالك عن علّة فقدك العلم به الآن وفي هذا الزمان: فان كنت لاتعلمه على ماأخبرت به عن نفسك فذلك لدخول الشبهة عليك في طريقه لعدولك عن وجه النظر في الدليل المفضي بك إلى حقيقته؛ ولو تأمّلت الحجّة فيه بعين الإنصاف لعلمته، ولو كنت حاضراً في وقت إظهار النبيّ له صلّىٰ الله عليه وآله لما أخللت بعلمه؛ ولكن العلّة في ذهابك عن اليقين فيه ماوصفناه.

فقال: وهل يجوز أن يظهر النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله شيئاً في زمانه فيخفى عمّن ينشأ بعد وفاته حتّى لايعلمه إلّا بنظر ثاقب واستدلال عليه؟ فقال الشيخ أيّده الله تعالى: نعم يجوز ذلك، بل لابدّ منه لمن غاب عن المقام في علم ماكان منه إلى النظر والاستدلال؛ وليس يجوز أن يقع له به علم الإضطرار، لأنّه من جملة الغائبات، غير أنّ الاستدلال في هذا الباب يختلف في الغموض والظهور والصعوبة والسهولة على حسب الأسباب المعترضات في طرقه؛ وربّما عرى طريق ذلك من سبب، فيعلم بيسير من الاستدلال على وجه يشبه الاضطرار،

إلاّ أنّ طريـق النصّ حصل فيه مـن الشبهات لـلأسباب التي اعترضـته،مايتعذّر معها العلم به إلّا بعد نظر ثاقب وطول زمان في الاستدلال.

فقال: فـاذا كان الأمر على ماوصـفت، فما أنـكرت أن يكون الـنبيّ صلّىٰ الله عليه وآله قـد نصّ على نبيّ آخر معـه في زمانه أو نبيّ يـقوم من بعده وأظـهر ذلك وشهره على حدّ مـاأظهر به إمامـة أمير المؤمنين عليه السلام فذهب عنّا علم ذلك كما ذهب عنّا علم النّص وأسبابه؟.

فقال له الشيخ أيدّه الله تـعالى: أنكرت ذلك من قبـل أنّ العلم حاصل لي ولكلّ مـقرّ بالشرع ومـنكر لـه بكذب من ادعـى ذلك على رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ولـو كان ذلك حقّاً لـما عم الجميع على بطلانه وكذب مدّعيه ومضيفه إلى النبيّ صلّـىٰ الله عليه وآله؛ ولوتعرى بعض العقلاء من سامعي الأخبار عن علم ذلـك لاحتجـت في إفسـاده إلى تكلّـف دليل غير مـاوصـفت. لكـنّ الذي ذكرت يغنيني عن اعتـماد غيره، فان كان النصّ على الإمامة نظيره فيجب أن يعمّ العلـم ببطلانه جميـع سامعي الأخبـار حتىّ لايختلف في اعتقاد ذلك إثنان وفي تنازع الامّة فيـه واعتقاد جماعة صحته والعلم به واعتقاد جماعة بطلانه دليل على فرق مابينه وبين ماعارضت به.

ثمّ قال لـه الشيـخ أدام الله حراسـته:ألّا أنصف القاضـي من نـفسه والتزم ماالزمه خصومه فيما شاركهم فيه من نفي ماتفرّدوا به ، ففصّل بينه وبين خصومه في قوله: إنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله قد نصّ على رجم الزاني وفعله، وموضع قطع السارق وفعله، وعلى صفة الطـهارة والصلاة وحدود الصوم والحج والزكاة وفعل ذلـك ، وبيّنه وكرّره وشهـره؛ ثـمّ الـتنازع موجود في ذلـك ، وإنّما يـعلم الحقّ فيه وماعليه الـعمل من غيـره بضرب من الاستدلال؛ بل في قوله: إنّ انشقاق القمر لرسول الله صلّىٰ الله عليـه وآله كان ظاهراً في حياته ومشهوراً في عصره وزمانه؛ وقد أنكر ذلك جماعة من المعتـزلة وغيرهم مـن أهل الملل والملـحدة، وزعموا أنّ

ذلك من توليد أصحاب السير ومؤلفي المغازي وناقلي الآثار؛ وليس يمكننا أن ندّعي على من خالفنا.فيا ذكرنا علم الاضطرار، وإنّما نعتمد على غلطهم في الاستدلال؛ فيا يؤمنه أن يكون النبيّ صلّى الله عليه وآله قد نصّ على نبيّ من بعده وإن عرى من العلم بذلك على سبيل الاضطرار، وبم يدفع أنّ يكون قد حصلت شبهات مالت بينه وبين العلم بذلك كما حصل لخصومه في ماعددناه ووصفناه؛ وهذا مالافصل فيه.

فقال له: ليس يشبه النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام جميع ماذكرت، لأنّ فرض النصّ عندك فرض عامّ، وماوقع فيه الاختلاف فيا قدّمت فروض خاصّة، ولو كانت في العموم كهو لما وقع فيها الاختلاف.

فقال الشيخ أيّده الله: فقد انتقض الآن جميع مااعتمدته وبان فساده، واحتجت في الاعتماد إلى غيره؛ وذلك أنّك جعلت موجب العلم وسبب ارتفاع الخلاف ظهور الشيء في زمان ما واشتهاره بين الملأ، ولم تضمّ إلى ذلك غيره ولاشرطت فيه موصوفاً سواه؛ فلمّا نقضناه عليك ووضح عندك دماره عدلت إلى التعلّق بعموم الفرض وخصوصه،ولم يك هذا جارياً فيا سلف؛ والزيادة في الاعتلال انقطاع، والانتقال من اعتماد إلى اعتماد أيضاً انقطاع؛ على أنّه ماالذي يؤمنك أن ينصّ على نبيّ يحفظ شرعه؟ فيكون فرض العمل به خاصّاً في العبادة، كما كان الفرض فيا عددناه خاصّاً؛ فهل فيها من فصل يعقل؟ فلم يأت بشيء تجب حكايته[١].

(٦٠)
زيد بن عليّ مع هشام

دخل زيد بن عليّ على هشام بن عبدالملك ، فلم يجد موضعاً يقعد فيه،

(١) البحار: ج١٠ ص٤٠٨-٤١١.

فعلم أنّ ذلك فعل به على عمد؛ فقال ياأميرالمؤمنين [اتقّ الله! قال: أو مثلك يازيد يأمر مثلي بتقوى الله؟ قال زيد]: إنّه لايكبر أحد فوق أن يوصى بتقوى الله، ولايصغر دون أن يوصى بتقوى الله.

قال له هشام: بلغني أنّك تحدّث نفسك بالخلافة، ولا تصلح لها، لأنّك ابن أمة.

قال زيد: أمّا قولك: إنّي أُحدّث بالخلافة، فلا يعلم الغيب إلاّ الله. وأمّا قولك: إنّي ابن أمة، فهذا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن أمة، من صلبه خير البشر محمّد صلّى الله عليه وآله،وإسحاق ابن حرّة أخرج من صلبه القردة والخنازير وعبدة الطاغوت [قال له: قم! قال: إذن لا تراني إلّا حيث تكره] فلمّا خرج من عنده، قال: ماأحبّ أحد قطّ الحياة إلّا ذلّ. قال له حاجبه: لايسمع هذا الكلام منك أحد. وقال زيد بن عليّ:

شرّده الخوف وأزرى به ... كذاك من يكره حرّ الجلاد
محتفي الرجلين يشكو الوجى ... تقرعه أطراف مروٍ حداد
قد كان في الموت له راحة ... والموت حتم في رقاب العباد

ثمّ خرج وقتل[1].

(٦١)

شريك مع المهدي

دخل شريك يوماً على المهديّ؛ فقال له المهديّ:بلغني أنّك ولدت في قوصرة؟ فقال: ولدت ياأميرالمؤمنين بخراسان، والقواصرة هناك عزيزة.

قال: وإنّي لأراك فاطميّاً خبيثاً! قال: والله إنّي لأُحبّ فاطمة وأبا

(١) العقد الفريد: ج١ ص٣٢. ونقل ابن أبي الحديد: ج٣ ص٢٨٥-٢٨٦ قصة زيد بنحو آخر أطول ممّا نقلناه.

فاطمة صلّى الله عليه وآله.

قال: والله احبّها، ولكنيّ رأيتك في منامي مصروفاً وجهك عنّي، وماذاك إلّا لبغضك لنا، وماأراني إلاّ قاتلك لأنّك زنديق. قال: ياأميرالمؤمنين، إنّ الدماء لا تسفك بالأحلام؛ وليس رؤياك رؤيا يوسف النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم. وأمّا قولك: بأنّي زنديق، فانّ للزنادقة علامة يعرفون.

قال: وماهي؟ قال: بشرب الخمر والضرب بالطنبور.

قال: صدقت أباعبدالله، وأنت خير من الذي حملني عليك (وهو الربيع صاحب شرطة المهديّ)(١).

(٦٢)
الحضين بن المنذر مع عبدالله بن مسلم

تزعم الرّواة أنّ قتيبة بن مسلم لمّا افتتح سمرقند أفضى إلى أثاث لم يرمثله وإلى آلات لم يسمع بمثلها، فأراد أن يرى الناس عظيم ماافتتح الله عليه ويعرّفهم أقدار القوم الذين ظهر عليهم؛ فأمر بدار ففرشت، وفي صحنها قدور يرتقى إليها بالسلالم.

فاذا الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشي قد أقبل، والناس جلوس على مراتبهم، والحضين شيخ كبير؛ فلمّا رآه عبدالله بن مسلم قال لأخيه قتيبة: إئذن لي في معاتبته. قال: لا ترده، فانّه خبيث الجواب؛ فأبى عبدالله إلّا أنّ يأذن له وكان عبدالله يضعّف وكان قد تسوّر حائطاً إلى امرأة قبل ذلك فأقبل على الحضين، فقال: أمن الباب دخلت ياأبا ساسان؟ قال: أجل أسنّ عمّك من تسوّر الحيطان. قال: أرأيت هذه القدور؟ قال: هي أعظم من أن لا ترى. قال: ماأحسب بكر بن وائل رأى مثلها! قال: أجل ولاعيلان، ولو

(١) العقد الفريد: ج١ ص٣٧.

كان رآها سمّي شبعان ولم يسمّ عيلان. قال له عبدالله: أتعرف ياأبا ساسان الذي يقول:

عزلنا وامّرنا وبكر بن وائل ... تجرّ حضاها تبتغي من تحالف؟

قال: أعرفه وأعرف الذي يقول:

[وغيبة من يخيب على غنيٍّ ... وباهلة بن يعصر والرّباب

يريد ياخيبة من يخيب.

قال له أتعرف الذي يقول:

كأنّ فقاح الأزد حول ابن مسمع ... إذا عرقت أفواه بكر بن وائل؟

قال نعم: وأعرف الذي يقول:

قوم قتيبة أُمّهم وأبوهم ... لولا قتيبة أصبحوا في مجهل

قال: أمّا الشعر فأراك ترويه، فهل تقرأ من القرآن شيئاً؟قال: نعم أقرأ منه الأكثر الأطيب «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً» فأغضبه، فقال: والله لقد بلغني أنّ امرأة الحضين حملت إليه وهي حبلى من غيره!

قال: فما تحرك الشيخ عن هيئته الأولى، بل قال على رسله: ومايكون تلد غلاماً على فراشي فيقال: فلان بن الحضين، كما يقال: عبدالله بن مسلم. فأقبل قتيبة على عبدالله فقال: لايبعدالله غيرك .

والحضين هذا هو الحضين بن المنذر الرقاشي، ورقاش اُمّه، وهو من بني شيبان بن بكر بن وائل، وهو صاحب لواء عليّ بن أبي طالب-رضي الله عنه- بصفين على ربيعةِ كلّها؛ وله يقول عليّ بن أبي طالب:

لمن راية سوداء يخفق ظلّها ... إذا قيل:قدّمها حُضين تقدّما

يقدّمها في الصفّ حتىّ يزيرها ... حياض المنايا تقطر السّم والدما

جزى الله عنّي والجزاء بفضله ربيعة خيراً ماأعف وأكرما[1]

(٦٣)

عبدالله بن هاشم مع معاوية

لما قتل عليّ صلوات الله عليه كان في نفس معاوية من يوم صفين على هاشم بن عتبة ابن أبي وقّاص المرقال وولده عبدالله بن هاشم إحن، فلمّا استعمل معاوية زياداً على العراق كتب إليه:

أمّا بعد، فانظر عبدالله بن هاشم بن عتبة فشدّ يده إلى عنقه ثمّ ابعث به إليّ.

فحمله زياد من البصرة مقيّداً مغلولاً إلى دمشق؛ وقد كان زياد طرقه بالليل في منزله بالبصرة. فأُدخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص، فقال معاوية لعمرو بن العاص: هل تعرف هذا؟ قال: لا. قال: هذا الذي يقول أبوه يوم صفين:

إنّي شريت النفس لمّا اعتلّا وأكثر اللوم وماأقلّا
أعور يبغي أهله محلّا قد عالج الحياة حتى ملّا
لابدّ أن يفلّ أو يفلّا أشلّهم بذي الكعوب شلّا
لاخير عندي في كريم ولّى

فقال عمرو متمثّلاً:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

دونك ياأميرالمؤمنين الضبّ المضبّ! فاشخب أوداجه على أسباجه[2] ولا تردّه إلى [أهل] العراق، فانّه لايصبر عن النفاق، وهم أهل غدر وشقاق، وحرب

(١) الكامل للمبرّد: ج٢ ص٢٥. والعقد الفريد: ج٤ ص٣٨-٣٩. وابن أبي الحديد: ج١٨ ص١٥٢ وج٥ ص٣٣ عن الكامل للمبرّد.

(٢) «أثباجه»: (خ ل)، والسُبجة: رداء.

إبليس ليوم هيجاء؛ وإنّ له هوى سيرديه، ورأياً سيطغيه، وبطانة ستقويه، وجزاء سيّئة سيّئة مثلها.

فقال عبدالله: ياعمرو، إن أُقتل فرجل أسلمه قومه وأدركه يومه؛ أفلا كان هذا منك ، إذ تحيد عن القتال ونحن ندعوك إلى النزال، وأنت تلوذ بسمال النطاف وعقائق الرصاف، كالأمَة السوداء والنعجة القوداء، لا تدفع يد لامس؟!

فقال عمرو: أما والله، لقد وقعت في لهاذم شذقم للأقران ذي لبد، ولا أحسبك منفلتاً من مخاليب أميرالمؤمنين. فقال عبدالله: أما والله يابن العاص! إنّك لبطر في الرخاء، جبان عند اللقاء، غشوم إذا ولّيت، هيّابة إذا لقيت، تهدر كما يهدر العود المنكوس المقيّد بين مجرى الشول، لايستعجل في المدّة، ولايرتجى في الشدة؛ أفلا كان هذا منك؟ إذا غمرك أقوام لم يعنفوا صغاراً ولم يمزّقوا كباراً، لهم أيد شداد وألسنة حداد، يدعمون العوج ويذهبون الحرج، يكثرون القليل يشفون الغليل ويعزّون الذليل.

فقال عمرو: أما والله، لقد رأيت أباك يومئذ تخفق أحشاؤه وتبق أمعاؤه وتضطرب أطلاؤه، كأنّما انطبق عليه صمد.

فقال عبدالله: ياعمرو، إنّا قد بلوناك ومقالتك ، فوجدنا لسانك كذوباً غادراً؛ خلوت بأقوام لايعرفونك وجند لايسأمونك ، ولو رمت المنطق في غير أهل الشام لجحظ إليك عقلك وتلجلج لسانك ولاضطرب فخذاك اضطراب القعود الذي أثقله حمله. فقال معاوية: إيهاً عنكما! وأمر باطلاق عبدالله؛ فقال عمرو لمعاوية:

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني — وكان من التوفيق قتل ابن هاشم
أليس أبوه يامعاوية الّذي — أعان عليّاً يوم حزّ الغلاصم
فلم ينثني حتى جرت من دمائنا — بصفّين أمثال البحور الخضارم

وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه ويوشك أن تقرع به سنّ نادم

فقال عبدالله يجيبه:

معاوي إنّ المرء عمراً أبت له ضغينة صدر غشّها غير نائم
يرى لك قتلي ياابن هند وإنّما يرى مايرى عمرو ملوك الأعاجم
على أنّهم لايقتلون أسيرهم إذا منعت عنه عهود المسالم
وقد كان منّا يوم صفين نفرة عليك جناها هاشم وابن هاشم
قضى ماانقضى منها وليس الذي مضى ولاماجرى إلّا كأضغاث حالم
فان تعف عنّي تعف عن ذي قرابة وإن تر قتلي تستحلّ محارمي

فقال معاوية:

أرى العفو عن عليا قريش وسيلة إلى الله في يوم العصيب القماطر
ولست أرى قتلي الغداة ابن هاشم بإدراك ثاري في لؤيٍّ وعامر
بل العفو عنه بعدما بان جرمه وزلت به إحدى الحدود العوائر
فكان أبوه يوم صفين جمرة علينا فاردته رماح نهابر[1]

(٦٤)

عبدالله بن هشام مع معاوية

حضر عبدالله بن هاشم ذات يوم مجلس معاوية، فقال معاوية: من يخبرني عن الجود والنجدة والمروءة؟ فقال عبدالله: ياأميرالمؤمنين، أمّا الجود: فابتذال المال والعطيّة قبل السؤال، وأمّا النجدة: فالجرأة على الأقوام (الإقدام خ ل) والصبر عند ازورار الأقدام، وأمّا المروءة فالصلاح في الدين والإصلاح للمال

---

(١) مروج الذهب: ج٣ ص١٧-١٩. والعقد الفريد: ج٣ ص١٨-١٩. وابن أبي الحديد: ج٨ ص٨-١٠ نقله المورّخ الشهير «سپهر» في الناسخ بنحو يخالف مانقلناه فراجعه. ج٥ ص١٣٥-١٤٣ ونقله نصر في وقعة صفّين ص٣٤٨-٣٤٩ ط مصر. وفتوح ابن أعثم ج٣ ص٢٠٤-٢٠٧.

والمحاماة عن الجار[١].

(٦٥)

بعض الشيعة مع خصمه

روى الشيخ المفيد: أنّه قال بعض الشيعة لبعض الناصبة في محاورته له في فضل آل محمّد صلّى الله عليه وآله: أرأيت لو بعث الله نبيّه صلّى الله عليه وآله أين ترى كان يحطّ رحله وثقله؟ قال: فقال له الناصب: كان يحطّ في اهله وولده. قال: فقال له الشيعي: فإنّي قد حططت هواي حيث يحطّ رسول الله صلّى الله عليه وآله رحله وثقله.[٢]

(٦٦)

المفيد مع الكتبي

ومن كلام الشيخ (المفيد) أدام الله كفايته في إبطال إمامة أبي بكر من جهة الإجماع سأل المعروف بالكتبي فقال له: ماالدليل على فساد إمامة أبي بكر؟ فقال له: الدلالة على ذلك كثيرة، فأنا أذكر لك منها دليلاً يقرب من فهمك، وهو أنّ الامّة مجتمعة على أنّ الإمام لايحتاج إلى إمام، وقد أجمعت الامّة على أنّ أبا بكر قال على المنبر: «وليتكم ولست بخيركم، فان استقمت فاتّبعوني، وإن اعوججت فقوّموني» فاعترف بحاجته إلى رعيّته وفقره إليهم في تدبيره؛ ولاخلاف بين ذوي العقول أنّ من احتاج إلى رعيّته فهو إلى الإمام أحوج، وإذا ثبت حاجة أبي بكر إلى الإمام بطلت إمامته بالإجماع المنعقد على أنّ الإمام لايحتاج إلى الإمام. فلم يدر الكتبي بم يعترض.

وكان بالحضرة من المعتزلة رجل يعرف بعرزالة، فقال: ماأنكرت على من قال لك أنّ الامّة أيضاً مجتمعة على أنّ القاضي لايحتاج إلى قاض والأمير لايحتاج

---

(١) مروج الذهب: ج٣ ص١٩-٢٠ في نسخة دار الهجرة ص١٠-١١.

(١) البحار: ج١٠ ص٤١١.

إلى أمير؛فيجب على هذا الأصل أن يوجب عصمة الامراء، أويخرج من الإجماع؟.

فقال له الشيخ: إنّ سكوت الأوّل أحسن من كلامك هذا، وما كنت أظنّ أنّه يذهب عليك الخطأ في هذا الفصل، أو تحمل نفسك عليه مع العلم بوهنه؛ وذلك أنّه لاإجماع في ماذكرت، بل الإجماع في ضدّه، لأنّ الامّة متّفقة على أنّ القاضي الذي هو دون الإمام يحتاج إلى قاضٍ هو الإمام، وذلك يسقط ماتعلّقت به؛ اللّهم إلاّ أن تكون أشرت بالأمير والقاضي إلى نفس الإمام، فهو كما وصفت غير محتاج إلى قاضٍ يتقدّمه أو أمير عليه، وإنّما استغنى عن ذلك لعصمته وكماله؛ فأين موضوع إلزامك عافاك الله! فلم يأت لشيء[1].

(٦٧)

المفيد مع الشوطي من المعتزلة

ومن كلام الشيخ (المفيد) أدام الله نعماه أيضاً: سأله رجل من المعتزلة يعرف بأبي عمرو الشوطي، فقال له:أليس قد اجتمعت الامّة على أنّ أبا بكر وعمر كان ظاهرهما الإسلام؟ فقال له الشيخ: نعم قد أجمعوا على أنّهما كانا على ظاهر الإسلام زماناً؛ فأمّا أن يكونوا مجمعين على أنهما كانا في سائر أحوالهما على ظاهر الإسلام فليس في هذا إجماع، لا تّفاق أنّهما كانا على الشرك، ولوجود طائفة كثيرة العدد تقول: إنّهما كانا بعد إظهارهما الإسلام على ظاهر كفر بجحد النصّ وأنّه قد كان يظهر منهما النفاق في حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله

فقال الشوطي: قد بطل ماأردت أن أُورده على هذا السئوال بما أوردت، وكنت أظنّ أنّك تطلق القول على ماسألتك.

فقال له الشيخ: قد سمعت ماعندي، وقد علمت ماالذي أردت فلم امكنّك منه، ولكنّي أنا أضطرّك إلى الوقوع فيما ظننت أنك توقع خصمك فيه:

---

(١) البحار: ج١٠ ص٤١١-٤١٢.

أليس الامّة مجتمعة على أنّه من اعترف بالشكّ في دين الله عزّوجلّ والرّيب في نبوّة رسول الله-صلّىٰ الله عليه وآله فقد اعترف بالكفر وأقرّ به؟ فقال: بلى.

فقال له الشيخ: فانّ الامّة مجتمعة لاخلاف بينها على أنّ عمر بن الخطاب قال: ماشككت منذ أسلمت إلاّ يوم قاضىٰ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله أهل مكّة، فانّي جئت إليه، فقلت له: يارسول الله، ألست بنبيّ؟ فقال: بلى، فقلت: ألسنا بالمؤمنين؟ قال: بلى، فقلت له: فعلام تعطي هذه الدنيّة من نفسك؟ فقال: إنّها ليست بدنيّة ولكنّها خير لك! فقلت له: أفليس وعدتنا أنّك تدخل مكة؟ قال: بلى، قلت: فمابالنا لاندخلها؟ قال: وعدتك أن تدخلها العام؟ قلت: لا، قال: فستدخلها إن شاء الله تعالى؛ فاعترف بشكّه في دين الله عزّوجلّ ونبوّة رسوله، وذكر مواضع شكوكه وبيّن عن جهاتها؛ وإذا كان الأمر على ماوصفناه فقد حصل الإجماع على كفره بعد إظهار الإيمان واعترافه بموجب ذلك على نفسه. ثمّ ادّعى خصوم (خصومناخ ل) من الناصبة أنّه تيقّن بعد الشك ورجع إلى الإيمان بعد الكفر، فأطرحنا قولهم لعدم البرهان منهم، واعتمدنا على الإجماع فيما ذكرناه.

فلم يأت بشئ اكثر من أن قال: ماكنت أظنّ أحداً يدّعي الإجماع على كفر عمر بن الخطّاب حتى الآن! فقال الشيخ: فالآن قد علمت ذلك وتحقّقته، ولعمري، إنّ هذا ممّا لم يسبقني إلى استخراجه أحد! فان كان عندك شئ فأورده. فلم يأت بشئ[١].

(٦٨)

المفيد مع الورثاني

ومن كلام الشيخ أدام الله علوه أيضاً: حضر في دار الشريف أبي عبدالله

(١) البحار: ج١٠ ص٤١٢-٤١٤.

محمّد بن محمّد بن طاهر رحمه الله وحضر رجل من المتفقهة يعرف بالورثاني، وهو من فهمائهم؛ فقال له الورثاني: أليس من مذهبك أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله كان معصوماً من الخطأ، مبرأ من الزلل، مأموناً عليه السهو والغلط، كاملاً بنفسه، غنيّاً عن رعيّته؟.

فقال له الشيخ: بلى كذلك كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله قال: فما تصنع في قول الله عزّوجلّ: «وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكّل على الله»؟ أليس قد أمره الله تعالى بالاستعانة بهم في الرّأي وأفقره إليهم؛ فكيف يصحّ لك ماادّعيت مع ظاهر القرآن ومافعله النبيّ-صلّىٰ الله عليه وآله؟!

فقال الشيخ: إنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله لم يشاور أصحابه لفقر منه إلى رأيهم ولاحاجة دعته إلى مشورتهم من حيث ظننت وتوهّمت، بل لأمر آخر إنّا نذكره لك بعد الإيضاح عمّا خبّرتك به؛ وذلك :أنّا قد علمنا أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله كان معصوماً من الكبائر، وإن خالفت أنت في عصمته من الصغائر، وكان أكمل الخلق باتّفاق أهل الملّة وأحسنهم رأياً وأوفرهم عقلاً وأحكمهم تدبيراً؛ وكانت المواد[1] بينه وبين الله تعالى متّصلة، والملائكة تتواتر عليه بالتوقيف[2] عن الله سبحانه والتهذيب والإنباء له عن المصالح؛ وإذا كان بهذه الصّفات لم يصحّ أن يدعوه داعٍ إلى اقتباس الرأي من رعيته، لأنّه ليس أحد منهم إلاّ وهو دونه في سائر ماعددناه؛ وإنّما يستشير الحكيم غيره على طريق الاستفادة والاستعانة برأيه إذا تيقن أنه أحسن رأياً منه وأجود تدبيراً وأكمل عقلاً، أو ظنّ ذلك؛ فأمّا إذا أحاط علماً بأنّه دونه فيما وصفناه لم يكن لاستعانته في تدبيره برأيه معنى، لأنّ الكامل لايفتقر إلى الناقص فيما يحتاج فيه إلى الكمال، كما لايفتقر العالم إلى الجاهل فيما يحتاج فيه إلى العلم؛ والآية ينبّه

---

(١) كذا في النسخ، والظاهر أنّها «المواذّة».

(٢) «بالتوفيق»: (خ ل).

متضمّنها على ذلك ؛ ألا ترى إلى قوله عزّوجلّ: «وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكلّ على الله»؟ فعلّق وقوع الفعل بعزمه دون رأيهم ومشورتهم ؛ ولو كان إنّما أمره بمشورتهم للاستضاءة برأيهم لقال له: «فاذا أشاروا عليك فاعمل وإذا إجتمع رأيهم على أمر فأمضه» فكان تعلّق فعله بالمشورة دون العزم الذي يختص به؛ فلمّا جاء الذكر بما تلوناه سقط ماتوهّمته.

وأمّا وجه دعائه لهم إلى المشورة عليه صلوات الله عليه فانّ الله عزّوجلّ أمره بتألّفهم بمشورتهم وتعلّمهم مايصنعونه عند عزماتهم ليتأدّبوا بأدب الله عزّوجلّ، فاستشارهم لذلك، لا لحاجة إلى رأيهم.

على أنّ هاهنا وجهاً آخر بيّناً :وهو أن الله سبحانه أعلمه أنّ في امّته من يبتغي له الغوائل ويتربّص له الدوائر ويسرّ خلافه ويبطن مقته ويسعى في هدم أمره وينافقه[1] في دينه ولم يعرّفه أعيانهم ولادلّه عليهم بأسمائهم؛ فقال جلّ جلاله: «ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذّبهم مرّتين ثمّ يردّون إلى عذاب عظيم» وقال جلّ اسمه: «وإذا ماأُنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يريكم من أحد ثمّ انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنّهم قوم لايفقهون»، وقال تبارك اسمه: «يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فانّ الله لايرضى عن القوم الفاسقين» وقال تعالى: « ويحلفون بالله إنّهم لمنكم وماهم منكم ولكنّهم قوم يفرقون» وقال عزّوجلّ: «وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنّهم خشب مسنّدة يحسبون كلّ صيحة عليهم هم العدوّ فاحذرهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون» وقال جلّ جلاله: «ولايأتون الصلاة إلّا كسالى ولاينفقون إلّا وهم كارهون» وقال تبارك وتعالى: «وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولايذكرون الله إلاّ قليلاً» وقال سبحانه بعد

(١) «وينا قضه» : (خ ل).

أن نبّأه عنهم في الجملة: «ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنّهم في لحن القول».

فدلّ عليهم بمقالهم وجعل الطريق له إلى معرفتهم مايظهر من نفاقهم في لحن قولهم، ثمّ أمره بمشورتهم ليصل مايظهر منهم إلى علم باطنهم، فانّ النّاصح تبدو نصيحته في مشورته، والغاشّ المنافق يظهر ذلك في مقاله؛ فاستشارهم صلّىٰ الله عليه وآله لذلك؛ ولأنّ الله جلّ جلاله جعل مشورتهم الطريق إلى معرفتهم، ألا ترى أنّهم لمّا أشاروا ببدر عليه صلّىٰ الله عليه وآله في الأسرى، فصدرت مشورتهم عن نيّات مشوبة في نصيحته، كشف الله ذلك له وذمّهم عليه وأبان عن إدغالهم فيه، فقال جلّ اسمه: «ماكان للنبيّ أن يكون له اسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ★ لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم» فوجّه التوبيخ إليهم والتعنيف على رأيهم وأبان لرسوله صلّىٰ الله عليه وآله عن حالهم؛ فيعلم أنّ المشورة لهم لم يكن للفقر إلى رأيهم، ولكن كانت لماذكرناه.

فقال شيخ من القوم يعرف بالجرّاحي وكان حاضراً ياسبحان الله! أترى أنّ أبا بكر وعمر كانا من أهل النفاق؟ كلا ما نظنك أيّدك الله تطلق هذا! ومارأينا صلّىٰ الله عليه وآله استشار ببدر غيرهما، فان كانا هما من المنافقين فهذا مالانصبر عليه ولانقوى على استماعه، وان لم يكونا من جملة أهل النفاق، فاعتمد على الوجه الأوّل، وهو أنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله أراد أن يتألّفهم بالمشورة ويعلّمهم كيف يصنعون في أُمورهم.

فقال له الشيخ أدام الله نعماءه: ليس هذا من الحجاج أيّها الشيخ في شيء، وإنّما هو استكبار واستعظام معدول به عن الحجّة والبرهان؛ ولم نذكر إنساناً بعينه وإنّما أتينا بمجمل من القول ففصّله الشيخ وكان غنيّاً عن تفصيله.

وصاح الورثاني وأعلى صوته بالصياح يقول: الصحابة أجلّ قدراً من أن

يكونوا من أهل النفاق، ولاسيّما الصديق والفاروق! وأخذ في كلام نحو هذا من كلام السوقة والعامة وأهل الشغب والفتن.

فقال له الشيخ أيدّه الله : دع عنك الضجيج وتخلّص ممّا أوردته عليك من البرهان واحتل لنفسك وللقوم، فقد بان الحقّ وزهق الباطل بأهون سعي؛ والحمد لله ربّ العالمين[1].

(٦٩)

المفيد في جواب المعتزلة والحشويّة

ومن كلام الشيخ ـ أدام الله تأييده ـ أيضاً: سأله بعض أصحابه فقال له: إنّ المعتزلة والحشوّية يدّعون أنّ جلوس أبي بكر وعمر مع رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله في العريش كان أفضل من جهاد أميرالمؤمنين عليه السلام بالسيف، لأنّهما كانا مع النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله في مستقرّة يدبّران الأمر معه صلّىٰ الله عليه وآله،ولولا أنهما أفضل الخلق عنده مااختصهما بالجلوس معه؛ فبأيّ شيء تدفع هذا؟.

فقال له الشيخ: سبيل هذا القول أن يعكس، وهذه القضيّة أن تقلب؛ وذلك أنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله لو علم أنّهما لو كانا من جملة المجاهدين بأنفسهما يبارزان الأقران ويقتلان الأبطال ويحصل لهما جهاد يستحقّان به الثواب لما حال بينهما وبين هذه المنزلة التي هي أجلّ وأشرف وأعلىٰ وأسنى من القعود على كلّ حال بنصّ الكتاب، حيث يقول الله سبحانه: «لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضّرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجةً وكلّاً وعد الله الحسنى وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً» فلمّا رأينا الرسول صلّىٰ الله عليه

---

(١) البحار: ج١٠ ص٤١٤-٤١٧.

وآله قد منعهما هذه الفضيلة وأجلسهما معه علمنا أنّ ذلك لعلمه بأنّهما لو تعرّضا للقتال أو عرضا له لأفسدا إمّا بأنّ ينهزما أو يولّيا الدبر كما صنعا يوم أُحد وخيبر وحنين وكان يكون في ذلك عظيم الضرر على المسلمين ولايؤمن وقوع الوهن فيهم بهزيمة شيخين من جملتهم، أو كانا من فرط مايلحقهما من الخوف والجزع يصيران إلى أهل الشرك مستأمنين، أوغير ذلك من الفساد الذي يعلمه الله تعالى؛ ولعلّه لطف للامّة بأن أمر رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله بحبسهما عن القتال.

فأمّا ماتوهّموه: من أنّه حبسهما للاستعانة برأيهما، فقد ثبت أنّه كان كاملاً وكانا ناقصين عن كماله، وكان صلّىٰ الله عليه وآله معصوماً وكانا غير معصومين، وكان مؤيّداً بالملائكة وكانا غير مؤيّدين، وكان يوحىٰ إليه وينزل القرآن عليه ولم يكونا كذلك؛ فأيّ فقر يحصل له مع ماوصفناه إليهما لولا عمي القلوب وضعف الرأيّ وقلّة الدين؟!

والذي يكشف لك عن صحّة ماذكرته آنفاً في وجه إجلاسهما معه في العريش قول الله سبحانه: «إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقّاً في التوراة والإنجيل والفرقان» فلو يخلو الرجلان من أن يكونا مؤمنين أو غير مؤمنين، فقد اشترى الله عزّوجلّ أنفسهما منهما بالجنّة على شرط القتال المؤدّي إلى القتل منهما لغيرهما أو قتل غيرهما لهما؛ ولو كان ذلك كذلك لما حال النبيّ بينهما وبين الوفاء بشرط الله عليهما من القتال، وفي منعهما من ذلك دليل على أنّهما بغير الصفة التي يعتقدها فيهما الجاهلون؛ فقد وضح بما بيّناه أنّ العريش وبال عليهما ودليل على نقصهما وأنّه بالضدّ مّما توهّموه؛ والمنّة لله تعالى[1].

---

(١) البحار: ج١٠ ص٤١٧-٤١٨.

(٧٠)

المفيد مع الخياط

وقال الشيخ أدام الله عزّه: قال أبو الحسين الخيّاط جاءني رجل من أصحاب الإمامة عن رئيس لهم زعم أنّه أمره أن يسألني عن قول النبيّ صلّى الله عليه وآله لأبي بكر: «لاتحزن» أطاعة خوف أبي بكر أم معصية؟ قال: فان كان طاعة فقد نهاه عن الطاعة وإن كان معصية فقد عصى أبو بكر.

قال: فقلت له: دع الجواب اليوم ولكن ارجع إليه واسأله عن قول الله تعالى لموسى عليه السلام «لاتخف» أيخلو خوف موسى عليه السلام من أن يكون طاعة أم معصية؟ فان يك طاعة فقد نهاه عن الطاعة، وإن يك معصية فقد عصى موسى عليه السلام.

قال: فمضى ثمّ عاد إليّ؛ فقلت: رجعت إليه؟ قال: نعم؛ فقلت له: ماقال؟ قال: قال لي: لاتجلس إليه.

قال الشيخ أدام الله عزّه: ولست أدري صحّة هذه الحكاية، ولاأُبعد أن يكون من تخرّص الخيّاط. ولو كان صادقاً في قوله: إنّ رئيساً من الشيعة أنفذ مسألة عن هذا السؤال لما قصر الرّئيس عن إسقاط ماأورده من الاعتراض ويقوى في النفس أنّ الخيّاط أراد تقبيح أهل الإمامة في تخرّص هذه الحكاية، غير أنّي أقول له ولأصحابه:

الفصل بين الأمرين واضح، وذلك أنّي لو خلّيت وظاهر قوله تعالى لموسى عليه السلام: «لاتخف» وقوله تعالى لنبيه صلّى الله عليه وآله: «لايحزنك قولهم» وماأشبه هذا ممّا توجّه إلى الأنبياء-عليهم السلام-لقطعت على أنه نهي عن قبيح يستحقّون عليه الذم، لأنّ في ظاهره حقيقة النهي من قوله: «لا تفعل» كما أنّ في ظاهر خلافه ومقابله في الكلام حقيقة الأمر إذا قال له: «افعل»

لكنني عدلت عن الظاهر لدلالة عقليّة أوجبت عليّ العدول، كما يوجب الدلالة على المرور مع الظاهر عند عدم الدليل الصارف عنه؛ وهي ماثبت من عصمة الأنبياء عليهم السلام التي تنبئ عن اجتنابهم الآثام؛ وإذا كان الاتفاق حاصلاً على أنّ أبا بكر لم يكن معصوماً كعصمة الأنبياء عليهم السلام وجب أن يجري كلام الله تعالى فيما ضمّنه من قصّته على ظاهر النهي وحقيقته وقبح الحال التي كان عليها فتوجه النهي إليه عن استدامتها، إذ لاصارف يصرف عن ذلك من عصمته ولاخبر عن الله سبحانه فيه ولاعن رسوله صلّى الله عليه وآله فقد بطل ماأورده الخيّاط ـ وهو في الحقيقة رئيس المعتزلة ـ وبان وَهْي اعتماده.

ويكشف عن صحّة ماذكرناه ماتقدّم به مشايخنا رحمهم الله وهو: أنّ الله سبحانه لم ينزل السكينة قطّ على نبيه صلّى الله عليه وآله في موطن كان معه فيه أحد من أهل الإيمان إلّا عمّهم بنزول السكينة وشملهم بها؛ بذلك جاء القرآن، قال الله سبحانه: «ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلن تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثمّ ولّيتم مدبرين ★ ثمّ أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين» ولمّا لم يكن مع النبيّ صلّى الله عليه وآله في الغار إلاّ أبو بكر أفرد الله سبحانه نبيّه بالسكينة دونه وخصّه بها ولم يشركه معه؛ فقال عزّ اسمه: «فأنزل الله سكينته عليه وأيّده بجنود لم تروها» فلو كان الرّجل مؤمناً لجرى مجرى المؤمنين في عموم السكينة لهم.

ولولا أنّه أحدث بحزنه في الغار منكراً لأجله توجّه النهي إليه عن استدامته لما حرمه الله تعالى من السكينة ماتفضّل به على غيره من المؤمنين الذين كانوا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله في المواطن الأُخر على ما جاء في القرآن ونطق به محكم الذكر بالبيان؛ وهذا بيّن لمن تأمّله.

قال الشيخ أيّده الله: وقد حيّر هذا الكلام جماعة من الناصبة وضيّق صدورهم فتشعّبوا واختلفوا في الحيلة في التخلّص منه. فما أعتمد منهم أحد إلّا

على مايدلّ على ضعف عقله وسخف رأيه وضلاله عن الطريق؛ فقال قوم منهم: إنّ السكينة إنّما نزلت على أبي بكر؛ واعتلّوا في ذلك بأنّه كان خائفاً رعباً، ورسول الله صلّىٰ الله عليه وآله كان آمناً مطمئناً؛ قالوا: والآمن غنيّ عن السكينة، وإنّما يحتاج الخائف الوجل.

قال الشيخ أيّده الله: فيقال لهم: قد جنيتم بجهلكم على أنفسكم بطعنكم في كتاب الله بهذا الضعيف الواهي من استدلالكم؛ وذلك أنّه لو كان مااعتللتم به صحيحاً لوجب أن لا تكون السكينة نزلت على رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله في يوم بدر ولا في يوم حنين، لأنّه لم يك صلّىٰ الله عليه وآله في هذين الموضعين خائفاً ولاجزعاً، بل كان آمناً مطمئنّاً متيقّناً بكون الفتح له وأنّ الله تعالى يظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون؛ وفيما نطق به القرآن من تنزيل السكينة عليه مايدمّر على هذا الاعتلال.

فان قلتم: إنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله كان في هذين المقامين خائفاً وإن لم يبد خوفه فلذلك نزلت السكينة عليه فيهما وحملتم انفسكم على هذه الدّعوى، قلنا لكم: وهذه كانت قصّته صلّىٰ الله عليه وآله في الغار، فلم تدفعون ذلك؟.

فان قلتم: إنّه-صلّىٰ الله عليه وآله-قد كان محتاجاً إلى السكينة في كلّ حال لينتفي عنه الخوف والجزع ولايتعلّقان به في شيء من الأحوال، نقضتم ماسلف لكم من الاعتلال وشهدتم ببطلان مقالكم الذي قدّمناه. على أنّ نصّ التلاوة يدلّ على خلاف ماذكرتموه؛ وذلك أنّ الله سبحانه قال: «فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها» فأنبأ الله عزّوجلّ خلقه أنّ الذي نزلت عليه السكينة هو المؤيّد بالملائكة؛ وإذا كانت «الهاء» التي في التأييد تدلّ على مادلّت عليه «الهاء» التي في نزول السكينة، وكانت «هاء» الكناية من مبتدأ قوله: «إلّا تنصروه فقد نصره الله» إلى قوله: «وأيّده بجنود لم تروها» عن مكنّى واحد ولم يجز أن تكون عن إثنين غيرين، كما لايجوز أن يقول القائل: لقيت

زيداً فأكرمته وكلّمته، فيكون الكلام لزيد بهاء الكناية ويكون الكرامة لعمرو أو خالد أو بكر؛ وإذا كان المؤيّد بالملائكة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله باتّفاق الأُمّة، فقد ثبت أنّ الذي نزلت عليه السكينة هو خاصّة دون صاحبه. وهذا مالا شبهة فيه.

وقال قوم منهم: إنّ السكينة وان اختصّ بها النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله فليس يدلّ ذلك على نقص الرّجل، لأنّ السكينة إنّما يحتاج إليها الرئيس المتبوع دون التابع.

فيقال لهم: هذا ردّ على الله سبحانه، لأنّه قد أنزلها على الأتباع المرؤسين ببدر وحنين وغيرهما من المقامات، فيجب على ماأصّلتموه أن يكون الله سبحانه فعل بهم مالم يكن بهم الحاجة إليه؛ ولو فعل ذلك لكان عابثاً، تعالى الله عمّا يقول المبطلون علوّاً كبيراً!.

قال الشيخ أدام الله عزّه: وهاهنا شبهة يمكن إيرادها هي أقوى مّما تقدّم، غير أنّ القوم لم يهتدوا إليها، ولاأظنّ أنّها خطرت ببال أحد منهم؛ وهو أن يقول قائل: قد وجدنا الله سبحانه ذكر شيئين، ثمّ عبّر عن أحدهما بالكناية، فكانت الكناية عنهما معاً دون أن يختصّ بأحدهما؛ وهو مثل قوله سبحانه: «والذين يكنزون الذهب والفضّة ولاينفقونها في سبيل الله» فأورد لفظ الكناية عن الفضّة خاصّة وإنّما أرادهما جميعاً معاً؛ وقد قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والأمر مختلفْ

وإنّما أراد نحن بما عندنا راضون وأنت راضٍ بما عندك ، فذكر أحد الأمرين فاستغنى عن الآخر؛ كذلك يقول سبحانه: «فأنزل الله سكينته عليه» ويريدهما جميعاً دون أحدهما.

والجواب عن هذا وبالله التوفيق أن الاختصار بالكناية على أحد المذكورين دون عموم الجميع مجاز واستعارة، واستعمله أهل اللسان في مواضع

مخصوصة، وجاء به القرآن في أماكن محصورة؛ وقد ثبت أنّ الاستعارة ليست بأصل يجري في الكلام، ولايصحّ عليها القياس؛ وليس يجوز لنا أن نعدل عن ظواهر القرآن وحقيقة الكلام إلّا بدليل يلجئ إلى ذلك؛ ولادليل في قوله تعالى: «فأنزل الله سكينته عليه» فنتعدّى من أجله المكنّى عنه إلى غيره.

وشيء آخر: وهو أنّ العرب إنّما تستعمل ذلك إذا كان المعنى فيه معروفاً والألتباس عنه مرتفعاً، فتكتفي بلفظ الواحد عن الا ثنين للاختصار ولأمانها من وقوع الشبهة والارتياب، فأمّا إذا لم يكن الشيءمعروفاً وكان الالتباس عند أفراده متوهّماً لم يستعمل ذلك ،ومن استعمله كان عندهم ملغزاً معمّياً؛ ألا ترى أنّ الله سبحانه لـمّا قال: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها» علم كلّ سامع للخطاب أنّه أرادهما معاً مع ماقدّمه من كراهة كنزهما المانع من إنفاقهما؟ فلمّا عمّ الشيئين بذكر ينتظمهما في ظاهر المقال بما يدّل على معنى ماأخّره من ذكر الانفاق اكتفى بذكر أحدهما للاختصار.

وكذلك قوله تعالى: «وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها» وإنما اكتفى بالكناية عن أحدهما في ذكرهما معاً لما قدّمه في ذكرهما من دليل ماتضمّنه الدلالة، فقال تعالى: «وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضّوا إليها». فأوقع الرؤية على الشيئين جميعاً، وجعلها سبباً للاشتغال بما وقعت عليه منهما عن ذكر الله سبحانه والصلاة؛ وليس يجوز أن يقع الالتباس في أنّه أراد أحدهما مع ماقدّم من الذكر، إذ لو أراد ذلك لخلا الكلام عن الفائدة المعقولة؛ وكانّ العلم بذلك يجزي في الإشارة إليه.

وكذلك قوله سبحانه: «والله ورسوله أحقّ أن يرضوه» لـمّا تقدّم ذكر الله تعالى على التفصيل وذكر رسوله صلّى الله عليه وآله على البيان، دلّ على أنّ الحقّ في الرضا لهما جميعاً، وإلّا لم يكن ذكرهما جميعاً معاً يفيد شيئاً على الحدّ الذي قدّمناه.

وكذلك قول الشاعر: «وأنت بما عندك راض والأمر مختلف» لولم يتقدّمه قبله «نحن بما عندنا» لم يجز الاقتصار على الثاني، لأنّه لو حمل الأوّل على إسقاط المضمر من قوله: «راضون» لخلا من الفائدة؛ فلمّا كان سائر ماذكرناه معلوماً عند من عقل الخطاب جاز الاقتصار فيه على أحد المذكورين للايجاز والاختصار.

وليس كذلك قوله تعالى: «فأنزل الله سكينته عليه» لأنّ الكلام يتمُّ فيها وينتظم في وقوع الكناية عن النبيّ صلّى الله عليه وآله خاصّة دون الكائن معه في الغار؛ ولايفتقر إلى ردّ «الهاء» عليهما معاً مع كونهما في الحقيقة كناية عن واحد في الذكر وظاهر اللسان، ولو أرادها للجميع لحصل الالتباس والتعمية والإلغاز، لأنّه كما يكون اللبس واقعاً عند دليل الكلام على انتظامها للجميع متى أُريد بها الواحد مع عدم الفائدة لولم يرجع على الجميع كذلك يكون التلبيس حاصلاً إذا أُريد بها الجميع عند عدم الدّليل الموجب لذلك، وكمال الفائدة مع الاقتصار على الواحد في المراد؛ ألا ترى أنّ قائلاً لو قال: «لقيت زيداً ومعه عمرو فخاطبت زيداً وناظرته» وأراد بذلك مناظرة الجميع لكان ملغزاً معمّياً؟ لأنّه لم يكن في كلامه مايفتقر إلى عموم الكناية عنهما.

ولو جعل هذا نظير الآيات التي تقدّمت لكان جاهلاً بفرق مابينها وبينه ممّا شرحناه؛ فتعلم أنّه لانسبة بين الأمرين.

وشيء آخر: وهو أنّه سبحانه كنّى بالهاء التالية للهاء التي في السكينة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله خاصّة، فلم يجز أن يكون أراد بالاوّلة غير النبيّ صلّى الله عليه وآله لأنّه لايعقل في لسان القوم كناية عن مذكورين بلفظ واحد، وكناية ترد فيها على النّسق عن واحد من الاثنين؛ وليس لذلك نظير في القرآن ولا في الأشعار ولا في شيءٍ من الكلام فلمّا كانت «الهاء» في قوله تعالى: «وأيّده بجنود لم تروها» كناية عن النبيّ صلّى الله عليه وآله بالاتّفاق، ثبت

أنّ التي قبلها من قوله: «فأنزل الله سكينته عليه» كناية عنه صلّى الله عليه وآله خاصّة؛ وبان مفارقة ذلك لجميع ماتقدّم ذكره من الآي والشعر الذي استشهد. والله الموفق للصّواب[1].

(٧١)

المفيد مع من يذهب مذهب الكرابيسي

ومن كلام الشيخ أدام الله عزّه قال: قال له رجل من أصحاب الحديث ممّن يذهب إلى مذهب الكرابيسيّ: مارأيت أجسر من الشيعة فيما يدّعونه من المحال؛ وذلك أنّهم زعموا أنّ قول الله عزّوجلّ: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً» نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام مع مافي ظاهر الآية أنّها نزلت في أزواج النبيّ صلّى الله عليه وآله وذلك أنّك إذا تأملت الآية من أوّلها إلى آخرها وجدتها منتظمة لذكر الأزواج خاصّة، ولن تجد لمن ادّعوها له ذكراً.

قال الشيخ أدام الله عزّه: أجسر الناس على ارتكاب الباطل وأبهتهم وأشدّهم انكاراً للحقّ وأجهلهم من قام مقامك في هذا الاحتجاج ودفع ماعليه الإجماع والاتّفاق؛ وذلك: أنّه لاخلاف بين الأُمّة أنّ الآية من القرآن قد تأتي وأوّلها في شيء وآخرها في غيره ووسطها في معنى وأولها في سواه، وليس طريق الاتّفاق في المعنى احاطة وصف الكلام في الآتي؛ فقد نقل الموافق والمخالف أنّ هذه الآية نزلت في بيت أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ ورسول الله صلّى الله عليه وآله في البيت ومعه عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقد جلّلهم بعباء خيبريّة، وقال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي» فأنزل الله عزّوجلّ عليه «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً» فتلاها

---

(١) البحار: ج١٠ ص٤١٨-٤٢٤.

رسول الله صلّى الله عليه وآله فقالت امّ سلمة رضي الله عنها: يارسول الله ألست منْ أهل بيتك ؟ فقال لها: «إنّك إلى خير» ولم يقل لها: «إنّك من أهل بيتي» حتى روى أصحاب الحديث أنّ عمر سئل عن هذه الآية، قال: سلوا عنها عائشة؛ فقالت عائشة: إنّها نزلت في بيت أُختي أمّ سلمة، فسلوها عنها، فانّها أعلم بها منّي؛ فلم يختلف أصحاب الحديث من الناصبة وأصحاب الحديث من الشيعة في خصوصها فيمن عددناه.

وحمل القرآن في التأويل على ماجاء به الأثر أولى من حمله على الظنّ والترجيم؛ مع أنّ الله سبحانه قد دلّ على صحّة ذلك بتضمّن هذه الآية حيث يقول: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً» وإذهاب الرجس لايكون إلّا بالعصمة من الذنوب، لأنّ الذنوب من أرجس الرجس؛ والخبر عن الإرادة هاهنا إنّما هو خبر عن وقوع الفعل خاصّة دون الإرادة التي يكون بها لفظ الأمر أمراً، لاسيّما على ماأذهب إليه في وصف القديم بالإرادة وافترق بين الخبر عن الإرادة هاهنا والخبر عن الإرادة في قوله سبحانه: «يريد الله ليبيّن لكم» وقوله: «يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر» إذ لو جرت مجرىً واحداً لم يكن لتخصيص أهل البيت بها معنى، إذ الإرادة التي يقتضي الخبر والبيان يعمّ الخلق كلّهم على وجهها في التفسير ومعناها؛ فلمّا خصّ الله تبارك وتعالى أهل البيت عليهم السلام بإرادة ذهاب الرجس عنهم دلّ على ماوصفناه من وقوع إذهابه عنهم، وذلك موجب للعصمة على ماذكرناه.

وفي الاتّفاق على ارتفاع العصمة عن الأزواج دليل على بطلان مقال من زعم أنّها فيهنّ.

مع أنّ مَنْ عرف شيئاً من اللسان وأصله لم يرتكب هذا القول ولا توهّم صحّته؛ وذلك: أنّه لاخلاف بين أهل العربيّة أنّ جمع المذكر بالميم وجمع

المؤنث بالنّون، وأنّ الفصل بينهما بهاتين العلامتين؛ ولايجوز في لغة القوم وضع علامة المؤنّث على المذكّر ولاوضع علامة المذكّر على المؤنّث، ولااستعملوا ذلك في الحقيقة والمجاز؛ ولمّا وجدنا الله سبحانه قد بدأ في هذه الآية بخطاب النساء وأورد علامة جمعهنّ من النون في خطابهنّ، فقال: «يانساء النبيّ لستنّ كأحد من النساء إن اتقيتنّ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض» إلى قوله: «وأطعن الله ورسوله» ثمّ عدل الكلام عنهنّ بعد هذا الفصل إلى جمع المذكر، فقال: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً» فلمّا جاء بالميم وأسقط النون علمنا أنّه لم يتوجّه هذه القول إلى المذكور الأوّل بما بيّناه من أصل العربيّة وحقيقتها؛ ثمّ رجع بعد ذلك إلى الأزواج، فقال: «واذكرن مايتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة إنّ الله كان لطيفاً خبيراً».

فدلّ بذلك على إفراد من ذكرناه من آل محمّد عليهم السلام بما علّقه عليهم من حكم الطهارة الموجبة للعصمة وجليل الفضيلة.

وليس يمكنكم معشر المخالفين أن تدّعوا أنّه كان في الأزواج مذكوراً رجل غير النساء أو ذكر ليس برجل، فيصحّ التعلّق منكم بتغليب المذكّر على المؤنّث إذ كان في الجمع ذكر؛ وإذا لم يمكن ادّعاء ذلك وبطل أن يتوجّه إلى الأزواج، فلا غير لهنّ توجّهت إليه إلّا من ذكرناه ممّن جاء فيه الأثر على مابيّنّاه[1].

(٧٢)

المفيد يستدلّ على الإمامة

ومن كلام الشيخ أدام الله عزّه أيضاً في الدلالة على أنّ أميرالمؤمنين صلوات الله عليه وتسليمه لم يبايع أبا بكر قال الشيخ: قد أجتمعت الامّة على أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام تأخّر عن بيعة أبي بكر؛ فالمقلّل يقول: كان تأخّرة

---

(١) البحار: ج١٠ ص٤٢٤-٤٢٧.

ثلاثة أيّام، ومنهم من يقول: تأخّر حتى ماتت فاطمة عليها السلام ثمّ بايع بعد موتها، ومنهم من يقول: تأخّر أربعين يوماً، ومنهم من يقول: تأخّر ستّة أشهر، والمحققون من أهل الإمامة يقولون: لم يبايع ساعة قطّ؛ فقد حصل الإجماع على تأخره عن البيعة، ثمّ اختلفوا في بيعته بعد ذلك على ماقدّمنا به الشرح.

فما يدلّ على أنّه لم يبايع البتّة: أنّه ليس يخلو تأخّره من أن يكون هدىً وتركه ضلالاً، أو يكون ضلالاً وتركه هدىً وصواباً، أو يكون صواباً وتركه صواباً، أو يكون خطأً وتركه خطأ.

فلو كان التأخّر ضلالاً و باطلاً لكان أمير المؤمنين عليه السلام قد ضلّ بعد النبي صلّى الله عليه وآله بترك الهدى الذي كان يجب عليه المصير إليه؛ وقد أجمعت الأُمّة على أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يقع منه ضلال بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله في طول زمان أبي بكر وأيّام عمر وعثمان وصدراً من أيّامه حتىّ خالفت الخوارج عند التحكيم وفارقت الأُمّة؛ فبطل أن يكون تأخّره عن بيعة أبي بكر ضلالاً.

وإنّ كان تأخّره هدىً وصواباً وتركه خطأً وضلالاً، فليس يجوز أن يعدل عن الصواب إلى الخطأ ولا عن الهدى إلى الضّلال، ولاسيّما والإجماع واقع على أنّه لم يظهر منه ضلال في أيّام الثلاثة الذين تقدّموا عليه.

ومحال أن يكون التأخّر خطأً وتركه خطأ، للإجماع على بطلان ذلك أيضاً، ولما يوجبه القياس من فساد هذا المقال.

وليس يصحّ أن يكون صواباً وتركه صواباً، لأنّ الحقّ لايكون في جهتين ولاعلى وصفين متضادّين، ولأنّ القوم المخالفين لنا في هذه المسألة مجمعون على أنّه لم يكن إشكال في جوار الاختيار وصحّة إمامة أبي بكر؛ وإنّما الناس بين قائلين: قائل من الشيعة يقول: إنّ إمامة أبي بكر كانت فاسدة فلا يصحّ القول

بها أبداً، وقائل من الناصبة يقول: إنّها كانت صحيحة ولم يكن على أحد ريب في صوابها، إذ جهة استحقاق الإمامة هو ظاهر العدالة والنسب والعلم والقدرة على القيام بالامور، ولم تكن هذه الامور ملتبسة على أحد في أبي بكر عندهم؛ وعلى مايذهبون إليه فلا يصحّ مع ذلك أن يكون المتأخّر عن بيعته مصيباً أبداً، لأنّه لايكون متأخّراً لفقد الدليل، بل لايكون متأخّراً لشبهة، وإنّما يتأخّر إذا ثبت أنّه تأخر للعناد.

فثبت بما بيّناه أن أميرالمؤمنين عليه السلام لم يبايع أبا بكر على شيء من الوجوه، كما ذكرناه وقدّمناه.

وقد كانت الناصبة غافلةً عن هذا الاستخراج مع موافقتها على أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام تأخّر عن البيعة وقتاً ما؛ ولوفطنت له لسبقت بالخلاف فيه عن الإجماع؛ وما أبعد أنهم سيرتكبون ذلك إذا وقفوا على هذا الكلام، غير أنّ الإجماع السابق لمرتكب ذلك يحجّه ويسقط قوله، فيهون قصّته، ولايحتاج معه إلى الإكثار.[1]

(٧٣)
ابن عبّاس مع عمر بن الخطّاب

قال (عمر) لعبدالله بن عبّاس يوماً: ياعبدالله، ماتقول في منع قومكم منكم؟ قال: لاأعلم ياأميرالمؤمنين، قال: اللّهم غفراً! إنّ قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوّة والخلافة، فتذهبون في السماء بُذَّخاً وشُمَّخاً. لعلكم تقولون: إنّ أبا بكر أراد الإمرة عليكم وهضمكم، كلّا! لكنّه حضره أمر لم يكن عنده أحزم ممّا فعل؛ ولولا رأي أبي بكر فيّ بعد موته لأعاد أمركم إليكم، ولو فعل

(١) البحار: ج١٠، ص٤٢٧، والفصول المختارة: ص٣٩ ط المؤتمر.

ماهنأكم مع قومكم! إنّهم لينظرون إليكم نظر الثور إلى جازره.[١]

(٧٤)

ابن عبّاس مع عمر

عن ابن عبّاس، قال: مرّ عمر بعليّ وعنده ابن عبّاس بفناء داره، فسلّم؛ فسألاه اين تريد؟ فقال: مالي بينبع؛ قال عليّ: أفلا نصل جناحك ونقوم معك؟ فقال: بلى؛ فقال لابن عبّاس: قم معه؛ قال: فشبّك أصابعه في أصابعي ومضى حتىّ إذا خلّفنا البقيع، قال: ياابن عبّاس، أما والله، أنّ صاحبك هذا أولى الناس بالأمر بعد وفاة رسول الله، إلاّ أنّا خفناه على اثنتين؛ قال ابن عبّاس: فجاء بمنطق لم أجد بدّاً معه من مسألته عنه؛ فقلت: ياأميرالمؤمنين، ماهما؟ قال: خشيناه على حداثة سنّه وحبّه بني عبدالمطلب[٢].

(٧٥)

ابن عبّاس وعمر

عن ابن عبّاس رحمه الله تعالى قال: تفرّق الناس ليلة الجابية عن عمر، فسار كل واحد مع إلفه؛ ثمّ صادفت عمر تلك الليلة في مسيرنا فحادثته، فشكا إليّ تخلّف علي عنه؛ فقلت: ألم يعتذر إليك؟ قال: بلى؛ فقلت: هو ماعتذر به؟ قال: ياابن عبّاس، إنّ أوّل من ريّثكم عن هذا الأمر أبو بكر، إنّ قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوّة؛ قلت: لم ذاك ياأميرالمؤمنين؟ ألم نُنلهم خيراً؟ قال: بلى، ولكنّهم لو فعلوا لكنتم عليهم جحفاً جحفاً[٣].

---

(١) ابن أبي الحديد: ج؛ ص١٨٩. والبحار: ج٨ ص٢٩٢ ط الكمباني.

(٢) ابن أبي الحديد: ج٢ ص٥٧.

(٣) ابن أبي الحديد: ج٢ ص٥٨.

(٧٦)

ابن عبّاس وعمر

كان عبد الله بن عبّاس عند عمر، فتنفّس عمر نفساً عالياً، قال ابن عبّاس: حتى ظننت أنّ أضلاعه قد انفرجت! فقلت له: ماأخرج هذا النفس منك ياأمير المؤمنين إلّا همّ شديد، قال: إي والله يا ابن عبّاس! إنّي فكّرت فلم أدر فيمن أجعل هذا الأمر بعدي. ثمّ قال: لعلّك ترى صاحبك لها أهلاً! قلت: ومايمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه؟ قال: صدقت، ولكنّه امرؤ فيه دُعابة؛ قلت: فأين أنت من طلحة؟ قال: هو ذو البأو باصبعه المقطوعة؛ قلت: فعبد الرحمن؟ قال: رجل ضعيف لو صار الأمر اليه لوضع خاتمه بيد امرأته؛ قلت: فالزبير؟ قال شكس لَقِس يلاطم في البقيع في صاع من برّ؛ قلت: فسعد ابن أبي وقّاص؟ قال: صاحب مقنب وسلاح؛ قلت: فعثمان؟ قال: آوّه! آوّه! مراراً؛ ثمّ قال: والله لئن وليها ليحملنّ بني أبي معيط على رقاب الناس ثمّ لتنهضنّ إليه العرب فتقتله.

ثمّ قال: يا ابن عبّاس، إنّه لايصلح لهذا الأمر إلاّ حصيف العقدة قليل الغرّة لا تأخذه في الله لومة لائم، يكون شديداً من غير عنف، ليّناً من غير ضعف، جواداً من غير سرف، ممسكاً من غير وكف. قال ابن عبّاس: وكانت هذه صفات عمر؛ ثمّ أقبل عليّ فقال: إنّ أحراهم أن يحملهم على كتاب ربّهم وسنّة نبيّهم لصاحبك! والله لئن وليها ليحملنّهم على المحجّة البيضاء والصّراط المستقيم[١]

---

(١) ابن أبي الحديد: ج٦ ص٣٢٦، وج١٢ ص٥١-٥٢/١٤٢.

(٧٧)

ابن عبّاس وعمر

روى ابن عبّاس -رض- قال: دخلت على عمر في أوّل خلافته...قال من أين جئت ياعبدالله؟ قلت: من المسجد؛ قال: كيف خلّفت ابن عمّك؟ فظننته يعني عبدالله بن جعفر، قلت: خلّفته يلعب مع أترابه؛ قال: لم أعنِ ذلك، إنّما عنيت عظيمكم أهل البيت، قلت:خلّفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان.وهو يقرأ القرآن.

قال: ياعبدالله! عليك دماء البُدن إن كتمتنيها هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟... قلت:نعم،وأزيدك ،سألت أبي عمّايدّعيه،فقال:صدق.

فقال عمر: لقد كان من رسول الله صلّى الله عليه وآله في أمره ذروٌ من قول لايثبت حجةً ولايقطع عذراً؛ ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما؛ ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام! لاوربّ هذه البنيّة لاتجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لانتفضت عليه العرب من أقطارها؛ فعلم رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّي علمت مافي نفسه فأمسك؛ وأبى الله إلّا إمضاء ماحتم[1].

(٧٨)

ابن عبّاس وعمر

روى الزبير بن بكّار في كتاب الموفّقيّات عن عبدالله بن عبّاس، قال: إنّي لأُماشي عمر بن الخطاب في سكّة من سكك المدينة، إذ قال لي: ياابن عباس،

---

(١) ابن أبي الحديد: ج١٢ ص٢١-٢٢ عن تاريخ بغداد والبحار:ج٨ ص٢٦٦ ط الكمباني عنه وص٢٩٢ عنه وعن تاريخ بغداد.

ما أرى صاحبك إلاّ مظلوماً! فقلت في نفسي: والله لايسبقني بها، فقلت: ياأمير المؤمنين، فاردد إليه ظلامته؛ فانتزع يده من يدي ومضى يهمهم ساعة، ثمّ وقف، فلحقته؛ فقال: ياابن عبّاس، ماأظنّهم منعهم عنه إلّا أنّه استصغره قومه؛ فقلت في نفسي: هذه شرّ من الأولى؛ فقلت: والله ما استصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك، فأعرض عنيّ وأسرع، فرجعت عنه[1].

(٧٩)
ابن عبّاس وعمر

عن عبدالله بن عبّاس قال: خرجت اريد عمر بن الخطّاب فلقيته راكباً حماراً وقد ارتسنه بحبل أسود في رجليه نعلان مخصوفتان.... قال: ياابن عبّاس، إنّ صاحبكم إن ولي هذا الأمر أخشى عجبه بنفسه أن يذهب به، فليتني أراكم بعدي!

قلت: ياأمير المؤمنين، إنّ صاحبنا ماقد علمت أنّه ماغيّر ولابدّل ولاأسخط رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أيّام صحبته له.

قال: فقطع عليّ الكلام، فقال: ولا في ابنة أبي جهل لمّا أراد أن يخطبها على فاطمة عليها السلام؟ قلت: قال الله تعالى: «ولم نجد له عزماً» وصاحبنا لم يعزم على سخط رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكن الخواطر التي لايقدر أحد على دفعها عن نفسه؛ وربّما كان من الفقيه في دين الله العالم العامل بأمر الله.

فقال: ياابن عبّاس، من ظنّ أنّه يرد بحوركم فيغوص فيها معكم حتى يبلغ

---

(١) ابن أبي الحديد: ج١٢ ص٤٦؛ وفي الهامش: عن الرياض النضرة: ج٢ ص١٧٣. وفي ج٦ ص٤٥. والبحار: ج٤٠ ص١٢٥

قعرها فقد ظنّ عجزاً! أستغفر الله لي ولك، خذ في غيرها[1].

(٨٠)
عبدالله بن عبّاس وعمر

روى عبدالله بن عمر قال: كنت عند أبي يوماً وعنده نفر من الناس، فجرى ذكر الشعر؛ فقال: من أشعر العرب؟ فقالوا: فلان وفلان، فطلع عبدالله بن عبّاس فسلّم وجلس. فقال عمر: قد جاءكم الخبير، من أشعر الناس ياعبدالله؟ قال: زهير بن أبي سلمى. قال: فانشدني ممّا تستجيده له؛ فقال: ياأمير المؤمنين، إنّه مدح قوماً من غطفان يقال لهم بنو سنان، فقال:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأوّلهم أو مجدهم قعدوا
قوم أبوهم سنان حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ماولدوا
إنس إذا أمنوا جنّ إذا فزعوا مرزّؤن بهاليل إذا جهدوا
محسّدون على ما كان من نعم لاينزع الله منهم ما له حُسدوا

فقال عمر: والله لقد أحسن، ومأرى هذا المدح يصلح إلّا لهذا البيت من هاشم، لقرابتهم من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم فقال ابن عبّاس: وفقك الله ياأمير المؤمنين، فلم تزل موفقاً.

فقال: ياابن عبّاس! أتدري مامنع الناس منكم؟ قال: لا ياأمير المؤمنين، قال: لكنيّ أدري، قال: ماهو ياأمير المؤمنين؟ قال: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فيجخفوا جخفاً؛ فنظرت قريش لنفسها فاختارت ووفّقت فأصابت.

فقال ابن عبّاس: أيميط أمير المؤمنين عنيّ غضبه فيسمع؟ قال: قل ماتشاء. قال: أمّا قول أمير المؤمنين: «إنّ قريشاً كرهت» فانّ الله تعالى قال لقوم:

---

(١) ابن أبي الحديد: ج١٢ ص٥٠-٥١. وج٦ ص٥٠.

«ذلك بأنّهم كرهوا ماأنزل الله فأحبط أعمالهم».

وأمّا قولك: «إنا كنّا نجخف» فلو جخفنا بالخلافة جخفنا بالقرابة، ولكنّا قوم أخلاقنا مشتقّة من خلق رسول الله صلّى الله عليه وآله الذي قال الله تعالى: «وإنّك لعلى خلقٍ عظيم» وقال له: «واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين».

وأمّا قولك: «فان قريشاً اختارت» فانّ الله تعالى يقول: «وربك يخلق مايشا ويختار ماكان لهم الخيرة» وقد علمت ياأمير المؤمنين! إنّ الله اختار من خلقه لذلك من اختار فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها وفّقت وأصابت قريش.

فقال عمر: على رسلك ياابن عبّاس، أبت قلوبكم يابني هاشم إلّا غِشّاً في أمر قريش لايزول وحقداً عليها لايحول.

فقال ابن عبّاس: مهلاً ياأمير المؤمنين! لا تنسب هاشماً إلى الغشّ، فانّ قلوبهم من قلب رسول الله الذي طهّره الله وزكّاه، وهم أهل البيت الذين قال الله تعالى لهم: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً».

وأمّا قولك: «حقداً» فكيف لايحقد من غصب شيئه ويراه في يد غيره؟.

فقال عمر: أمّا أنت ياابن عبّاس! فقد بلغني عنك كلامٌ أكره أن أخبرك به فتزول منزلتك عندي. قال: وماهو ياأمير المؤمنين؟ أخبرني به؛ فان يك باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه، وإن يك حقّاً فانّ منزلتي عندك لا تزول به.

قال: بلغني أنّك لا تزال تقول: أُخذ هذا الأمر منك حسداً وظلماً.

قال: أمّا قولك ياأمير المؤمنين: «حسداً» فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنّة، فنحن بنو آدم المحسود. وأمّا قولك: «ظلماً» فأمير المؤمنين يعلم صاحب

الحقّ من هو.

ثمّ قال: ياأمير المؤمنين، ألم تحتجّ العرب على العجم بحقّ رسول الله؟ واحتجّت قريش على سائر العرب بحقّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم؟ فنحن أحقّ برسول الله من سائر قريش.

فقال له عمر: قم الآن فارجع إلى منزلك. فقام، فلمّا ولّى هتف به عمر أيّها المنصرف، إنّي على ماكان منك لراعٍ حقك؛ فالتفت ابن عبّاس، فقال: إنّ لي عليك-ياأمير المؤمنين-وعلى كلّ المسلمين حقاً برسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم فمن حفظه فحقّ نفسه حفظ، ومن أضاعه فحقّ نفسه أضاع؛ ثمّ مضى.

فقال عمر لجلسائه واهاً لابن عباس! مارأيته لاحى أحداً قطّ إلّا خصمه[1].

(٨١)

ابن عبّاس وعمر

روي عن ابن عبّاس أيضاً قال: «دخلت على عمر يوماً، فقال: ياابن العبّاس، لقد اجهد هذا الرجل نفسه في العبادة حتىّ نحلته رياءً! قلت: ومن هو؟ فقال: هذا ابن عمّك، يعني عليّاً، قلت: ومايقصد بالرياء ياأمير المؤمنين؟ قال: يرشّح نفسه بين الناس للخلافة. قلت: ومايصنع بالترشيح؟ فقد رشحه لها رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم فصرفت عنه. قال: إنّه كان شابّاً حدثاً فاستصغرت العرب سنّه وقد كمل الآن، ألم تعلم أنّ الله تعالى لم يبعث نبيّاً إلّا بعد الأربعين؟. قلت: ياأمير المؤمنين، أمّا أهل الحجى والنهى فانّهم مازالوا يعدّونه

---

(١) ابن أبي الحديد: ج١٢ ص٥٢-٥٤. والإيضاح: ص١٦٩-١٧٠. والبحار ج٨ ط الكمباني ص٢٩٢ عن ابن الأثير وابن أبي الحديد.

كاملاً منذ رفع الله منار الإسلام، ولكنّهم يعدّونه محروماً مجدوداً. فقال: أما إنّه سيليها بعد هياط ومياط، ثمّ تزلّ فيها قدمه ولايقضي منها إربه؛ ولتكوننّ شاهداً ذلك ياعبدالله، ثمّ يتبيّن الصبح لذي عينين، وتعلم العرب صحة رأي المهاجرين الأوّلين الذين صرفوها عنه بادئ بدء؛ فليتني أراكم بعدي ياعبدالله، إنّ الحرص محرمة وإنّ دنياك كظلّك كلّما هممت به ازداد عنك بعداً[1].

(٨٢)

ابن عبّاس وعمر

عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: كنت أسير مع عمر بن الخطّاب في ليلة وعمر على بغل وأنا على فرس؛ فقرأ آية فيها ذكر عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: أم والله يابني عبدالمطلب، لقد كان صاحبكم أولى بهذا الأمر منّي ومن أبي بكر. فقلت في نفسي: لاأقالني الله إن أقلتك، فقلت: أنت تقول ذلك ياأمير المؤمنين، وأنت وصاحبك اللذان وثبتما وانتزعتما (وانتزعتم خ ل) منّا الأمر دون الناس! فقال: إليكم يابني عبدالمطلب! أما إنكم أصحاب عمر بن الخطّاب؛ فتأخّرت وتقدّم هنيئة، فقال: سر لاسرت، فقال: أعد عليّ كلامك فقلت: إنّما شيئاً فرددت جوابه، ولو سكتّ سكتنا.

فقال: والله إنّا مافعلنا مافعلنا عداوة، ولكن استصغرناه وخشينا أن لاتجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها، فأردت أن أقول: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يبعثه في الكتيبة فينطح كبشها فلم يستصغره، فتستصغره أنت وصاحبك! فقام لاجرم، فكيف ترى؟ والله مانقطع أمراً دونه ولانعمل شيئاً حتى نستأذنه[2].

---

(١) ابن أبي الحديد: ج١٢ ص٨٠-٨١.

(٢) البحار: ج٨ ص٢٠٩ ط الكمباني عن شف.

(٨٣)

ابن عبّاس وعثمان

نزل عثمان من المنبر- بعد أن خطب في جواب المعترضين عليه في بناء داره بالمدينة وكلامه مع أمير المؤمنين- فأتى منزله، وأتاه الناس وفيهم ابن عبّاس؛ فلمّا أخذوا مجالسهم أقبل على ابن عبّاس، فقال: مالي ولكم ياابن عبّاس؟ ماغراكم بي وأولعكم بتعقّب أمري! أتنقمون عليّ أمر العامّة؟ أتيت من وراء حقوقهم أم أمركم؟ فقد جعلتهم يتمنّون منزلتكم. لاوالله، لكن الحسد والبغي وتثوير الشرّ وإحياء الفتن؛ والله لقد ألقى النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم إليّ ذلك ، وأخبرني به عن أهله واحداً واحداً، والله مـا كذبت ولاأنا بمكذوب.

فقال ابن عبّاس: على رسلك ياأمير المؤمنين، فـوالله ماعهدتك جهراً بسرّك ولامظهراً مـا في نفسك ، فما الـذي هيـجّك وثورّك ؟ إنّا لم يولعنا بك أمر ولم نتعقّب أمرك بشيء أُتيت بالكذب وتسوّق عليك بالباطل، والله مـا نقمنا عليك لنا ولاللعامّة قد اوتيت من وراء حقوقنا وحقوقهم وقضيت مايلزمك لنا ولهم. فأمّا الحسد والبغي وتثوير الفتن وإحياء الشرّ فمتى رضيت به عترة النبيّ وأهل بيته؟ وكيف وهم منه وإليه؟على دين الله يثورون الشرّ، أم على الله يحبّون الفتن؟ كلّا، ليس البغي ولاالحسد من طباعهم؛ فاتّئد ياأمير المؤمنين وأبصر أمرك وأمسك عليك ، فانّ حالتك الأُولى خير من حالتك الأُخرى؛ لعمري أن كنت لا ثيراً عند رسول الله وأن كان ليفضي إليك بسرّه مايطويه عن غيرك ؛ ولا كذبت ولاأنت بمكذوب، إخسَ الشيطان عنك لايركبك ، وأغلب غضبك ولايغلبك ؛ فما دعاك إلى هذا الأمر الذي كان منك ؟

قال: دعاني إليه ابن عمّك عليّ بن أبي طالب! فقال ابن عبّاس: وعسى أن يكذب مبلّغك ؛ قال عثمان: إنّه ثقة، قال ابن عبّاس: إنّه ليس بثقة من

بلّغ وأغرى؛ قال عثمان: ياابن عبّاس، آلله إنك ماتعلم من عليّ ماشكوت منه؟ قال: اللّهم لا، إلّا أن يقول كما يقول الناس وينقم كما ينقمون؛ فمن أغراك به وأولعك بذكره دونهم؟ فقال عثمان: إنّما آفتي من أعظم الداء الذي ينصب نفسه لرأس الأمر، وهو عليّ ابن عمّك وهذا والله كله من نكده وشؤمه! قال ابن عباس: مهلاً، استثن ياأميرالمؤمنين، قل: إن شاء الله، فقال: إن شاء الله.

ثمّ قال: إنّي أنشدك ياابن عبّاس الإسلام والرحم، فقد غُلبت وابتليت بكم، والله لوددت أنّ هذا الأمر كان صار إليكم دوني فحملتموه عنّي وكنت أحد أعوانكم عليه، إذاًوالله لوجدتموني لكم خيراً ممّا وجدتكم لي؛ ولقد علمت أنّ الأمر لكم ولكن قومكم دفعوكم عنه واختزلوه دونكم؛ فوالله ماأدري أدفعوه عنكم أم دفعوكم عنه؟.

قال ابن عبّاس: مهلاً ياأميرالمؤمنين، فانّا ننشدك الله والإسلام والرحم مثل مانشدتنا أن تطمع فينا وفيك عدواً وتشمت بنا وبك حسوداً؛ إنّ أمرك إليك ماكان قولاً، فاذا صار فعلاً فليس إليك ولافي يديك، وإنّا والله لنخالفنّ إن خولفنا ولننازعنّ إن نوزعنا وماتمنّيك أن يكون الأمر صار إلينا دونك إلّا أن يقول قائل منّا مايقوله الناس ويعيب كما عابوا. فأمّا صرف قومنا عنّا الأمر فعن حسد قد والله عرفته، وبغيّ قد والله علمته؛ فالله بيننا وبين قومنا. وأمّا قولك: إنّك لا تدري أدفعوه عنّا أم دفعونا عنه فلعمري إنّك لتعرف أنّه لو صار إلينا هذا الأمر مازدنا به فضلاً إلى فضلنا ولاقدراً إلى قدرنا، وإنا لأهل الفضل وأهل القدر، ومافضل فاضل إلّا بفضلنا، ولاسبق سابق إلّا بسبقنا؛ ولولا هدينا مااهتدى أحد ولاأبصروا من عمى ولاقصدوا من جور.

فقال عثمان: حتىّ متى ياابن عبّاس يأتيني عنكم مايأتيني؟ هبوني كنت بعيداً، أما كان لي من الحقّ عليكم أن أُراقب وأن أُناظر؟ بلى وربّ الكعبة!

ولكنّ الفرقة سهّلت لكم القول فيّ وتقدّمت بكم إلى الإسراع إليّ. والله المستعان.

قال ابن عبّاس: مهلاً حتى ألقى عليّاً ثمّ أحمل إليك على قدر ما رأى.

قال عثمان: أفعل فقد فعلت، وطالما طلبت فلا أُطلب، ولا أُجاب ولا أُعتب...[1].

(٨٤)

ابن عبّاس وعثمان

روى الزبير بن بكّار أيضاً في الموفقيّات عن ابن عبّاس ـ رحمه الله ـ قال: خرجت من منزلي سحراً اسابق إلى المسجد وأطلبَ الفضيلة، فسمعت خلفي حسّاً وكلاماً فتسمّعته، فاذا حسّ عثمان وهو يدعو ولا يرى أنّ أحداً يسمعه، ويقول: اللّهم قد تعلم نيتي فأعنّي عليهم وتعلم الذين ابتليت بهم من ذوي رحمي وقرابتي، فأصلحني لهم وأصلحهم لي.

قال: فقصّرت من خطوتي وأسرع في مشيته، فالتقينا، فسلّم فرددت عليه؛ فقال: إنّي خرجت ليلتنا هذه أطلب الفضل والمسابقة إلى المسجد، فقلت: إنّه أخرجني ما أخرجك. فقال: والله لئن سابقت إلى الخير إنّك لمن سابقين مباركين، وإنّي لأحبّكم وأتقرّب إلى الله بحبّكم. فقلت: يرحمك الله يا أمير المؤمنين، إنّا لنحبّك ونعرف سابقتك وسنّك وقرابتك وصهرك. قال: يا ابن عبّاس، فمالي ولابن عمّك وابن خالي؟ قلت: أي بني عمومتي وبني أخوالك؟ قال: اللّهم اغفر، أتسأل مسألة الجاهل؟ قلت: إنّ بني عمومتي من بني خؤلتك كثير، فأيّهم تعني؟ قال: أعني عليّاً لا غيره. فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أعلم منه إلّا خيراً، ولا أعرف له إلّا حسناً. قال: والله

---

(١) ابن أبي الحديد: ج٩ ص٨ـ١٠ عن الموفقيّات للزبير بن بكّار.

بالحريّ أن يستر دونك مايظهره لغيرك ويقبض عنك ماينبسط به إلى سواك .

قال: ورُمينا بعمّار بن ياسر، فسلّم، فرددت عليه سلامه. ثمّ قال: مز معك ؟ قلت: أمير المؤمنين عثمان. قال: نعم، وسلّم بكنيته ولم يسلّم عليه بالخلافة، فردّ عليه. ثمّ قال عمّار: ماالذي كنتم فيه؟ فقد سمعت ذرواً منه، قلت: هو ماسمعت، فقال عمّار: ربّ مظلوم غافل وظالم متجاهل! قال عثمان: أما إنّك من شُنّائنا وأتباعهم، وأيم الله إنّ اليد عليك لمنبسطة وإنّ السبيل إليك لسهلة، ولولا إيثار العافية ولمّ الشعث لزجرتك زجرة تكفي مامضى وتمنع مابقي.

فقال عمّار: والله! ماأعتذر من حبّي عليّاً، وما اليد بمنبسطة ولاالسبيل بسهلة، إنّي لازم حجّة ومقيم على سنّة؛ وأمّا إيثارك العافية ولمّ الشعث فلازم ذلك ؛ وأمّا زجري فأمسك عنه، فقد كفاك معلّمي تعليمي.

فقال عثمان: أما والله إنّك ماعلمت من أعوان الشرّ الحاضين عليه، الخذلة عند الخير والمثبّطين عنه.

فقال عمّار: مهلاً ياعثمان! فقد سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يصفني بغير ذلك .

قال عثمان: ومتى؟ قال: دخلت يوم دخلت عليه منصرفه عن الجمعة وليس عنده غيرك ، وقد ألقى ثيابه وقعد في فُضُله، فقبّلت صدره ونحره وجبهته فقال: «ياعمّار، إنّك لتحبنا وإنّا لنحبك ، وإنّك لمن الأعوان على الخير المثبطين عن الشرّ» فقال عثمان: أجل، ولكنك غيّرت وبدّلت. قال: فرفع عمّار يده يدعو، وقال أمّن يابن عبّاس! اللّهم من غيّر فغيّر به، ثلاث مرّات...[1].

---

(١) ابن أبي الحديد: ج٩ ص١٠-١١.

(٨٥)

ابن عبّاس وعثمان

روى الزبير أيضاً في الموفّقيات عن ابن عبّاس ـ رحمه الله ـ قال صلّيت العصر يوماً ثمّ خرجت فاذا أنا بعثمان بن عفّان في أيّام خلافته في بعض أزقة المدينة وحده! فأتيته إجلالاً وتوقيراً لمكانه. فقال لي: هل رأيت عليّاً؟ قلت: خلّفته في المسجد، فان لم يكن الآن فيه فهو في منزله. قال: أمّا منزله فليس فيه فابغه لنا في المسجد.

فتوجّهنا إلى المسجد وإذا عليّ عليه السلام يخرج منه. قال ابن عبّاس: وقد كنت أمس ذلك اليوم عند عليّ، فذكر عثمان وتجرّمه عليه، وقال: أما والله يا ابن عبّاس، إنّ من دوائه لقطع كلامه وترك لقائه، فقلت له: يرحمك الله، كيف لك بهذا؟ فان تركته ثمّ أرسل إليك فما أنت صانع؟ قال: أعتلّ وأعتلّ فمن يقسرني؟ قال: لا أحد.

قال ابن عبّاس: فلمّا تراءينا له وهو خارج من المسجد ظهر منه من التفلّت والطلب للانصراف ما استبان لعثمان؛ فنظر إليّ عثمان وقال: يا ابن عبّاس، أما ترى ابن خالنا يكره لقاءنا؟ فقلت: ولم؟ وحقّك ألزم وهو بالفضل أعلم. فلمّا تقاربا رماه عثمان بالسلام فردّ عليه. فقال عثمان: إن تدخل فايّاك أردنا وإن تمض فايّاك طلبنا. فقال عليّ: أيّ ذلك أحببت. قال: تدخل، فدخلا؛ وأخذ عثمان بيده فأهوى به إلى القبلة فقصّر عنها وجلس قبالتها، فجلس عثمان إلى جانبه، فنكصت عنهما، فدعواني جميعاً فأتيتهما؛ فحمد عثمان الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله، ثمّ قال:

أمّا بعد، يا ابني خاليّ وابني عمّيّ، فاذ جمعتكما في النداء فسأجمعكما في الشكاية عن رضاي على أحدكما ووجدي على الآخر، إنّي أستعذركما من

أنفسكما وأسألكما فيئتكما واستوهبكما رجعتكما؛ فوالله لوغالبني الناس ماانتصرت إلّا بكما، ولو تهضّموني ماتعزّزت إلّا بكما؛ ولقد طال هذا الأمر بيننا حتىّ تخوّفت أن يجوز قدره ويعظم الخطر فيه؛ ولقد هاجني العدوّ عليكما وأغراني بكما، فمنعني الله والرحم ممّا أراد؛ وقد خلونا في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والى جانب قبره، وقد أحببت أن تظهرا ليّ رأيكما فيّ وماتنطويان لي عليه وتصدّقا، فانّ الصدق أنجى وأسلم وأستغفرالله لي ولكما.

قال ابن عبّاس: فأطرق عليّ عليه السلام وأطرقت معه طويلاً. أمّا أنا فأجللته أن أتكلّم قبله، وأما هو فأراد أن أُجيب عنّي وعنه. ثمّ قلت له أتتكلّم أم أتكلّم أنا عنه؟ قال: بل تكلم عنّي وعنك.

فحمدت الله وأثنيت عليه وصلّيت على رسوله، ثمّ قلت:

أمّا بعد، يابن عمّنا وعمّتنا، فقد سمعنا كلامك لنا وخلطك في الشكاية بيننا على رضاك ـ زعمت ـ عن أحدنا ووجدك على الآخر، وسنفعل في ذلك فنذمّك ونحمدك اقتداءً منك بفعلك فينا، فانّا نذمّ مثل تهمتك إيّانا على مااتّهمتنا عليه بلا ثقة إلا ظنّاً، ونحمد منك غير ذلك من مخالفتك عشيرتك، ثمّ نستعذرك من نفسك استعذارك إيّانا من أنفسنا، ونستوهبك فيئتك استيهابك إيّانا فيئتنا، ونسألك رجعتك مسألتك إيّانا رجعتنا، فإنّا معاً أيّما حمدت وذممت منّا كمثلك في أمر نفسك؛ ليس بيننا فرق ولا اختلاف، بل كلانا شريك صاحبه في رأيه وقوله؛ فوالله ماتعلمنا غير معذرين فيما بيننا وبينك، ولا تعرفنا غير قانتين عليك، ولاتجدنا غير راجعين إليك؛ فنحن نسألك من نفسك مثل ماسألتنا من أنفسنا.

وأمّا قولك: لوغالبتني الناس ماانتصرت إلّا بكما أو تهضّموني ماتعزّزت إلّا بعزّكما، فأين بنا وبك عن ذلك؟ ونحن وأنت كما قال أخو كنانة:

بدا بُحترٌ مارام نال وإن يرم ... نخض دونه غمراً من الغر رائمه

لنـا ولهـم منّـا ومنهـم على العـدى مـراتـب عـزّ مصـعـدات سـلالمه

وأمـا قـولك في هيج العـدوّ وإيّـاك علينا وإغرائـه لـك بنا ، فوالله ماأتاك العدوّ من ذلك شيئاً إلّا وقد أتانا بأعظم منه فمنعنا ممّا أراد مامنعك من مراقبة الله والرحـم. ومأبقيت أنـت ونحن إلّا على أديـاننا وأعراضنـا ومروءاتنا. ولقد لعـمري طـال بنا وبـك هـذا الأمر حتّـى تخوّفنـا مـنه على أنفسنا وراقبـنا منه ماراقبت.

وأما مساءلتك إيّانـا عن رأينا فيـك ومانتطوي عليه لك ، فانّا نخبرك أن ذلك إلى ماتحبّ لايعلم وأحد منّا مـن صاحبه إلّا ذلـك ولايـقبل منه غـيره، وكلانا ضامـن على صـاحبه ذلك وكفـيل به وقد برّأت أحـدنا وزكّيته وأنطـقت الآخر وأسكـتّه؛ وليس السقيم منّـا ممّـا كرهت بأنطـق من البـريءفيما ذكرت، ولاالبريءمنّا مـمّا سخطت بأظهر من السقيم فيما وصفت، فإمّا جمعتنا في الرّضا، وإمّـا جمعتـنا في السّخط؛ لـنجازيك بمـثل ماتـفعل بنـا في ذلك مكـايلة الصّاع بالصّاع. فقد أعلمناك رأينا وأظهرنا لك ذات أنفسنا وصدّقناك ، والصّدق كما ذكـرت أنجى وأسلـم فـأجب إلى مـادعـوت إليه، وأجـلل عن الـنقض والغدر مسـجد رسول الله صلّى الله علـيه وآله وسلّم وموضع قـبره؛ واصدق تُنج وتسلم. ونستغفر الله لنا ولك ...»[1].

(٨٦)

ابن عبّاس ومعاوية

روى المدائني أيضاً قال: وفد عـبدالله بـن عبّاس على معاوية مـرّة، فـقال معاوية لابـنه يزيـد ولزياد بن سـميّة وعـتبة ابن أبي سـفيان ومـروان بن الحكم وعمـرو بن العـاص والمغـيرة بن شـعبـة وسعيـد بن الـعاص وعبـدالرحمن ابن امّ

(١) ابن أبي الحديد: ج٩ ص١٨-٢٠.

الحكم: إنّه قد طال العهد بعبدالله بن عبّاس وماكان شجر بيننا وبينه وبين ابن عمّه، ولقد كان نصبه للتحكيم فدفع عنه؛ فحرّكوه على الكلام لنبلغ حقيقة صفته، ونقف على كنه معرفته، ونعرف ماصرف عنّا من شبا حدّه وزوي عنّا من دهاء رأيه؛ فربّما وصف المرء بغير ماهو فيه واعطي من النعت والاسم مالايستحقّه.

ثمّ أرسل إلى عبدالله بن عبّاس، فلمّادخل واستقر به المجلس ابتدأه ابن أبي سفيان؛ فقال: ياابن عباس، مامنع عليّاً أن يوجّه بك حكماً؟ فقال: أما والله لو فعل لقرن عَمْراً بصعبة من الإبل يوجع كفّه مراسها، ولأذهلت عقله، وأجرضته بريقه، وقدحت في سويداء قلبه؛ فلم يبرم أمراً ولم ينفض تراباً إلّا كنت منه بمرأى ومسمع؛ فان أنكأه أدميت قواه، وإن أدمه فصمت عراه بغرب مِقوَل لايفلّ حدّه، وأصالة رأي كمتاح الأجل لاوزر منه؛ أصدع به أديمه، وافلّ به شباحدّه، وأشحذ به عزائم المتقين، وأزيح به شبه الشّاكين.

فقال عمرو بن العاص: هذا والله ـ ياأمير المؤمنين ـ نجوم أوّل الشرّ وأفول آخر الخير، وفي حسمه قطع مادّته؛ فبادره بالحملة، وانتهز منه الفرصة، واردع بالتنكيل به غيره، وشرّد به من خلفه.

فقال ابن عبّاس: ياابن النّابغة، ضلّ والله عقلك، وسفه حلمك، ونطق الشيطان على لسانك؛ هلّا تولّيت ذلك بنفسك يوم صفين، حين دعيت نزال وتكافح الأبطال وكثرت الجراح وتقصّفت الرماح، وبرزت إلى امير المؤمنين مصاولاً فانكفأ نحوك بالسّيف حاملاً؛ فلمّا رأيت الكواشر من الموت أعددت حيلة السلامة قبل لقائه والانكفاء عنه بعد إجابة لقائه فمنحته ـ رجاء النجاة ـ عورتك! وكشفت له خوف بأسه سوأتك! حذراً أن يصطلمك بسطوته ويلتهمك بحملته؛ ثمّ أشرت على معاوية كالناصح له بمبارزته وحسّنت له التعرّض لمكافحته، رجاء أن تكتفي مؤنته وتعدم صورته؛ فعلم غلّ صدرك وماانحنت

عليه من النفاق أضلعك، وعرف مقر سهمك في غرضك.

فاكفف غرب لسانك، واقمع عوراء لفظك، فانّك لمن أسد خادر وبحر زاخر، إن تبرّزت للأسد افترسك، وإن عمت في البحر قمسك.

فقال مروان بن الحكم: ياابن عبّاس، إنّك لتصرف أنيابك وتوري نارك كأنّك ترجو الغلبة وتؤمّل العافية؛ ولولا حلم أميرالمؤمنين عنكم لتناولكم بأقصر أنامله، فأوردكم منهلاً بعيداً صدره؛ ولعمري لئن سطا بكم ليأخذن بعض حقّه منكم، ولئن عفا عن جرائركم فقديماً ما نسب إلى ذلك.

فقال ابن عبّاس: وإنّك لتقول ذلك ياعدوّ الله، وطريد رسول الله، والمباح دمه، والداخل بين عثمان ورعيّته بما حملهم على قطع أوداجه وركوب أثباجه! أما والله لو طلب معاوية ثأره لأخذك به، ولو نظر في أمر عثمان لوجدك أوّله وآخره.

وأمّا قولك لي: إنّك لتصرف أنيابك وتوري نارك، فسل معاوية وعمراً يخبراك ليلة الهرير كيف ثباتنا للمثلات، واستخفافنا بالمعضلات، وصدق جلادنا عند المصاولة، وصبرنا على اللأواء والمطاولة، ومصافحتنا بجباهنا السيوف المرهفة، ومباشرتنا بنحورنا حدّ الأسنّة! هل خِمنا عن كرائم تلك المواقف؟ أم لم نبذل مهجنا للمتالف؟ وليس لك إذ ذاك فيها مقام محمود، ولايوم مشهود، ولاأثر معدود؛ وإنّهما شهدا مالو شهدت لأقلقك؛ فاربع على ضلعك، ولا تتعرّض لما ليس لك؛ فانك كالمغروز في صَفَد لايهبط برجل ولايرقى بيد.

فقال زياد: ياابن عبّاس، إنّي لأعلم مامنع حسناً وحسيناً من الوفود معك على أميرالمؤمنين، إلّا ماسوّلت لهما أنفسهما، وغرّهما به من هو عند البأس سُلّمهما؛ وأيم الله لو وليتهما لأدأبا في الرحلة إلى أميرالمؤمنين أنفسهما ولقلّ بمكانهما لبثهما.

فقال ابن عباس: إذاً والله يقصر دونهما باعك ويضيق بهما ذراعك؛ ولو رمت ذلك لوجدت من دونهما فئة صدقاً صُبُراً على البلاء يخيمون عن اللقاء، فلعركوك بكلاكلهم، ووطئوك بمناسمهم، واوجروك مشق رماحهم وشفار سيوفهم ووخز أسنّتهم، حتّى تشهد بسوء ماأتيت، وتتبيّن ضياع الحزم فيما جنيت، فحذارحذار من سوء النيّة، فتكافأ برد الامنيّة، وتكون سبباً لفساد هذين الحيين بعد صلاحهما، وسعياً في اختلافهما بعد ائتلافهما؛ حيث لايضرّهما إبساسك ولايغني عنهما إيناسك.

فقال عبدالرحمن ابن أُم الحكم: لله درّ ابن ملجم! فقد بلغ الأمل، وأمن الوجل، وأحدّ الشفرة وألان المهرة، وأدرك الثأر، ونفى العار، وفاز بالمنزلة العليا، ورقى الدرجة القصوى.

فقال ابن عبّاس: أما والله لقد كرع كأس حتفه بيده، وعجل الله إلى النار بروحه؛ ولو ابدى لأميرالمؤمنين صفحته لخالطه الفحل القطم والسيف الخذم ولألعقه صاباً، وسقاه سمّا، وألحقه بالوليد وعتبة وحنظلة؛ فكلّهم كان أشدّ منه شكيمة، وأمضى عزيمة، ففرى السيف هامهم ورمّلهم بدمائهم، وقرى الذئاب أشلاءهم: وفرّق بينهم وبين احبائهم «أُولئك حصب جهنّم هم لها واردون» فهل «تحسّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً» ولاغرو إن ختل، ولاوصمة إن قتل، فانّا لكما قال دريد بن الصمّة:

فإنّا للحم السيف غير مكرّه ونلحمه طوراً وليس بذي نكر
يغار علينا واترين فيُشتفى بنا إن أصبنا أو نغير على وتر

فقال المغيرة بن شعبة: أما والله لقد أشرت على عليّ بالنصيحة فآثر رأيه ومضى على غلوائه؛ فكانت العاقبة عليه، لا له، وإنّي لأحسب أنّ خلفه يقتدون بمنهجه.

فقال ابن عبّاس: كان والله أميرالمؤمنين عليه السلام أعلم بوجوه الرأي

ومعاقد الحزم وتصريف الأُمور من أن يقبل مشورتك فيما نهى الله تعالى وعنّف عليه، قال سبحانه: «لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله» إلى آخر الآية؛ ولقد وقفك على ذكر مبين وآية متلوّة قوله تعالى: «وما كنت متّخذ المضلّين عضداً» وهل كان يسوغ له أن يحكم في دماء المسلمين وفيء المؤمنين من ليس بمأمون عنده ولاموثوق به في نفسه، هيهات! هيهات! هو أعلم بفرض الله وسنّة رسوله أن يبطن خلاف مايظهر إلّا للتقيّة، ولات حين تقيّة مع وضوح الحق وثبوت الجنان وكثرة الأنصار، يمضي كالسيف المصلت في أمر الله، مؤثراً لطاعة ربّه والتقوى على آراء أهل الدنيا.

فقال يزيد بن معاوية: يابن عبّاس، إنّك لتنطلق بلسان طلق تنبئ عن مكنون قلب حرق، فاطو ماأنت عليه كشحاً؛ فقد محى ضوء حقّنا ظلمة باطلكم.

فقال ابن عبّاس: **مهلاً يزيد!** فوالله ماصفت القلوب لكم منذ تكدّرت بالعداوة عليكم، ولادنت بالمحبّة إليكم مذ نأت بالبغضاء عنكم، ولارضيت اليوم منكم ماسخطت الأمس من أفعالكم؛ وإن تدل الأيّام نستقض ماسدّ عنّا ونسترجع ماابتزّ منّا كيلاً بكيل ووزناً بوزن، وإن تكن الأُخرى فكفى بالله وليّاً لنا ووكيلاً على المعتدين علينا.

فقال معاوية: إنّ في نفسي منكم لحزازات يابني هاشم! وإنّي لخليق أن أدرك فيكم الثار وأنفي العار؛ فانّ دماءنا قبلكم وظلامتنا فيكم.

فقال ابن عبّاس: والله إن رمت ذلك يامعاوية لتثيرنّ عليك أُسداً مخدّرة وأفاعي مطرقة، لا يفثؤها كثرة السلاح، ولايعضّها نكاية الجراح، يضعون أسيافهم على عواتقهم، يضربون قدُماً قدُماً من ناوأهم، يهون عليهم نباح الكلاب وعواء الذئاب، لايفاتون بوتر، ولايسبقون إلى كريم ذكر؛ قد وطّنوا على الموت أنفسهم وسمت بهم إلى العلياء هِمَمُهم كما قالت الأزديّة:

قوم إذا شهدوا الهياج فلا ضرب يُنهنههم ولازجر
وكأنّهم آساد غينة قد غرثت وبلّ متونها القطر

فلتكوننّ منهم بحيث أعددت ليلة الهرير للهرب فرسك وكان أكبر همّك سلامة حشاشة نفسك؛ ولولا طغام من أهل الشام وقوك بأنفسهم وبذلوا دونك مهجهم حتى إذا ذاقوا وخز الشفار وأيقنوا بحلول الدمار رفعوا المصاحف مستجيرين بها وعائذين بعصمتها، لكنت شلواً مطروحاً بالعراء تسفي عليك رياحها ويعتورك ذبابها.

وماأقول هذا اريد صرفك عن عزيمتك، ولاإزالتك عن معقود نيّتك، لكن الرحم التي تعطف عليك والأوامر التي توجب صرف النصيحة إليك.

فقال: معاوية لله درّك ياابن عبّاس! ماتكشف الأيام منك إلّا عن سيف صقيل ورأي أصيل؛ وبالله لولم يلد هاشم غيرك لمانقص عددهم، ولولم يكن لأهلك سواك لكان الله قد كثّرهم.

ثمّ نهض؛ فقام ابن عبّاس وانصرف[1].

(٨٧)

ابن عبّاس وعتبة بن أبي سفيان

قال عمرو بن العاص لعتبة ابن أبي سفيان يوم الحكمين: أما ترى ابن عبّاس قد فتح عينيه ونشر أُذنيه؟ ولو قدر أن يتكلّم بهما فعل! وإنّ غفلة أصحابه لمجبورة بفطنته، وهي ساعتنا الطولى فاكفنيه. قال عتبة: بجهدي.

قال: فقمت فقعدت إلى جانبه، فلمّا أخذ القوم في الكلام أقبلت عليه بالحديث فقرع يديّ وقال: ليست ساعة حديث، قال: فأظهرت غضباً وقلت: ياابن عبّاس، إنّ ثقتك بأحلامنا أسرعت بك إلى أعراضنا، وقدوالله تقدّم

(١) ابن أبي الحديد: ج٦ ص٢٩٨-٣٠٣. والبحار: ج٤٢ ص١٦٦ عنه.

من قبل العذر وكثر منّا الصبر؛ ثمّ أقذعته فجاش لي مرجله وارتفعت أصواتنا؛ فجاء القوم فأخذوا بأيدينا فنحّوه عنّي ونحّوني عنه؛ فجئت فقربت من عمرو بن العاص، فرماني بمؤخّر عينيه، أي ماصنعت؟ فقلت: كفيتك التقوالة؛ فحمحم كما يحمحم الفرس للشعير. قال: وفات ابن عبّاس أوّل الكلام، فكره أن يتكلّم في آخره[١].

قال عكرمة: كنّا جلوساً عند ابن عمر وابن عبّاس رضي الله عنهما فمرّ طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير، فقال ابن عبّاس: لاخير ولاشرّ [قال كعب لابن عبّاس: ماتقول في الطيرة؟ قال: وماعسيت أن أقول فيها: لاطير إلّا طير الله، ولاخير إلّا خير الله، ولااله إلّا الله، ولاحول ولاقوّة إلاّ بالله. قال كعب: إنّ هذه الكلمات في كتاب الله المنزل، يعني التوراة][٢].

(٨٨)
ابن عبّاس وعائشة

بعث عليّ عبدالله بن عبّاس إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة. قال: فأتيتها فدخلت عليها، فلم يوضع لي شيءأجلس عليه، فتناولت وسادة كانت في رحلها فقعدت عليها؛ فقالت: ياابن عبّاس، أخطأت السنّة قعدت على وسادتنا في بيتنا بغيرإذننا! فقلت: ليس هذا بيتك الذي أمرك الله أن تقرّي فيه، ولو كان بيتك ماقعدت على وسادتك إلّا باذنك.

ثمّ قلت: إنّ أميرالمؤمنين أرسلني إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة؛ فقالت:

(١) ابن أبي الحديد: ج٦ ص٣٠٣ـ٣٠٤. ونقل ج٢ ص٢٦١ هذه القصة بينه وبين عبدالرحمان بن خالد، وسيأتي.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة: ج١ ص١٤٦.

وأين أمير المؤمنين؟ ذاك عمر! فقلت: عمر وعليّ، قالت: أبيت؛ قلت: أما والله ماكان أبوك إلّا قصير المدّة عظيم المشقّة قليل المنفعة ظاهر الشؤم بيّن النكد، وماعسى أن يكون أبوك. ! والله ماكان أمرك إلّا كحلب شاة حتى صرت لا تأمرين ولا تنهين ولا تأخذين ولا تعطين، وماكنت إلّا كما قال أخو بني أسد:

مازال إهداء الصغائر بيننا   نثّ الحديث وكثرة الألقاب

حتىّ نزلت كأنّ صوتك بينهم   في كلّ نائبة طنين ذباب

قال: فبكت حتى سُمع نحيبها من وراء الحجاب. ثمّ قالت: إنّي معجّلة الرحيل إلى بلادي إن شاء الله تعالى والله ما من بلد أبغض إليّ من بلد أنتم فيه! قلت: ولم ذاك ؟ فوالله لقد جعلناك للمؤمنين أمّاً وجعلنا أباك صديقاً. قالت: ياابن عبّاس، أتمنّ عليّ برسول الله؟ قلت: مالي لا أمنّ عليك بمن لو كان منك لمننت به عليّ! .

ثمّ أتيت عليّاً عليه السلام فأخبرته بقولها وقولي فسرّ بذلك وقال لي: «ذريّة بعضها من بعض والله سميع عليم» وفي رواية: أنا كنت أعلم بك حيث بعثتك[1].

(٨٩)

ابن عبّاس ومعاوية

قال المدائني: قال معاوية لابن عبّاس: أنتم يابني هاشم تصابون في ابصاركم! فقال عبدالله: وانتم يابني أُميّة تصابون في بصائركم! وقال له معاوية: ماأبين الشبق في رجالكم! فقال: هو في نسائكم أبين![2].

---

(١) ابن أبي الحديد: ج٦ ص٢٢٩. وسيأتي عن الكشيّ رحمه الله

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة: ج٢ ص٢١٠.

(٩٠)
ابن عباس ورجل

خطب رجل إلى ابن عبّاس يتيمة له؛ فقال ابن عبّاس: لاأرضاها لك، قال: ولم وفي حجرك نشأت؟ قال لأنّها تتشرّف وتنظر، قال: وماهذا؛ فقال ابن عبّاس: الآن لاأرضاك لها(١).

(٩١)
بنو هاشم ومعاوية

روى الهيثم عن ابن عيّاش عن الشعبي، قال: أقبل معاوية ذات يوم على بني هاشم، فقال: يابني هاشم، ألا تحدّثوني عن ادعائكم الخلافة دون قريش. بم تكون لكم؟ أبالرضا بكم، أم بالاجتماع عليكم دون القرابة، أم بالقرابة دون الجماعة، أم بهما جميعاً؟ فان كان هذا الأمر بالرضا والجماعة دون القرابة فلا أرى القرابة أثبتت حقّاً ولا أسّست ملكاً. وإن كان بالقرابة دون الجماعة والرضا فما منع العبّاس عمّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ووارثه وساقي الحجيج وضامن الأيتام أن يطلبها وقد ضمن له أبوسفيان بني عبدمناف؟ وإن كانت الخلافة بالرضا والجماعة والقرابة جميعاً فانّ القرابة خصلة من خصال الإمامة لا تكون الإمامة بها وحدها وأنتم تدّعونها بها وحدها. ولكنّا نقول: أحقّ قريش بها من بسط الناس أيديهم إليه بالبيعة عليها ونقلوا أقدامهم إليه للرغبة وطارت إليه أهواؤهم للثقة وقاتل عنها بحقّها فأدركها من وجهها. إنّ أمركم لأمر تضيق به الصدور إذا سألتم عمن اجتمع عليه من غيركم قلتم حقّ، فان كانوا اجتمعوا على حقّ فقد أخرجكم الحقّ من دعواكم.

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة: ج٤ ص١٦.

انظـروا، فـان كان القوم أخذوا حـقـكـم فاطلبوهـم، وإن كـانوا أخذوا حقّهم فسلّموا إليهم، فانّه لاينفعكم أن تروا لأنفسكم مالايراه الناس لكم.

فقال ابن عبّاس: ندّعي هذا الأمر بحقّ من لولا حقّه لم تقعد مقعدك هذا. ونـقول: كان تـرك الناس أن يـرضـوا بنا ويجـتمعـوا علينـا حقاً ضـيّعوه وحظّاً حـرّموه؛ وقد اجتـمعوا على ذي فضل لم يخطئ الـورد والصـدر؛ ولاينقص فضل ذي فضل فضل غيره عليه، قال الله عزّوجلّ «ويؤت كلّ ذي فضل فضله».

فأمّا الذي مـنـعنا من طـلـب هذا الأمر بعد رسـول الله صلّى الله عليـه وآله وسلّم فعهد منـه إلينا قبلنـا فيه قوله ودّنا بتأويله، ولو أمرنا أن نأخذه على الوجه الذي نهانا عنه لأخذناه أو أعـذرنا فيه؛ ولايعاب أحد على ترك حقّه، إنّما المعيب من يطلب ماليس له؛ وكـلّ صواب نافع وليس كلّ خطأ ضاراً. انتهت القضّية إلى داود وسليمان فلم يفهمها داود وفهمها سليمان، ولم يضرّ داود.

فأمّا القرابـة: فقد نفعـت المشرك وهي للمـؤمن أنفع؛ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أنت عميّ وصنو أبي، ومن أبغض العبّاس فقد أبغضني، وهجـرتك آخر الهجرة، كما أنّ نـبوّتي آخـر النبوّة» وقال لأبي طـالب عند موته: «ياعمّ، قـل لاإلـه إلاّ الله أشفـع لك بها غداً» وليس ذلـك لأحد مـن الناس، قال الله تعالى: «وليست التوبة للّذين يعملون السيئات حتىّ إذا حضر أحدهم الموت قال إنّي تبـت الآن ولا الذين يموتون وهم كفّـار أُولئك أعتدنا لهم عذاباً أليما»(١).

(٩٢)

ابن عبّاس ومعاوية

حدّثني أحد الهـاشمـيين أنّ ملـك الروم وجّه إلى معاويـة بقـارورة، فقال:

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة: ج١ ص٥.

ابعث إليّ فيها من كلّ شيئ؛ فبعث إلى ابن عبّاس، فقال: لتملأ له ماءاً. فلمّا ورد بها على ملك الروم قال: لله أبوه ماأدهاه! فقيل لابن عبّاس: كيف اخترت ذلك؟ قال:لقول الله عزوجلّ: «وجعلنا من الماء كلّ شيءٍ حيّ»[١].

(٩٣)

ابن عبّاس والخوارج

ذكر أهل العلم من غير وجه:أنّ عليّاً رضي الله تعالى عنه لـمّا وجّه إليهم عبدالله بن عبّاس رحمة الله عليه ليناظرهم، قال لهم: ماالذي نقمتم على أميرالمؤمنين! قالوا: قد كان للمؤمنين أميراً، فلمّا حكّم في دين الله خرج من الإيمان فليتب بعد إقراره بالكفر نعدله، فقال ابن عبّاس: لاينبغي لمؤمن لم يشب إيمانه شكّ أن يقرّعلى نفسه بالكفر. قالوا: إنّه قد حكّم، قال: إنّ الله عزّوجلّ: قد أمرنا بالتحكيم في قتل صيد، فقال عزّوجل: «يحكم به ذوا عدل منكم» فكيف في إمامة قد أشكلت على المسلمين؟ فقالوا: إنّه قد حكم عليه فلم يرض، فقال: إنّ الحكومة كالإمامة ومتى فسق الإمام وجبت معصيته، وكذلك الحكمان لمّا خالفا نبذت أقاويلهما فقال بعضهم لبعض: لاتجعلوا احتجاج قريش حجّة عليكم، فانّ هذا من القوم الذين قال الله عزّوجلّ فيهم: «بل هم قوم خصمون» وقال عزّوجلّ: «وتنذر به قوماً لدّاً»[٢].

(٩٤)

ابن عبّاس والخوارج

وجّه (أميرالمؤمنين عليه السلام) إليهم عبدالله بن العبّاس، فلمّا صارإليهم رحّبوا به وأكرموه؛ فرأى منهم جباهاً قرحة لطول السجود وأيدياً كثفنات الإبل

---

(١) الكامل للمبرد: ج١ ص٣٠٨.

(٢) الكامل للمبرد: ج٢ ص١٠٦ وابن أبي الحديد: ج٢ ص٢٧٣.

عليهم قمص مرخّصه وهم مشمّرون.

فقالوا: ماجاء بك ياأبا العبّاس؟ فقال: جئتكم من عند صهر رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم وابن عمّه، وأعلمنا بربّه وسنّة نبيّه ومن عند المهاجرين والأنصار. قالوا: إنّا أتينا عظيماً حين حكّمنا الرجال في دين الله، فان تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدوّنا رجعنا.

فقال ابن عبّاس: نشدتكم الله إلّا ماصدقتم أنفسكم؛ أما علمتم أنّ الله أمر بتحكيم الرجال في إرنب تساوي ربع درهم تصاد في الحرم، وفي شقاق رجل وامرأته؟ فقالوا: اللّهم نعم.

فقال: انشدكم الله هل علمتم أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحديبيّة؟ قالوا: نعم، ولكن عليّاً محا نفسه من إمارة المسلمين. قال ابن عبّاس: ليس ذلك بمزيلها عنه، وقد محا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم اسمه من النبوّة؛ وقد أخذ عليّ على الحكمين أن لا يجورا وأن يحورا، فعليّ أولى من معاوية وغيره.

قالوا: إنّ معاوية يدّعي مثل دعوى عليّ. قال: فأيّهم رأيتموه أولى فولّوه. قالوا: صدقت. قال ابن عبّاس: متى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولاقبول لقولهما. قال: فأتبعه منهم ألفان وبقي أربعة آلاف[1].

(٩٥)
ابن عبّاس والخوارج

أقول: قصّة مجادلة ابن عبّاس مع الخوارج بأمر من أميرالمؤمنين عليه السلام توجد في الطبري: ج٦ ص٣٣٥١. وأنساب الأشراف: ج١ ص٣٤٨ـ٣٥٤ـ٣٦٠. وابن ابي الحديد: ج٢ ص٢٧٣ـ٢٧٨ـ٣١٠. واليعقوبي:

---

(١) الكامل للمبرّد: ج٢ ص١٣٤.

ج٢ ص١٨٠ والطبقات لابن سعد: ج٣ ص٢١ القسم الأوّل. والمناقب للخوارزمي ص١٨٤. ولابأس بنقل المهم من صورها:

قال البلاذري: حدّثني عبدالله بن صالح، عن يحيى بن آدم، عن رجل، عن مجالد عن الشعبي، قال: بعث عليّ عبدالله بن عبّاس إلى الحروريّة، فقال: ياقوم، ماذا نقمتم على أميرالمؤمنين؟ قالوا: ثلاثاً: حكّم الرجال في دين الله، وقاتل فلم يسب ولم يغنم، ومحا من اسمه حين كتبوا القضيّة أميرالمؤمنين واقتصر على اسمه. فقال عبدالله بن عبّاس:

أما قولكم: حكّم الرجال فانّ الله قد صيّر حكمه إلى الرجال في إرنب ثمنه ربع درهم وماأشبه ذلك يصيبه المحرم، وفي المرأة وزوجها؛ فنشدتكم الله أحكم الرجال في بضع المرأة وارنب بربع درهم أفضل أم حكمه في صلاح المسلمين وحقن دمائهم؟ قالوا: بل هذا.

قال: وأمّا قولكم: [قاتل] ولم يسب ولم يغنم، أفتسبون اُمكم عائشة بنت أبي بكر الصدّيق؟ قالوا: لا.

قال: وأمّا قولكم: محا من اسمه إمرة المؤمنين، فانّ المشركين يوم الحديبيّة قالوا لرسول الله صلّىٰ الله عليه وآله: لوعلمنا أنّك رسول الله لم نقاتلك، فقال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله: إمح ياعليّ واكتب محمّد بن عبدالله، ورسول الله خير من عليّ.

فرجع منهم ألفان[1].

(٩٦)
ابن عبّاس والخوارج

وقال: وبعث عبد الله بن عبّاس إلى الخوارج وهم معتزلون بحروراء وبها

(١) أنساب الأشراف: ج٢ ص٣٦٠.

سمّوا الحروريّة؛ فقال: أخبروني ماذا نقمتم من الحكمين وقال الله في الشقاق: «فابعثوا حكماً من أهله»[١] وقال في كفّارة الصيد يصيبه المحرم: «يحكم به ذوا عدل منكم»[٢] ؟

قالوا: ماجعل الله حكمه إلى الناس وأمرهم بالنظر فيه فهو إليهم، وأمّا ماحكم به وأمضاه في الشرائع والسنن والعزائم فليس للعباد أن ينظروا فيه، ألا ترى أنّ الحكم[٣] في الزاني والسارق والمرتد وأهل البغي ممّا لاينظر العباد فيه ولايتعقّبونه. وقالوا: إنّ الله يقول: «يحكم به ذوا عدل منكم» فعمرو بن العاص عدل؟ وحكم الله في معاوية وأتباعه أن يقاتلوا ببغيهم حتىّ يفيئوا إلى امر الله. فلم يجبه أحد منهم. ويقال: أجابه ألفا رجل، ويقال: أربعة آلاف.

أقول: في هذا النقل سقط كما لايخفى. وقد نقل الطبري(٣) هذه المجادلة كما يأتي:

قال أبو مخنف في حديثه عن أبي جناب، عن عمارة بن ربيعة، قال: ولمّا قدم عليّ الكوفة وفارقته الخوارج وثبت إليه الشيعة، فقالوا: في أعناقنا بيعة ثانية نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت، فقالت الخوارج: استبقتم أنتم وأهل الشام إلى الكفر كفرسي رهان، بايع أهل الشام معاوية على ماأحبّوا وكرهوا، وبايعتم أنتم عليّاً على أنكم أولياء من والى وأعداء من عادى. فقال لهم زياد بن النضر: والله مابسط علي يده فبايعناه قطّ إلاّ على كتاب الله عزّوجلّ وسنّة نبيّه ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعته فقالوا: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت، ونحن كذلك، وهو على الحقّ والهدى، ومن خالفه ضالّ مضلّ.

---

(١) النساء: ٣٥. (٢) المائدة: ٩٥. (٣) «أنّ حكمه»: (خ ل). (٤) ج٤: ص٦٤.

وبعث عليّ ابن عبّاس إليهم حتىّ آتاهم، فقال: لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتىّ آتيك، فخرج إليهم حتىّ أتاهم؛ فأقبلوا يكلمونه، فلم يصبر حتىّ راجعهم. فقال: مانقمتم من الحكمين وقد قال الله عزّوجلّ: «إن يريدا إصلاحاً يوفّق الله بينهما»؟ فكيف بامّة محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم؟ فقالت الخوارج: قلنا: أمّا ماجعل حكمه إلى الناس وأمر بالنظر فيه والإصلاح له فهو إليهم كما امر به، وماحكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه؛ حكم في الزاني مائة جلدة، وفي السارق بقطع يده، فليس للعباد أن ينظروا في هذا.

قال ابن عبّاس: فانّ الله عزّوجلّ يقول: «يحكم به ذوا عدل منكم» فقالوا له: أو تجعل الحكم في الصيد والحدث يكون بين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين؟ وقالت الخوارج: قلنا له: فهذه الآية بيننا وبينك، أعدل عندك ابن العاص وهو بالأمس يقاتلنا ويسفك دماءنا؟ فان كان عدلاً فلسنا بعدول ونحن أهل حربه؛ وقد حكّمتم في أمر الله الرجال؛ وقد أمضى الله عزّوجلّ حكمه في معاوية وحزبه أن يقتلوا أو يرجعوا، وقبل ذلك مادعوناهم إلى كتاب الله عزّوجلّ، فأبوه. ثمّ كتبتم بينكم وبينهم كتاباً وجعلتم بينكم وبينهم الموادعة والاستفاضة، وقد قطع الله عزّوجل الاستفاضة والموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة إلّا من أقرّ بالجزية[١].

ونقل ابن عبدالبرّ في جامع بيان العلم والعمل[٢] هذه المناظرة بوجهٍ آخر قال: لمّا اجتمعت الحروريّة يخرجون على عليّ، قال: جعل يأتيه الرجل فيقول: ياأمير المؤمنين القوم خارجون عليك. قال: دعوهم حتّى يخرجوا.

فلمّا كان ذات يوم قلت: ياأمير المؤمنين، أبرد بالصلاة فلا تفتني حتىّ آتي القوم. قال: فدخل عليهم وهم قائلون، فاذا هم مسهمة و وجوههم من السهر وقد

---

(١) راجع انساب الاشراف: ج٢ ص٣٤٨.

(٢) ص١٢٦.

أثَر السجود في جباههـم، كأنّ أيديهم ثفن الإبل، عـليهم قمص مرخصة. فقالوا: ماجاء بك يـاابن عبّـاس؟ وماهذه الحلّة عليـك؟ قال: قلت: ماتعيـبون منّي؟ فلقد رأيت رسول الله أحسن مايكون من ثياب اليمنيّة. قال: ثمّ قرأت هذه الآية «قل من حرّم زينة الله التي أخرج لـعباده والطيّبات من الرزق» فقالوا: ماجاء بك؟ فقال: جئتكـم مـن عند أصحاب رسول الله صـلّـىٰ الله عليه وآله وليس فـيكم منهم أحد، ومن عـنـد ابن عمّ رسول الله صلّىٰ الله عـليه وآله وعليهم نزل القرآن وهم اعلم بتـأويله، جئت لابلغـكم عنهم وابلّغهم عـنكم. قال بعضهم: لاتخاصمـوا قريشاً، فانّ الله يـقول: «بل هم قوم خصمون» فـقال بعضهم: بلى فلنكلّمنّه. قال: كلّمني منهم رجلان أو ثلا ثة.

قال: قلت: مـاذا نـقمتم عليه؟ قـالوا: ثلا ثاً قلـت: ماهن؟ قالوا: حـكّم الرجـال في أمرالله وقـال الله: «إن الحكـم إلاّ لله» قـال: فقـلت: هـذه واحدة، ومـاذا أيضاً؟ قـال: فانّـه قاتـل ولم يسب ولم يغنم، فـلئن كانـوا مؤمـنين ماحلّ قتالهم، ولئن كانـوا كافرين لقـد حلّ قتالهم وسبيهم. قال: قلت: وماذا أيضاً؟ قالوا: ومحا نفسه من أميرالمؤمنين، فان لم يكن أميرالمؤمنين فهو أميرالكافرين.

قـال: قـلت: أرايتكم إن أتيـتـكم من كتاب الله وسـنّـة رسوله ماينقض قولكم هذا أترجعون؟ قالوا: ومالنا لانرجع؟.

قال: قلت: أمّا حكـم الـرجال في أمرالله: فانّ الله قال في كتابـه: «ياأيّها الذين آمنوا لا تقتـلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمّداً فجزاء مثل ماقتل من النعم يحكم بـه ذوا عدل منكم» وقال في المرأة وزوجها: «وإن خفتم شقاق بينهما فـابعـثوا حكـماً مـن أهلـه وحكماً مـن أهلهـا» فصيـّر الله ذلك إلى حـكم الرجال. فنشدتكم الله أتعلمون حكـم الرجال في دماء المسلمين وإصلاح ذات بـينهم أفضل، أو في حكـم ارنب ثمن ربع درهـم، وفي بضع امرأة؟ قالوا: بلى هذا أفضل. قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

قـال: فأمّا قولكم: قـاتـل فلم يسب ولم يغنم، أفتسبون أُمّكم عائشة؟! فان قلتم: نسبيها فنستحـلّ منها مانستحلّ مـن غيرهـا فقد كفرتم؛ وإن قلتم: ليست بـأُمّنا فقد كفرتم؛ فانتم تردّدون بين ضلالتين؛ أخرجت من هذه؟ قالوا: بلى.

قال: وأمّا قولكم: محا نـفسه من إمرة المؤمنين، فأنـا آتيكم بمن ترضون، إنّ نبيّ الله يوم الحديبيـّة حين صالـح أبا سفيان وسـهيل بن عمرو، قال رسول الله صلّىٰ الله عليـه وآله: اكتب ياعـليّ: هذا ماصالـح عليه محمّـد رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو: مانعلم أنك رسول الله، ولونعلم أنّك رسـول الله ماقاتلنـاك . قال رسـول الله صلّىٰ الله عليـه وآله: اللّهم [انك] تعلم أنّي رسولك ، إمـح ياعليّ واكتب: هذا مـااصطلح عليه محمّـد بن عبدالله وأبو سفيان وسهيل بن عمرو.

قال: فرجع منهم ألفان وبقي بقيتهم؛ فخرجوا فقتلوا أجمعين.

(٩٧)

ابن عبّاس وعروة بن الزبير

عن سعيد بـن جبير، عن ابن عبّاس، قال: تمتّع النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله فقال عروة بن الـزبير: نهى أبو بكر وعـمر عن المتعـة. فقال ابن عبّـاس: أراهم سيهلكون! أقول: قـال النبيّ صلّـىٰ الله عليه وآله وسـلّم ويقولون: نهـى أبوبكر وعمر![1].

(٩٨)

ابن عبّاس والخوارج

عـن ابـن عبّاس: قـال: اجـتـمعت الخـوارج في دارهـا وهم ستّة آلاف أو

---

(١) جامع بـيان العلـم وفضله: ج٢ ص٢٤٠. وراجع البحـار: ج٧٩ ص٣٠٦ عن مكارم الأخلاق وج٦٥ ص١٢٥. وفتوح ابن أعثم: ج٤ ص٩١

نحوها؛ قلت لعليّ بن أبي طالب: ياأميرالمؤمنين، أبـرد الصلاة لعليّ ألقى هؤلاء القوم. فقال: إنّي أخافهم عليك؛ قال: فقلت: كلّا، قال: ثمّ لبس حلّتين من أحسن الحلل. قال: وكان ابن عبّاس جميلاً جهيراً.

قال: فأتيت القوم؛ قال: فلمّا نظروا إليّ قالوا: مرحباً بابن عباس، فما هذه الحالة؟ قال: قلت: وماتنكرون من ذلك؟ لقد رأيت على رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم حلّة من أحسن الحلل؛ قال: ثمّ تلوت عليهم «قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده» قالوا: فما جاء بك؟ قلت: جئتكم من عند أميرالمؤمنين ومن عند أصحاب رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ومن عند المهاجرين والأنصار لابلّغكم ماقالوا ولابلّغهم ماتقولون. فما تنقمون من عليّ ابن عمّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم وصهره؟ قال: فأقبل بعضهم على بعض، فقال بعضهم: لا تكلّموه فانّ الله تعالى يقول: «بل هم قوم خصمون» وقال بعضهم: مايمنعهم من كلام ابن عمّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وهو يدعونا إلى كتاب الله؟.

قالوا: ننقم عليه خلالاً ثلاثاً. قال: وماهنّ؟ قالوا: حكّم الرجال في أمر الله عزّوجلّ، وماللرجال ولحكم الله؟ وقاتل ولم يسب ولم يغنم، فان كان الذي قاتل قد حلّ قتالهم فقد حلّ سبيهم، وإن لم يكن حلّ سبيهم فما حلّ قتالهم. ومحا اسمه من أميرالمؤمنين، فان لم يكن أميرالمؤمنين فهو أميرالمشركين. قال: فقلت لهم: غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا.

قال: قلت: أرايتم إن خرجت من هذا بكتاب الله وسنّة رسوله أراجعون أنتم؟ قالوا: ومايمنعنا؟.

قلت: أمّا قولكم: حكّم الرجال في أمرالله، فانّي سمعت الله عزّوجلّ يقول في كتابه: «يحكم به ذوا عدل منكم» في ثمن صيد إرنب أو نحوه يكون قيمته ربع درهم، فردّ الله الحكم فيه إلى الرجال، ولو شاء أن يحكم لحكم.

وقال تعالى: «وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفّق الله بينهما» أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: وأمّا قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم، فانّه قاتل امّكم، وقال الله تعالى: «النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أُمّهاتهم» وإن زعمتم أنّها أُمّكم فما حلّ سباها؛ فأنتم بين ضلالين. أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

قال: وأمّا قولكم: محا اسمه من أميرالمؤمنين، فانّي أُنبّئكم بذلك عمّن ترضون، أما تعلمون أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم يوم الحديبيّة وقد جرى الكتاب بينه وبين سهيل بن عمر وقال: ياعليّ أُكتب: هذا ما اصطلح محمّد رسول الله وسهيل بن عمرو؛ فقالوا: لو نعلم أنّك رسول الله ماقاتلناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال: اللّهم إنّك تعلم أنّي رسولك، ثمّ أخذ الصحيفة فمحاها بيده؛ ثمّ قال: ياعلي كتب: هذا ماصالح عليه محمّد بن عبدالله وسهيل بن عمرو؛ فوالله ماأخرجه الله بذلك من النبوّة؛ أخرجت من هذا؟ قالوا: نعم.

قال: فرجع ثلثهم، وانصرف ثلثهم، وقتل سائرهم على الضلالة كما في الطبري وكان ذلك سنة ٣٧هـ

(٩٩)
ابن عبّاس ومعاوية

اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية، وفيهم عبدالله بن عبّاس، وكان جريئاً على معاوية حقّاراً له؛ فبلغه عنه بعض ماغمّه.

فقال معاوية: رحم الله أباسفيان والعبّاس كانا صفيين دون الناس،

(١) ملحقات إحقاق الحقّ: ج٨ ص٥٢١ عن الخصائص للنسائي، والرياض النضرة. وقريب منه مافي المناقب.

فحفظت الميّت في الحيّ والحيّ في الميّت، استعملك عليّ يا ابن عبّاس على البصرة، واستعمل أخاك عبيد الله على اليمن، واستعمل أخاك [تماماً] على المدينة؛ فلمّا كان من الأمر ما كان هنأتكم بما في أيديكم ولم أكشفكم عمّا وعت غرائركم، وقلت: آخذ اليوم واعطي غداً مثله، وعلمت أنّ بدء اللؤم يضرّ بعاقبة الكرم؛ ولو شئت لأخذت بحلاقيمكم وقيّأتكم ما أكلتم [و] لا يزال يبلغني عنكم ماتبرك له الإبل. وذنوبكم إلينا أكثر من ذنوبنا إليكم، خذلتم عثمان بالمدينة، وقتلتم أنصاره يوم الجمل، وحاربتموني بصفّين؛ ولعمري لبنو تيم وعديّ أعظم ذنوباً منا إليكم، إذ صرفوا عنكم هذا الأمر وسنّوا فيكم هذه السنّة، فحتّى متى أُغضي الجفون على القذى وأسحب الذيول على الأذى وأقول: لعل الله وعسى؟ ماتقول يا ابن عبّاس؟!

قال: فتكلّم ابن عبّاس، فقال:

رحم الله أبانا وأباك كانا صفيّين متفاوضين، لم يكن لأبي من مال إلّا مافضل لأبيك، وكان أبوك كذلك لأبي. ولكن من هنّأ أباك باخاء أبي أكثر ممّن هنّأ أبي باخاء أبيك، نصر أبي أباك في الجاهليّة وحقن دمه في الإسلام.

وأمّا استعمال عليّ إيّانا: فلنفسه دون هواه، وقد استعملت أنت رجالاً لهواك لا لنفسك، منهم ابن الحضرمي على البصرة فقتل، وابن بشر بن أرطاة على اليمن فخان، وحبيب بن مرّة على الحجاز فردّ، والضحّاك بن قيس الفهري على الكوفة فحصب؛ ولو طلبت ماعندنا وقينا أعراضنا. وليس الذي يبلغك عنّا بأعظم من الذي يبلغنا عنك، ولو وضع أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لمحقها، ولو وضع أدنى عذرنا إليكم على مائة سيّئة لحسّنها.

وأمّا خذلنا عثمان: فلو لزمنا نصره لنصرناه. وأمّا قتلنا أنصاره يوم الجمل: فعلى خروجهم ممّا دخلوا فيه. وأمّا حربنا إيّاك بصفّين: فعلى تركك الحقّ وادّعائك الباطل. وأمّا إغراؤك إيّانا بتيم وعديّ: فلو أردناها ماغلبونا عليها.

وسكت.

فقال في ذلك ابن أبي لهب:

كان ابن حرب عظيم القدر في الناس حتّى رماه بما فيه ابن عبّاس
مازال يهبطه طوراً ويصعده حتّى استفاد وما بالحقّ من باس
لم يتركن خطّة ممّا يدلّله إلّا كواه بها في فروة الراس[١]

(١٠٠)

ابن عبّاس ومعاوية

ابن الكلبي، قال: أقبل معاوية يوماً على ابن عبّاس، فقال: لو ولّيتمونا ماآتيتم إلينا ماآتينا إليكم من الترحيب والتقريب، وإعطائكم الجزيل وإكرامكم على القليل، وصبري على ماصبرت عليه منكم؛ إنّي لااريد أمراً إلّا أظمأتم صدره،ولا آتي معروفاً إلّا صغّرتم خطره، واعطيكم العطيّة فيها قضاء حقوقكم فتأخذوها متكارهين عليها؛ تقولون: قد نقص الحقّ دون الأمل،فأيّ أمل بعد ألف ألف أعطيها الرجل منكم، ثمّ أكون أسرّ باعطائها منه بأخذها؟ والله لئن انخدعت لكم في مالي وذللت لكم في عرضي أرى انخداعي كرماً وذلّي حلماً. ولو ولّيتمونا رضينا منكم بالانتصاف ولانسألكم أموالكم، لعلمنا بحالنا وحالكم ويكون أبغضها إلينا وأحبّها إليكم أن نعفيكم.

فقال ابن عبّاس: لو ولّينا أحسنّا المواساة وما ابتلينا بالأثرة ثمّ لم نغشم الحيّ ولم نشتم الميّت؛ ولستم بأجود منّا أكفّاً ولاأكرم أنفساً ولاأصون لأعراض المروءة. ونحن والله أعطى للآخرة منكم للدنيا، وأعطى في الحقّ منكم في الباطل، وأعطى على التقوى منكم على الهوى؛ والقسم بالسويّة والعدل في

---

(١) العقد الفريد: ج٤ ص٩ العقد الفريد: ج٢ ص١١٠ ط منشورات مكتبة الهلال.

الرعيّة يأتيان على المنى والأمل؛ مارضاكم منّا بالكفاف، فلو رضيتم [به] منّا لم ترض أنفسنا به لكم، والكفاف رضا من لاحقّ له. وفلا تبخلونا حتّى تسألونا، ولا تلفظونا حتّى تذوقونا[١].

(١٠١)

ابن عبّاس ومعاوية

أبو عثمان الحزامي، قال: اجتمعت بنوهاشم عند معاوية، فأقبل عليهم، فقال: يابني هاشم، والله إنّ خيرى لكم لممنوح وإنّ بابي لكم لمفتوح، فلا يقطع خيري عنكم علّة ولايوصد بابي دونكم مسألة؛ ولمّا نظرت في أمرى وأمركم رأيت أمراً مختلفاً، إنكم لترون أنكم أحقّ بما في يدي منّي، وإذا أعطيتكم عطيّة فيها قضاء حقّكم قلتم أعطانا دون حقّنا وقصّر بنا عن قدرنا، فصرت كالمسلوب والمسلوب لاحمد له؛ وهذا مع إنصاف قائلكم وإسعاف سائلكم.

قال: فأقبل عليه ابن عبّاس، فقال: والله ما منحتنا شيئاً حتّى سألناه ولافتحت لنا بابا حتى قرعناه، ولئن قطعت عنّا خيرك لله أوسع منك، ولئن أغلقت دوننا بابك لنكفنّ أنفسنا عنك. وأمّا هذا المال فليس لك منه إلّا مالرجل من المسلمين، ولنا في كتاب الله حقّان: حقّ في الغنيمة، وحقّ في الفيئ؛ فالغنيمة ماغلبنا عليها والفيء مأجتبيناه. ولولا حقّنا في هذا المال لم يأتك منّا زائر يحمله خف ولاحافر؛ أكفاك أم أزيدك؟ قال: كفاني فانك لاتهر ولا تنبح[٢].

---

(١) العقد الفريد: ج٤ ص ١٠. العقد الفريد: ج٢ ص١١١ ط مكتبة الهلال.

(٢) العقد الفريد: ج٤ ص ١١ ج٢ ص١١١ ط مكتبة الهلال.

(١٠٢)

ابن عبّاس ومعاوية

قال يوماً معاوية وعنده ابن عبّاس: إذا جاءت هاشم بقديمها وحديثها، وجاءت بنو أُميّة بأحلامها وسياستها، وبنو أسد بن عبد العزّى برفادتها ودياتها، وبنو عبد الدار بحجابها ولوائها، وبنومخزوم بأموالها وافعالها، وبنوتيم بصدّيقها وجوادها، وبنوعديّ بفاروقها ومتفكّرها، وبنوسهم بآرائها ودهائها، وبنوجمح بشرفها وانوفها، وبنوعامر بن لؤيّ بفارسها وقريعها، فمن ذا يُجلي في مضمارها ويجري الى غايتها؟ ماتقول يابن عبّاس؟ قال:

أقول: ليس حيّ يفخرون بأمر إلّا وإلى جنبهم من يشركهم إلّا قريشاً، فانّهم يفخرون بالنبوّة التي لايشاركون فيها ولايساوون بها ولايدفعون عنها، وأشهد أنّ الله لم يجعل محمّداً من قريش إلّا وقريش خير البريّة ولم يجعله في بني عبد المطّلب إلّا وهم خير بني هاشم، مانريد أن نفخر عليكم إلّا بما تفخرون به، إنّ بنا فتح الأمر وبنا يختم، ولك ملك معجّل ولنا ملك مؤجّل، فان يكن ملككم قبل ملكنا فليس بعد ملكنا ملك، لأنّا أهل العاقبة، والعاقبة للمتقين[١].

(١٠٣)

ابن عبّاس وعمرو بن العاص

أبو مخنف، قال: حجّ عمرو بن العاص، فمرّ بعبد الله بن عبّاس فحسده مكانه ومارأى من هيبة النّاس له وموقعه من قلوبهم. فقال له: يابن عبّاس، مالك إذا رأيتني ولّيتني القصرة وكأنّ بين عينيك دبرة، وإذا كنت في ملأ من

---

(١) العقد الفريد: ج٤ ص ١٢. العقد: ج٢ ص١١٢.

الناس كنت الهوهاة الهمزة؟

فقال ابن عبّاس: لأنّك من اللئام الفجرة وقريش الكرام البررة، لاينطقون بباطل جهلوه ولايكتمون حقّاً علموه،وهم أعظم الناس أحلاماً وأرفع الناس أعلاماً، دخلت في قريش ولست منها، فأنت الساقط بين فراشين، لافي بني هاشم رحلك ولافي بني عبدشمس راحلتك! فأنت الأثيم الزنيم الضالّ المضلّ؛ حملك معاوية على رقاب الناس، فأنت تسطو بحمله[1] وتسموبكرمه.

فقال عمرو: أما والله إنّي لمسرور بك، فهل ينفعني عندك؟ قال ابن عبّاس؛حيث مال الحقّ ملنا وحيث سلك قصدنا[1]

(١٠٤)

ابن عبّاس ومعاوية

المدائني قال:[قام] عمروبن العاص في موسم من مواسم العرب، فأطرى معاوية ابن أبي سفيان وبني اميّة [وتناول بني هاشم] وذكر مشاهده بصفّين، واجتمعت قريش، فأقبل عبدالله بن عبّاس على عمرو.

فقال: ياعمرو، إنّك بعت دينك من معاوية وأعطيته مابيدك ومنّاك مابيد غيرك، وكان الذي أخذ منك أكثر من الذي أعطاك، والذي أخذت منه دون الذي أعطيته، حتى لو كانت نفسك في يدك ألقيتها؛ وكلّ راضٍ بما أخذ وأعطى. فلمّا صارت مصر في يدك كدّرها عليك بالعذل والتنقص.

[وذكرت يومك مع أبي موسى فلا أراك فخرت إلّا بالغدر ولامنيت إلّابالفجور والغش. ش] وذكرت مشاهدك بصفّين، فوالله ماثقلت علينا يومئذٍ وطأتك [ولانكأت فينا جرأتك. ش] ولقد كشفت فيها عورتك وإن كنت فيها لطويل اللسان قصير السنان، آخر الخيل إذا أقبلت وأوّلها إذا

(١) «بحلمه خ».

(٢) العقد: ج٤ ص١٢. العقد: ج٢ ص١١٢.

أدبرت، لك يدان: يد لاتبسطها إلى خير ويد لا تقبضها عن شرّ، ولسان غادر ذو وجهين: ووجهان: وجه موحش ووجه مونس؛ ولعمري! إنّ من باع دينه بدنيا غيره لحريّ أن يطول عليها ندمه، لك بيان وفيك خطل، ولك رأي وفيك نكد، ولك قدر وفيك حسد؛ وأصغر عيب فيك أعظم عيب في غيرك .

فأجابه عمرو بن العاص: والله! مافي قريش أثقل عليّ مسألة ولاأمرّ جواباً منك ، ولو استطعت ألّا اجيبك لفعلت، غير أنّي لم أبع ديني من معاوية ولكن بعت الله نفسي ولم أنس نصيبي من الدنيا. وأمّا ماأخذت من معاوية وأعطيته: فإنّه لا تعلم العوان الخمرة. وأمّا ماأتى إليّ معاوية في مصر: فإنّ ذلك لم يغيّرني له. وأمّا خفة وطأتي عليكم بصفّين: فلم استثقلتم حياتي واستبطأتم وفاتي؟وأمّا الجبن: فقد علمت قريش أنّي أوّل من يبارز وأمرّ من ينازل. وأمّا طول لساني: فانّي كما قال هشام بن الوليد لعثمان بن عفّان رضيّ الله عنه:

لساني طويل فاحترس من شذاته ... عليك وسيفي من لساني أطول

وأمّا وجهاي ولساناي:فإنّي ألقىٰ كلّ ذي قدربقدره وأرمي كلّ نابح بحجره، فمن عرف قدره كفاني نفسه، ومن جهل قدره كفيته نفسه؛ ولعمري مالأحد من قريش مثل قدرك ماخلا معاوية،فما ينفعني ذلك عندك .وأنشأ عمرو يقول:

بني هاشم مالي أراكم كأنّكم ... بي اليوم جهّال وليس بكم جهل؟
ألم تعلموا أنّي جسور على الوغى ... سريع إلى الداعي إذا كثر القتل؟
وأوّل من يدعو نزال طبيعة ... جبلت عليها والطباع هو الجبل
وإني فصلت الأمر بعد اشتباهه ... بدومة إذ أعيا على الحكم الفصل
وإنّي لاأعيا بأمر أريده ... وإنّي إذا عجّت بكاركم فحل[1]

(١) العقد ج٤ ص١٣. وابن أبي الحديد: ج٢ ص٢٤٧ أوّله مع اختلاف، وذكرنا بعضه بين المعقفتين.

(١٠٥)

ابن عبّاس وابن الزبير

الشعبي قال: قال ابن الزبير لعبدالله بن عبّاس: قاتلت امّ المؤمنين وحواري رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأفتيت بجواز المتعة؟!.

فقال: أمّا امّ المؤمنين: فأنت أخرجتها وأبوك وخالك، وبنا سمّيت امّ المؤمنين وكنّا لها خير بنين فتجاوز الله عنها. وقاتلت انت وأبوك عليّاً، فان كان عليّ مؤمناً فقد ضللتم بقتالكم المؤمنين، وإن كان عليّ كافراً فقد بؤتم بسخط من الله بفراركم من الزحف. وأمّا المتعة: فانّ عليّاً رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رخّص فيها، فأفتيت بها، ثمّ سمعته ينهى فنهيت عنها. وأوّل مجمر سطع في المتعة مجمر آل الزبير[1].

(١٠٦)

عبدالله بن عبّاس ومعاوية

دخل عبدالله بن عبّاس على معاوية وعنده وجوه قريش، فلمّا سلّم وجلس، قال له معاوية: إنّي اريد أن أسألك عن مسائل. قال: سل عمّا بدا لك.

قال: ماتقول في أبي بكر؟.

قال: رحم الله أبابكر، كان والله للقرآن تالياً، وعن المنكر[ات] ناهياً، وبذنبه عارفاً، ومن الله خائفاً، وعن الشبهات زاجراً، وبالمعروف آمراً وبالليل قائماً وبالنهار صائماً؛ فاق أصحابه ورعاً وكفافاً، وسادهم زهداً وعفافاً؛ فغضب الله على من أبغضه وطعن عليه.

قال: إيهاً يابن عبّاس، فما تقول في عمر بن الخطاب؟.

---

(١) العقد: ج٤ ص١٣-١٤. ومروج الذهب: ج٣ ص٨٩-٩٠ بلفظ آخر يأتي.

قال: رحم الله أبا حفص [عمر] كان والله حليف الإسلام، ومأوى الأيتام، ومنتهى الإحسان، ومحلّ الإيمان، وكهف الضعفاء، ومعقل الحنفاء؛ قام بحقّ الله عزّوجلّ صابراً محتسباً حتىّ أوضح الدين وفتح البلاد وأمّن العباد، فأعقب الله على من تنقّصه اللعنة إلى يوم الدين.

قال: فما تقول في عثمان؟.

قال: رحم الله أبا عمرو، كان والله أكرم الحفدة، وأفضل البررة هجّاداً بالأسحار، كثير الدّموع عند ذكر النار، نهّاضاً عند كلّ مكرمة، سبّاقاً إلى كلّ منحة، حييّاً أبيّاً وفيّاً، صاحب جيش العسرة، ختن رسول الله صلّى الله عليه وآله فأعقب الله على من يلعنه لعنة اللاعنين إلى يوم الدين.

قال: فما تقول في عليّ.

قال: رضي الله عن أبي الحسن، كان والله علم الهدى، وكهف التقى، ومحلّ الحجى، وبحر الندى، وطود النهى، وكهف العلى للورى، داعياً إلى المحجّة العظمى، متمسّكاً بالعروة الوثقى، خير من آمن واتّقى، وأفضل من تقمّص وارتدى، وأبرّ من انتعل وسعى، وأفصح من تنفّس وقرى، وأكثر من شهد النجوى سوى الأنبياء والنبيّ المصطفى؛ صاحب القبلتين فهل يوازيه أحد؟ وهو أبو السبطين فهل يقارنه بشر؟ وزوج خير النساء فهل يفوقه قاطن بلد؟ للاسود قتّال، وفي الحروب ختّال؛ لم تر عيني مثله ولن ترى؛ فعلى من انتقصه لعنة الله والعباد إلى يوم التناد.

قال: إيهاً يابن عبّاس! لقد أكثرت في ابن عمّك، فما تقول في أبيك العبّاس؟.

قال: رحم الله [العباس] أبا الفضل، كان صنو نبي الله صلّى الله عليه وسلّم وقرّة عين صفيّ الله، سيدّ الأعمام، له أخلاق آبائه الأجواد وأحلام أجداده الأمجاد، تباعدت الأسباب في فضيلته، صاحب البيت والسقاية والمشاعر

والتلاوة؛ ولم لايكون كذلك وقد ساسه أكرم من دبّ.

فقال معاوية: ياابن عبّاس! أنا أعلم أنّك كلماني في أهل بيتك.

قال: ولم لاأكون كذلك؛ وقد قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم: «اللّهم فقّهه في الدّين وعلّمه التأويل»؟

ثمّ قال ابن عبّاس بعد هذا الكلام:

يامعاوية، إنّ الله جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه خصّ نبيّه محمّداً صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم بصحابة آثروه على الأنفس والأموال وبذلوا النفوس دونه في كلّ حال، ووصفهم الله في كتابه فقال: «رحماء بينهم» الآية، قاموا بمعالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين، حتّى تهذّبت طرقه وقويت أسبابه وظهرت آلاء الله واستقرّ دينه ووضحت أعلامه، وأذلّ الله بهم الشرك وأزال رؤوسه ومحا دعائمه وصارت كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى؛ فصلوات الله وبركاته على تلك النفوس الزاكية والأرواح الطاهرة العالية، فقد كانوا في الحياة لله أولياء وكانوا بعد الموت أحياء وكانوا لعباد الله نصحاء، رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها.

فقطع عليه معاوية الكلام، وقال إيهاً ياابن عبّاس! حديثاً في غير هذا [خذ بنا إلى غير هذا خ ل][١].

(١٠٧)

ابن عبّاس ومعاوية

دسّ معاوية ـ بعد صلحه مع الحسن عليه السلام ـ رجلاً من حمير إلى الكوفة ورجلاً من بني القين إلى البصرة يكتبان إليه بالأخبار؛ فدلّ على الحميري وعلى القيني، فاخذا وقتلا. فكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية....

---

(١) مروج الذهب: ج٣ ص ٥.

وكتب عبدالله بن العبّاس من البصرة الى معاوية:

أمّا بعد، فانّك **ودسك** أخا بني القين إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش بمثل ماظفرت به من يمانيتك، لكما قال امية بن أبي الأسكر:

لعمرك إنّي والخزاعي طارقا كنعجة عاد حتفها تتحفَّر
أثارت عليها شفرةً بكراعها فظلّت بها من آخر الليل تنحر
شمّت بقوم من صديقك اهلكوا أصابهم يوم من الدهر أصفر

فأجابه معاوية:

أمّا بعد، فانّ الحسن بن عليّ قد كتب إليّ بنحو ماكتبت به وأنبأني بما لم يحقق سوء ظنّ ورأي فيّ وإنّك لم تصب مثلي ومثلكم، وإنّما مثلنا كما قال طارق الخزاعي يجيب امية عن هذا الشعر:

فوالله ماأدري وإنّي لصادق إلى أيّ من يظنّني أتعذّر
أعنّف إن كانت زبينة اهلكت ونال بني لحيان شر فأنفِر[١]

(١٠٨)

ابن عبّاس ومعاوية

كتب معاوية الى ابن عبّاس عند صلح الحسن عليه السلام له كتاباً يدعوه فيه الى بيعته ويقول له فيه:

ولعمري! لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضاً وأن يكون رأياً صواباً، فانّك من الساعين عليه والخاذلين له والسافكين دمه؛ وماجرى بيني وبينك صلح فيمنعك منّي، ولابيدك أمان.

فكتب إليه ابن عبّاس جواباً طويلاً يقول فيه: وأمّا قولك: إنّي من الساعين على عثمان والخاذلين له والسافكين دمه وماجرى بيني وبينك صلح

(١) ابن أبي الحديد: ج١٦ ص٣١-٣٢.

فيمنعك منّي، فاقسم بالله لأنت المتربص بقتله والمحبّ لهلاكه والحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من أمره، ولقد أتاك كتابه وصريخه يستغيث بك ويستصرخ، فما حفلت حتى بعثت إليه معذّراً باجرة؛ أنت تعلم أنّهم لن يتركوه حتىّ يقتل، فقتل كما كنت أردت. ثمّ علمت عند ذلك أنّ الناس لن يعدلوا بيننا وبينك فطفقت تنعى عثمان وتلزمنا دمه وتقول: قتل مظلوماً! فان يك قتل مظلوماً فأنت أظلم الظالمين. ثمّ لم تزل مصوّباً ومصعّداً وجاثماً ورابضاً تستغوي الجهّال وتنازعنا حقّنا بالسفهاء حتىّ أدركت ماطلبت «وإن أدرى لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين»[1].

(١٠٩)

ابن عبّاس وابن الزبير

روى سعيد بن جبير: أنّ عبدالله بن الزبير قال لعبدالله بن عبّاس: ماحديث أسمعه عنك؟ قال: وماهو؟ قال: تأنيبي وذمي!

فقال: إنّي سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله يقول: «بئس المرء المسلم يشبع ويجوع جاره» فقال ابن الزبير: إنّي لأكتم بغضكم أهل البيت منذ أربعين سنة.

كان عبدالله بن الزبير يبغض عليّاً عليه السلام وينتقصه وينال من عرضه. وروى عمر بن شبّة وابن الكلبي والواقدي وغيرهم من رواة السير أنّه مكث أيّام ادّعائه الخلافة أربعين جمعة لايصلي فيها على النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وقال: «لايمنعني من ذكره إلّا أن تشمخ رجال بآنافها!» وفي رواية محمد بن حبيب وأبي عبيدة معمّر بن المثنىّ: «أنّ له اهيل سوء ينغضون رؤوسهم عند ذكره»[2].

---

(١) ابن أبي الحديد: ج١٦ ص١٥٤ـ١٥٥.

(٢) ابن أبي الحديد: ج٤ ص٦١ و٦٢.

(١١٠)

ابن عبّاس وابن الزبير

خطب ابن الزبير، فقال: مابال أقوام يفتون في المتعة وينتقصون حواري رسول الله وامّ المؤمنين عائشة! مابالهم أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم. يعرّض بابن عبّاس.

فقال [ابن عبّاس]: ياغلام، اصمدني صَمْدَه، فقال: يابن الزبير!

قد انصف القارة من راماها إنّا إذا مافئة نلقاها

نردّ اولاها على اخراها

أمّا قولك في المتعة: فسل امّك تخبرك ! فانّ أوّل متعة سطع مجمرها لمجمر سطع بين امك وأبيك. يريد متعة الحجّ. [وأمّا قولك: امّ المؤمنين، فبنا سمّيت امّ المؤمنين، وبنا ضرب عليها الحجاب] وأمّا قولك: حواري رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقد لقيت أباك في الزحف وأنا مع إمام هدى، فان يكن على ماأقول فقد كفر بقتالنا، وإن يكن على ماتقول فقد كفر بهربه عنّا.

فانقطع ابن الزبير ودخل على امّه أسماء، فأخبرها، فقالت: صدق[١]

(١١١)

ابن عبّاس وابن الزبير

لمّا أخرج ابن الزبيرعبدالله بن عبّاس من مكّة إلى الطائف، كان يجلس إليه أهل الطائف بعد الفجر وبعد العصر، فيتكلّم بينهم. كان يحمدالله ويذكر النبيّ صلّى الله عليه وآله والخلفاء بعده ويقول: ذهبوا فلم يدعوا أمثالهم ولاأشباههم ولامن يدانيهم! ولكن بقي أقوام طلبون الدنيا بعمل الآخرة

---

(١) مروج الذهب: ج٣ ص٨١، ومرّ عن العقد الفريد.

ويلبسون جلود الضأن تحتها قلوب الذئاب والنمور، ليظنّ الناس أنّهم من الزاهدين في الدنيا، يراؤون الناس بأعمالهم ويسخطون الله بسرائرهم. فادعوا الله أن يقضي لهذه الامّة بالخير والإحسان، فيوليّ أمرها خيارها وأبرارها ويهلك فجّارها وأشرارها؛ ارفعوا أيديكم إلى ربّكم وسلوه ذلك. فيفعلون.

فبلغ ذلك ابن الزبير، فكتب إليه:

أمّا بعد، فقد بلغني أنّك تجلس بالطائف العصرين فتفتيهم بالجهل! تعيب أهل العقل والعلم. وإنّ حلمي عليك واستدامتي فيئك جرّأك عليّ، فاكفف ـلاأباً لغيرك ـ من غربك، واربع على ظلُعك، واعقل إن كان لك معقول، وأكرم نفسك، فإنّك إن تهنها تجدها على الناس أعظم هواناً؛ ألم نسمع قول الشاعر:

فنفسك أكرمها فانّك إن تهن عليك فلن تلقى لها الدهر مكرماً

وإنّي اقسم بالله لئن لم تنته عمّا بلغني عنك لتجدن جانبي خشناً، ولتجدنّي إلى مايردعك عنّي عجلاً، فَرَ رأيك؛ فان أشقى بك شقاؤك على الردى، فلا تلم إلّا نفسك.

فكتب إليه ابن عبّاس:

أمّا بعد، فقد بلغني كتابك، قلت: إنّي افتي الناس بالجهل. وإنّما يفتي بالجهل من لم يعرف من العلم شيئاً، وقد آتاني الله من العلم مالم يؤتك.

وذكرت أنّ حلمك عنّي واستدامتك فيئي جرّأني عليك، ثمّ قلت: اكفف من غربك واربع على ظلعك، وضربت لي الأمثال أحاديث الضبع. متى رأيتني لعرامك هائباً ومن حدّك ناكلاً؟

وقلت: لئن لم تكفف لتجدنّ جانبي خشناً. فلا ابقى الله عليك إن أبقيت، ولاأرعى عليك إن أرعيت. فوالله لاأنتهي عن قول الحقّ وصفة أهل العدل والفضل وذمّ الأخسرين أعمالاً، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدّنيا وهم

يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً والسلام(١).

(١١٢)

ابن عبّاس وابن الزبير

لمّا كشف عبدالله بن الزبير بني هاشم وأظهر بغضهم وعابهم وهمّ بما همّ به في أمرهم ولم يذكر رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله في خطبته لايوم الجمعة ولاغيرها، عاتبه على ذلك قوم من خاصّته وتشأمّوا بذلك منه وخافوا عاقبته.

فقال: والله ماتركت ذلك علانية إلّا وأنا أقوله سرّاً وأكثر منه! لكنيّ رأيت بني هاشم إذا سمعوا ذكره اشرأبّوا واحمرّت ألوانهم وطالت رقابهم؛ والله ماكنت لآتي لهم سروراً وأنا أقدر عليه، والله لقد هممت أن أحظر لهم حظيرة ثمّ أضرم عليهم ناراً؛ فإنّي لاأقتل منهم إلاّ آثماً كفّاراً سحّاراً، لاأنماهم الله ولابارك عليهم! بيت سوء لاأوّل لهم ولاآخر؛ والله ماترك نبيّ الله فيهم خيراً، استفرع نبيّ الله صدقهم فهم أكذب الناس.

فقام إليه محمّد بن سعدابن أبي وقّاص، فقال: وفّقك الله ياأميرالمؤمنين، أنا أوّل من أعانك في أمرهم.

فقام عبدالله بن صفوان بن أميّة الجمحي، فقال: والله ماقلت صواباً ولاهممت برشد، أرهط رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله تعيب؟ وإياهم تقتل والعرب حولك؟ والله لو قتلت عدّتهم أهل بيت من الترك مسلمين ماسوّغه الله لكَ، والله لو لم ينصرهم الناس منك لنصرهم الله بنصره. فقال: إجلس أبا صفوان، فلست بناموس.

فبلغ الخبر عبدالله بن العبّاس، فخرج مغضباً ومعه ابنه حتى أتى المسجد فقصد المنبر؛ فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ثم

---

(١) ابن أبي الحديد: ج٢٠ ص١٢٥.

قال:

أيّها الناس، إنّ ابن الزبير يزعم أن لاأوّل لرسول الله ولاآخر، فياعجباً كلّ العجب لافترائه ولكذبه!! والله إنّ أوّل من أخذ الإيلاف وحمى عيرات قريش لهاشم، وإنّ أوّل من سقى بمكّة عذباً وجعل باب الكعبة ذهباً لعبد المطّلب، والله لقد نشأت ناشئتنا مع ناشئة قريش وإن كنّا لقالتهم إذا قالوا وخطباءهم إذا خطبوا؛ وماعدّ مجد كمجد أوّلنا، ولاكان في قريش مجد لغيرنا، لأنّها في كفر ماحق ودين فاسق وضلّة وضلالة في عشواء عمياء، حتىّ اختار الله تعالى لها نوراً وبعث لها سراجاً، فانتجبه طيباً من طيّبين لا يسبّه بمسبّة، ولايبغي عليه غائلة، فكان أحدنا وولدنا وعمّنا وابن عمّنا. ثمّ إنّ أسبق السابقين إليه منّا وابن عمّنا، ثمّ تلاه في السبق أهلنا ولحمتنا واحداً بعد واحد.

ثمّ إنّا لخير الناس بعده وأكرمهم أدباً وأشرفهم حسباً وأقربهم منه رحماً، واعجباً كلّ العجب لابن الزبير يعيب بني هاشم!! وإنّما شرف هو وأبوه وجدّه بمصاهرتهم. أما والله إنّه لمسلوب قريش، ومتى كان العوّام بن خويلد يطمع في صفيّة بنت عبدالمطلب! قيل للبغل: من أبوك يابغل؟ فقال: خالي الفرس. ثمّ نزل[1].

(١١٣)

ابن عبّاس وابن الزبير

خطب ابن الزبير بمكّة على المنبر وابن عبّاس جالس مع الناس تحت المنبر، فقال: إن هاهنا رجلاً قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره، يزعم أنّ متعة النساء حلال من الله ورسوله ويفتي في القملة والنملة، وقد أحتمل بيت مال البصرة

---

(١) ابن أبي الحديد: ج٢٠ ص١٢٨-١٢٩.

بالأمس وترك المسلمين بها يرتضخون النوى؛ وكيف ألومه في ذلك وقد قاتل امّ المؤمنين وحواري رسول الله صلّى الله عليه وآله ومن وقاه بيده ؟!

فقال ابن عبّاس لقائده سعد بن جبير بن هشام مولى بني أسد بن خزيمة: استقبل بي وجه ابن الزبير وارفع من صدري ـ وكان ابن عبّاس قد كفّ بصره ـ فاستقبل به قائده وجه ابن الزبير وأقام قامته فحسر عن ذراعيه ثمّ قال:

يا ابن الزبير، أمّا العمى: فانّ الله تعالى يقول: «فانّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» وأمّا فتياي في القملة والنملة: فانّ فيها حكمين لا تعلمها أنت ولا أصحابك. وأمّا حملي المال: فانّه كان مالاً جبيناه فأعطينا كلّ ذي حقّ حقه وبقيت بقيّة هي دون حقّنا في كتاب الله، فأخذناها بحقّنا. وأمّا المتعة: فسل أمّك أسماء إذا نزلت عن بُردى عوسجة. وأمّا قتالنا أمّ المؤمنين: فبنا سمّيت أمّ المؤمنين لا بك ولا بأبيك؛ فانطلق أبوك وخالك إلى حجاب مدّه الله عليها فهتكاه عنها، ثمّ اتخذاها فتنة يقاتلان دونها وصانا حلائلهما في بيوتهما! فما أنصفا الله ولا محمّداً من أنفسهما أن أبرزا زوجة نبيّه وصانا حلائلهما. وأمّا قتالنا إيّاكم فانّا لقيناكم زحفاً فان كنّا كفّاراً فقد كفرتم بفراركم منّا، وإن كنّا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم إيّانا؛ وأيم الله لولا مكان صفيّة فيكم ومكان خديجة فينا لما تركت لبني أسد بن عبد العزّى عظماً إلّا كسرته.

فلمّا عاد ابن الزبير إلى امّه سألها عن «بُردى عوسجة» فقالت: ألم أنهك عن ابن عبّاس وعن بني هاشم؟ فانّهم كُعم الجواب إذا بدهوا. فقال: بلى وعصيتك. فقالت: يا بنيّ، أحذر هذا الأعمى الذي ما طاقته الإنس والجنّ، واعلم أنّ عنده فضائح قريش ومخازيها بأسرها؛ فايّاك وإيّاه آخر الدهر![1].

---

(١) ابن أبي الحديد: ج٢٠ ص ١٢٩-١٣١ ومستدرك الوسائل: ج٣ ص٥٨٧ شطراً منه.

(١١٤)

عبدالله بن عبّاس وابن الزبير

روى عثمان بن طلحة العبدري، قال: شهدت من ابن عبّاس -رحمه الله- مشهداً ما سمعته من رجل من قريش، كان يوضع إلى جانب سرير مروان بن الحكم -وهو يومئذٍ أمير المدينة- سرير آخر أصغر من سريره، فيجلس عليه عبدالله بن عبّاس إذا دخل، وتوضع الوسائد فيما سوى ذلك؛ فأذن مروان يوماً للناس، وإذا سرير آخر قد احدث تجاه سرير مروان، فأقبل ابن عبّاس فجلس على سريره وجاء عبدالله بن الزبير وجلس على السرير المحدث؛ وسكت مروان والقوم. فاذا يد ابن الزبير تتحرّك فعلم أنّه يريد أن ينطق، ثمّ نطق فقال:

إنّ أُناساً يزعمون أنّ بيعة أبي بكر كانت غلطاً وفلتةً ومغالبةً، ألا إنّ شأن أبي بكر أعظم من أن يقال فيه هذا. ويزعمون أنّه لولا ماوقع لكان الأمر لهم وفيهم، والله ما كان من أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله أحد أثبت إيماناً ولاأعظم سابقة من أبي بكر؛ فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله! فأين هم حين عقد أبو بكر لعمر؟ فلم يكن إلّا ماقال. ثمّ ألقى عمر حظّهم في حظوظ وجدّهم في جدود، فقسّمت تلك الحظوظ فأخّر الله سهمهم وأدحض جدّهم وولّى الأمر عليهم من كان أحقّ به منهم؛ فخرجوا عليه خروج اللصوص على التاجر خارجاً من القرية فأصابوا منه غرّة فقتلوه. ثمّ قتلهم الله به كلّ قتلة، وصاروا مطرودين تحت بطون الكواكب.

فقال ابن عبّاس:

على رسلك أيّها القائل في أبي بكر وعمر والخلافة، أما والله ما نالا ولانال أحد منها شيئاً إلّا وصاحبنا خير ممّن نالا، وماأنكرنا تقدّم من تقدّم لعيب عبناه عليه، ولو تقدّم صاحبنا لكان أهلاً وفوق الأهل؛ ولولا أنك إنّما تذكر

حظّ غيرك وشرف امرىءٍ سواك لكلّمتك ،ولكن ماأنت ومالا حظّ لك فيه؟ اقتصر على حظك . ودع تيماً لتيم وعديّاً لعديّ واميّة لاميّة، ولو كلّمني تيميّ أو عدويّ أو امويّ لكلّمته وأخبرته خبر حاضر عن حاضر لاخبر غائب عن غائب؛ ولكن ماأنت ومااليس عليك ؟فان يكن في أسد بن عبدالعزّى شيىء فهو لك . أما والله لنحن أقرب بك عهداً وأبيض عندك يداً وأوفر عندك نعمة مّمن أمسيت تظنّ أنّك تصول به علينا؛ ومااخلق ثوب صفيّة بعد! والله المستعان على ماتصفون[١].

(١١٥)

ابن عبّاس وابن الزبير

لـمّا خرج الحسين عليه السلام من مكّة إلى العراق ضرب عبدالله بن عبّاس بيده على منكب ابن الزبير وقال:

يالك من قبّرة بمعمرِ! خلا لك الجو فبيضي واصفري!
ونقّري ماشئت أن تنقّري هذا الحسين سائر فأبشري

خلا الجوّ والله لك ياابن الزبير! وسار الحسين إلى العراق.

فقال ابن الزبير: ياابن عبّاس، والله ماترون هذا الأمر إلّا لكم، ولا ترون إلاّ أنكم أحقّ به من جميع الناس.

فقال ابن عبّاس: إنّما يرى من كان في شك ، ونحن من ذلك على يقين، ولكن أخبرني عن نفسك بماذا تروم هذا الأمر؟ قال: بشرفي. قال: وبماذا شرفت إن كان لك شرف؟ فانّما هو بنا، فنحن أشرف منك ، لانّ شرفك منّا. وعلَت اصواتهما.

(١) ابن أبي الحديد: ج٢٠ ص١٣١-١٣٢.

فقال غلام من آل الزبير: دعنا منك ياابن عبّاس! فوالله لاتحبّوننا يابني هاشم ولانحبّكم أبداً. فلطمه عبدالله بن الزبير بيده وقال: أتتكلم وأنا حاضر؟ فقال ابن عبّاس: لم ضربت الغلام؟ والله أحقّ بالضرب منه من مزق ومرق! قال: ومن هو؟ قال: أنت.

قال: واعترض بينهما رجال من قريش، فأسكتوهما[١].

(١١٦)

ابن عبّاس وابن الزبير

عن سعيد بن جبير: أنّ ابن عبّاس دخل على ابن الزبير، فقال له ابن الزبير: إلامَ [علامَ خ ل] تؤنّبني وتعنّفني؟ قال ابن عبّاس: إنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «بئس المرء المسلم يشبع ويجوع جاره» وأنت ذلك الرجل: فقال ابن الزبير: والله إنّي لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة[٢].

(١١٧)

ابن عبّاس ورجل

قيل لعبدالله بن عبّاس: مامنع عليّاً أن يبعثك مع عمرو يوم التحكيم؟ فقال: منعه حاجز القدر ومحنة الابتلاء وقصر المدّة، أما والله لو كنت لقعدت على مدارج أنفاسه ناقضاً ماأبرم ومبرماً مانقض أطير إذا أسفّ وأسفّ إذا طار، ولكن قد سبق قدر وبقي أسف! ومع اليوم غد؛ والآخرة خير لأميرالمؤمنين[٣].

---

(١) ابن أبي الحديد: ج٢٠ ص١٣٤ ويأتي عن المحاسن.

(٢) ابن أبي الحديد: ج٢٠ ص١٤٨.

(٣) ابن أبي الحديد: ج٢ ص٢٤٧.

(١١٨)

ابن عبّاس وعبد الرّحمن بن خالد

ذكر محمّد بن القاسم بن بشّار الأنباري في أماليه؛ قال: قال عبدالرحمن ابن خالد بن الوليد: حضرت الحكومة، فلمّا كان يوم الفصل جاء عبدالله بن عبّاس فقعد إلى جانب أبي موسى وقد نشر اذنيه حتّى كاد أن ينطق بهما! فعلمت أنّ الأمر لايتمّ لنا مادام هناك وأنّه سيفسد على عمرو حيلته؛ فأعملت المكيدة في أمره فجئت حتى قعدت عنده وقد شرع عمرو وأبو موسى في الكلام؛ فكلّمت ابن عبّاس كلمة استطعمته جوابها، فلم يجب؛ فكلّمته أُخرى، فلم يجب؛ فكلّمته ثالثة، فقال: إنّي لفي شغل عن حوارك الآن، فجبهته وقلت: يابني هاشم، لا تتركون بأوكم وكبركم أبداً، أما والله لولا مكان النبوّة لكان لي ولك شأن. قال: فحمي وغضب واضطرب فكره ورأيه، وأسمعني كلاماً يسوء سماعه؛ فأعرضته وقمت فقعدت إلى جانب عمرو بن العاص، فقلت: قد كفيتك التقوالة، إنّي قد شغلت باله بما دار بيني وبينه فاحكم أنت أمرك.

قال: فذهل والله ابن عبّاس عن الكلام الدائر بين الرجلين حتىّ قام أبو موسى فخلع عليّاً[١]!

(١١٩)

ابن عبّاس ويزيد

لمّا خرج الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكّة كتب يزيد إلى ابن عبّاس:

أمّا بعد، فانّ ابن عمّك حسيناً وعدوّ الله ابن الزبير التويا ببيعتي ولحقا

---

(١) ابن أبي الحديد: ج٢ ص٢٦١.

بمكّة مرصدين للفتنة معرضين أنفسهما للهلكة. فأمّا ابن الزبير، فانّه صريع الفناء وقتيل السيف غداً. وأمّا الحسين، فقد أحببت الإعذار إليكم أهل البيت ممّا كان منه.

وقد بلغني أنّ رجالاً من شيعته من أهل العراق يكاتبونه ويكاتبهم ويمنّونه الخلافة ويمنّيهم الإمارة، وقد تعلمون مابيني وبينكم من الوصلة وعظيم الحرمة ونتايج الأرحام، وقد قطع ذلك الحسين وبتّه، وأنت زعيم أهل بيتك وسيّد أهل بلادك ، فألقه واردده عن السعي في الفرقة وردّ هذه الأُمّة عن الفتنة؛ فان قبل منك وأناب إليك فله عندي الأمان والكرامة الواسعة واجري عليه ماكان أبي يجريه على أخيه، وإن طلب الزيادة فاضمن له ماأراك الله، أُنفذ ضمانك وأقوم له بذلك ، وله عليّ الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة بما تطمئنّ به نفسه ويعتمد في كلّ الأُمور عليه. عجلّ بجواب كتابي وبكلّ حاجة لك إليّ وقبلي، والسلام.

قال هشام بن محمّد: وكتب يزيد في أسفل الكتاب:

ياايّهاالراكب الغادي لمطيّته ... على عذافرة في سيرها قحم

أبلغ قريشاً على نأي المزاربها ... بيني وبين الحسين الله والرحم

وموقف بفناء البيت انشده ... عهد الاله غداً يوفى به الذمم

هنيتم قومكم فخراً بامّكم ... أُم لعمري حسان عفّة كرم

هي التي لايداني فضلها أحد ... بنت الرسول وخير الناس قد علموا

إنّي لأعلم أو ظنّاً لعالمه ... والظنّ يصدق أحياناً فينتظم

أن سوف يترككم ماتدعون به ... قتلي تهاداكم العقبان والرخم

ياقومنا لا تشبّوا الحرب إذ سكنت ... وأمسكوا بحبال السلم واعتصموا

قد غرّت الحرب من قدكان قبلكم ... من القرون وقد بادت بها الامم

فأنصفوا قومكم لاتهلكوا بذخاً ... فربّ ذي بذخ زلّت به القدم

فكتب اليه ابن عبّاس:

أمّا بعد، فقد ورد كتابك تذكر فيه لحاق الحسين وابن الزبير بمكة.

فأمّا ابن الزبير: فرجل منقطع عنّا برأيه وهواه، يكاتمنا مع ذلك أضغاناً يسرّها في صدره يوري علينا وري الزناد، لافك الله اسيرها فاراً في أمره ماانت راءٍ.

وأمّا الحسين: فانّه لمّا نزل مكّة وترك حرم جدّه ومنازل آبائه سألته عن مقدمه، فأخبرني أنّ عمّالك بالمدينة أساؤا إليه وعجّلوا إليه بالكلام الفاحش، فأقبل إلى حرم الله مستجيراً به؛ وسألقاه فيما أشرت إليه، ولن أدع النصيحة فيما يجمع الله به الكلمة ويطفئ به النائرة ويخمد به الفتنة ويحقن به دماء الأُمّة؛ فاتّق الله في السرّ والعلانية، ولا تبيتنّ ليلة وأنت تريد لمسلم غائلة، ولا ترصده بمظلمة، ولا تحفر له مهواة، فكم من حافر لغيره حفراً وقع فيه! وكم من مؤمّل أملاً لم يؤت أمله! وخذ بحظّك من تلاوة القرآن ونشر السنّة، وعليك بالصيام والقيام لا تشغلك عنهما ملاهي الدنيا وأباطيلها، فانّ كلّ ماشتغلت به عن الله يضرّ ويفنى، وكلّ ماشتغلت به من أسباب الآخرة ينفع ويبقى[1].

(١٢٠)
قيس بن سعد ومعاوية

لـمّا قرب يوم صفّين خاف معاوية على نفسه أن يأتي عليّ بأهل العراق وقيس بأهل مصر فيقع بينهما، ففكّر في استدراج قيس واختداعه، فكتب إلى قيس:

من معاوية ابن أبي سفيان إلى قيس بن سعد، سلام عليك، أمّا بعد،

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص٢٣٧ وانساب الاشراف: ج٤ القسم الثاني ص١٨-١٩.

فانكم إن كنتم نقمتم على عثمان بن عفّان رض في إثرة رأيتموها أوضربة سوط ضربها أو في شتيمة رجل أو في تسييره آخر أو في استعماله الفُتى، فانكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أنّ دمه لم يكن يحلّ لكم، فقد ركبتم عظيماً من الأمر وجئتم شيئاً إدّاً؛ فتب إلى الله ياقيس بن سعد! فانّك كنت من المجلبين على عثمان بن عفان رض إن كانت التوبة من قتل المؤمن تغني شيئاً. فأمّا صاحبك: فانّا استيقنّا أنّه الذي أُغري به الناس وحملهم على قتله فقتلوه؛ وأنّه لم يسلم من دمه عظم قومك. فان استطعت ياقيس أن تكون ممّن يطلب بدم عثمان فافعل تابعنا على أمرنا؛ ولك سلطان العراقين إن أنا ظفرت مابقيت، ولمن أجبت من أهل بيتك سلطان الحجاز مادام لي سلطان؛ وسلني عن غير هذا ممّا تحبّ، فانّك لا تسألني شيئاً إلّا اوتيته. واكتب إليّ برأيك فيما كتبت به إليك، والسلام.

فلمّا جاءه كتاب معاوية أحبّ أن يدافعه ولايبدي له أمره ولايتعجّل له حربه، فكتب إليه:

أمّا بعد، فقد بلغني كتابك وفهمت ماذكرت فيه من قتل عثمان رض، وذلك أمر لم أُقارفه ولم أطف به. وذكرت أنّ صاحبي هو أغرى الناس بعثمان ودسّهم إليه حتى قتلوه، وهذا امر لم أطّلع عليه. وذكرت لي أنّ عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان، فأوّل الناس كان فيه قياماً عشيرتي [فلعمري إنّ أولى الناس كان في أمره عشيرتي، خ ل] وأمّا ما سألتني من متابعتك وعرضت عليّ من الجزاء به، فقد فهمته؛ وهذا أمر لي فيه نظر وفكرة، وليس هذا ممّا يسرع إليه، وأنا كافٍ عنك؛ ولن يأتيك من قبلي شيئ تكرهه حتى ترى ونرى إن شاء الله، والمستجار الله عزّوجلّ؛ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال: فلمّا قرأ معاوية كتابه لم يره إلّا مقارباً مباعداً ولم يأمن أن يكون له في ذلك مباعداً مكائداً، فكتب إليه معاوية أيضاً:

أمّا بعد، فقد قرأت كتابك، فلم أرك تدنو فاعدّك سلماً، ولم أرك تباعد فاعدّك حرباً، أنت فيما هاهنا كحنك [كحبل خ ل] الجزور؛ وليس مثلي يصانع المخادع ولاينتزع المكائد ومعه عدد الرجال وبيده أعنّة الخيل؛ والسلام عليك.

فلمّا قرأ قيس بن سعد كتاب معاوية ورأى أنّه لايقبل معه المدافعة والمماطلة أظهر له ذات نفسه، فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم: من قيس بن سعد إلى معاوية ابن أبي سفيان:

أمّا بعد، فانّ العجب من اغترارك بي وطمعك فيّ واستسقاطك رأيي؛ أتسومني الخروج من طاعة أولى الناس بالإمرة، وأقولهم للحقّ، وأهداهم سبيلاً، وأقربهم من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسيلة، وتأمرني بالدخول في طاعتك، طاعة أبعد الناس من هذا الأمر، وأقولهم للزور، وأضلّهم سبيلاً، وأبعدهم من الله عزّوجلّ ورسوله صلّى الله عليه وآله وسيلة؟! ولد ضالّين مضلّين [ولديك قوم ضالّون مضلّون خ ل] طاغوت من طواغيت إبليس!.

وأمّا قولك: إنّي مالي عليك مصر [إنّك تملأ عليّ مصر خ ل] خيلاً ورجلاً، فوالله إن لم أشغلك بنفسك حتّى تكون نفسك أهمّ إليك إنّك لذو جدّ؛ والسلام.

فلمّا بلغ معاوية كتاب قيس أيس منه وثقل عليه مكانه[1].

(١٢١)
قيس بن سعد ومعاوية

فلمّا أيس معاوية منه كتب إليه:

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤ ص٥٥٠-٥٥١ والغدير: ج٢ ص٩٨-٩٩ عنه وعن الكامل لابن الأثير: ج٣ ص١٠٧. وابن أبي الحديد: ج٢ ص٢٣ الطبعة القديمة المصريّة وفي الجديدة ج٦ ص٦٠-٦١. والغدير: ج١٠ ص١٥٨. وأنساب الأشراف: ج١ ص٣٩٠. والبحار: ج٨ ط الكمباني ص٥٩٣.

أمّا بعد، فانّك يهوديّ ابن يهوديّ! إن ظفر أحبّ الفريقين إليك عزلك واستبدل بك، وإن ظفر أبغضهما إليك قتلك ونكل بك. وكان أبوك وتر قوسه ورمى غير غرضه، فأكثر الحزّ وأخطأ المفصل، فخذله قومه وأدركه يومه؛ ثمّ مات طريداً بحوران؛ والسلام.

فكتب إليه قيس رحمه الله:

أمّا بعد، فانّما أنت وثن ابن وثن! دخلت في الإسلام كرهاً وخرجت منه طوعاً، لم يقدم إيمانك ولم يحدث نفاقك. وقد كان أبي وترقوسه ورمى غرضه، وشغب عليه من لم يبلغ كعبه ولم يشقّ غباره؛ ونحن أنصار الدين الذي خرجت منه وأعداء الدين الذي دخلت فيه؛ والسلام[1].

صورة اخرى منه على نقل ابن أبي الحديد ومقاتل الطالبيين:

أمّا بعد، فانّما أنت وثن ابن وثن! دخلت في الإسلام كرهاً وأقمت فيه فرقاً وخرجت منه طوعاً، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً، لم يقدم إسلامك ولم يحدث نفاقك، ولم تزل حرباً لله ولرسوله وحزباً من أحزاب المشركين وعدوّاً لله ولنبيّه وللمؤمنين من عباده. وذكرت أبي، فلعمري ماأوتر إلّا قوسه ولا رمى إلّا

(١) مروج الذهب: ج٣ ص٢٥. والجاحظ في البيان والتبيين: ج٢ ص٦٩. وعيون الأخبار لابن قتيبة: ج٢ ص٢١٢. ومقاتل الطالبيين: ص٦٦. والبحار: ٤٤ ص٥٢. والكامل للمبرّد: ج١ ص٣٠٨. وأنساب الأشراف: ج١ ص٣٩١. والبحار: ج٨ ط الكمباني ص٥٩٤، والعقد الفريد: ج٤ ص٣٣٨. واليعقوبي: ج٢ ص١٦٣، وفي نسخة ص١٧٦. والغدير: ج١٠ ص١٥٧ وج٢ ص١٠٠ عن الكامل لابن الأثير: ج١ ص٣٠٩. وعيون الأخبار لابن قتيبة ج٢ ص٢١٣. ومناقب الخوارزمي: ص١٧٣، وفي نسخة عندي ص١٨١. وابن أبي الحديد ج٤ ص١٥ وفي الجديدة ج١٦ ص٤٣. وظاهره أنّه كتب معاوية إلى قيس وأجابه قيس في حرب الحسن عليه السلام مع معاويه لعنه الله وكان قيس على مقدمة عسكر الإمام عليه السلام وظاهر كلام العقد الفريد أنّه كان في حرب صفين. وظاهر الطبري أنّه كان مدّة حكومة قيس في مصر، كما مرّ.

غرضه، فشغب عليه من لايشقّ غباره ولايبلغ كعبه. وزعمت أنّي يهوديّ ابن يهوديّ، وقد علمت وعلم الناس أنّي وأبي أعداء الدين الذي خرجت منه وأنصار الدين الذي دخلت فيه وصرت إليه؛ والسلام.

صورة اخرى عن الجاحظ في التاج، كما في الغديرج٢:

كتب قيس إلى معاوية: ياوثن ابن وثن! تكتب إليّ تدعوني إلى مفارقة عليّ بن أبي طالب والدخول في طاعتك! وتخوّفني بتفرّق أصحابه عنه وإقبال الناس عليك وإجفالهم إليك، فوالله الذي لااله غيره! لو لم يبق له غيري ولم يبق لي غيره ماسالمتك أبداً وأنت حربه، ولادخلت في طاعتك وأنت عدوّه، ولااخترت عدو الله على وليّه ولاحزب الشيطان على حزب الله؛ والسلام.

(١٢٢)
قيس ومعاوية

أخرج الحافظ عبدالرزّاق عن ابن عيينة، قال: قدم قيس بن سعد على معاوية، فقال له معاوية: وأنت ياقيس تلجم عليّ مع من الجمّ؟ أما والله لقد كنت احبّ أن لا تأتيني هذا اليوم إلّا وقد ظفر بك ظفر من أظافري موجع.

فقال له قيس: وأنا والله قد كنت كارهاً أن أقوم في هذا المقام فاحييك بهذه التحيّة.

فقال له معاوية: ولم وهل أنت حبر من أحبار اليهود؟.

فقال له قيس: وأنت يامعاوية كنت صنماً من أصنام الجاهلية، دخلت في الإسلام كارهاً، وخرجت منه طائعاً!

فقال معاوية: اللّهمّ غفراً، مدّ يدك.

فقال له قيس: إن شئت زدت وزدت[1].

---

(١) الغدير: ج٢ ص١٠٥.

(١٢٣)

قيس ومعاوية

في مقاتل الطالبيين : وكتب معاوية يدعوه ويمنّيه فكتب إليه قيس: «لاوالله لا تلقاني أبداً إلّا بيني وبينك الرمح»[١].

(١٢٤)

عبدالله بن جعفر وعمرو بن العاص

روى المدائني، قال: بينا معاوية يوماً جالساً عنده عمرو بن العاص، إذ قال الآذن: قد جاء عبدالله بن جعفر بن أبي طالب. فقال عمرو: والله لأسوأنّه اليوم! فقال معاوية: لا تفعل ياأباعبدالله، فانّك لا تنصف منه؛ ولعلّك أن تظهر لنا من منقبته ماهو خفيّ عنّا ومالانحبّ أن نعلمه منه.

وغشيهم عبدالله بن جعفر، فأدناه معاوية وقرّبه.

فمال عمرو إلى بعض جلساء معاوية فنال من عليّ عليه السلام جهاراً غير ساتر له وثلبه ثلباً قبيحاً.

فالتمع لون عبدالله بن جعفر واعتراه أفكل حتّى ارعدت خصائله، ثمّ نزل عن السرير كالفنيق. فقال عمرو: مه ياأباجعفر! فقال له عبدالله: مه لاامّ لك! ثمّ قال:

أظنّ الحلم دلّ عليّ قومي وقد يتجهّل الرجل الحليم

ثمّ حسر عن ذراعيه وقال: يامعاوية، حتّامَ نتجرّع غيضك؟ وإلى كم الصبر على مكروه قولك وسيئ أدبك وذميم أخلاقك؟ هبلتك الهبول! أما يزجرك ذمام المجالسة عن القذع لجليسك؟ إذا لم تكن لك حرمة من دينك

---

(١) مقاتل الطالبيّن: ص٦٥ راجع ابن أبي الحديد: ج١٦ ص البحار: ج٤٤ ص٥٢.

تنهاك عمّا لايجوز لك ، أما والله، لوعطفتك أواصر الأرحام أو حاميت على سهمك من الإسلام ماارعيت بني الإماء المُتْك والعبيد الصُكّ أعراض قومك .

ومايجهل موضع الصفوة إلّا أهل الجفوة. وإنّك لتعرف وشائظ قريش وصبوة غرائزها، فلا يدعونّك تصويب مافرط من خطئك في سفك دماء المسلمين ومحاربة أميرالمؤمنين إلى التمادي فيما قد وضح لك الصواب في خلافه؛ فاقصد لمنهج الحقّ، فقد طال عَمَهُك عن سبيل الرشد وخبطك في بحور ظلمة الغيّ.

فان أبيت إلّا تتابعنا في قبح اختيارك لنفسك فاعفنا في سوء القالة فينا إذا ضمّنا وايّاك الندى؛ وشأنك وماتريد إذا خلوت. والله حسيبك ؛ فوالله لولا ماجعل الله لنا في يديك لما أتيناك .

ثمّ قال: إنّك إن كلّفتني مالم أطق ساءك ماسرّك منّي من خُلق.

فقال معاوية: ياأباجعفر، أقسمت عليك لتجلسنّ؛ لعن الله من أخرج ضبّ صدرك من وجاره. محمول لك ماقلت، ولك عندنا ماأمّلت؛ فلو لم يكن محمدك ومنصبك لكان خلقك وخلقك شافعين لك إلينا؛ وأنت ابن ذي الجناحين وسيّد بني هاشم.

فقال عبدالله: كلّا، بل سيّد بني هاشم حسن وحسين، لاينازعهما في ذلك أحد.

فقال: أباجعفر،أقسمت عليك لما ذكرت حاجة لك إلّا قضيتها كائنة ما كانت ولو ذهبت بجميع ما أملك . فقال : أمّا في هذا المجلس فلا ثمّ انصرف.

فأتبعه معاوية بصره وقال: والله! لكأنّه رسول الله صلّى الله عليه وآله مشيه وخلقه وخلقه، وإنّه لمن مشكاته؛ ولوددت أنّه أخي بنفيس ماأملك .

ثمّ التفت إلى عمرو، فقال: أبا عبد الله،ماتراه منعه من الكلام معك ؟.

قال: ما لاخفاء به عنك. قال: أظنّك تقول: إنّه هاب جوابك، لا والله! ولكنّه استحقرك وازدراك ولم يرك للكلام أهلاً؛ أما رأيت إقباله عليّ دونك ذاهباً بنفسه عنك ؟.

فقال عمرو: فهل لك أن تسمع ما أعددته لجوابه؟ قال معاوية اذهب اليك أباعبدالله، فلات حين جواب سائر اليوم.

ونهض معاوية وتفرّق الناس[1].

(١٢٥)

عبدالله بن جعفر ويحيى بن الحكم

قدم عبدالله بن جعفر على عبدالملك بن مروان، فقال له يحيى بن الحكم: مافعلت خبيثة؟ فقال: سبحان الله! يسمّيها رسول الله صلّى الله عليه وآله طيّبة وأنت تسمّيها خبيثة! لقد اختلفتما في الدنيا وستختلفان في الآخرة.

قال يحيى: لأن أموت بالشام أحبّ إليّ من أن أموت بها. قال:اخترت جوار النصارى على جوار رسول الله صلّى الله عليه وآله،قال يحيى: ماتقول في عليّ وعثمان؟ قال: أقول ماقاله من هو خير منّي فيمن هو شرّ منهما «إن تعذبهم فانّهم عبادك وإن تغفر لهم فانّك أنت العزيز الحكيم»[2].

(١٢٦)

عبدالله بن جعفر مع يزيد

روى صاحب كتاب الواقدي: أنّ عبدالله بن جعفر فاخر يزيد بن معاوية

---

(١) ابن أبي الحديد: ج٦ ص٢٩٥-٢٩٧. والبحار: ج٤٢ ص١٦٤-١٦٥.

(٢) العقد الفريد: ج٤ ص٢١. وأنساب الأشراف: ج١ ص٤٦ ط بيروت.

بين يدي معاوية، فقال له: بأيّ آبائك تفاخرني؟ أبحرب الذي أجرناه؟ أم بأُميّة الذي ملكناه؟ أم بعبد شمس الذي كفلناه؟.

فقال معاوية: لحرب بن اميّة يقال هذا! ماكنت أحسب أنّ أحداً في عصر حرب يزعم أنّه أشرف من حرب!

فقال عبدالله: بلى أشرف منه من كفأ إناءه وجلله برداءه.

فقال معاوية ليزيد: رويداً يابني! إنّ عبدالله يفخر عليك بك لأنّك منه وهو منك. فاستحيا عبدالله وقال: ياأميرالمؤمنين، يدان انتشطتا واخوان اصطرعا.

فلمّا قام عبدالله، قال معاوية ليزيد: يابنيّ،إياك ومنازعة بني هاشم، فانّهم لايجهلون ماعلموا ولايجد مبغضهم لهم سبّاً[1].

(١٢٧)

عبدالله بن جعفر وعبدالملك

قال عبدالملك بن مروان لعبدالله بن جعفر: يا[أ]باجعفر، بلغني أنّك تسمع الغناء على المعازف والعيدان وأنت شيخ! قال: أجل ياأميرالمؤمنين، وإنّك لتفعل أقبح من ذلك! قال: وماهو؟ قال: يأتيك أعرابي أهلب العجان منتن الريح فيقذف عندك المحصنة ويقول البهتان ويطيع الشّيطان، فتعطيه على ذلك المائة من الإبل وأكثر! وأنا أشتري الجارية بمالي حلالاً ثمّ أتخيّر لها جيّد الشعر فترجعه بأحسن النغم، فا بأس بذلك؟[2].

(١٢٨)

عبدالله بن جعفر ومعاوية

وفد عبدالله بن جعفر على معاوية، فأعطاه صلته لوفادته، خمسمائة ألف

---

(١) ابن أبي الحديد: ج١٥ ص٢٢٩.

(٢) انساب الأشراف: ج١ ص٥٥.

درهم؛ وقضى حوائجه.

ثمّ إنّ عبدالله وقف بين يديه، فقال: ياأميرالمؤمنين، اقض ديني. قال: أولم تقبض وفادتك وتقض حوائجك [ظ] الخاصّ والعامّ يابن جعفر؟! قال: بلى. قال: فليس كلّ قريش أسعه بمثل ماأعطيك، وقد اجحفت النّوائب ببيت المال. قال: إنّ العطية يامعاوية محبّة والمنع بغضة، ولأن تعطيني واحبّك أحبّ إليّ من أن تحرمني فابغضك؛ ثمّ قال:

عوّدت قومك عادة فاصبر لها [و] اغفر لجاهلها وردّ سجالها فقال معاوية: اعلم يابن جعفر، إنّ مامن قريش أحد [أحبّ] أن يكون ولدته هند غيرك، ولكنيّ إذا ذكرت مابينك وبين عليّ و[ما] بين عليّ وبيني اشمأزّقلبي، فكم دينك؟ قال: ثلاثون ألف دينار.

فقال: كيف أبخل بما لايغيب عن بيت مالي إلّا أشهراً يسيرة حتى يعود إليه؛ إقضها ياسعد.[1]

(١٢٩)

ابن عباس وعائشة

روى الطبري أيضاً: قال: قال ابن عبّاس رحمه الله: لما حججت بالناس نيابة عن عثمان وهو محصور مررت بعائشة بصُلصُل، فقالت: ياابن عبّاس. انشدك الله، فانّك قد أعطيت لساناً وعقلاً أن تخذّل الناس عن طلحة، فقد بانت لهم بصائرهم في عثمان وانهجت ورفعت لهم المنار وتحلّبوا من البلدان لأمر قد حمّ؛ وإنّ طلحة -فيا بلغني- قد اتخذ رجالاً على بيوت الأموال وأخذ مفاتيح الخزائن، وأظنّه يسير-إن شاء الله- بسيرة ابن عمّه أبي بكر.

فقال: ياامّه، لوحدث بالرّجل حدث مافزع الناس إلّا إلى صاحبنا.

---

(١) أنساب الأشراف: ج١ ص٥٤.

فقالت: إيهاً عنك ياابن عبّاس! إنّي لست اريد مكابرتك ولامجادلتك[١].

(١٣٠)

ابن عبّاس ورجل من حمص

روى البيهقي في المحاسن عن سعيد بن جبير، قال: كان عبدالله بن عباس بمكّة يحدّث على شفير زمزم ونحن عنده. فلمّا قضى حديثه قام إليه رجل، فقال: ياابن عبّاس، إنّي امرؤ من أهل الشام من أهل حمص؛إنّهم يتبرّأون من عليّ بن أبي طالب رضوان الله ويلعنونه! فقال: بل لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً، ألبعد قرابته من رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأنّه لم يكن أوّل ذكران العالمين إيماناً بالله ورسوله، وأوّل من صلّى وركع وعمل باعمال البرّ؟ !

قال الشامي: إنّهم والله ما ينكرون قرابته وسابقته، غير أنّهم يزعمون أنّه قتل الناس.

فقال ابن عباس: ثكلتهم امّهاتهم! إنّ عليّاً أعرف بالله عزّوجلّ و برسوله وبحكمهما منهم، فلم يقتل إلا من استحقّ القتل.

قال: ياابن عبّاس، إنّ قومي جمعوا لي نفقة وأنا رسولهم إليك وأمينهم، ولايسعك أن تردّني بغير حاجتي، فانّ القوم هالكون في أمره؛ ففرّج عنهم فرّج الله عنك.

فقال ابن عبّاس: ياأخا أهل الشام، إنّما مثل عليّ في هذه الإمّة في فضله وعلمه كمثل العبد الصالح الذي لقيه موسى عليه السلام لمّا انتهى إلى ساحل البحر، فقال له: «هل أتّبعك على أن تعلّمني ممّا علّمت رشداً» قال العالم: «إنّك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على مالم تحط به خبراً» قال موسى:

---

(١) ابن أبي الحديد: ج١٠ ص٦.

«ستجدني إن شاء الله صابراً ولاأعصي لك أمراً» قال له العالم: «فان اتّبعتني فلا تسئلني عن شيءٍ حتى احدث لك منه ذكراً* فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها» وكان خرقها لله جلّ وعزّ رضاً ولأهلها صلاحاً، وكان عند موسى عليه السلام سخطاً وفساداً؛ فلم يصبر موسى عليه السلام وترك ماضمن له فقال له: «أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً» قال له العالم: «ألم أقل إنّك لن تستطيع معي صبراً» قال موسى: «لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً» فكفّ عنه العالم «فانطلقا حتّى إذا لقيا غلاماً فقتله» وكان قتله لله عزّوجلّ رضاً ولأبويه صلاحاً، وكان عند موسى عليه السلام ذنباً عظيماً؛ قال موسى ولم يصبر: «أقتلت نفساً زكيّة بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً» قال العالم: «ألم أقل لك إنّك لن تستطيع معي صبراً* قال إن سألتك عن شيءٍ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنّي عذراً* فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيّفوهما فوجدا جداراً يريد أن ينقض فاقامه» وكانت إقامته لله عزّوجلّ رضاً وللعالمين صلاحاً «فقال لو شئت لاتخذت عليه أجراً قال هذا فراق بيني وبينك».

وكان العالم أعلم بما يأتي موسى عليه السلام وكبر على موسى الحقّ وعظم، إذ لم يكن يعرف هذا وهو نبيّ مرسل من أُولي العزم ممّن قد أخذ الله جلّ وعزّ ميثاقه على النبوّة، فكيف أنت ياأخا أهل الشام وأصحابك؟ إنّ عليّاً رضي الله عنه لم يقتل إلّا من كان يستحلّ قتله.

وإنّي أُخبرك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان عند أُمّ سلمة بنت أبي اميّة، إذ أقبل عليّ عليه السلام يريد الدخول على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فنقر نقراً خفيّاً، فعرف رسول الله صلّى الله عليه وآله نقره، فقال: «ياأمّ سلمة، قومي فافتحي الباب» فقالت: يارسول الله من هذا الذي يبلغ خطره أن أستقبله بمحاسني ومعاصمي؟ فقال: ياأُمّ سلمة، إنّ طاعتي طاعة الله عزّوجلّ،

قال: «من يطع الرسول فقد أطاع الله» قومي ياامّ سلمة، إنّ بالباب رجلاً ليس بالخرق ولاالنزق ولا بالعجل في أمره، يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله؛ ياامّ سلمة، إنّه إن تفتحي الباب له فلن يدخل حتى يخفى عليه الوطأ ، فلم يدخل حتّى غابت عنه وخفي عليه الوطأ؛ فلمّا لم يحسّ لها حركة دفع الباب ودخل فسلّم على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فردّ عليه السلام وقال: ياامّ سلمة، هل تعرفين هذا؟ قالت: نعم هذا عليّ بن أبي طالب.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: نعم هذا عليّ سيط لحمه بلحمي ودمه بدمي، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لانبيّ بعدي. ياامّ سلمة، هذا عليّ سيّد مبجّل، مؤمّل المسلمين وأميرالمؤمنين، وموضع سرّي وعلمي، وبابي الذي آوي إليه، وهو الوصيّ على أهل بيتي وعلى الأخيار من أُمّتي وهو أخي في الدنيا والآخرة وهو معي في السناء الأعلى. اشهدي ياامّ سلمة، إنّ علياً يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

قال ابن عبّاس: وقتلهم لله رضاً وللامّة صلاح ولأهل الضلالة سخط.

قال الشامي: يابن عبّاس، من الناكثون؟ قال: الذين بايعوا علياً بالمدينة ثمّ نكثوا فقاتلهم بالبصرة، أصحاب الجمل. والقاسطون معاوية وأصحابه. والمارقون أهل النهروان ومن معهم.

فقال الشامي: يابن عبّاس، ملأت صدري نوراً وحكمة، وفرّجت عنّي فرّج الله عنك . أشهد أنّ علياً رضي الله عنه مولاي ومولى كلّ مؤمن[١].

(١٣١)
عبدالله بن عبّاس وابن الزبير

أبو المنذر، عن أبيه، عن الشعبي، عن ابن عبّاس، أنّه دخل المسجد وقد

(١) المحاسن: ج١ ص٦٥-٦٨. ويأتي بلفظ آخر، فانتظر.

سار الحسين بن عليّ رضي الله عنه إلى العراق، فاذا هو بابن الزبير في جماعة من قريش قد استعلاهم بالكلام فجاء ابن عبّاس حتى ضرب بيده بين عضدي ابن الزبير، وقال: أصبحت والله كما قال الأوّل:

يالك من حمّرة بمعمرا! خلا لك الجوّ فبيضي واصفري!
ونقّري ماشئت إن تنقّري قد رفع الفخّ فماذا تحذري؟

خلت الحجاز من الحسين بن عليّ وأقبلت تهدر في جوانبها.

فغضب ابن الزبير وقال: والله إنّك لترى أنّك أحقّ بهذا الأمر من غيرك. فقال ابن عبّاس: إنّما يرى ذلك من كان في حال شكّ وأنا من ذلك على يقين.

فقال: وبأيّ شئ تحقّق عندك أنّك أحقّ بهذا الأمر منّي؟ قال ابن عبّاس: لأنا أحقّ ممّن يدلّ بحقّه، وبأيّ شيء تحقّق عندك أنّك أحقّ بها من سائر العرب إلّا بنا؟ فقال ابن الزبير: تحقّق عندي أنّي أحقّ بها منك لشرفي عليكم قديماً وحديثاً.

فقال: أنت أشرف أم من قد شرفت به؟ فقال: إنّ من شرفت به زادني شرفاً إلى شرف قد كان لي قديماً وحديثاً.

قال: أفمنّي الزيادة أم منك؟ قال: بل منك. فتبسّم ابن عبّاس فقال: ياابن عبّاس، دعني من لسانك هذا الذي تقلبه كيف شئت، والله لاتحبّوننا يابني هاشم أبداً. قال ابن عبّاس: صدقت، نحن أهل بيت مع الله عزّوجلّ لانحبّ من أبغضه الله تعالى.

قال: ياابن عبّاس، ماينبغي لك أن تصفح عن كلمة واحدة؟ قال: إنّما أصفح عمّن أقرّ، وأمّا عمّن هرّ فلا، والفضل لأهل الفضل. قال ابن الزبير: فأين الفضل؟ قال: عندنا أهل البيت لا تصرفه عن أهله فتظلم ولا تضعه عند غير أهله فتندم.

قال ابن الزبير: أفلست من أهله؟ قال: بلى إن نبذت الحسد ولزمت جدد.

وانقضى حديثهما، وقام القوم فتفرّقوا[1].

(١٣٢)

ابن عبّاس ومعاوية

روي عن ابن عبّاس أنّه قال: قدمت على معاوية، وقد قعد على سريره وجمع أصحابه و وفود العرب عنده. فدخلت فسلّمت وقعدت.

فقال: من الناس ياابن عبّاس؟ فقلت: نحن. قال: إذا غبتم؟ فقلت: فلا أحد.

قال: [فكأنّك] ترى أنّي قعدت هذا المقعد بكم! قلت: نعم، فبمن قعدت؟ قال: من كان مثل حرب بن اميّة؟ قلت: من أكفأ عليه إناءه واجاره بردائه. قال: فغضب وقال: وار شخصك منّي شهراً فقد أمرت لك بصلتك وأضعفها لك.

فلمّا خرج ابن عبّاس قال لخاصّته: ألا تسألوني ماالذي أغضب معاوية؟ [قالوا: بلى فقل: بفضلك، قال]: إنّ أباه حرباً لم يلتق أحد من رؤساء قريش في عقبة ولامضيق مع قوم إلّا لم يتقدّمه أحد حتّى يجوزه؛ فالتقى حرب ابن اميّة مع رجل من بني تميم في عقبة فتقدّمه التميمي، فقال: حرب: أنا حرب ابن اميّة، فلم يلتفت إليه وجازه، فقال: موعدك مكّة؛ فبقى التميمي دهراً ثمّ أراد دخول مكّة؛ فقال: من يجيرني من حرب ابن اميّة؟ فقالوا: عبدالمطلب؛ قال:عبدالمطلب أجلّ قدراً من أن يجير على حرب. فأتى ليلاً دار الزبير بن عبدالمطّلب، فدقّ عليه، فقال الزبير للغيداق: قد جاءنا رجل إمّا طالب حاجة

---

(١) المحاسن للبيهقي: ج١ ص١٣٩-١٤٠. ومرّ عن أبي الحديد.

وإمّا طالب قرى وإمّا مستجير، وقد أعطيناه ماأراد. قال: فخرج إليه الزبير؛ فقال:

لاقيت حرباً في الثنيّة مقبلاً ... والصبح أبلج ضوءه للساري
فدعا بصوت واكتنى ليروعني ... ودعا بدعوته يريد فخاري
فتركته كالكلب ينبح وحده ... وأتيت أهل معالم وفخارِ
ليثاً هزبراً يستجار بقربه ... رحب المباءة مكرماً للجار
ولقد حلفت بزمزم وبمكّة ... والبيت ذي الأحجار والأستار
إنّ الزبير لما نعي من خوفه ... ماكبّر الحجّاج في الأمصار

فقال: تقدّم فانّا لانتقدّم من نحيره. فتقدّم التيمي فدخل المسجد، فرآه حرب فقام إليه فلطمه. فحمل عليه الزبير بالسيف، فعدا حتىّ دخل دار عبدالمطلب؛ فقال: أجرني من الزبير. فأكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس، فبقي هناك ساعة. ثمّ قال له: اخرج، فقال: كيف أخرج وتسعة من ولدك قد احتبوا بسيوفهم على الباب؟ فألقى عليه رداء كان كساه إيّاه سيف ابن ذي يزن له طرّتان خضراوان، فخرج عليهم. فعلموا أنّه قد أجاره، فتفرّقوا عنه[1].

(١٣٣)

عبدالله بن جعفر وعمرو

حضر مجلس معاوية عبدالله بن عبّاس وابن العاص؛ فأقبل عبدالله بن جعفر، فلمّا نظر إليه ابن العاص قال: قد جاءكم رجل كثير الخلوات بالتمنّي والطربات بالتغنّي، محب للقيان، كثير مزاحه شديد طماحه، صدوف عن السنان، ظاهر الطيش ليّن العيش، أخّاذ بالسلف منفاق بالسرف.

---

(١) المحاسن والمساوي للبيهقي: ج١ ص١٤٢.

فقال ابن عبّاس: كذبت والله أنت! وليس كما ذكرت؛ ولكنّه لله ذكور ولنعمائه شكور وعن الخنا زجور، جواد كريم سيّد حليم ماجد لهميم، إن ابتدأ أصاب وإن سئل أجاب، غير حصر ولاهيّاب ولافحاش عيّاب حلّ من قريش في كريم النصاب، كالهزبر الضرغام الجريئ المقدام في الحسب القمقام، ليس يدعى لدعيّ ولايدني لدنيّ. [لا] كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليها جزّارها، فأصبح ألأمها حسباً وأدناها منصباً، ينوء منها بالذليل ويأوي منها إلى القليل، يتذبذب بين الحيّين كالساقط بين الفراشين، لاالمضطر إليهم عرفوه ولاالظاعن عنهم فقدوه. وليت شعري! بأيّ قدم تتعرّض للرجال وبأيّ حسب تبارز عند النضال؟ أبنفسك فأنت الوغد الزنيم، أم بمن تنتمي إليه؟ فأهل السفه والطيش والدناءة في قريش، لابشرف في الجاهليّة شهروا ولابقديم في الإسلام ذكروا؛ غير أنّك تتكلّم بغير لسانك وتنطق بالزور في غير أقرانك. والله لكان أبين للفضل وأظهر للعدل أن ينزلك معاوية منزلة العبيد السحيق، فانّه طالما ماسلس داؤك وطمح به رجاؤك إلى الغاية القصوى التي لم يخضرّ بها رعيك ولم يورق بها غصنك.

فقال عبدالله بن جعفر: أقسمت عليك لمّا أمسكت! فانّك عنّي ناضلت ولي فاوضت.

قال ابن عبّاس: دعني والعبد! فانّه قد كان يهدر خالياً إذ لايجد مرامياً، وقد اتيح له ضيغم شرس للأقران منقرس وللأرواح مختلس!

فقال عمرو بن العاص: دعني ياأميرالمؤمنين أنتصف منه، فوالله ماترك شيئاً!

قال ابن عبّاس: دعه فلا يبقي المبقي إلّا على نفسه، فوالله إنّ قلبي لشديد وإنّ جوابي لعتيد، وبالله الثقة؛ فانّي كما قال نابغة بني ذبيان:

وقبلك ماقذعت وقاذعوني فما نزر الكلام ولاشجاني

يصدّ الشاعر العرّاف عنّي صدود البكر عن قرم هجان [١]

(١٣٤)

عبدالله بن عبّاس وابن الزبير

عن الخليل: أنّه قال كلّم ابن عبّاس عبدالله بن الزبير في محمّد بن الحنفية، وقال: ماتريد من رجل كفّ لسانه ويده عنك؟ اتّق الله! فانّك قادم على ربّك.

فقال له ابن الزبير: تكلّمني في رجل سخيف الرأي ضعيف العقل ليس له بذمّ ولادين! فقال ابن عبّاس: رماه الله بداء لاشفاء له إن كان شرّاً منك في الدين والدنيا. فغضب ابن الزبير، وقال: أنت أيضاً تتكلّم عندي! فقام ابن عباس، وذم ابن الزبير على ماقال؛ وخرج من عند ابن الزبير من وجهه إلى الطائف، وقال: العجب من حُنيكل! يتعجّب من كلاميّ عنده وقد تكلّمت غلاماً عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وعند أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم يرونني أحقّ من نطق يستمع قولي وتقبل مشورتي، ليحكّ حُنكل جربه! ولاينقاص عليّ انقياص الكثيب. أظنّ ابن الزبير أنّي كساعده على بني عبدالمطّلب؟ والله لأنملة من أنامل ابن الحنفية أحبّ إليّ من ابن الزبير، والله! لإنّه لأوفر منه عقلاً، وأوفى منه عهداً، وأكمل منه رأياً، وأفضل ديناً، وأصدق ورعاً[٢].

(١٣٥)

ابن عبّاس وعمر

قال عمر بن الخطّاب ليلة مسيره الى الجابية أين ابن عبّاس؟ قال: فأتيته

---

(١) المحاسن للبيهقي: ج١ ص١٤٣-١٤٤.

(٢) نور القبس المختصر من المقتبس لأبي عبدالله المرزباني: ص٦٨.

فشكا تخلّف عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت له: أولم يعتذر إليك؟ قال: بلى. قلت: فهو ما اعتذر به.

ثمّ قال: أوّل من ريّثكم عن هذا الأمر أبوبكر، إنّ قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوّة[1].

(١٣٦)

ابن عبّاس وعمر

عن ابن عطيّة، قال: لمّا خرج عمر بن الخطّاب إلى الشام كان العبّاس ابن عبد المطّلب معه يسايره؛ وكان من يستقبله ينزل فيبدأ بالعبّاس فيسلّم عليه، يقدر الناس أنّه الخليفة لجماله وبهائه وهيبته.

فقال عمر: لعلّك تقدر أنّك أحقّ بهذا الأمر منّي؟ فقال له العبّاس بن عبد المطّلب: أحقّ به منّي ومنك من خلّفناه بالمدينة! فقال عمر: من ذلك؟ قال: من ضربنا بسيفه حتّى قادنا إلى الإسلام! يعني أمير المؤمنين عليه السلام[2].

(١٣٧)

ابن عبّاس وعمر

قال عمر: يابن عبّاس، مامنع عليّاً من الخروج معنا؟ قلت: لاأدري. قال: ياابن عبّاس، أبوك عمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وأنت ابن عمّه فما منع قومكم منكم؟ قلت: لاأدري. قال: لكنّي أدري، يكرهون ولايتكم لهم.

---

(١) هامش فضائل الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ج١ ص١٤ تحقيق المحمودي عن الأغاني.

(٢) هامش فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: تحقيق المحمودي انظر ج١ ص١٤ خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للرضي رحمه الله والبحار: ج٨ ط الكمباني ص٢٠٩ عن شف تاريخ الطبري وج١ ص٢٧٦٨ وخ ط المعارف ج٤ ص٢٢٢.

قلت: ولِمَ ونحن لهم كالخير؟ قال: اللّهم غفراً! يكرهون أن تجتمع فيكم الخلافة والنبوّة فيكون لكم بجصاً وبجحاً (أي تفاخراً وتعاظماً). لعلّكم تقولون: إنّ أبا بكر فعل ذلك، لاوالله! ولكن أبا بكر أتى أحزم ماحضر، ولو جعلها لكم مانفعكم مع قربكم[١]

(١٣٨)

ابن عبّاس وعمر

عن إبراهيم التيمي، قال: قال لي ابن عبّاس يوماً ونحن بالجابية: مارأيت كمقال قاله لي أميرالمؤمنين عمر اليوم، قلت: فما ذاك ؟ قال: شكا إليّ عليّاً عليه السلام فقال لي: ألم ترَ إلى ابن عمّك لم يخرج معنا في هذا الوجه؟ قال: قلت: لاإله إلاّ الله! أليس قد اعتذر إليك فقبلت عذره؟ وماخالفك إلى يومنا هذا. فقال: وماكفى ماقال لي أبوك ؟.

قال: فقلت لابن عبّاس: وماقال له أبوك ؟ قال:لقاه رجل من أهل الشام فقال: السلام عليك ياأميرالمؤمنين! فقال العبّاس: لست للمؤمنين بأمير هو ذاك وأنا والله احقّ بهامنه، فسمعه عمر فقال: أحقّ والله بها منيّ ومنك رجل خلّفناه بالمدينة أمس يعني عليّاً عليه السلام[٢]

(١٣٩)

ابن عبّاس ونجدة الحروري

عن علي بن أسباط عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ نجدة اسم الحروري كتب إلى ابن عبّاس يسأله عن اليتيم متى ينقضي يتمه؟ فكتب إليه: أمّا اليتيم فانقطاع يتمه أشدّه، وهو الاحتلام، إلّا أن لايؤنس منه

---

(١) هامش فضائل أميرالمؤمنين لابن عساكر تحقيق المحمودي انظرج١ ص٦، تاريخ الطبري.

(٢) الإيضاح: ص١٧٢-١٧٣.

رشد بعد ذلك فيكون سفيهاً أوضعيفاً، فليسند عليه[١].

(١٤٠)
الأحنف بن قيس ومعاوية

روي أن معاوية ابن أبي سفيان لمّا نصب يزيد لولاية العهد أقعده في جبّة حمراء؛ فجعل الناس يسلّمون على معاوية ثمّ يميلون إلى يزيد حتّى جاء رجل ففعل ذلك؛ ثمّ رجع إلى معاوية، فقال: ياأميرالمؤمنين، اعلم أنّك لو لم تولّ هذا امور المسلمين لأضعتها. والأحنف جالس فقال له معاوية: مابالك لا تقول ياأبا بحر؟ فقال: أخاف الله إن كذبت وأخافكم إن صدقت. فقال: جزاك الله عن الطّاعة خيراً وأمر له بألوف.

فلمّا خرج الأحنف لقاه الرجل بالباب، فقال: ياأبابحر، إنّي لأعلم أنّ شرّ من خلق الله هذا وابنه، ولكنّهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال فلسنا نطمع في استخراجها إلّا بما سمعت، فقال له الأحنف: ياهذا أمسك، فانّ ذا الوجهين خليق أن لايكون عند الله وجيهاً[٢]!

(١٤١)
الأحنف ومعاوية

عدد معاوية بن أبي سفيان على الأحنف ذنوباً. فقال: ياأميرالمؤمنين، لا تردّ الامور على أعقابها. أما والله! إنّ القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا والسيوف التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا! ولئن مددت فتراً من عذر لنمدنّ باعاً من ختر، ولئن شئت لتستصفينّ كدر قلوبنا بصفو حلمك. قال: فانّي أفعل[٣].

---

(١) البحار: ج٧٥ ص٦ عن تفسير العياشي.

(٢) الكامل للمبرّد: ج١ ص٣٠. والعقد الفريد: ج٤ ص٣٧ وج١ ص٥٩ نبذاً منه، وسيأتي عن الفتوح مايقرب منه في ج٢ ص١٨٧.

(٣) العقد الفريد: ج٤ ص٢٨.

(١٤٢)

الأحنف ومعاوية

روي أنّ معاوية ابن أبي سفيان بينما هو جالس وعنده وجوه الناس، إذ دخل رجل من أهل الشام، فقام خطيباً؛ فكان آخر كلامه أن لعن علياً.

فأطرق الناس وتكلّم الأحنف، فقال:

ياأميرالمؤمنين، إنّ هذا القائل ماقال آنفاً لويعلم أنّ رضاك في لعن المرسلين للعنهم، فاتّق الله، ودع عنك عليّاً، فقد لقي ربّه وافرد في قبره وخلا بعمله، وكان والله! [ماعلمنا] المبرّز بسبقه (بسبعة خ ل) الطاهرخلقه، الميمون نقيبته، والعظيم مصيبته.

فقال له معاوية: ياأحنف، لقد أغضيت العين على القذى وقلت بغير ماترى، وأيم الله لتصعدنّ المنبر فلتلعننه طوعاً أو كرهاً. فقال له الأحنف: ياأميرالمؤمنين، إن تعفني فهو خير لك وإن تجبرني على ذلك فوالله لاتجري به شفتاي أبداً!

قال: فاصعد المنبر. قال الأحنف: أما والله، مع ذلك لأنصفنّك في القول والفعل.

قال: وماأنت قائل ياأحنف إن أنصفتني؟ قال: أصعد المنبر فأحمد الله بما هو أهله وأُصلّي على نبيّه صلّى الله عليه وسلّم ثم أقول: أيّها الناس، إنّ أميرالمؤمنين معاوية أمرني أن ألعن عليّاً! وإنّ عليّاً ومعاوية اختلفا واقتتلا وادّعى كلّ واحد منهما أنّه بغى على فئته، فاذا دعوت فأمّنوا رحمكم الله! ثمّ أقول: اللّهمّ العن أنت وملائكتك وأنبيائك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه، والعن الفئة الباغية، اللّهمّ العنهم لعناً كثيراً؛ أمّنوا رحمكم الله! يامعاوية، لاأزيد على هذا ولاأنقص منه حرفاً ولو كان فيه ذهاب نفسي.

فقال معاوية: إذن نعفيك ياأبا بحر.[١]

(١٤٣)
الأحنف ومعاوية

وفي سنة تسع وخمسين وفد على معاوية وفد الأمصار من العراق وغيرها، فكان ممّن وفد من أهل العراق الأحنف بن قيس في آخرين من وجوه الناس. فقال معاوية للضحاك بن قيس: إنّي جالس من غد للناس فأتكلّم بما شاءالله، فاذا فرغت من كلامي فقل في يزيد الذي يحقّ عليك وادع إلى بيعته، فانّي قد أمرت عبدالرحمن بن عثمان الثقفي وعبدالله بن عضاة ـ عمارة خ ـ الأشعري وثور بن معن السلمي أن يصدّقوك في كلامك وأن يجيبوك إلى الذي دعوتهم إليه.

فلمّا كان من الغد قعد معاوية، فأعلم الناس بما رأى من حسن رعيّة يزيد ابنه هديه، وأنّ ذلك دعاه إلى أن يولّيه عهده.

ثمّ قام الضحّاك بن قيس فأجابه إلى ذلك وحضّ الناس على البيعة ليزيد. وقال لمعاوية: اعزم على ماأردت. ثمّ قام عبدالرحمن بن عضاة الأشعري وثور بن معن فصدّقوا قوله

ثمّ قال معاوية: أين الأحنف بن قيس؟ فقام الأحنف، فقال:

إنّ الناس قد أمسوا في منكر زمان قد سلف ومعروف زمان يؤتلف، ويزيد حبيب قريب؛ فان تولّه عهدك فعن غير كبر مفنٍ أو مرض مضنٍ وقد حلبت الدهور وجرّبت الامور. فاعرف من تسند إليه عهدك ومن تولّيه الأمر من بعدك ، واعص رأي من يأمرك ولايقدر لك ويشير عليك ولاينظر لك .

فقام الضحّاك بن قيس مغضباً! فذكر أهل العراق بالشقاق والنفاق،

---

(١) العقد الفريد: ج٤ ص٢٨-٢٩.

وقال: اردد رأيهم في نحورهم... [١].

يقال: إنّ معاوية استشار الأحنف بن قيس في عقد البيعة لابنه يزيد؛ فقال له: أنت أعلم بليله ونهاره [٢].

(١٤٤)

الأحنف وعائشة

عن الحسن البصري ـ رحمه الله ـ أنّ الأحنف بن قيس قال لعائشة رحمها الله يوم الجمل: ياامّ المؤمنين، هل عهد إليك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هذا المسير؟ قالت: اللّهمّ لا. قال: فهل وجدته في شيءمن كتاب الله جلّ ذكره؟ قالت: ما نقرأ إلا ماتقرؤون. قال: فهل رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم استعان بأحد من نسائه إذا كان في قلّة والمشركون في كثرة؟ قالت: اللّهمّ لا. قال الأحنف: فاذاً ماهو ذنبنا ؟ [٣].

(١٤٥)

الأحنف ومعاوية

روي أنّ الأحنف بن قيس وفد إلى معاوية وحارثة بن قدامة والجباب بن يزيد. قال معاوية للأحنف: أنت الساعي على أميرالمؤمنين عثمان وخاذل امّ المؤمنين عائشة والوارد الماء على عليّ بصفين؟ فقال: ياأميرالمؤمنين من ذلك ماأعرف ومنه مانكر.

أمّا أميرالمؤمنين عثمان: فأنتم معشر قريش حضرتموه بالمدينة والدار منّا عنه نازحة، وقد حضره المهاجرون والأنصار بمعزل وكنتم بين خاذل وقاتل. وأمّا

---

(١) مروج الذهب: ج٣ ص٣٧.

(٢) أمالي السيّد ـ رحمه الله ـ: ج١ ص٢٧٥.

(٣) المحاسن للبيهقي: ج١ ص٧٧.

عائشة: فانّي خذلتها في طول باع ورحب سرب، وذلك أنّي لم أجد في كتاب الله إلّا أن تقرّ في بيتها.

وأمّا ورودي الماء بصفّين فإنّي وردت حين أردت أن تقطع رقابنا عطشاً.

فقام معاوية وتفرّق الناس، الحديث[1].

(١٤٦)

عقيل ومعاوية

لـمّا قدم عقيل بن أبي طالب على معاوية أكرمه وقرّبه وقضى حوائجه وقضى عنه دينه. ثمّ قال له في بعض الأيام: والله إنّ عليّاً [غير] حافظ لك قطع قرابتك، وماوصلك، ولااصطنعك.

قال له عقيل: والله لقد أجزل العطيّة وأعظمها، ووصل القرابة وحفظها، وحسن ظنّه بالله إذ ساء به ظنّك، وحفظ أمانته، وأصلح رعيّته، إذ خنتم وأفسدتم وجرتم؛ فاكفف لاأباً لك! فانّه عمّا تقول بمعزل.

وقال له معاوية: أبا يزيد، أنا لك خير من أخيك عليّ. قال: صدقت إنّ أخي آثر دينه على دنياه وأنت آثرت دنياك على دينك، فأنت خير لي من أخي وأخي خير لنفسه منك.

وقال له ليلة الهرير: أبا يزيد،أنت الليلة معنا. قال: نعم ويوم بدر كنت معكم[2].

(١٤٧)

عقيل ورجل

قال رجل لعقيل: إنّك لخائن حيث تركت أخاك وترغب إلى معاوية.

---

(١) البحار: ج٨ ط الكمباني ص٥٣١ عن الكشيّ.

(٢) العقد الفريد: ج٤ ص٥ وأنساب الأشراف: ج١ ص٧٢-٧٣ آخره. وذيله في الاستيعاب: ج٣ ص١٥٨ على هامش الاصابة. والبحار: ج٤٢ ص١١٤ قسماً منه.

قال: أخون منيّ والله مـن سفـك دمه بين أخي وابن عمّي أن يكـون أحدهما أميراً!

ودخل عـقيل على معاويـة وقد كفّ بصره، فأجلسه مـعاوية على سريره ثمّ قال له: أنتم معشر بني هاشـم تصـابون في أبصاركم! قال: وأنتم معشـر بني اميّة تصابون في بصائركم!

ودخل عتـبة بـن أبي سفيـان، فوسّـع له معـاوية بـينه وبين عقيـل، فجلس بينهما.

فقال عقـيل: من هـذا الذي أجلس أميرالمؤمنين بيني وبيـنه؟ قال: أخوك وابـن عـمّك عـتبة. قـال: أمـا إنّـه إن كان أقـرب إلـيك مـنّـي، إنّي لأقرب لـرسول الله صلّىٰ الله عليـه وسلّم منك ومنه؛ وأنتما مـع رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم أرض ونحن سماء!

قال عتـبة: أبا يزيـد، أنت كما وصفـت، ورسول الله صلّىٰ الله عـليه وسلّم فوق ماذكرت، وأميرالمؤمنين عارف بحقّك. ولك عندنا ممّـا تحبّ أكثر ممّا لنا عندك ممّا نكره[1].

(١٤٨)

عقيل ومعاوية

ودخل عقيل على مـعاوية يوماً، فقال لأصحابه: هـذا عقيل عمّه أبولهب. قال له عـقيـل: وهذا معـاوية عـمّته حـمّالـة الحطب! ثمّ قـال: يامـعاوية، إذا دخلت النار فاعدل ذات اليسار فانّك ستجد عمّي أبا لهب مفترشاً عمّتك حمّالة الحطب؛ فانظر أيّهما خير الفاعل أو المفعول به؟

وقـال له معاوية يومـاً: ماأبين الشبق في رجالكم يـابني هاشم! قال: لكنّه

(١) العقد الفريد: ج٤ ص٥. أنساب الأشراف: ج١ ص٧٣ أوّله.

في نسائكم أبين[١] يابني امية!

وقال له معاوية يوماً: والله إنّ فيكم لخصلة ماتعجبني يابني هاشم، قال: وماهي؟ قال: لين فيكم. قال: لين ماذا؟ قال: هو ذاك. قال: إيّانا تعيّر يامعاوية، أجل والله، إنّ فينا للينا من غير ضعف وعزّاً من غير جبروت، وأمّا أنتم يابني اميّة، فانّ لينكم غدر، وعزّكم ـ سلمكم خ ل ـ كفر.

قال معاوية: ماكلّ هذا أردنا ياأبا يزيد! قال عقيل:

لذي اللبّ قبل اليوم مايقرع العصا وماعلّم الإنسان إلاّ ليعلما[٢]

قال معاوية:

وإنّ سفاه الشيخ لاحلم بعده وإنّ الفتى بعد السفاهة يحلم

وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب: لم جفوتمونا ياأبا يزيد؟ فأنشأ يقول:

إنّي امرؤ منّي التكرّم شيمة إذا صاحبي يوماً على الهون أضمرا

ثمّ قال: وأيم الله يامعاوية، لئن كانت الدنيا مهّدتك مهادها وأظلّتك بحذافيرها ومدّت عليك أطناب سلطانها، ماذاك بالذي يزيدك منّي رغبة ولاتخشّعاً لرهبة.

قال معاوية: لقد نعتّها أبا يزيد نعتاً هشّ له قلبي، وإنّي لأرجو أن يكون الله تبارك وتعالى ماردّاني برداء ملكها وحباني بفضيلة عيشها إلّا لكرامة ادّخرها لي؛ وقد كان داود خليفة وسليمان ملكاً، وإنّما هو لمثال يحتذى عليه، والامور أشباه؛ وأيم الله ياأبايزيد، لقد أصبحت علينا كريماً وإلينا حبيباً،

---

(١) من قوله: «إنّ فيكم يابني هاشم» الى هنا نقله في الغارات: ج٢ ص٥٥١ وزاد:

إنّ السفاهة طيش من خلائقكم لاقدّس الله أخلاق الملاعين[١]

فأراد معاوية أن يقطع كلامه فقال: مامعنى هذه الكلمة «طه»؟ فقال عقيل: نحن أهله وعلينا نزل؛ لاعلى أبيك ولاعلى أهل بيتك؛ طه بالعبرانيّة يارجل.

(٢) انساب الاشراف: ج١ ص٧٢.

وماأصبحت لك إساءة[١].

(١٤٩)

عقيل وامرأته

ويقال: إنّ امرأة عقيل -وهي بنت عتبة بن ربيعة خالة معاوية- قالت لعقيل: يابني هاشم، لايحبّكم قلبي أبداً، أين أبي؟ أين أخي؟ أين عمّي؟ كأنّ أعناقهم أباريق فضّة. قال عقيل: إذا دخلت جهنّم فخذي على شمالك[١].

(١٥٠)

عقيل ومعاوية

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: إنّ عليّاً قد قطعك ووصلتك، ولايرضيني منك إلّا أن تلعنه على المنبر. قال: أفعل، فاصعد، فصعد، ثمّ قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

أيّها الناس، إنّ أميرالمؤمنين معاوية أمرني أن ألعن عليّ بن أبي طالب، فالعنوه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. ثمّ نزل.

فقال له معاوية: إنّك لم تبيّن أبا يزيد من لعنت بيني وبينه؟ قال: والله لازدت حرفاً ولا نقصت آخر، والكلام إلى نيّة المتكلّم[٢].

(١٥١)

رجل من ولد ابن الحنفيّة مع المتوكّل

محمّد ابن أبي العلاء السرّاج قال: أخبرني البختري قال: كنت بمنبج

---

(١) العقد الفريد: ج٤ ص٦-٧. ونبذاً منه ابن أبي الحديد: ج٤ ص٩٣ وج١١ ص٢٥٢. وأنساب الأشراف: ج١ ص٧٦ آخره. والبحار: ج٤٢ ص١١٧.

(٢) العقد الفريد: ج٤ ص٢٩.

بحضرة المتوكّل، إذ دخل عليه رجل من أولاد محمّد بن الحنفيّة حلو العينين حسن الثياب قد قرف عنده بشيء، فوقف بين يديه؛ والمتوكّل مقبل على الفتح يحدّثه.

فلمّا طال وقوف الفتى بين يديه وهو لاينظر إليه، قال له: ياأميرالمؤمنين، إن كنت أحضرتني لتأديبي فقد أسأت الأدب، وإن كنت قد أحضرتني ليعرف من بحضرتك من أوباش الناس استهانتك بأهلي فقد عرفوا.

فقال له المتوكّل: والله ياحنفيّ، لولا مايثنيني عليك من أوصال الرحم ويعطفني عليك من مواقع الحلم لانتزعت لسانك بيدي ولفرّقت بين رأسك وجسدك، ولو كان بمكانك محمّد أبوك ! قال: ثمّ التفت إلى الفتح، فقال: أمّا ترى مانلقاه من آل أبي طالب؟ إمّا حسنيّ يجذب إلى نفسه تاج عزّ نقله الله إلينا قبله، أوحسينيّ يسعى في نقض ماأنزل الله إلينا قبله، أو حنفيّ يدلّ بجهله أسيافنا على سفك دمه.

فقال له الفتى: وأيّ حلم تركته لك الخمور وإدمانها؟ أم العيدان وفتيانها؟ ومتى عطفك الرحم على أهلي وقد ابتززتهم فدكاً إرثهم من رسول الله صلّى الله عليه وآله فورثها أبوحرملة؟ وأمّا ذكرك محمّداً أبي فقد طفقت تضع عن عزّ رفعه الله وروسوله، وتطاول شرفاً تقصر عنه ولا تطوله، فأنت كما قال الشاعر:

فغضّ الطرف إنّك من نمير فلا كعباً بلغت ولاكلابا

ثمّ هاأنت تشكو لي علجك هذا ماتلقاه من الحسنيّ والحسينيّ والحنفيّ، فلبئس المولى ولبئس العشير!

ثمّ مدّ رجليه ثمّ قال: هاتان رجلاي لقيدك ! وهذه عنقي لسيفك ! فبؤ بإثمي وتحمّل ظلمي؛ فليس هذا أوّل مكروه أوقعته أنت وسلفك بهم، يقول الله تعالى: «قل لاأسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربىٰ» فوالله ماأجبت رسول الله صلّى الله عليه وآله عن مسألته، ولقد عطفت بالمودّة على غير قرابته؛

فعمّا قليل ترد الحوض فيذودك أبي ويمنعك جدّي صلوات الله عليهما.

قال: فبكى المتوكّل! ثمّ قام فدخل إلى قصر جواريه. فلمّا كان من الغد أحضره وأحسن جائزته وخلّى سبيله[١].

(١٥٢)

ضرار بن الخطّاب ومعاوية

دخل على معاوية ضرار بن الخطّاب، فقال له: كيف حزنك على أبي الحسن؟ قال: حزن من ذبح ولدها على صدرها، فما ترقأ عبرتها ولايسكن حزنها[٢]!

(١٥٣)

عقيل ومعاوية

وفد عليه ـ أي معاوية ـ عقيل بن أبي طالب منتجعاً زائراً. فرحّب به معاوية وسرّ بوروده، لاختياره إيّاه على أخيه؛ وأوسعه حلماً واحتمالاً.

فقال له: ياأبا يزيد، كيف تركت عليّاً؟ فقال: تركته على مايحبّ الله ورسوله وألفيتك على مايكره الله ورسوله.

فقال له معاوية: لولا أنّك زائر منتجع [جنابنا] لرددت عليك أبا يزيد جواباً تألم منه.

ثمّ أحبّ معاوية أن يقطع كلامه مخافة أن يأتي بشيْ يخفضه، فوثب عن مجلسه وأمر له بنزل وحمل إليه مالاً عظيماً. فلمّا كان من غد جلس وأرسل إليه فأتاه، فقال له: ياأبا يزيد، كيف تركت عليّاً أخاك؟ قال تركته خيراً لنفسه منك، وأنت خير لي منه.

---

(١) البحار: ج٥٠ ص٢١٣-٢١٤.

(٢) مروج الذهب: ج٣ ص٢٥.

فقال له معاوية: أنت والله كما قال الشاعر:

وإذا عدوت فخار آل محرق فالمجد منهم في بني عتاب

فحلّ المجد من بني هاشم منوط فيك ياأبا يزيد ماتغيرّك الأيّام والليالي.

فقال عقيل:

اصبر لحرب أنت جانيها لابدّ أن تصلى بحاميها

وأنت والله ياابن أبي سفيان كما قال الآخر:

وإذا هوازن أقبلت بفخارها يوماً فخرتهم بآل مجاشع

بالحاملين على الموالي عزمهم والضاربين الهام يوم الفازع

ولكن أنت يامعاوية، إذا افتخرت بنواميّة فبمن تفتخر؟ فقال معاوية:

عزمت عليك أبايزيد لمّا أمسكت، فانّي لم أجلس لهذا، وإنّما أردت أن أسألك عن أصحاب عليّ فانّك ذو معرفة بهم. فقال عقيل سل عمّا بدالك.

فقال: ميّز لي أصحاب عليّ، وابدأ بآل صوحان، فانّهم مخاريق الكلام.

قال: أمّا صعصعة: فعظيم الشأن، عضب اللسان، قائد فرسان، قاتل أقران، يرتق مافتق ويفتق مارتق، قليل النظير.

وأمّا زيد وعبدالله: فانّهما نهران جاريان يصبّ فيهما الخلجان ويغاث بهما البلدان، رجلا جدّ لالعب معه؛ وبنو صوحان كما قال الشاعر:

إذا نزل العدوّ فانّ عندي اسوداً تخلس الأسد النفوسا

فاتّصل كلام عقيل بصعصعة، فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، ذكر الله أكبر وبه يستفتح المستفتحون، وأنتم مفاتيح الدنيا والآخرة.

أمّا بعد، فقد بلغ مولاك كلامك لعدوّ الله وعدوّ رسوله فحمدت الله على

ذلك وسألته أن يضيئ بك إلى الدرجة العليا والقضيب الأحمر[١] والعمود الأسود، فانّه عمود من فارقه فارق الدين الأزهر. ولئن نزعت بك نفسك إلى معاوية طلباً لماله إنّك لذو علم بجميع خصاله، فاحذر أن تعلّق بك ناره فيضلك عن الحجّة! فانّ الله قد رفع عنكم أهل البيت ماوضعه في غيركم؛ فما كان من فضل أو إحسان فبكم وصل إلينا، فأجلّ الله أقداركم وحمى أخطاركم وكتب آثاركم، فانّ أقداركم مرضيّة وأخطاركم محميّة وآثاركم بدريّة؛ وأنتم سلّم الله إلى خلقه ووسيلته إلى طرقه، أيدٍ عليّة ووجوه جليّة؛ وأنتم كما قال الشاعر:

فما كان من خير أتوه وإنّما   تــوارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطّيّ إلاّ وشيجه   وتغرس إلاّ في منابتها النخل[٢]

(١٥٤)

عقيل والوليد بن عقبة

قال الوليد بن عقبة لعقيل في مجلس معاوية: غلبك أخوك ياأبايزيد على الثروة؟ قال: نعم وسبقني وإيّاك إلى الجنّة.

قال: أما والله إنّ شدقيه لمضمومان من دم عثمان. فقال: ومـاأنت وقريش؟ والله ماأنت فينا إلاّ كنطيح التيس!

فغضب الوليد (من قوله خ ل) وقال: والله لـو أنّ أهل الأرض اشتركوا في قتله لارهقوا صعوداً، وإنّ أخاك لأشدّ هذه الامّة عذاباً. فقال (عقيل خ):

---

(١) القضيب الأحمر يظهر معناه مما نقله ينابيع المودة (ص١٠٣-١٠٤) انه شجرة غرسها الله في جنة عدن بيمينه، فمن أراد ان يستمسك به فاليتمسك بحب علي بن أبي طالب. اوردناه ملخصاً لعله مراده تحرير عقيل على ولا ته امر المؤمنين عليه السلام حيث انه جاء الى معاوية للدنيا. واخرجه سبط بن الجوزي في التذكرة.

(٢) مروج الذهب: ج٣ ص٤٦-٤٧.

صه! والله إنّا لنرغب بعبد من عبيده من صحبة أبيك عقبة ابن أبي معيط![٢].

(١٥٥)

عقيل ومعاوية

قال معاوية يوماً وعقيل عنده: هذا أبويزيد لولا علمه أنّي خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه. فقال عقيل: أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دنياي وقد آثرت دنياي؛ اسأل الله خاتمة خير[١].

(١٥٦)

عقيل ومعاوية

روى المدائني، قال: قال معاوية يوماً لعقيل بن أبي طالب: هل من حاجة فأقضيها لك؟ قال: نعم جارية عرضت عليّ وأبى أصحابها أن يبيعوها إلّا بأربعين ألفاً.

فأحبّ معاوية أن يمازحه، فقال: وماتصنع بجارية قيمتها أربعون ألفاً وأنت أعمى تجتزئ بجارية قيمتها خمسون درهما؟ قال: أرجو أن أطأها فتلد لي غلاماً إذا أغضبته يضرب عنقك! فضحك معاوية وقال: مازحناك ياأبايزيد، وأمر فابتيعت له الجارية التي أولد منها مسلماً...[١].

(١٥٧)

عقيل ومعاوية

سأل معاوية عقيلاً عن قصّة الحديدة المحماة المذكورة، فبكى وقال: أنا

---

(١) ابن أبي الحديد: ج٤ ص٩٣. والغارات: ج١ ص٥٥٢. والبحار: ج٤٢ ص١١٤ عن ابن أبي الحديد.

(٢) ابن أبي الحديد: ج١١ ص٢٥١. والحلبي في السيرة: ج١ ص٣٠٤. والبحار: ج٤٢ ص١١٦.

(٣) ابن أبي الحديد: ج١١ ص٢٥١. والبحار: ج٤٢ ص١١٦. أقول: في هذه القصّة مالايخفى، لعلها من صنع المدائني الجعّال.

احدّثك يامعاوية عنه ثمّ احدّثك عمّا سألت؛ نزل بالحسين ابنه ضيف، فاستسلف درهماً اشترى به خبزاً، واحتاج إلى الإدام؛ فطلب من قنبر خادمهم أن يفتح له زقّاً من زقاق عسل جاءتهم من اليمن، فأخذ منه رطلاً. فلمّا طلبها عليه السلام ليقسمها قال: ياقنبر، أظنّ أنّه حدث بهذا الزقّ حدث؟ فأخبره، فغضب عليه السلام وقال: عليَّ بحسين! فرفع عليه الدرّة؛ فقال: بحقّ عمّي جعفر! وكان إذا سئل بحقّ جعفر سكن، فقال له: ماحملك أن أخذت منه قبل القسمة؟ قال: إنّ لنا فيه حقّاً فاذا أعطيناه رددناه. قال: فداك أبوك ! وإن كان لك فيه حقّ فليس لك أن تنتفع بحقّك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم. أما لولا أنّي رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقبّل ثنيّتك لأوجعتك ضرباً! ثمّ دفع إلى قنبر درهماً كان مصروراً في ردائه وقال: اشتر به خير عسل تقدر عليه.

قال عقيل: والله لكأنّي أنظر إلى يدي عليّ وهي على فم الزقّ وقنبر يقلّب العسل فيه ثمّ شدّه وجعل يبكي ويقول: اللّهم اغفر لحسين، فانّه لم يعلم.

فقال معاوية: ذكرت من لاينكر فضله، رحم الله أبا حسن، فلقد سبق من كان قبله وأعجز من يأتي بعده، هلمّ حديث الحديدة.

قال: نعم، أقويت وأصابتني مخمصة شديدة، فسألته فلم تند صفاته، فجمعت صبياني وجئته بهم، والبؤس والضرّ ظاهران عليهم. فقال: ائتني عشيّة لأدفع إليك شيئاً.

فجئته يقودني أحد ولدي فأمره بالتنحّي، ثمّ قال: ألا فدونك ! فأهويت حريصاً قد غلبني الجشع أظنّها صرّة، فوضعت يدي على حديدة تلتهب ناراً! فلمّا قبضتها نبذتها وخرت كما يخور الثور تحت يد جازره، فقال لي: ثكلتك امّك ! هذا من حديدة أوقدت له نار الدنيا، فكيف بي وبك غداً إن سلكنا في

سلاسل جهنّم؟ ثمّ قرأ: «إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون» ثمّ قال: ليس لك عندي فوق حقّك الذي فرضه الله لك إلّا ماترى، فانصرف إلى أهلك.

فجعل معاوية يتعجب ويقول هيهات! هيهات! عقمت النساء أن يلدن.

(١٥٨)

عقيل ومعاوية

أتى عقيل معاوية.... بعد وفاة أميرالمؤمنين عليه السلام وصلح الحسن عليه السلام وجلساءه حوله، فقال: ياأبا يزيد، أخبرني عن عسكري وعسكر أخيك، فقد وردت عليهما، قال: اخبرك، مررت والله بعسكر أخي فاذا ليل كليل رسول الله صلّى الله عليه وآله ونهار كنهار رسول الله صلّى الله عليه وآله إلاّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله ليس في القوم، مارأيت إلاّ مصلّياً ولاسمعت إلّا قارئاً. ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممّن نفر برسول الله ليلة العقبة.

ثمّ قال: من هذا عن يمينك يامعاوية؟ قال: هذا عمرو بن العاص. قال: هذا الذي اختصم فيه ستّة نفر، فغلب عليه جزّار قريش. فمن الآخر؟ قال: الضحّاك بن قيس الفهري. قال: أما والله! لقد كان أبوه جيّد الأخذ لعسب التيوس. فمن هذا الآخر؟ قال: أبوموسى الأشعري. قال: هذا ابن السراقة[٢].

فلمّا رأى معاوية أنّه قد أغضب جلساءه، علم أنّه إن استخبره عن نفسه قال فيه سوءاً، فأحبّ أن يسأله ليقول فيه مايعلمه من السوء، فيذهب بذلك

---

(١) ابن أبي الحديد: ج١١ ص٢٥٣. والبحار: ج٤٢ ص١١٧.

(٢) في الغارات: المراقة.

غضب جلسائه؛ قال: ياأبايزيد! فما تقول فيّ؟ قال: دعني من هذا. قال: لتقولنّ. قال: أتعرف حمامة؟ قال: ومن حمامة ياأبايزيد؟ قال: قد أخبرتك؛ ثمّ قام فمضى.

فأرسل معاوية إلى النسّابة، فدعاه فقال: من حمامة؟ قال ولي الأمان؟ قال: نعم. قال: حمامة جدّتك -امّ أبي سفيان- كانت بغيّاً في الجاهليّة صاحبة راية! فقال معاوية لجلسائه: قد ساويتكم وزدت عليكم، فلا تغضبوا[١].

(١٥٩)
عقيل ومعاوية

دخل عقيل بن أبي طالب على معاوية والناس عنده وهم سكوت، فقال: تكلّمن [أيها] الناس! فانما معاوية رجل منكم فقال معاوية: ياأبايزيد! اخبرني عن الحسن بن عليّ؟ فقال: أصبح قريش وجهاً وأكرمهم حسباً. قال: فأبن الزبير؟ قال: لسان قريش وسنانها إن لم يفسد نفسه. قال: فابن عمر؟ قال: ترك الدنيا مقبلة وخلاكم وإيّاها وأقبل على الآخرة، وهو بعد ابن الفاروق. قال فروان؟ قال: اوّه! ذلك رجل لو أدرك أوائل قريش فأخذوا برأيه صلحت دنياهم. قال: ابن عباس؟ قال أخذ من العلم ماشاء.

وسكت معاوية. فقال عقيل: يامعاوية اخبرعنك فانّي بك عالم؟ قال: أقسمت عليك يا[أ]بايزيد لمّا سكتّ[٢]

(١٦٠)
عقيل ومعاوية

دخل عقيل على معاوية، فقال له:ياأبايزيد! أيّ جدّاتكم في الجاهليّة شرّ؟

---

(١) ابن أبي الحديد: ج٢ ص١٢٤-١٢٥. وفي الغارات: ج١ ص٦٤و٦٥. والبحار: ج٤٢ ص١١٣ عن أبن أبي الحديد وص١١٢ قريباً عن أمالي الشيخ -رحمه الله- وج٨ ط الكمباني ص٥٢٢ عن الغارات.

(٢) أنساب الأشراف: ج١ ص٧١-٧٢.

قال: حمامة! فوجم معاوية.

قال هشام: وحمامة جدّة أبي سفيان وهي من ذوات الرايات في الجاهليّة[١].

(١٦١)

عقيل ومعاوية

دخل عقيل على معاوية وقد كفّ بصره فلم يسمع كلاماً. فقال: يامعاوية أما في مجلسك أحد؟ قال: بلى. قال فمالهم لايتكلّمون؟ فتكلّم الضحّاك بن قيس. فقال [عقيل]: من هذا؟ فقال له [معاوية: هذا] الضحّاك بن قيس قال [عقيل: كان] أبوه [من] خاصي القردة، ماكان بمكّة أخصى لكلب وقرد من أبيه[٢].

(١٦٢)

عقيل ومعاوية

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب ـ وكان جيّد الجواب حاضره ـ أنا خير لك من أخيك. فقال عقيل: إنّ أخي آثر دينه على دنياه وأنت آثرت دنياك على دينك؛ فأخي خير لنفسه منك، وأنت خير لي.

وقال له يوماً: إنّ فيكم لشبقاً يابني هاشم! فقال: هو منّا في الرجال ومنكم في النساء.

وقال له يوماً وقد دخل عليه: هذا عقيل عمّه أبولهب: فقال عقيل: هذا معاوية عمّته حمّالة الحطب؛ وعمّة معاوية امّ جميل بنت حرب بن اميّة، وكانت امرأة أبي لهب.

---

(١) أنساب الأشراف: ج١ ص٧٢.

(٢) أنساب الأشراف: ج١ ص٧٥.

وقال له يوماً: ياأبايزيد أين ترى عمّك أبا لهب؟ فقال له عقيل: إذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجده مفترشاً عمّتك، فانظر أيّهما أسوء حالاً! الناكح أم المنكوح؟.

وقال له ليلة الهرير بصفّين:ياابا يزيد أنت معنا الليلة. قال: ويوم بدر كنت معكم[1].

(١٦٣)
عقيل ومعاوية

ذكر أبو عمرو بن العلاء المازني النحوي ـ المتوفّى سنة ١٥٤ ـ قال: قال: معاوية يوماً وعنده عمرو بن العاص وقد أقبل عقيل: لأضحكنّك من عقيل. فلمّا سلّم قال له معاوية: مرحباً بمن عمّه أبو لهب! فقال له عقيل: مرحباً بمن عمّته حمّالة الحطب في جيدها حبل من مسد! وهي عمّة معاوية وهي امّ جميل بنت حرب امرأة أبي لهب. قال معاوية: ياأبايزيد ماظنّك بأبي لهب؟ قال يامعاوية! إذا دخلت النار فخذ على يسارك تجده مفترشاً عمّتك حمّالة الحطب؛ أفناكح في النار خير أم منكوح؟ قال: كلاهما سواء شرّ والله![2].

(١٦٤)
عقيل ومعاوية

الشيخ ـ رحمه الله ـ باسناده عن الصمد عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: قلت: ياأباعبد الله حدّثنا حديث عقيل. قال: نعم، جاء عقيل إليكم بالكوفة وكان عليّ عليه السلام جالساً في صحن المسجد وعليه قميص سنبلاني،

---

(١) أمالي السيّد ـ قدّس سرّه ـ: ج١ ص٢٧٦. ونقله في الغارات ج٢ ص٥٥٣. ونقل المجلسي قسماً منه في السيرة ج١ ص٣٠٤ ونقل شطراً منه في المحاضرات: ج٢ ص٢٤٠.

(٢) الغارات: ج٢ ص٥٥٣. والبحار: ج٤٢ ص١١٥ قريباً منه.

قال: فسأله. فقال: أكتب لك إلى ينبع. قال: ليس غير هذا؟ قال: لا. فبينما هو كذلك إذ أقبل الحسن عليه السلام فقال: اشتر لعمّك ثوبين، فاشترى له. قال: ياابن أخي! ماهذا؟ قال: هذه كسوة أميرالمؤمنين.

ثمّ أقبل حتّى انتهى إلى عليّ عليه السلام فجلس فجعل يضرب يده على الثوبين وجعل يقول: ماألين هذا الثوب ياأبايزيد! قال: ياحسن اخد عمّك. قال: والله ماأملك درهماً ولاديناراً. قال: فاكسه بعض ثيابك.

قال عقيل: ياأميرالمؤمنين! أئذن لي إلى معاوية. قال: في حلّ محلّل؛ فانطلق نحوه.

وبلغ ذلك معاوية، فقال: اركبوا أفره دوابّكم وألبسوا من أحسن ثيابكم، فانّ عقيلاً قد أقبل نحوكم.

وأبرز معاوية سريره، فلمّا انتهى إليه عقيل قال معاوية: مرحباً بك ياأبايزيد! مانزع بك ؟ قال: طلب الدنيا من مظانّها. قال: وفقت وأصبت، قد أمرنا لك بمائة ألف، فأعطاه المائة الألف. ثمّ قال: أخبرني عن العسكرين اللذين مررت بهماقبل، عسكري وعسكر عليّ ؟ قال: في الجماعة اخبّرك أو في الوحدة؟ قال: لابل في الجماعة. قال: مررت على عسكر عليّ فاذا ليل كليل النبيّ ونهار كنهار النبي، إلّا أنّ رسول الله ليس فيهم؛ ومررت على عسكرك فاذا أوّل من استقبلني أبو الأعور وطائفة من المنافقين والمنفرين برسول الله صلّى الله عليه وآله إلّا أنّ أبا سفيان ليس فيهم؛ ومررت على عسكرك فكفّ حتّى إذا ذهب الناس، قال له: ياأبايزيد! أيش صنعت بي؟ قال: ألم أقل لك في الجماعة أو في الوحدة فأبيت عليّ ؟ قال: أمّا الآن فاشفني من عدوّي. قال: ذلك عند الرحيل.

فلمّا كان من الغد شدّ غرائره ورواحله وأقبل نحو معاوية وقد جمع معاوية حوله. فلمّا انتهى إليه قال: يامعاوية من ذا عن يمينك ؟ قال: عمرو بن

العاص. فتضاحك، ثمّ قال [هذا الذي اختصم فيه ستّة نفر، فغلب عليه جزّارها. فمن الآخر؟ قال: الضّحاك بن قيس الفهري، فتضاحك ثمّ قال][١]. لقد علمت قريش أنّه لم يكن أخصى لتيوسها من أبيه. ثمّ قال: من هذا؟ قال: هذا أبو موسى. فتضاحك، ثمّ قال: لقد علمت قريش بالمدينة أنّه لم يكن بها امرأة أطيب ريحاً من قبّ امّه.

ثمّ قال: أخبرني عن نفسي ياأبا يزيد! قال: تعرف حمامة؟ ثمّ سار.

فألقي في خلد معاوية قال: أمّ من امّهاتي لست أعرفها! فدعى بنسابين من أهل الشام، فقال اخبراني من امّ من امّهاتي يقال لها: «حمامة» لست أعرفها. فقالا نسألك بالله لا تسألنا عنها اليوم. قال: اخبراني أو لأضربنّ أعناقكما! لكما الأمان. قالا: فانّ حمامة جدّة أبي سفيان السابعة وكانت بغيّاً وكان لها بيت تؤتى فيه.

قال جعفر بن محمّد عليهما السلام وكان عقيل من أنسب الناس[٢].

(١٦٥)

عقيل ومعاوية

لمّا وفد على معاوية وقد غضب من أخيه عليّ لمّا طلب منه عطاءه وقال له: اصبر حتّى يخرج عطاءك مع المسلمين فاعطيك، فقال له: لأذهبن إلى رجل هو أوصل إليّ منك! فذهب إلى معاوية، فأعطاه معاوية مائة ألف درهم. ثمّ قال له معاوية: اصعد المنبر فاذكر ماأولاك عليّ وماأوليتك. فصعد فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أيّها الناس! إنّي اخبركم أنّي أردت عليّاً على دينه فاختار دينه، وإنّي

(١) زاد مابين المعقفتين في تعليقات الغارات ص٩٣٦ وقال أضيف مابين المعقفتين لوجوده في الغارات.

(٢) أمالي الشيخ: ج٢ ص٣٣٤-٣٣٥. وتعليقات الغارات ص٩٣٦ عنه.

أردت معاوية على دينه فاختارني على دينه[١].

(١٦٦)
عقيل ومعاوية

...فقال معاوية لعقيل: ياأبايزيد أين يكون عمّك أبو لهب اليوم؟ قال: إذا دخلت جهنّم فاطلبه مضاجعاً عمّتك امّ جميل بنت حرب بن اميّة![٢].

(١٦٧)
عقيل ومعاوية

ذكر أبو عمرو: أنّ معاوية قال لعقيل: إنّ فيكم يابني هاشم لخصلة لا تعجبني، قال: وماتلك الخصلة؟ قال: اللين. قال: وماذلك اللين؟ قال: هو ماأقول لك. قال: أجل يامعاوية! إنّ فينا للينا في غير ضعف وعزاً في غير عنف؛ فانّ لينكم ياابن صخر غدر وسلمكم كفر. فقال معاوية: ماأردنا كلّ هذا ياأبايزيد.

فقال عقيل:

لذي الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا ... وماعلم الإنسان إلّا ليعلما

إنّ السفاهة طيش من خلائقكم ... لاقدّس الله أخلاق الملاعين

فأراد معاوية أن يقطع كلامه، فقال: مامعنى هذه الكلمة «طه»؟ فقال عقيل: نحن أهله وعلينا نزل لاعلى أبيك ولاعلى أهل بيتك «طه» بالعبرانيّة: يارجل[٣].

(١) السيرة للحلبي: ج١ ص٣٠٤.
(٢) البحار: ج٤٢ ص١١٧.
(٣) الغارات: ج٢ ص٥٥١.

(١٦٨)

رجل من الشيعة مع مخالف

عن أبي محمّد العسكري أنّه قال: قال بعض المخالفين بحضرة الصادق عليه السلام لرجل من الشيعة: ماتقول في العشرة من الصحابة؟ قال: أقول فيهم الخير الجميل الذي يحطّ الله به سيّئاتي ويرفع لي درجاتي. قال السائل: الحمد لله الذي أنقذني من بغضك، كنت أظنّك رافضياً تبغض الصحابة.

فقال الرجل: ألا من أبغض واحداً من الصحابة فعليه لعنة الله! قال: لعلّك تتأوّل، ماتقول فيمن أبغض العشرة؟ فقال: من أبغض العشرة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين! فوثب فقبّل رأسه، وقال: اجعلني في حلّ ممّا قذفتك به من الرفض قبل اليوم. قال: أنت في حلّ وأنت أخي، ثمّ انصرف السائل. الحديث[١].

(١٦٩)

رجل من الشيعة مع مخالف

دخل على أبي الحسن الرضا عليه السلام رجل فقال له: يابن رسول الله! لقد رأيت اليوم شيئاً عجبت منه! قال: وما هو؟ قال:رجل كان معنا يظهر لنا أنّه من الموالين لآل محمّد المتبرّين من أعدائهم؛ فرأيته اليوم وعليه ثياب قد خلعت عليه وهو ذايطاف به ببغداد وينادي المنادي بين يديه: معاشر الناس! اسمعوا توبة هذا الرافضي؛ ثمّ يقولون له قل؛ فيقول: خير الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله أبا بكر، فاذا قال ذلك ضجّوا وقالوا: قد تاب وفضّل أبا بكر على عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال الرضا عليه السلام: إذا خلوت

---

(١) البحار: ج٧١ ص١٢.

فأعد عليّ هذا الحديث.

فلمّا خلا أعاد عليه. فقال له: إنّما لم أفسّر لك معنى كلام الرجل بحضرة هذا الخلق المنكرين، كراهة أن ينقل إليهم فيعرفوه ويؤذوه؛لم يقل الرجل: الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله [أبوبكر فيكون قد فضّل أبا بكر على علي بن أبي طالب عليه السلام ولكن قال: خير الناس بعد رسول الله] أبا بكر فجعله نداءً لأبي بكر لرضى من يمشي بين يديه من بعض هؤلاء الجهلة ليتوارى من شرورهم؛ الحديث[1].

(١٧٠)

رجل من الشيعة عند بعض المخالفين

عن أبي محمّد العسكري عليه السلام قال: قال رجل من خواصّ الشيعة لموسى بن جعفر عليهما السلام وهو يرتعد بعد ما خلا به: ياابن رسول الله صلّى الله عليه وآله ماأخوفني أن يكون فلان بن فلان ينافقك في إظهاره واعتقاد وصيّتك وإمامتك! فقال موسى عليه السلام: وكيف ذلك؟ قال: لانّي حضرت معه اليوم في مجلس فلان رجل من كبار أهل بغداد، فقال له صاحب المجلس: أنت تزعم أنّ موسى بن جعفر إمام دون هذا الخليفة القاعد على سريره؟ فقال له صاحبك هذا: ماأقول هذا، بل أزعم أنّ موسى بن جعفر غير إمام، وإن لم أكن أعتقد أنّه غير إمام فعليّ وعلى من لم يعتقد ذلك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين! قال له صاحب المجلس: جزاك الله خيراً ولعن من وشى بك؛ الحديث[2].

---

(١) البحار: ج٧١ ص١٥.

(٢) المصدرنفسه.

(١٧١)

أبو سعيد ابن عقيل مع ابن الزبير

دخل الحسن بن علي عليهما السلام على معاوية وعنده عبدالله بن الزبير-وكان معاوية يحبّ أن يغري بين قريش- فقال: ياأبا محمّد! أيّهما كان أكبر سنّاً عليّ أم الزبير؟ فقال الحسن: ماأقرب مابينهما وعلي أسنّ من الزبير، رحم الله عليّاً؛ فقال ابن الزبير: رحم الله الزبير.

وهناك أبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب، فقال:ياعبدالله! ومايهيجك من أن يترحمّ الرجل على أبيه؟ قال: وأنا أيضاً ترحّمت على أبي. قال:أتظنّه ندّاً له وكفوءاً؟ قال: ومايعدل به عن ذلك؟ كلاهما من قريش كلاهما دعا إلى نفسه ولم يتمّ له. قال: دع ذاك عنك ياعبدالله! إنّ عليّاً من قريش ومن الرسول صلّى الله عليه وآله حيث تعلم؛ ولمّا دعا إلى نفسه اتبع فيه وكان رأساً، و دعا الزبير إلى أمر كان الرأس فيه امرأة! ولما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وولّى مدبراً قبل أن يظهر الحقّ فيأخذه أو يدحض الباطل فيتركه، فأدركه رجل لو قيس ببعض أعضائه لكان أصغر، فضرب عنقه وأخذ سلبه وجاء برأسه! ومضى عليّ قدماً كعادته مع ابن عمّه؛ رحمّ الله عليّاً ولا رحم الزبير! فقال ابن الزبير: أما والله! لو أنّ غيرك تكلّم بهذا ياأبا سعيد لعلم! فقال: إنّ الذي تعرّض به يرغب عنك. وكفّه معاوية فسكتوا.

وأُخبرت عائشة بمقالتهم. ومرّ أبو سعيد بفنائها، فنادته ياأبا سعيد أنت القائل لابن أُختي كذا؟ فالتفت أبوسعيد فلم ير شيئاً، فقال: إنّ الشيطان يراك ولا تراه! فضحكت عائشة وقالت: لله أبوك! ماأذلق لسانك![1].

---

(١) ابن أبي الحديد: ج١١ ص١٩. والعقد الفريد: ج٤ ص١٤.

(١٧٢)

ذكوان وابن الزبير

دخل الحسين بن عليّ يوماً على معاوية ومعه مولى له يقال له: ذكوان؛ وعند معاوية جماعة من قريش فيهم ابن الزبير. فرحّب معاوية بالحسين وأجلسه على سريره، وقال: ترى هذا القاعد ـ يعني ابن الزبير ـ فانّه ليدركه الحسد لبني عبدمناف. فقال ابن الزبير لمعاوية: قد عرفنا فضل الحسين وقرابته من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لكن إن شئت اعلمك فضل الزبير على أبيك أبي سفيان فعلت.

فتكلّم ذكوان مولى الحسين بن عليّ عليهما السلام فقال: ياابن الزبير! إنّ مولاي مايمنعه من الكلام أن لايكون طلق اللسان رابط الجنان، فان نطق نطق بعلم، وإن صمت صمت بحلم، غير أنّه كفّ الكلام وسبق إلى اللسان، فأقرّت بفضله الكرام؛ وأنا الذي أقول:

فيم الكلام لسابق في غاية والناس بين مقصّر ومبلّد
إنّ الذي يجري ليدرك شأوه ينمى بغير مسوّد ومسدّد
بل كيف بدر نور ساطع خير الأنام وفرع آل محمّد

فقال معاوية: صدق قولك ياذكوان! أكثر الله في موالي الكرام مثلك.

فقال ابن الزبير: إنّ أباعبدالله سكت وتكلّم مولاه، ولو تكلّم لأجبناه أو لكففنا عن جوابه إجلالاً، ولاجواب لهذا العبد.

قال ذكوان: هذا العبد خير منك، قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله: «مولى القوم منهم» فانا مولى رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وأنت ابن [الزبير بن] العوام بن خويلد؛ فنحن أكرم ولاءً وأحسن فعلاً.

قال ابن الزبير: إنّي لست اجيب هذا، فهات ماعندك

يامعاوية!....[١].

(١٧٣)

جارية بن قدامة مع معاوية

قال معاوية لجارية بن قدامة: ماكان أهونك على أهلك إذ سمّوك جارية! قال: ماكان أهونك على أهلك إذ سمّوك معاوية! وهي الانثى من الكلاب.

قال: لاام لك! قال: امّي ولدتني للسيوف التي لقيناك بها في أيدينا.

قال: إنّك لتهددني؟ قال: إنّك لم تفتحنا قسراً ولم تملكنا عنوة، ولكنّك أعطيتنا عهداً وميثاقاً وأعطيناك سمعاً وطاعةً، فان وفيت لنا وفينا لك، وإن فزعت إلى غير ذلك فانّا تركنا وراءنا رجالاً شداداً وألسنة حداداً.

قال له معاوية: لاكثّر الله في الناس أمثالك! قال جارية: قل معروفاً وراعنا، فانّ شرّ الدعاء المحتطب[٢].

رواه في الغدير[٣] عن ابن عساكر في تاريخه قال:

وفد جارية بن قدامة على معاوية، فقال له معاوية: أنت الساعي مع عليّ بن أبي طالب والموقد النار في شعلك تجوس قرى عربيّة تسفك دماءهم؟ قال جارية: يامعاوية! دع عنك عليّاً فما أبغضنا عليّاً منذ أحببناه ولاغششناه منذ صحبناه. قال: ويحك ياجارية! ماأهونك على أهلك إذ سمّوك جارية! قال: أنت معاوية كنت أهون على أهلك إذ سمّوك معاوية!.

---

(١) العقد الفريد: ج٤ ص١٥.

(٢) العقد الفريد: ص٢٨. والغدير: ج١٠ ص١٧١ عنه وعن المستطرف: ج١ ص٧٣. وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٣٣.

(٣) الغدير: ج١ ص١٧١.

وذكره الشيخ في أماليه(١) بنحوٍ آخر: قال: قدم جارية بن قدامة السعدي على معاوية، ومع معاوية على السرير الأحنف بن قيس والحباب المجاشعي، فقال له معاوية: من أنت؟ قال: أنا جارية بن قدامة، قال: وكان نبيلاً. فقال له معاوية: وما عسيت أن تكون، هل أنت إلّا نحلة؟ فقال: لا تفعل يامعاوية! قد شبّهتني بالنحلة وهي والله حامية اللسعة حلوة البصاق؛ والله مامعاوية إلّا كلبة تعاوي الكلاب! ولاامية إلاّ تصغير أمة! فقال معاوية: لا تفعل. قال: إنّك فعلت ففعلت.

قال له: فادن اجلس معي على السرير. فقال: لاأفعل. قال: ولم؟ قال: لأنّي رايت هذين قد أماطاك عن مجلسك فلم أكن لاشاركهما.

قال له معاوية: ادن اسارّك . فدنا منه، فقال: ياجارية! اشتريت من هذين الرجلين دينهما. قال: ومنّي فاشتر يامعاوية! قال له: لاتجهر(٢).

(١٧٤)
أبو الطفيل مع معاوية

قال معاوية لأبي الطفيل: كيف وجدك على عليّ؟ قال: وجد ثمانين مثكل قال: فكيف حبّك له؟ قال حبّ امّ موسى، وإلى الله أشكو التقصير.

وقال له مرّة أُخرى: أبا الطفيل! قال: نعم. قال: أنت من قتلة عثمان؟ قال: لا ولكنّي ممّن حضره ولم ينصره. قال: وما منعك من نصره؟ قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار فلم أنصره.

قال: لقد كان حقّه واجباً وكان عليهم أن ينصروه. قال: فما منعك من نصرته ياأمير المؤمنين وأنت ابن عمّه؟ قال: أو ماطلبي نصرة له؟ فضحك أبو

---

(١) أمالي الشيخ: ج١ ص١٩٥ ط نجف.

(٢) وراجع البحار: ج٤٤ ص١٣٣ عن المجالس والأمالي.

الطفيل وقال: مثلك ومثل عثمان كما قال الشاعر:

لأعرفنّك بعد الموت تندمني ... وفي حياتي ما زوّدتني زادي[١]

(١٧٥)

عدي ومعاوية

قال معاوية لعدي بن حاتم: ما فعلت الطرفات يا أبا طريف؟ قال: قتلوا! قال: ماأنصفك ابن أبي طالب إذ قتل بنوك معه وبقي له بنوه. قال: لئن كان ذلك لقد قتل هو وبقيت أنا بعده.

قال له معاوية: ألم تزعم أنّه لايخنق في قتل عثمان عنز؟ قد والله خنق فيه التيس الأكبر. ثمّ قال معاوية: أمّا إنّه قد بقيت من دمه قطرة ولابدّ أن أتّبعها.

قال عدي: لاأباً لك شمّ السيف، فانّ سلّ السيف يسلّ السيف. فالتفت معاوية إلى حبيب بن مسلمة،فقال: اجعلها في كتابك فانّها حكمة[٢].

وفي مروج الذهب: وذكر أنّ عديّ بن حاتم الطائي دخل على معاوية، فقال له معاوية: مافعلت الطرفات ،يعني أولاده؟قال: قتلوا مع عليّ! قال: ماأنصفك عليّ قتل أولادك وبقي أولاده. فقال عديّ: ماأنصفت علياً إذ قتل وبقيت بعده.

فقال معاوية: أما إنّه قد بقيت قطرة من دم عثمان مايمحوٰها إلّا دم شريف من أشراف اليمن. فقال عديّ: والله! إنّ قلوبنا التي أبغضناك بها لفي صدورنا، وإنّ أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا؛ ولئن أدنيت إلينا من الغدر فتراً لندينن إليك من الشرّ شبراً، وإنّ حزّ الحلقوم وحشرجة الحيزوم

---

(١) العقد الفريد: ج٤ ص٣٠. ومروج الذهب: ج٣ ص٢٥.

(٢) العقد الفريد: ج١ ص٢٨.

لأهون علينا من أن نسمع المساءة في عليّ؛ فسلم السيف يامعاوية لباعث السيف. فقال معاوية: هذه كلمات حكم فاكتبوها[١].

(١٧٦)

عديّ مع رجل

قال رجل لعديّ بن حاتم الطائي وكان من جملة أصحاب عليّ عليه السلام: ياأباطريف! ألم أسمعك تقول يوم الدار: «والله لاتحبق فيه عناق حوليّة» وقد رأيت ماكان فيها، وقد كان فقئت عين عديّ وقتل بنوه؟ فقال: أما والله! لقد حبقت في قتله العناق والتيس الأعظم[٢].

(١٧٧)

عديّ وابن الزبير

حضر جماعة عند معاوية وعنده عديّ بن حاتم، وكان منهم عبدالله بن الزبير. فقالوا: ياأميرالمؤمنين! ذرنا نكلّم عديّاً، فقد زعموا أنّ عنده جواباً. فقال: إنّي احذركموه! فقالوا: لاعليك دعنا وإيّاه.

فقال له ابن الزبير: ياأباطريف! متى فقئت عينك؟ قال: يوم فرّ أبوك وقتل شرّ قتلة! وضربك الأشتر على استك فوقعت هارباً من الزحف!

وأنشد:

أما وأبي ياابن الزبير لو أنّني ... لقيتك يوم الزحف مارمت لي سخطا

وكان أبي في طيّ وأبو أبي ... صحيحين لم تنزع عروقهما القبطا

ولو رمت شتمي عند عدل قضائه ... لرمت به ياابن الزبير مدى شحطا

فقال معاوية: قد كنت حذرتكموه فأبيتم![٣]

---

(١) مروج الذهب ج٣ ص١٣.

(٢) ابن أبي الحديد: ج٨ ص٣٩.

(٣) البحار: ج٨ ص٥٣٣ ط الكمباني.

(١٧٨)

صعصعة ومعاوية

حدّث الهيثم، عن أبي سفيان عمرو بن يزيد، عن البراء بن يزيد، عن محمّد بن عبدالله بن الحارث الطائي، ثمّ أحد بني عفّان قال: لمّا انصرف عليّ عليه السلام من الجمل قال لآذنه: من بالباب من وجوه العرب؟ قال: محمّد بن عمير بن عطارد التيمي والأحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان العبدي في رجال سمّاهم، فقال: إئذن لهم. فدخلوا فسلمّوا [عليه] بالخلافة؛ فقال لهم: أنتم وجوه العرب عندي ورؤساء أصحابي فأشيروا عليّ في أمر هذا الغلام المترف -يعني معاوية- فافتنت بهم المشورة عليه. فقال صعصعة.

إنّ معاوية أترفه الهوى وحبّبت إليه الدنيا، فهانت عليه مصارع الرجال وابتاع آخرته بدنياهم؛ فان تعمل فيه برأي ترشد وتصب إن شاء الله، والتوفيق بالله وبرسوله وبك ياأميرالمؤمنين! والرأي أن ترسل إليه عيناً من عيونك وثقة من ثقاتك بكتاب تدعوه إلى بيعتك فان أجاب وأناب كان له مالك وعليه ماعليك، وإلاّ جاهدته وصبرت لقضاء الله حتّى يأتيك اليقين.

فقال عليّ عليه السلام: عزمت عليك ياصعصعة إلاّ كتبت الكتاب بيديك وتوجّهت به إلى معاوية واجعل صدر الكتاب تحذيراً وتخويفاً وعجزه استتابة واستنابة، وليكن فاتحة الكتاب «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله عليّ أميرالمؤمنين إلى معاوية، سلام عليك؛ أمّا بعد» ثمّ اكتب ماأشرت به عليّ واجعل عنوان الكتاب« ألا إلى الله تصير الامور»،قال: اعفني من ذلك. قال: عزمت عليك لتفعلّن! قال: أفعل.

فخرج بالكتاب وتجهّز وسار حتّى ورد دمشق، فأتى باب معاوية، فقال لآذنه: استأذن لرسول أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب، وبالباب ازفلة من بني

امّية، فأخذتـه الأيدي والنعال لـقوله، وهو يقول: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله» وكثرت الجلبة واللغط.

فـاتصّل ذلك بمعاوية، فـوجّه من يكشف الناس عـنه فكشفوا؛ ثمّ أذن لهم فدخلوا.

فقال لهم: من هذا الرجل؟ فقالوا: رجل من العرب يقال له: «صعصة بن صـوحان» معه كتاب مـن عليّ. فقال: والله! لقد بـلغني أمره، هذا أحد سهام عليّ وخطباء العرب، وقد كنت إلى لقائه شيّقاً،إئذن له ياغلام.

فـدخـل عليه، فـقـال: السلام عـليك يابـن أبي سفـيـان! هذا كـتاب أميرالمؤمنين. فقال مـعاوية: أماإنّه لو كانت الرسل تـقتل في جاهليّة أو إسلام لقتلتك! ثمّ اعترضه معاوية في الكلام وأراد أن يستخرجه ليعرف قريحته أطبعاً أم تكلّفاً؟ فقال: ممّن الرجل؟ قال: من نزار. قال: وماكان نزار؟ قال: كان إذا غزا نكس، وإذا لقي افـتـرس، وإذا انصرف احترس. قـال: فمن أيّ أولاده أنت؟ قال من ربيـعة. قال: وماكان ربيعة؟ قال: كان يطيل النجاد، ويعول العباد، ويضرب بـبـقـاع الأرض العماد. قال فمن أيّ أولاده أنـت؟ قـال: من جديلة. قال: ومـاكان جديلة؟ قال: كان في الحرب سيفاً قاطعاً،وفي المكرمات غيـثاً نـافعاً، وفي الـلقـاء لهبـاً ساطـعـاً. قال: فـمن أيّ أولاده أنت؟ قـال: من عبـدالقـيس. قال: وماكـان عبـدالقـيس؟ قال كان خصيبـاً خضرماً أبيض، وهّاباً لضيفـه مايجد، ولايسأل عمّـا فقد، كثير المرق، طيّب العرق، يقوم للناس مقام الغيث من السماء.

قال: ويحك ياابن صوحان! فما تركت لهذا الحيّ من قريش مجداً ولافخراً. قـال: بلى والله يابـن أبي سفـيان! تـركت لهم مـالايصلـح إلاّ بهم، ولهـم تركت الأبـيض والأحمـر والأصفـر والأشقر والسريـر والمنبر والمـلك إلى المحشر، وأنّى لايكون ذلك كذلك وهم منار الله في الأرض ونجومه في السماء؟

ففرح معاوية وظنّ أنّ كلامه يشتمل على قريش كلّها، فقال: صدقت ياابن صوحان! إنّ ذلك لكذلك.

فعرف صعصعة ماأراد، فقال: ليس لك ولالقومك في ذلك إصدار ولاإيراد؛ بعدتم عن اُنف المرعى، وعلوتم عن عذب الماء.

قال: فلم ذلك ويلك ياابن صوحان؟ قال: الويل لأهل النار، ذلك لبني هاشم،قال: قم، فأخرجوه.

فقال صعصعة: الصدق ينبئ عنك لاالوعيد، من أراد المشاجرة قبل المحاورة.

فقال معاوية:لشيً ماسوّدهُ قومه؛ وددت والله! أنّي من صلبه. ثمّ التفت إلى بني اميّة، فقال: هكذا فلتكن الرجال [1].

(١٧٩)

صعصعة ومعاوية

حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدي وعبدالله بن الكوّاء اليشكري ورجالاً من أصحاب عليّ مع رجال من قريش. فدخل عليهم معاوية يوماً، فقال: نشدتكم بالله! إلاّ ماقلتم حقّاً وصدقاً، أيّ الخلفاء رأيتموني؟ فقال: ابن الكوّاء: لولا أنّك عزمت علينا ماقلنا، لأنّك جبّار عنيد، لا تراقب الله في قتل الأخيار، ولكنّا نقول: إنّك ماعلمنا واسع الدنيا ضيّق الآخرة، قريب الثرى بعيد المرعى، تجعل الظلمات نوراً والنور ظلمات.

فقال معاوية: إنّ الله أكرم هذا الأمر بأهل الشام الذابّين عن بيضته التاركين لمحارمه، ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله والمحلّين ماحرّم الله والمحرّمين ماأحلّ الله....ثمّ تكلّم صعصعة فقال:

---

(١) مروج الذهب: ج٣ ص٤٧-٤٩.

تكلّمت يا ابن أبي سفيان فأبلغت،ولم تقصر عمّا أردت، وليس الأمر على ماذكرت، أنّى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً، ودانهم كبراً، واستولى باسباب الباطل كذباً ومكراً؟ أما والله! مالك في يوم بدر مضرب ولامرمى، وماكنت فيه إلاّ كما قال القائل: «لاحلى ولاسيرى» ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممّن أجلب على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،وإنّما أنت طليق ابن طليق، أطلقكما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم،فأنّى تصلح الخلافة لطليق؟!

فقال معاوية: لولا أنّي أرجع إلى قول أبي طالب حيث يقول:

قابلت جهلهم حلماً ومغفرة والعفو عن قدرةٍ ضربٌ من الكرم

لقتلتكم[١].

(١٨٠)

صعصعة ومعاوية

الكلبي، قال: دخل صعصعة بن صوحان [العبدي] على معاوية، فقال له: ياابن صوحان! أنت ذومعرفة بالعرب وبحالها، فأخبرني عن أهل البصرة؟ وإيّاك والحمل على قوم لقوم! قال: البصرة واسطة العرب، ومنتهى الشرف والسؤدد، وهم أهل الخطط في أوّل الدهر وآخره، وقد دارت بهم سروات العرب كدوران الرحى على قطبها.

قال: فأخبرني عن أهل الكوفة؟ قال:قبّة الإسلام، وذروة الكلام، ومظانّ ذوي الأعلام، إلاّ أنّ بها أجلافاً تمنع ذوي الأمر الطاعة،وتخرجهم عن الجماعة، وتلك اخلاق ذوي الهيئة والقناعة.

قال: فأخبرني عن أهل الحجاز؟ قال: أسرع الناس إلى فتنة،وأضعفهم عنها

(١) مروج الذهب: ج٣ ص٥٠.

وأقلّهم غناءً فيها، غير أنّ لهم ثباتاً في الدين وتمسّكاً بعروة اليقين، يتّبعون الأئمّة الأبرار، ويخلعون الفسقة الفجّار.

فقال معاوية: من البررة والفسقة؟ فقال: ياابن أبي سفيان! ترك الخداع من كشف القناع، عليّ وأصحابه من الأئمّة الأبرار، وأنت وأصحابك من اولئك.

ثمّ أحبّ معاوية أن يمضي صعصعة في كلامه بعد أن بان فيه الغضب، فقال: أخبرني عن القبّة الحمراء في ديار مضر؟ قال: أسد مضر بسلان بين غيلين، إذا أرسلتها افترست، وإذا تركتها احترست.

فقال معاوية: هنالك ياابن صوحان العزّ الراسي، فهل في قومك مثل هذا؟ قال: هذا لأهله دونك ياابن أبي سفيان! ومن أحبّ قوماً حشر معهم.

قال: فأخبرني عن ديار ربيعة؟ ولايستخفنّك الجهل وسابق الحميّة بالتعصّب لقومك. قال:والله ماأنا عنهم براضٍ، ولكنيّ أقول فيهم وعليهم، هم والله! أعلام الليل، وأذناب في الدين والميل (هم والله أعلام الخيل وأرباب في الدين والميل خ ل) لن تغلب رايتها إذا رسخت،خوارج الدين،برازخ اليقين (جوارح الدين موارح اليقين خ) من نصروه فلج،ومن خذلوه زلج.

قال: فأخبرني عن مضر؟ قال: كنانة العرب، ومعدن العزّ والحسب، يقذف البحر بها آذيه والبرّ رديه.

ثمّ أمسك معاوية. فقال له صعصعة: سل يامعاوية! وإلّا أخبرتك بما تحيد عنه. قال: وماذاك ياابن صوحان! قال: أهل الشام. قال: فأخبرني عنهم؟ قال:أطوع الناس لمخلوق وأعصاهم للخلق، عصاة الجبّار وخلفة الأشرار، فعليهم الدمار ولهم سوء الدار.

فقال معاوية: والله ياابن صوحان! إنّك لحامل مديتك منذ أزمان، إلاّ أنّ حلم ابن أبي سفيان يردّ عنك. فقال صعصعة: بل أمر الله وقدرته، إنّ أمر الله

كان قدراً مقدوراً[١].

(١٨١)
صعصة ومعاوية

قال معاوية يوماً ـ وعنده صعصعة وكان قدم عليه بكتاب علي وعنده وجوه الناس ـ: الأرض لله وأنا خليفة الله، فما آخذ من مال الله فهو لي، وماتركت منه كان جائزاً لي.

فقال صعصعة:

تمنيك نفسك مالايكو ن جهلاً معاوي لا تأثم

فقال معاوية: ياصعصعة تعلّمت الكلام! قال: العلم بالتعلّم، ومن لايعلم يجهل.

قال معاوية: ماأحوجك إلى أن أُذيقك وبال أمرك ! قال: ليس ذلك بيدك ، ذلك بيد الذي لايؤخّر نفساً إذا جاء أجلها.

قال: ومن يحول بيني وبينك ؟ قال: الذي يحول بين المرء وقلبه.

قال معاوية: اتّسع بطنك للكلام كما اتّسع بطن البعير للشعير. قال: اتّسع بطن من لايشبع، ودعا عليه من لايجمع[٢].

قال المسعودي: ولصعصعة بن صوحان أخبار حسان، وكلام في نهاية البلاغة والفصاحة والإيضاح عن المعاني على إيجاز واختصار، ومن ذلك خبره مع عبد الله بن العبّاس، إلى آخر القصّة[٣].

---

(١) مروج الذهب: ج٣ ص٥١ـ٥٢.

(٢) مروج الذهب: ج٣ ص٥٢.

(٣) مروج الذهب: ج٣ ص٥٢ـ٥٥.

(١٨٢)

صعصعة ورجل

وقف رجل من بني فزارة على صعصعة، فأسمعه كلاماً منه: بسطت لسانك ياابن صوحان على الناس فتهيبوك ، أما لئن شئت لأكوننّ لك لصاقا، فلا تنطق إلّا حددت لسانك بأذرب من ظبّة السيف بعضب قويّ ولسان عليّ؛ ثمّ لايكون لك في ذلك حلّ ولا ترحال.

فقال صعصعة: لو أجد غرضاً منك لرميت، بل أرى شبحاً، ولاأرى مثالاً إلّا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً، أما لوكنت كفواً لرميت حصائلك بأذرب من ذلك السنان، ولرشقتك بنبال تردعك عن النضال، ولخطمتك بخطام يخرم منك موضع الزمام.

فاتّصل الكلام بابن عبّاس فاستضحك من الفزاري! وقال: أما لوكلّف أخو فزارة نفسه نقل الصخورمن جبال شمام إلى الهضام، لكان أهون عليه من منازعة أخي عبدالقيس، خاب أبوه ماأجهله! يستجهل أخا عبدالقيس وقواه المريرة، ثمّ تمثّل:

صبّت عليك ولم تنصبّ من امم   إنّ الشقاء على الأشقين مصبوب[1].

أخبرني رجل من الأزد، قال: نظرت إلى أبي أيّوب الأنصاري في يوم النهروان، وقد علا عبدالله بن وهب الراسبي فضربه ضربة على كتفه فأبان يده،وقال: بؤ بها إلى النارياMارق! فقال عبدالله: ستعلم أيّنا أولى بها صليّاً، قال: وأبيك إنّي لأعلم.

إذ أقبل صعصعة بن صوحان فوقف وقال: أولى بها والله صليّاً من ضلّ في

---

(١) مروج الذهب: ج٣ ص٥٥-٥٦.

الدنيا عمياً وصار إلى الآخرة شقياً، أبعدك الله وأنزحك! أما والله! لقد أنذرتك هذه الصرعة بالأمس فأبيت إلّا نكوصاً على عقبيك،فذق يامارق وبال أمرك .

وشرك أبا أيّوب في قتله، ضربه ضربة بالسيف أبان بها رجله، وأدركه باخرى في بطنه، وقال: لقد صرت إلى نار لا تطفأ ولايبوخ سعيرها. ثمّ احتزّا رأسه وأتيا به عليّاً،فقالا: هذا رأس الفاسق الناكث المارق عبدالله بن وهب....[1].

(١٨٣)

صعصعة والمغيرة

قال المغيرة ـ وهو عامل معاوية يومئذ ـ لصعصعة بن صوحان: قم فالعن عليّاً. فقام فقال: إنّ أميركم هذا أمرني أن ألعن عليّاً، فالعنوه لعنه الله! وهو يضمر مغيرة[2].

(١٨٤)

أصحاب علي عليه السلام ومعاوية

روى أبو الحسن المدائني:أنّه كان لهم ـ أي الأشتر، ومالك بن كعب الأرجي، والأسود بن يزيد النخعي، وعلقمة بن قيس النخعي، وصعصعة بن صوحان، وغيرهم الذين سيّرهم عثمان من الكوفة إلى الشام ـ مع معاوية بالشام مجالس طالت فيها المحاورات والمخاطبات، وانّ معاوية قال لهم في جملة ماقاله: إنّ قريشاً قد عرفت أنّ أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها، إلّا ماجعل الله لنبيّه صلّى الله عليه وآله فانّه انتجبه وأكرمه، ولو أنّ أبا سفيان ولّد

---

(١) مروج الذهب: ج٣ ص٥٦.

(٢) شرح نهج لابن أبي الحديد: ج١٥ ص٢٥٧.

الناس كلّهم لكانوا حلماء.

فقال له صعصعة بن صوحان: كذبت! قد ولّدهم خير من أبي سفيان، من خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له، فكان فيهم البرّ والفاجر والكيّس والأحمق.

(١٨٥)

أصحاب عليّ عليه السلام ومعاوية

قال: ومن المجالس التي دارت بينهم:أنّ معاوية قال لهم: أيّها القوم! ردّوا خيرا أو اسكتوا، وتفكّروا وانظروا فيما ينفعكم والمسلمين فاطلبوه، وأطيعوني.

فقال له صعصعة: لست بأهل ذلك، ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله.

فقال: إنّ أوّل كلام ابتدأت به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعة رسوله،وأن تعتصموا جميعاً ولا تفرّقوا.

فقالوا: بل أمرت بالفرقة وخلاف ماجاء به النبيّ صلّى الله عليه وآله.

فقال: إنّ كنت فعلت، فانّي الآن أتوب وآمركم بتقوى الله وطاعته ولزوم الجماعة، وأن توقّروا أئمّتكم وتطيعوهم.

فقال صعصعة: إن كنت تبت فانّا نأمرك أن تعتزل عملك، فانّ في المسلمين من هو أحقّ به منك، ممّن كان أبوه أحسن أثراً في الإسلام من أبيك، وهو أحسن قدماً في الإسلام منك.

فقال معاوية: إنّ لي في الإسلام لقدماً وإن كان غيري أحسن قدماً منّي، لكنّه ليس في زماني أحد أقوى منّي على ماأنا فيه منّي، ولقد رأى عمر بن الخطّاب ذلك، فلو كان غيري أقوى منّي لم يكن عند عمر هوادة لي ولالغيري، ولم احدث ماينبغي له أن اعتزل عملي، فلو رأى ذلك أميرالمؤمنين لكتب إليّ [بخطّ يده] فاعتزلت عمله، فمهلاً! فانّ في دون ماأنتم فيه مايأمر الشيطان

وينتهي، ولعمري! لو كانت الامور تقضي على رأيكم وأهواءكم مااستقام الأمر لأهل الإسلام يوماً ولاليلة، فعاودوا الخير وقولوه، فانّ الله ذوسطوات، وإنّي خائف عليكم أن تتابعوا إلى مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن فيحلّكم ذلك دار الهوان في العاجل والآجل.

فوثبوا على معاوية فأخذوا برأسه ولحيته. فقال: مه! انّ هذه ليست بأرض الكوفة، والله! لو رأى أهل الشام ماصنعتم بي [وأنا إمامهم] ماملكت أن أنهاهم عنكم حتّى يقتلوكم، فلعمري! إنّ صنيعتكم يشبه بعضه بعضاً[١].

(١٨٦)

ابن عبّاس وصعصعة مع الخوارج

قال البلاذري: ثمّ قامت خطباء الحروريّة ـ أي الخوارج ـ.... فقالوا: دعوتنا إلى كتاب الله والعمل به فأجبناك وبايعناك [و] قد قتلت في طاعتك قتلانا يوم الجمل ويوم صفّين، ثمّ شككت في أمر الله وحكّمت عدوّك، ونحن على أمرك الذي تركت وأنت اليوم على غيره، فلسنا منك إلّا أن تتوب منه وتشهد على نفسك بالضلالة.

فلمّا فرغوا من قولهم قال عليّ:

أمّا أن أشهد على نفسي بالضلالة: فمعاذ الله! أن أكون ارتبت منذ أسلمت أو ضللت منذ اهتديت، بل بنا هداكم الله من الضلالة واستنقذكم من الكفر وعصمكم من الجهالة، وإنّما حكّمت الحكمين بكتاب الله والسنّة الجامعة غير المفرّقة، فان حكما بكتاب الله كنت أولى بالأمر من حكمهما، وإن حكما بغير ذلك لم يكن لهما عليّ وعليكم حكم.

ثمّ تفرقوا فأعاد إليهم عبدالله بن عبّاس وصعصعة [بن صوحان] فقال لهم

(١) شرح نهج لابن أبي الحديد: ... ص ١٣١ ـ ١٣٢.

صعصعة: اذكّركم الله! أن تجعلوا فتنة العامّ مخافة فتنة عام قابل.

فقال ابن الكوّاء: أكنتم تعلمون أنّي دعوتكم إلى هذا الأمر؟ فقالوا: بلى. قال: فانّي أوّل من أطاع هذا الرجل، فانّه واعظ شفيق. فخرج معه منهم نحو من خمسمائة فدخلوا في جملة عليّ وجماعته[1].

(١٨٧)

محمّد بن أبي بكر ومعاوية

١ ـ كتاب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية:

من محمّد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر، سلام على أهل طاعة الله ممّن هو سلّم لأهل ولاية الله.

أمّا بعد: فانّ الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته خلق خلقاً بلا عبث ولاضعف في قوّته لاحاجة به إلى خلقهم، ولكنّه خلقهم عبيداً وجعل منهم شقيّاً وسعيداً وغويّاً ورشيداً، ثمّ اختار على علمه، فاصطفى وانتخب منهم محمّداً صلّى الله عليه وآله فاختصّه برسالته، واختاره لوحيه، وائتمنه على أمره، وبعثه رسولاً مصدّقاً لما بين يديه من الكتب، ودليلاً على الشرايع، فدعا إلى سبيل أمره بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان أوّل من أجاب وأناب وصدّق فاسلم وسلّم أخوه وابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام،فصدّقه بالغيب المكتوم، وآثره على كلّ حميم، ووقاه كلّ هول، وواساه بنفسه في كلّ خوف، فحارب حربه، وسالم سلمه، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الأزل ومقامات الروع، حتى بارز سابقاً لانظير له في جهاده ولامقارب له في فعله. وقد رأيتك تساميه وأنت أنت، وهو هو السابق المبرّز في كلّ خير، أوّل الناس إسلاماً، وأصدق الناس نيّة، وأطيب الناس ذريّة، وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن عمّ.

---

(١) أنساب الأشراف: ج١ ص٣٥٤.

وأنت اللعين ابن اللعين، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل، وتجتهدان على إطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتحالفان في ذلك القبائل، على هذا مات أبوك وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقيّة الأحزاب ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله صلّى الله عليه وآله، والشاهد لعليّ مع فضله وسابقته القديمة أنصاره الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن ففضّلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار، فهم معه كتائب وعصائب يجالدون حوله أسيافه، ويهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في اتّباعه، والشقاق والعصيان في خلافه، فكيف يالك الويل! تعدل نفسك بعلي؟ وهو وارث رسول الله صلّى الله عليه وآله ووصيّه، وأبو ولده، وأوّل الناس له اتّباعاً، وآخرهم عهداً، يخبره بسرّه، ويشركه في أمره، وأنت عدوّه وابن عدوّه ماستطعت بباطلك، وليمددك ابن العاص في غوايتك، فكان أجلك قد انقضى وكيدك قد وهى، وسوف تستبين لمن تكون العاقبة العليا. واعلم أنّك إنّما تكايد ربّك الذي قد أمنت كيده وآيست من روحه، وهو لك بالمرصاد، وأنت منه في غرور، بالله وبأهل بيت نبيّك الغناء[1].

* * *

---

(١) ابن أبي الحديد: ج٣ ص١٨٨ الطبعة الجديدة وفي الطبعة الأولى المصرية: ج١ ص٢٨٣. ومروج الذهب: ج٣ ص٢٠-٢١. والغدير: ج١٠ عنه؛ ووقعة صفّين.ص١٣٢ وفي نسخة مصرية ص١١٨. وجمهرة الرسائل: ج١ ص٥٤٢. والاختصاص للمفيد رحمه الله: ص١١٩. والاحتجاج للطبرسي: ج١ ص٢٦٩ ط نجف؛ وعبدالله بن سبأ للعسكري: ص١٢٣. وقاموس الرجال: ج٧ ص١٩٥. ولعلّه مراد الطبري ج٦ ص٣٢٤٨ حيث قال: ذكر هشام عن أبي مخنف أن محمّد بن أبي بكر كتب إلى معاوية بن أبي سفيان لمّا ولّي، فذكرت مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها، لما فيه ممّا لايحتمل سماعها العامّة والبحار: ج٨ ص٦٠٣و٦٠٤ ط الكمباني عن ج وختص ونصر. وأنساب الأشراف: ج١ ص٣٩٣.

جواب معاوية:

بسم الله الرحمن الرحيم. من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمّد بن أبي بكر، سلام على أهل طاعة الله.

أما بعد، فقد أتاني كتابك تذكر فيه ماالله أهله في قدرته وسلطانه وماأصفى به نبيّه، مع كلام ألّفته ووضعته لرأيك فيه تضعيف ولأبيك فيه تعنيف، ذكرت حقّ ابن أبي طالب وقديم سوابقه وقرابته من نبيّ الله صلّى الله عليه ونصرته له ومواساته إيّاه في كلّ خوف وهول، واحتجاجك عليّ بفضل غيرك لابفضلك ، فأحمد آلهاً صرف الفضل عنك وجعله لغيرك ! وقد كنّا وأبوك معنا في حياة من نبيّنا صلّى الله عليه نرى حقّ ابن أبي طالب لازماً لنا وفضله مبرّزاً علينا، فلمّا اختار الله لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم ماعنده وأتمّ له ماوعده وأظهر دعوته وأفلج حجّته، قبضه الله إليه، فكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّ وخالفه على ذلك اتّفقا واتّسقا، ثمّ دعواه إلى أنفسهم، فأبطأ عنهما وتلكّأ عليهما، فهمّا به الهموم وأرادا به العظيم، فبايع وسلّم لهما لايشركانه في أمرهما ولايطلعانه على سرّهما، حتّى قبضا وانقضى أمرهما. ثمّ قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفّان يهتدي بهديهما ويسير بسيرتهما، فعبته أنت وصاحبك حتّى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي، وبطنتماله وأظهرتما [وكشفتما] عداوتكما وغلّكما حتّى بلغتما منه مناكما، فخذ حذرك ياابن أبي بكر! فسترى وبال أمرك ، وقس شبرك بفترك تقصر عن أن تساوي أو توازي من يزن الجبال حلمه [و] لاتلين على قسر قناته، ولايدرك ذومدى أناته، أبوك مهّد مهاده، وبنى ملكه وشاده، فان يكن مانحن فيه صواباً فأبوك أوّله، وإن يك جوراً فأبوك أسّسه ونحن شركاؤه، وبهديه أخذنا وبفعله اقتدينا، ولولا ماسبقنا إليه أبوك ماخالفنا ابن أبي طالب وأسلمنا له، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك ، فاحتذينا بمثاله واقتدينا بفعاله، فعب

أباك مابدا لك أو دع. والسلام على من أناب ورجع عن غوايته وتاب[١].

وفي الاختصاص: أنّ محمّداً كتب في أسفله هذه الأبيات:

معاوي ماأمسى هوى يستقيدني إليك ولاأخفي الذي لاأعالن
ولاأنا في الأحرى إذا ماشهدتها بنكس ولاهيّابة في المواطن
حللت عقال الحرب جبناً وإنّما يطيب المنايا خائناً وابن خائن
فحسبك من إحدى ثلاث رأيتها بعينك أو تلك التي لم تعاين
ركوبك بعد الأمن حرباً مشارفاً وقد دميت أظلافها والسناسن
وقد حكّ بالكفّين توري ضريمة من الجهل أدّتها إليك الكهائن
ومسحك أقراب الشموس كأنّها تبسّ باحدى الداحيات الحواضن
تنازع أسباب المروّة أهلها وفي الصدر داء من جوى الغلّ كامن[٢]

(١٨٨)

محمّد ومعاوية وعمرو

٢ـ كتابه إلى عمرو بن العاص ومعاوية:

أخرج الطبري[٢] ناقلاً عن أبي مخنف، فقال: فخرج عمرو (أي ابن العاص) يسير حتىّ نزل أداني مصر، فاجتمعت العثمانيّة إليه، فأقام بهم، وكتب إلى محمّد بن أبي بكر:

أمّا بعد، فتنحّ عنّي بدمك ياابن أبي بكر! فانّي لاأحبّ أن يصيبك منّي ظفر. إنّ الناس بهذا البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك ،وندموا على اتّباعك ، فهم مسلّموك لو قد التقت حلقتا البطان، فاخرج منها فانّي لك من الناصحين، والسلام. وبعث اليه عمرو أيضاً بكتاب معاوية اليه:

---

(١) المصادر المتقدمة.

(٢) الطبري:ج٥ ص١٠١-١٠٢.

أمّا بعد، فانّ غبّ البغي والظلم عظيم الوبال، وإنّ سفك الدم الحرام لايسلم صاحبه من النقمة في الدنيا ومن التبعة الموبقة في الآخرة، وأنا لاأعلم أحداً كان أعظم على عثمان بغياً ولا أسوء له عيباً ولا أشدّ عليه خلافاً منك! سعيت عليه في الساعين، وسفكت دمه في السافكين. ثمّ إنّك أنت تظنّ أنّي عنك نائم أو ناس لك حتّى تأتي وتأمّر على بلاد أنت فيها جاري! وجلّ أهلها أنصاري،يرون رأيي ويرقبون قولي، ويستصرخون عليك، وقد بعثت إليك قوماً حناقاً عليك يستسقون دمك، ويتقرّبون إلى الله بجهادك، وقد أعطوا عهداً ليمثّلنّ بك ولو لم يكن منهم إليك ماعدا، فتلك ماحذّرتك ولاأنذرتك، ولأحببت أن يقتلوك بظلمك وقطيعتك وعدوك على عثمان يوم يطعن بمشاقصك بين خُششائه وأوداجه، ولكن أكره أن امثّل بقرشي، ولن يسلمك الله من القصاص أبداً أينما كنت، والسلام.

فطوى محمّد الكتاب وبعثهما إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وكتب في جواب معاوية:

أمّا بعد، فقد أتاني كتابك تذكّرني من أمر عثمان أمراً لاأعتذر إليك منه، وتأمرني بالتنحّي عنك كأنّك لي ناصح، وتخوّفني المثلة كأنّك شفيق، وأنا أرجو أن تكون لي الدائرة عليكم فاجتاحكم في الوقعة، وإن تؤتو النصر ويكن لكم الأمر في الدنيا، فكم لعمري من ظالم قد نصرتم! وكم من مؤمن قد قتلتم ومثّلتم به! وإلى الله مصيركم ومصيرهم، وإلى الله مردّ الامور، وهو أرحم الراحمين، والله المستعان على ماتصفون، والسلام.

وكتب في جواب عمرو بن العاص:

أمّا بعد، فقد فهمت ماذكرت في كتابك ياابن العاص! زعمت أنّك تكره أن يصيبني منك ظفر، وأشهد أنّك من المبطلين، وتزعم أنّك لي نصيح، واقسم أنّك عندي ظنين، وتزعم أنّ أهل البلد قد رفضوا رأيي وأمري وندموا على

اتباعي، فأُولئك لك وللشيطان الرجيم أولياء، فحسبنا الله ربّ العالمين، وتوكّلنا على الله ربّ العرش العظيم، والسلام[١].

(١٨٩)

عمّار والأشتر مع عائشة

دخل عمّار بن ياسر ومالك بن الحارث الأشتر على عائشة بعد انقضاء أمر الجمل. فقالت عائشة: ياعمّار من معك؟ قال: الأشتر. فقالت: يامالك! أنت الذي صنعت بابن اختي ماصنعت؟ قال: نعم، ولولا أنّني كنت طاوياً ثلاثة لأرحت امّة محمّد منه. فقالت: أما علمت أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «لايحلّ دم مسلم إلّا باحدى أُمور ثلاث: كفر بعد الايمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير حقّ» فقال الأشتر: على بعض هذه الثلاثة قاتلناه ياامّ المؤمنين! وأيم الله! ماخانني سيفي قبلها، ولقد أقسمت ألّا يصحبني بعدها.

قال أبو مخنف: في ذلك يقول الأشتر من جملة هذا الشعر الذي ذكرناه:

وقالت: على أيّ الخصال صرعته ... بقتل أتى أم ردّة لاأباً لكا!

أم المحصن الزاني الذي حلّ قتله ... فقلت لها:لابدّ من بعض ذلكا

أوّله:

أعائش لولا أنّني كنت طاوياً ... ثلاثاً لألفيت ابن اختك هالكا

غداة ينادى والرجال تحوزه ... بأضعف صوت:اقتلوني ومالكا

فلم يعرفوه اذ دعاهم وغمّه ... خدبّ عليه في العجاجة باركا

فنجّاه منّي أكله وشبابه ... وأنّي شيخ لم أكن متماسكا[٢]

---

(١) راجع الغدير: ج١١ ص٦٤ـ٦٩. وشرح ابن أبي الحديد: ج٦ ص٨٣ـ٨٥.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج١١ ص٢٦٣.

(١٩٠)

قنبر مولى علي عليه السلام والحجّاج

عن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام: انّ قنبراً مولى أميرالمؤمنين عليه السلام أُدخل على الحجّاج. فقال: ماالذي كنت تلي من عليّ بن أبي طالب؟ قال: كنت اوضّئه. فقال له: ماكان يقول إذا فرغ من وضوئه؟ فقال: كان يتلو هذه الآية «فلما نسوا ماذكّروا به» إلى قوله: «فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين» فقال الحجّاج: أظنّه كان يتأوّله علينا؟ قال: نعم [فقال: ماأنت صانع إذا ضربت علاوتك؟ قال: اذن اسعد وتشقى، فأمر به][١].

عن شهر بن حوشب، قال: قال لي الحجّاج: ياشهر! آية في كتاب الله قد أعيتني. فقلت: أيّها الأمير! أيّة آية هي؟ فقال: قوله: «وإن من أهل الكتاب إلّا ليؤمننّ به قبل موته» والله! إنّي لآمر باليهودي والنصراني فتضرب عنقه ثمّ ارمقه بعيني فما أراه يحرّك شفتيه حتى يخمل. فقلت: أصلح الله الأمير! ليس على ماتأوّلت. قال: كيف هو؟ قلت: إنّ عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملّة يهوديّ ولاغيره إلّا آمن به قبل موته ويصلّي خلف المهديّ. قال: ويحك! أنّى لك هذا؟ ومن أين جئت به؟ فقلت: حدثني به محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام فقال: جئت والله بها من عين صافية![٢].

---

(١) البحار: ج٦٧ ص١٩٩ وج ٤٢ ص١٣٥ عن العياشي والكشّي.

(٢) البحار: ج٥٣ ص٥٠ـ٥١.

(١٩١)

السيّد الحميري وسوّار القاضي

وممّا حكى الشيخ رحمه الله قال: قال الحارث بن عبدالله الربعي: كنت جالساً في مجلس المنصور وهو بالجسر الأكبر وسوّار القاضي عنده والسيّد الحميري ينشده:

إنّ الإله الذي لاشيء يشبهه أتاكم الملك للدينا وللدين
أتاكم الله ملكاً لازوال له حتّى يقاد إليكم صاحب الصين
وصاحب الهند مأخوذ برمّته وصاحب الترك محبوس على هون

حتى أتىٰ على القصيدة والمنصور مسرور.

فقال سوّار: إنّ هذا والله ياأميرالمؤمنين يعطيك بلسانه ماليس في قلبه! والله إنّ القوم الذين يدين بحبّهم لغيركم، وإنّه لينطوي على عداوتكم.

فقال السيّد: والله! إنّه لكاذب، وإنني في مدحتك لصادق، وإنّه حمله الحسد إذ رآك على هذه الحال، وإنّ انقطاعي إليكم ومودتي لكم أهل البيت لمعرق فيها من أبويّ، وإنّ هذا وقومه لأعداءكم في الجاهليّة والإسلام؛ وقد أنزل الله عزّوجلّ على نبيّه عليه الصلاة والسلام في أهل بيت هذا «إنّ الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون» فقال المنصور: صدقت.

فقال سوّار: ياأميرالمؤمنين! إنّه يقول بالرجعة، ويتناول الشيخين بالسبّ والوقيعة فيهما.

فقال السيّد: أمّا قوله: إنّي بالرجعة، فانّي أقول بذلك على ماقال الله تعالى: «ويوم نحشر من كلّ امّة فوجاً ممّن يكذّب بآياتنا فهم يوزعون» وقد قال في موضع آخر «وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً» فعلمنا أنّ هاهنا حشرين: أحدهما عام، والآخر خاصّ؛ وقال سبحانه: «ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين

فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل» وقال تعالى: «فاماته الله مائة عام ثمّ بعثه» وقال تعالى: «ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثمّ أحياهم» فهذا كتاب الله تعالى،وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «يحشر المتكبّرون في صور الذر يوم القيامة» وقال صلّى الله عليه وآله: «لم يجر في بني إسرائيل شيء إلّا ويكون في امّتي مثله حتى الخسف والمسخ والقذف» وقال حذيفة: «والله! ماأبعد أن يمسخ الله عزّوجلّ كثيراً من هذه الأُمّة قردة وخنازير». فالرجعة التي أذهب إليها مانطق به القرآن وجاءت به السنة، وإنّي لأعتقد أنّ الله عزّوجلّ يردّ هذا -يعني سوّاراً- إلى الدنيا كلباً أو قرداً أو خنزيراً أو ذرة، فانّه والله متجبّر متكبّر كافر! قال: فضحك المنصور. وأنشأ السيّد يقول:

جاثيت سوّاراً أبا شملة — عند الإمام الحاكم العادل
فقال قولا خطلاً كلّه — عند الورى الحافل والناعل
ماذبّ عمّا قلت من وصمة — في أهله بل لجّ في الباطل
وبان للمنصور صدقي كما — قد بان كذب الأنوك الجاهل
يبغض ذاالعرش ومن يصطفي — من رسله بالنيّر الفاضل
ويشنأ الحبر الجواد الذي — فضّل بالفضل على الفاضل
ويعتدي بالحكم في معشر — أدّوا حقوق الرسل للراسل
فبيّن الله تزاويقه — فصار مثل الهائم الهامل

فقال المنصور: كفّ عنه. فقال السيّد: ياأميرالمؤمنين البادي أظلم، يكفّ عنّي حتّى أكفّ عنه. فقال المنصور للسوّار: قد تكلّم بكلام فيه نصفه، كفّ عنه حتى لايهجوك[1].

(١) البحار: ج١٠ ص٢٣٢-٢٣٤،وج٥٣ ص١٣٠.

(١٩٢)

شيخ من الشيعة و بعض المعتزلة

قال المفيد ـ رحمه الله ـ في الكتاب المذكور ـ يعني الفصول ـ: سأل بعض المعتزلة شيخاً من أصحابنا الإماميّة وأنا حاضر في مجلس فيهم جماعة كثيرة من أهل النظر والمتفقهة. فقال له: إذا كان من قولك: إن الله عزّوجلّ يردّ الأموات إلى دار الدنيا قبل الآخرة عند القائم يشفي المؤمنين كما زعمتم من الكافرين وينتقم لهم منهم كما فعل ببني إسرائيل فيما ذكرتموه حيث تتعلّق بقوله تعالى: «ثمّ رددنالكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً» فخبّرني ماالذي يؤمنك أن يتوب يزيد وشمر وعبدالرحمن بن ملجم ويرجعوا عن كفرهم وضلالهم ويصيروا في تلك الحال إلى طاعة الإمام فيجب عليك ولايتهم والقطع بالثواب لهم! وهذا نقض مذاهب الشيعة.

فقال الشيخ المسؤول: القول بالرجعة إنّما قلته من طريق التوقيف وليس للنظر فيه مجال، وأنا لاأجيب عن هذا السؤال، لأنّه لانصّ عندي فيه وليس يجوز لي أن أتكلّف من غير جهة النصّ الجواب. فشنّع السائل وجماعة المعتزلة عليه بالعجز والانقطاع.

فقال الشيخ ـ أيّده الله ـ: فأقول أنا: إنّ عن هذا السؤال جوابين:

أحدهما: أنّ العقل لايمنع من وقوع الإيمان ممّن ذكره السائل، لأنّه يكون إذ ذاك قادراً عليه ومتمكّنا منه، ولكنّ السمع الوارد عن أئمّة الهدى عليهم السلام بالقطع عليهم بالخلود في النار، والتديّن بلعنهم والبراءة منهم إلى آخر الزمان منع من الشكّ في حالهم، وأوجب القطع على سوء اختيارهم، فجروا في هذا الباب مجرى فرعون وهامان وقارون، ومجرى من قطع الله عزّوجلّ على خلوده في النار، ودلّ القطع على أنّهم لايختارون أبداً الإيمان ممّن قال الله تعالى: «ولو

أنّـا نزّلنـا إليهم الملائـكة وكلّمـهم الموتى وحشـرنا عليهم كـلّ شيء قبـلاً ماكانوا ليؤمنوا إلّا أن يشاء الله» يريـد إلّا أن يلجئهم الله، والذيـن قال الله فيهم: «إنّ شـرّ الـدواب عـند الله الصمّ البكـم الـذيـن لايعقلـون ولـوعـلم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون».

ثمّ قال جلّ قائـلاً في تفضيلهم وهو يوجّه القول إلى ابليس:«لأملأنّ جهنّم منـك وممّن تبعـك منهم أجمعين» وقولـه تعـالى: «وإن عـليـك لعنتي إلى يوم الدّيـن» وقـوله تعـالى: «تـبتّ يدا أبي لهـب وتبّ ماأغنى عـنـه ماله ومـاكسب سيصلى نارا ذات لهب» فـقطـع بالنارعـليـه وأمن من انـتـقاله إلى مايوجـب له الثواب. وإذا كان الأمر على ماوصنفناه بطل ماتوهّمتموه على هذا الجواب.

والجواب الآخر: أنّ الله سبحانه إذا ردّ الـكافـرين في الرجعة لـينتقم منهم لم يـقبل لهم توبة، وجـروا في ذلك مجرى فرعون لمّا أدركـه الغرق «قال آمنت أنّه لاإلـه إلّا الذي آمنت به بنـو إسـرائيل وأنا من المسلـمين» قال الله سبحانه له: «الآن وقد عصيت قبـل وكنت من المفسـدين» فردّ الله عليـه إيمانه ولم ينفعه في تلك الحال ندمـه وإقلاعه، وكأهل الآخرة الذين لايقبل الله لهم توبة ولاينفعهم نـدم، لأنّهم كالملجـئين إذ ذاك إلى الـفعل؛ ولأنّ الحكمة تمنـع من قبول التوبة أبداً ويوجب اختصاص بعض الأوقات بقبولها دون بعض.

وهذا هو الجواب الصحيـح على مـذهب أهل الإمامة،وقـد جـاءت بـه آثار متظاهرة عن آل محمّد صلّى الله عليه وآله،فروي عنهم في قوله تعالى: «يوم يأتي بعض آيات ربّك لاينـفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظـروا إنّا منتظرون» فقالوا: إنّ هذه الآية هو القائم عليه السلام،فاذا ظهر لم يقبل توبة المخالف. وهذا يسقط مااعتمده السائل.

سؤال: فـان قـالـوا: في هـذا الجـواب مـاأنـكـرتم أن يـكـون الله تـعالى على ماأصّلتمـوه قد أغرى عباده بـالعصيان وأباحـهم الهرج والمرج والطغيان، لأنّهم

إذا كانوا يقدرون على الكفر وأنواع الضلال وقد يئسوا من قبول التوبة لم يدعهم داع إلى الكفّ عمّا في طباعهم،ولاانزجروا من فعل قبيح يصلون به إلى النفع العاجل، ومن وصف الله تبارك وتعالى بإغراء خلقه بالمعاصي واباحتهم الذنوب فقد أعظم الفرية عليه!.

جواب: قيل لهم:ليس الأمر على ماظننتموه، وذلك أنّ الدواعي لهم إلى المعاصي ترتفع إذ ذاك، ولايحصل لهم داع إلى قبيح على وجه من الوجوه ولاسبب من الأسباب، لأنّهم يكونون قد علموا بما سلف لهم من العذاب وقت الرجعة على خلاف أئمتهم عليهم السلام،ويعلمون في الحال أنّهم معذّبون على ماسبق لهم من العصيان،وأنّهم إن راموا فعل قبيح تزايد عليهم العقاب، ولايكون لهم عند ذلك طبع يدعوهم إلى مايتزايد عليهم به العذاب،بل يتوفّر لهم دواعي الطباع والخواطر كلّها إلى إظهار الطاعة والانتقال عن العصيان.

وإن لزمنا هذا السؤال لزم أهل جميع أهل الإسلام مثله في أهل الآخرة وحالهم في إبطال توبتهم وكون ندمهم غير مقبول، فمهما أجاب الموّحدون لمن ألزمهم ذلك فهو جوابنا بعينه.

سؤال آخر: وان سألوا على المذهب الأوّل والجواب المتقدّم فقالوا: كيف يتوهّم من القوم الإقامة على العناد والإصرار على الخلاف وقد عاينوا ـ فيما تزعمون ـ عقاب القبور وحلّ بهم عند الرجعة العذاب على ماتزعمون أنّهم مقيمون عليه؟ وكيف يصحّ أن يدعوهم الدواعي إلى ذلك ويخطر لهم في فعله الخواطر؟ ماأنكرتم أن تكونوا في هذه الدواعي مكابرين.

جواب: قيل لهم: يصحّ ذلك على مذهب من أجاب بما حكيناه من أصحابنا بأن يقول: إنّ جميع ماعددتموه لايمنع من دخول الشبهة عليهم في استحسان الخلاف، لأنّ القوم يظنّون أنّهم إنّما بعثوا بعد الموت تكرمة لهم وليلوا الدنيا كما كانوا،ويظنّون أنّ مااعتقدوه في العذاب السالف لهم كان غلطاً منهم،

وإذا حلّ بهم العقاب ثانية توهّموا قبل مفارقة أرواحهم أجسادهم أنّ ذلك ليس من طريق الاستحقاق وأنّه من الله تعالى، لكنّه كما يكون الدول وكما حلّ بالأنبياء عليهم السلام.

ولأصحاب هذا الجواب أن يقولوا: ليس ماذكرناه في هذا الباب بأعجب من كفر قوم موسى عليه السلام وعبادتهم العجل، وقد شاهدوا منه الآيات وعاينوا ماحلّ بفرعون وملئه على الخلاف! ولاهو بأعجب من إقامة أهل الشرك على خلاف رسول الله صلّى الله عليه وآله وهم يعلمون عجزهم عن مثل ماأتى به من القرآن، ويشهدون معجزاته وآياته عليه السلام ويجدون مخبرات أخباره على حقائقها من قوله تعالى: «سيهزم الجمع ويولّون الدبر» وقوله عزّوجلّ: «لتدخلنّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين» وقوله عزّوجلّ: «الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون» وما حلّ بهم من العقاب بسيفه عليه السلام وهلاك كلّ من توعّده بالهلاك. هذا، وفيمن أظهر الإيمان به المنافقون ينضافون في خلافه إلى أهل الشرك والضلال.

على أنّ هذا السؤال لايسوغ لأصحاب المعارف من المعتزلة لأنّهم يزعمون أنّ أكثر المخالفين على الأنبياء كانوا من أهل العناد، وأنّ جمهور المظهرين الجهل بالله تعالى يعرفونه على الحقيقة ويعرفون أنبياءه وصدقهم، ولكنّهم في الخلاف على اللجاجة والعناد؛ فلا يمتنع يكون الحكم في الرجعة وأهلها على هذا الوصف الذي حكيناه، وقد قال الله تعالى: «ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نردّ ولانكذّب بآيات ربّنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ماكانوا يخفون من قبل ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنّهم لكاذبون».

فاخبر سبحانه: أن أهل العقاب لو ردّهم الى الدنيا لعادوا الى الكفر والعناد مع ماشاهدوا في القبور وفي المحشر من الاهوال وماذاقوا من أليم

العذاب[١].

(١٩٣)

المفيد يجيب في مسألة الرجعة

وفي المسائل السروية: أنّه سئل الشيخ ـ قدّس الله روحه ـ عمّا يروى عن مولانا جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام في الرجعة ومامعنى قوله: «ليس منّا من لم يقل بمتعتنا ويؤمن برجعتنا» أهي حشر في الدنيا مخصوص للمؤمن أو لغيره من الظلمة الجبّارين قبل يوم القيامة؟

فكتب الشيخ ـ رحمه الله ـ بعد الجواب عن المتعة: وأمّا قوله عليه السلام: «من لم يقل برجعتنا فليس منّا» فانّما أراد بذلك مايختصّه من القول به في أنّ الله تعالى يحشر قوماً من امّة محمّد صلّى الله عليه وآله بعد موتهم قبل يوم القيامة. وهذا مذهب يختصّ به آل محمّد صلّى الله عليه وآله والقرآن شاهد به؛ قال الله عزّ وجلّ في ذكر الحشر الأكبر يوم القيامة: «وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً» وقال سبحانه في حشر الرجعة قبل يوم القيامة: «ويوم نحشر من كلّ امّة فوجاً ممّن يكذّب بآياتنا فهم يوزعون» فأخبر أنّ الحشر حشران: عامّ، وخاصّ.

وقال سبحانه مخبراً عمنّ يحشر من الظالمين: إنّه يقول يوم الحشر الأكبر: «ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل».

وللعامّة في هذه الآية تأويل مردود، وهو أن قالوا: إنّ المعنيّ بقوله: «ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين» أنّه خلقهم أمواتاً ثمّ أماتهم بعد الحياة. وهذا باطل لايستمرّ على لسان العرب، لأنّ الفعل لايدخل إلّا على من كان بغير

(١) البحار: ج٥٣/١٣٢-١٣٦ عن الفصول المختارة: ج١/١١٥-١١٩.

الصفة التي انطوى اللفظ على معناها، ومن خلقه الله أمواتاً لايقال: أماته، وإنّما يقال ذلك فيمن طرأ عليه الموت بعد الحياة؛ كذلك لايقال: أحيا الله مّيتا، إلّا أن يكون قد كان قبل إحيائه ميّتاً. وهذا بيّن لمن تأمّله.

وقد زعم بعضهم أنّ المراد بقوله: «ربّنا أمتّنا اثنتين» الموتة التي تكون بعد حياتهم في القبور للمساءلة، فتكون الاولى قبل الإقبار والثانية بعده. وهذا أيضاً باطل من وجه آخر، وهو أنّ الحياة للمساءلة ليست للتكليف، فيندم الإنسان على مافاته في حاله. وندم القوم على مافاتهم في حياتهم المرّتين يدلّ على أنّه لم يرد حياة المساءلة، لكنّه أراد حياة الرجعة التي تكون لتكيفهم الندم على تفريطهم؛ فلا يفعلون ذلك، فيندمون يوم العرض على مافاتهم من ذلك[1].

(١٩٤)
هشام بن الحكم مع ضرار بن عمرو

قال السيّد المرتضى -رضيّ الله عنه- في كتاب الفصول: أخبرني الشيخ -أيده الله- قال: دخل ضرار بن عمرو الضبيّ على يحيى بن خالد البرمكي، فقال له: ياأبا عمرو! هل لك في مناظرة رجل هو ركن الشيعة؟ فقال ضرار: هلمّ من شئت.

فبعث إلى هشام بن الحكم فأحضره، فقال: ياأبا محمّد! هذا ضرار، وهو من قد علمت في الكلام والخلاف لك، فكلّمه في الإمامة. فقال: نعم. ثمّ أقبل على ضرار، فقال: ياأباعمرو! خبّرني على ماتجب الولاية والبراءة، على الظاهر أم على الباطن؟ فقال ضرار: بل على الظاهر، فانّ الباطن لايدرك إلّا بالوحي. فقال هشام: صدقت، فخبّرني الآن أي الرجلين كان أذب عن وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله بالسيف، وأقتل لأعداء الله عزّوجلّ بين يديه،

---

(١) البحار: ج٥٣ ص١٣٦-١٣٧.

وأكثر آثاراً في الجهاد، عليّ بن أبي بن أبي طالب أو أبو بكر؟ فقال: عليّ بن أبي طالب، ولكن أبا بكر كان أشدّ يقيناً. فقال هشام: هذا هو الباطن الذي قد تركنا الكلام فيه، وقد اعترفت لعليّ عليه السلام بظاهر عمله من الولاية مالم يجب لأبي بكر. فقال ضرار: هذا الظاهر نعم.

ثمّ قال هشام: أفليس إذا كان الباطن مع الظاهر فهو الفضل الذي لايدفع؟ فقال ضرار: بلى. فقال هشام: ألست تعلم أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام «إنّه منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لانبيّ بعدي» فقال ضرار: نعم. فقال له هشام: أيجوز أن يقول هذا القول إلّا وهو عنده في الباطن مؤمن؟ قال: لا. فقال هشام: فقد صحّ لعليّ عليه السلام ظاهره وباطنه، ولم يصحّ لصاحبك ظاهر ولاباطن! والحمد لله[١].

(١٩٥)
هشام مع يحيى بن خالد

قال: وأخبرني الشيخ ـ أدام الله تأييده ـ قال: سأل يحيى بن خالد البرمكي هشام بن الحكم ـ رحمة الله عليه ـ بحضرة الرشيد، فقال له: أخبرني ياهشام عن الحقّ هل يكون في جهتين مختلفتين؟ فقال هشام: لا. قال: فخبّرني عن نفسين اختصما في حكم في الدين وتنازعا واختلفا، هل يخلو من أن يكونا محقّين أو مبطلين أو يكون أحدهما مبطلاً والآخر محقاً؟ فقال هشام: لايخلوان من ذلك، وليس يجوز أن يكونا محقّين على ماقدمّت من الجواب.

فقال له يحيى بن خالد: فخبّرني عن عليّ والعبّاس لمّا اختصما إلى أبي بكر في الميراث أيّهما كان المحقّ من المبطل إذ كنت لا تقول إنّهما كانا محقّين ولامبطلين؟ فقال هشام: فنظرت إذا إنّني إن قلت: إنّ علياً عليه السلام كان

---

(١) البحار: ج١٠ ص٢٩٢ عن الفصول المختارة: ج١/٩ـ١٠.

مبطلاً كفرت وخرجت عن مذهبي، وإن قلت: إنّ العبّاس كان مبطلاً ضرب عنقي! و وردت عليّ مسألة لم أكن سئلت عنها قبل ذلك الوقت ولاأعددت لها جواباً، فذكرت قول أبي عبدالله عليه السلام وهو يقول لي: «ياهشام! لا تزال مؤيّداً بروح القدس مانصرتنا بلسانك» فعلمت أنّي لاأُخذل، وعنّ لي الجواب في الحال فقلت له:

لم يكن من أحدهما خطأ وكانا جميعاً محقّين ، ولهذا نظير قد نطق به القرآن في قصّة داود عليه السلام حيث يقول الله جلّ اسمه: «وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب» إلى قوله تعالى: «خصمان بغي بعضهما على بعض» فأيّ الملكين كان مخطئاً؟ وأيّهما كان مصيباً؟ أم تقول: إنّهما كانا مخطئين؟ فجوابك في ذلك جوابي بعينه.

فقال يحيى: لست أقول: إنّ الملكين أخطآ ، بل أقول: إنّهما أصابا؛ وذلك أنّهما لم يختصما في الحقيقة ولااختلفا في الحكم، وإنّما أظهرا ذلك لينبّها داود عليه السلام على الخطيئة ويعرّفاه الحكم ويوقفاه عليه.

قال: فقلت له: كذلك عليّ والعبّاس لم يختلفا في الحكم ولم يختصما في الحقيقة وإنّما أظهرا الاختلاف والخصومة لينبّها أبا بكر على غلطه ويوقفاه على خطيئته ويدلّاه على ظلمه لهما في الميراث، ولم يكونا في ريب من أمرهما، وإنّما كان ذلك منهما على حدّ ماكان من الملكين. فلم يحر جواباً، واستحسن ذلك الرشيد[١].

(١٩٦)

هشام وعبدالله بن يزيد

وأخبرني الشيخ أيضاً قال: أحبّ الرشيد أن يسمع كلام هشام بن الحكم

---

(١) البحار: ج١٠ ص٢٩٣ وج٨ ص٨٥ ط الكمباني

مع الخوارج، فأمر باحضار هشام بن الحكم وإحضار عبدالله بن يزيد الأباضي، وجلس حيث يسمع كلامهما ولايرى القوم شخصه، وكان بالحضرة يحيى بن خالد.

فقال يحيى لعبدالله بن يزيد: سل أبا محمد -يعني هشاماً- عن شيْ. فقال هشام: لامسألة للخوارج علينا. فقال عبدالله بن يزيد: وكيف ذلك؟ فقال هشام: لأنكم قوم قد اجتمعتم معنا على ولاية رجل وتعديله والإقرار بامته وفضله، ثمّ فارقتمونا في عداوته والبراءة منه، فنحن على إجماعنا وشهادتكم لنا، وخلافكم علينا غير قادح في مذهبنا ودعواكم غير مقبولة علينا، إذ الاختلاف لايقابل الاتّفاق، وشهادة الخصم لخصمه مقبولة، وشهادته عليه مردودة.

قال يحيى بن خالد: لقد قرَّبت قطعه ياأبا محمّد! ولكن جاره شيئاً، فانّ أميرالمؤمنين-أطال الله بقاه- يحبّ ذلك. قال: فقال هشام: أنا أفعل ذلك، غير أن الكلام ربّما انتهى إلى حدّ يغمض ويدُقّ على الأفهام فيعاند أحد الخصمين أو يشتبه عليه؛ فان أحبّ الإنصاف فليجعل بيني وبينه واسطة عدلاً، إن خرجت عن الطريق ردّني إليه، وإن جار في حكمه شهد عليه. فقال عبدالله بن يزيد: لقد دعا أبومحمّد إلى الإنصاف.

فقال هشام: فمن يكون هذه الواسطة؟ ومايكون مذهبه؟ أيكون من أصحابي أو من أصحابك أو مخالفاً للملّة لنا جميعاً؟ قال عبدالله بن يزيد: اختر من شئت فقد رضيت به. قال هشام: أمّا أنا فأرى أنّه إن كان من أصحابي لم يؤمن عليه العصبية لي، وإن كان من أصحابك لم آمنه في الحكم عليّ، وإن كان مخالفا لنا جميعاً لم يكن مأمونا عليّ ولا عليك، ولكن يكون رجلاً من أصحابي ورجلاً من أصحابك فينظران فيما بيننا ويحكمان علينا بموجب الحقّ ومحضّ الحكم بالعدل. فقال عبدالله بن يزيد: فقد أنصفت ياأبا محمد! وكنت أنتظر هذا منك.

فأقبل هشام على يحيى بن خالد: فقال له قد قطعته أيّها الوزير ودمّرت على مذاهبه كلّها بأهون سعي، ولم يبق معه شيء واستغنيت عن مناظرته!

قال: فحرك الستر الرشيد، وأصغى يحيى بن خالد، فقال: هذا متكلّم الشيعة واقف الرجل مواقفة لم يتضمّن مناظرة ثمّ ادّعى عليه أنّه قد قطعه وأفسد مذهبه! فره أن يبيّن عن صحّة ماادّعاه على الرجل. فقال يحيى بن خالد لهشام: إنّ أميرالمؤمنين يأمرك أن تكشف عن صحّة ماادّعيت على هذا الرجل.

قال: فقال هشام رحمه الله: إنّ هؤلاء القوم لم يزالوا معنا على ولاية أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام حتّى كان من أمر الحكمين ماكان فأكفروه بالتحكيم وضلّلوه بذلك، وهم الذين اضطّروه إليه، والآن فقد حكّم هذا الشيخ وهو عماد أصحابه مختاراً غير مضطرّ رجلين مختلفين في مذهبهما: أحدهما يكفّره والآخر يعدّله، فان كان مصيباً في ذلك فأميرالمؤمنين أولى بالصواب، وإن كان مخطئاً كافراً فقد أراحنا من نفسه بشهادته بالكفر عليها، والنظر في كفره وإيمانه أولى من النظر في إكفاره عليّاً عليه السلام.

قال: فاستحسن ذلك الرشيد، وأمر بصلته وجائزته[1].

(١٩٧)
هشام ورجل

وقال الشيخ ـ أدام الله عزّه ـ: سئل هشام بن الحكم ـ رحمة الله عليه ـ عمّا يرويه العامّة من قول أميرالمؤمنين عليه السلام لمّا قبض عمر وقد دخل عليه وهو مسجّى: «لوددت أن ألقى الله بصحيفة هذا المسجّى»، وفي حديث آخر: «إنّي لأرجو أن ألقى الله تعالى بصحيفة هذا المسجّى» فقال هشام: هذا حديث غير ثابت ولامعروف الإسناد، وإنّما حصل من جهة القصّاص

(١) البحار: ج١٠ ص٢٩٤. وج٨ ص٥٧٠ ط الكمباني.

وأصحاب الطرقات، ولو ثبت لكان المعنى فيه معروفاً، وذلك: أنّ عمر واطأ أبا بكر والمغيرة وسالماً مولى أبي حذيفة وأبا عبيدة على كتب صحيفة بينهم يتعاقدون فيها على أنّه إذا مات رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يورّثوا أحداً من أهل بيته ولم يولّوهم مقامه بعده، وكانت الصحيفة لعمر، إذ كان عماد القوم فالصحيفة التي ودّ أميرالمؤمنين عليه السلام ورجا أن يلقى الله عزّوجلّ بها هي هذه الصحيفة ليخاصمه بها ويحتجّ عليه بمضمونها.

والدليل على ذلك ماروته العامّة عن أُبي بن كعب: أنّه كان يقول في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله بعد أن افضي الأمر إلى أبي بكر لصوت يسمعه أهل المسجد: ألا هلك أهل العقدة! والله ماآسى عليهم! إنّما آسى على من يضلّون من الناس! فقيل له: ياصاحب رسول الله! من هؤلاء أهل العقدة؟ وماعقدتهم؟ فقال: قوم تعاقدوا بينهم إن مات رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يورّثوا أحداً من أهل بيته ولم يولّوهم مقامه، أما والله! لئن عشت إلى يوم الجمعة لأقومنّ فيهم مقاماً أبيّن للناس أمرهم. قال: فما أتت عليه الجمعة [1].

(١٩٨)

هشام والمتكلمون

الاختصاص للمفيد ـ رحمه الله ـ: أحمد بن الحسن، عن عبدالعظيم بن عبدالله، قال: قال هارون الرشيد لجعفر بن يحيى البرمكي: إنّي احبّ أن أسمع كلام المتكلّمين من حيث لايعلمون بمكاني، فيحتّجون عن بعض مايريدون.

فأمر جعفر المتكلمين فاحضروا داره، وصار هارون في مجلس يسمع كلامهم، وأرخى بينه وبين المتكلّمين ستراً. فاجتمع المتكلّمون وغصّ المجلس

(١) البحار: ج١٠ ص٢٩٧ عن الفصول المختارة: ج١ ص٥٨.

بأهله ينتظرون هشام بن الحكم، فدخل عليهم وعليه قميص إلى الركبة وسراويل إلى نصف الساق، فسلّم على الجميع ولم يخصّ جعفراً بشيء!

فقال له رجل من القوم: لم فضّلت علياً على أبي بكر، والله يقول: «ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إنّ الله معنا»؟

قال هشام: فأخبرني عن حزنه في ذلك الوقت، أكان لله رضى أم غير رضى؟ فسكت. فقال هشام: إن زعمت أنّه كان لله رضى، فلم نهاه رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: «لاتحزن»؟ أنهاه عن طاعة الله ورضاه؟ وإن زعمت أنّه كان لله غير رضى، فلم تفتخر بشيء كان لله غير رضى؟ وقد علمت ماقال الله تبارك وتعالى حين قال: «فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين».

ولأنكم قلتم وقلنا وقالت العامّة: «الجنّة تشتاق إلى أربعة نفر: عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والمقداد بن الأسود، وعمّار بن ياسر، وأبي ذرّ الغفاري» فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة، وتخلّف عنها صاحبكم، ففضّلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقلتم وقلنا وقالت العامّة: «إنّ الذابين عن الإسلام أربعة نفر: عليّ بن أبي طالب عليه السلام والزبير بن العوّام، وأبو دجانة الأنصاري، وسلمان الفارسي» فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة وتخلّف عنها صاحبكم، ففضّلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقلتم وقلنا وقالت العامّة: «إنّ القرّاء أربعة نفر: عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعبدالله بن مسعود، وابّي بن كعب، وزيد بن ثابت» فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة، وتخلّف عنها صاحبكم، ففضّلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقلتم وقلنا وقالت العامّة: «إنّ المطهّرين من السماء أربعة نفر: عليّ بن أبي

طالب، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام» فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة، وتخلّف عنها صاحبكم، ففضّلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقلتم وقلنا وقالت العامّة: «انّ الأبرار أربعة: عليّ بن أبي طالب، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام» فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة، وتخلّف عنها صاحبكم، ففضّلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقلتم وقلنا وقالت العامّة: «إنّ الشهداء أربعة نفر: عليّ بن أبي طالب، وجعفر، وحمزة، وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب» فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة، وتخلّف عنها صاحبكم، ففضّلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

قال: فحرّك هارون الستر، وأمر جعفر الناس بالخروج، فخرجوا مرعوبين وخرج هارون إلى المجلس فقال: من هذا ابن الفاعلة؟ فوالله لقد هممت بقتله وإحراقه بالنار![1].

(١٩٩)
هشام وعمرو بن عبيد

عن يونس بن يعقوب، قال: كان عند أبي عبدالله الصادق عليه السلام جماعة من أصحابه؛ فيهم حمران بن أعين، ومؤمن الطاق، وهشام بن سالم، والطيّار، وجماعة من أصحابه، فيهم هشام بن الحكم وهو شابّ. فقال أبو عبدالله عليه السلام: ياهشام! قال: لبّيك يابن رسول الله! قال: ألا تحدّثني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟ قال هشام: جعلت فداك يابن

(١) البحار: ج١٠ ص٢٩٧-٢٩٨. عن الاختصاص: ص٩٦ - ٩٨.

رسول الله! إنّي اجلّك وأستحيك ولايعمل لساني بين يديك. فقال أبو عبدالله عليه السلام: إذا أمرتكم بشيءفافعلوا.

قال هشام: بلغني ماكان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، وعظم ذلك عليَّ، فخرجت إليه ودخلت البصرة في يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة، فاذا أنا بحلقة كبيرة، وإذا أنا بعمرو بن عبيد عليه شملة سوداء متّزر بها من صوف وشملة مرتدٍ بها، فاستفرجت الناس فأفرجوا، ثمّ قعدت في آخر القوم على ركبتي.

ثمّ قلت: أيّها العالم! أنا رجل غريب تأذن لي فأسألك عن مسألة؟ قال: فقال: نعم.

قال: قلت له: ألك عين؟ قال: يابنيّ! أي شي هذا من السؤال؟! فقلت: هكذا مسألتي. فقال: يابنيّ! سل وإن كانت مسألتك حمقاء! قلت: أجبني فيها. قال: فقال لي: سل. قلت:ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما ترى به؟ قال: الألوان والأشخاص. قال: قلت: فلك أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: اتشمّم بها الرائحة. قال: قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قال: قلت: وماتصنع به؟ قال: أتكلّم به. قال: قلت: ألك اذن؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الأصوات. قال: قلت: ألك يد؟ قال: نعم، قلت: وماتصنع بها؟ قال: أبطش بها. قال: قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت:وماتصنع به؟ قال: اميّز كلّ ماورد على هذه الجوارح.

قال: قلت: أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ قال: لا، قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟ قال: يابنيّ! إنّ الجوارح إذا شكّت في شئ شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته أو لمسته ردّته إلى القلب فييقن اليقين ويبطل الشكّ. قال: فقلت: إنّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح! قال: نعم. قال: قلت: فلا بدّ من القلب وإلّا لم تستقم الجوارح،قال: نعم. قال: قلت:

يـاأبامروان! إن الله ـتعالى ذكره ـ لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح ويـيقن ماشكّ فيه، وترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم لايقيم لهم يردون إليه شكّهم وحيرتهم ويقيم لك اماماً لجوارحك تردّ إليه حيرتك وشكك؟ قال: فسكت ولم يقل شيئاً. قال: ثمّ التفت إليّ، فقال: أنت هشام؟ فقلت: لا، فقال لي: أجالسته؟ فقلت: لا. قال: فمن أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: فأنت إذاً هو. قال: ثمّ ضمّني إليه وأقعدني في مجلسه ومانطق حتّى قمت.

فضحك أبو عبدالله عليه السلام ثمّ قال: ياهشام! من علّمك هذا؟ قال: قلت: ياابن رسول الله! جرى على لساني. قال: ياهشام! هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى[1].

(٢٠٠)

هشام بن الحكم والديصاني

عن عدّة من أصحابنا: أنّ عبدالله الديصاني أتى هشام بن الحكم. فقال له: ألك ربّ؟ فقال: بلى. قال: قادر؟ قال: بلى قادر قاهر. قال: يقدر أن يدخل الدنيا كلّها في بيضة لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا؟ فقال: هشام: النظرة. فقال له: قد أنظرتك حولاً، ثمّ خرج عنه.

فركب هشام إلى أبي عبدالله عليه السلام فاستأذن عليه، فأذن له. فقال: ياابن رسول الله! أتاني عبدالله الديصاني بمسألة ليس المعوّل فيها إلّا على الله وعليك. فقال: أبو عبدالله عليه السلام: عمّا ذا سألك؟ فقال: قال لي: كيت وكيت.

---

(١) البحار: ج٦١ ص٢٤٨-٢٤٩ عن الكافي: ج١ ص١٦٩-١٧٠؛ والبحار: ج٢٣ ص٦ عن الإكمال والعلل والأمالي.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: ياهشام! كم حواسّك؟ قال: خمس. فقال: أيّها أصغر؟ فقال: الناظر، قال: وكم قدر الناظر؟ قال: مثل العدسة أو أقل منها. فقال: ياهشام! فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترى. فقال: أرى سماءً وأرضاً ودوراً وقصوراً وتراباً وجبالاً وأنهاراً.

فقال له أبو عبدالله عليه السلام: إنّ الذي قدر أن يدخل الذي تراه في العدسة أو أقلّ منها قادر أن يدخل الدنيا كلّها البيضة ولا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة. فانكبّ هشام عليه وقبّل يديه ورأسه ورجليه، وقال: حسبي يابن رسول الله!

فانصرف إلى منزله وغدا عليه الديصاني، فقال له: ياهشام! إنّي جئتك مسلّماً ولم أجئك متقاضياً للجواب. فقال له هشام: إن كنت جئت متقاضياً فهاك الجواب[1].

(٢٠١)

علي بن ميثم مع العلّاف

قال السيّد المرتضى ـ رحمه الله ـ في كتاب الفصول: سأل عليّ بن ميثم ـ رحمه الله ـ أبا الهذيل العلّاف، فقال: ألست تعلم أنّ إبليس ينهى عن الخير كلّه ويأمر بالشرّ كلّه؟ فقال: بلى. قال فيجوز أن يأمر بالشر كلّه وهو لايعرفه وينهى عن الخير كلّه وهو لايعرفه؟ قال: لا. قال له أبو الحسن: فقد ثبت أنّ إبليس يعلم الشرّ والخير كلّه. قال: أبو الهذيل: أجل.

قال: فأخبرني عن إمامك الذي تأتمّ به بعد الرسول صلّى الله عليه وآله هل يعلم الخير كله والشرّ كلّه؟ قال: لا. قال: فإبليس أعلم من إمامك إذاً! فانقطع أبو الهذيل[2].

---

(١) البحار: ج٦١ ص٢٥٢-٢٥٣ عن التوحيد.

(٢) البحار: ج١٠ ص٣٧٠ عن الفصول المختارة: ج١ ص٦.

(٢٠٢)

عليّ بن ميثم مع العلّاف

قال أبو الحسن عليّ بن ميثم يوماً آخر لأبي الهذيل: أخبرني عمّن أقرّ على نفسه بالكذب وشهادة الزور هل يجوز شهادته في ذلك المقام على آخر؟ فقال أبو الهذيل: لايجوز ذلك،قال أبو الحسن: أفلست تعلم أنّ الأنصار ادّعت الإمرة لنفسها ثمّ أكذبت نفسها في ذلك المقام؟ وشهدت بالزور ثمّ أقرّت بها لأبي بكر وشهدت بها له؟ فكيف تجوز شهادة أكذبوا أنفسهم وشهدوا عليها بالزور مع ماأخذنا رهنك من القول في ذلك؟[1].

(٢٠٣)

عليّ بن ميثم مع ضرار

أخبرني الشيخ أيضاً، قال: جاء ضرار إلى أبي الحسن عليّ بن ميثم ـرحمه الله- فقال له: ياأبا الحسن! قد جئتك مناظراً. فقال له أبو الحسن: وفيم تناظرني؟ قال: في الإمامة. قال: ماجئتني والله مناظراً! ولكنّك جئت متحكّما. قال ضرار: ومن أين لك ذلك؟ قال أبو الحسن: عليّ البيان عنه، أنت تعلم أنّ المناظرة ربّما انتهت إلى حدّ يغمض فيه الكلام، فيتوجّه الحجّة على الخصم فيجهل ذلك أو يعاند، وإن لم يشعر بذلك منه أكثر مستمعيه بل كلّهم، ولكنّني أدعوك إلى منصفة في القول، اختر أحد الأمرين: إمّا أن تقبل قولي في صاحبي وأقبل قولك في صاحبك، فهذه واحدة. فقال ضرار: لا أفعل ذلك. فقال له أبو الحسن:ولم لا تفعل؟ قال: لأنّي إذا قبلت قولك في صاحبك قلت لي: إنّه كان وصيّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وأفضل

---

(١) البحار: ج١٠ ص ٣٧١عن الفصول المختارة: ج١ ص٦.

من خلفه وخليفته على قومه وسيّد المسلمين، فلا ينفعني بعد ذلك مثل أن أقول: إنّ صاحبي كان صدّيقاً واختاره المسلمون إماماً، لأنّ الذي قبلته منك يفسد عليّ هذا.

قال أبو الحسن: فاقبل قولي في صاحبك وأقبل قولك في صاحبي. قال ضرار: وهذا لايمكن أيضاً، لأنّي إذا قبلت قولك في صاحبي قلت لي: كان ضالّا مضلّاً ظالماً لآل محمّد صلّىٰ الله عليه وآله قعد غير مجلسه ودفع الإمام عن حقّه وكان في عصر النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله منافقاً، فلا ينفعني قبولك قولي فيه: إنّه كان خيّراً فاضلاً وصاحباً أميناً، لأنّه قد انتقض بقبولي قولك فيه: إنّه كان ضالاً مضلّاً.

فقال له أبو الحسن ـ رحمه الله ـ: فاذا كنت لا تقبل قولك في صاحبك ولاقولي فيه فما جئتني إلاّ متحكّما ولم تأتني مناظراً[1].

(٢٠٤)

عليّ بن ميثم مع نصرانيّ

قال: وأخبرني الشيخ ـ أيّده الله ـ قال: قال أبو الحسن عليّ بن ميثم ـ رحمه الله ـ لرجل نصرانيّ: لم علّقت الصليب في عنقك؟ قال: لأنّه شبه الشيء الذي صلب عليه عيسى عليه السلام، قال أبو الحسن: أفكان عليه السلام يحبّ أن يمثّل به؟ قال: لا. قال: فأخبرني عن عيسى أكان يركب الحمار ويمضي في حوائجه؟ قال: نعم، قال: أفكان يحبّ بقاء الحمار حتى يبلغ عليه حاجته؟ قال: نعم، قال: فتركت ماكان يحبّ عيسى بقاءه وماكان يركبه بمحبّة منه، وعمدت إلى ماحمل عليه عيسى عليه السلام بالكره وأركبه بالبغض له، فعلّقته في عنقك! فقد كان ينبغي على هذا القياس أن

---

(١) البحار: ج١٠ ص٣٧١-٣٧٢ عن الفصول المختارة: ج١ ص١٠-١١.

تعلّق الحمار في عنقك وتطرح الصليب، وإلّا فقد تجاهلت[١].

(٢٠٥)

عليّ بن ميثم مع سائل

قال: وأخبرني الشيخ ـأدام الله عزّهـ قال: سئل أبو الحسن عليّ بن ميثم ـرحمه الله ـ فقيل له: لم صلّى أميرالمؤمنين عليه السلام خلف القوم؟ فقال: جعلهم بمثل سواري المسجد. قال السائل: فلم ضرب الوليد بن عقبة الحدّ بين يدي عثمان؟ فقال: لأنّ الحدّ له وإليه، فاذا أمكنه إقامته أقامه بكلّ حيلة. قال: فلم أشار على أبي بكر وعمر؟ قال: طلباً منه أن يحيي أحكام الله ويكون دينه القيّم، كما أشار يوسف على ملك مصر نظراً منه للخلق؛ ولأنّ الأرض والحكم فيها إليه، فاذا أمكنه أن يظهر مصالح الخلق فعل، وإذا لم يمكنه ذلك بنفسه توصّل إليه على يدي من يمكنه طلباً منه لاحياء أمر الله تعالى.

قال: فلم قعد عن قتالهم؟ قال: كما قعد هارون بن عمران عليه السلام عن السامري وأصحابه وقد عبدوا العجل. قال: أفكان ضعيفا؟ قال: كان كهارون حيث يقول: «يابن امّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني» وكان كنوح عليه السلام إذ قال: «إنّي مغلوب فانتصر» وكان كلوط عليه السلام إذ قال: «لو أنّ لي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد» وكان كهارون وموسى عليهما السلام إذ قال: «ربّ إنّي لا أملك إلّا نفسي وأخي»

قال: فلم قعد في الشورى؟ قال اقتداراً منه على الحجّة، وعلماً منه بأنّ القوم إن ناظروه وأنصفوه كان هو الغالب، ولو لم يفعل وجبت الحجّة عليه، لأنّ من كان له حقّ فدعي إلى أن يناظر فيه فان ثبت له الحجّة اعطيه، فلم

(١) البحار: ج١٠ ص٣٧٢ عن الفصول المختارة: ج١ ص٣٢.

يفعل بطل حقّه، وادخل بذلك الشبهة على الخلق، وقد قال يومئذ: اليوم ادخلت في باب إن انصفت فيه وصلت إلى حقّي، يعني أنّ أبابكر استبدّ بها يوم السقيفة ولم يشاور.

قال: فلم زوّج عمر بن الخطّاب ابنته؟ قال: لإظهاره الشهادتين وإقراره بفضل رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأراد بذلك استصلاحه وكفّه عنه، وقد عرض لوط بناته على قومه وهم كفّار لردّهم عن ضلالهم، فقال: «هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم فاتّقوا الله ولاتخزوني في ضيفي أليس منكم رجل رشيد»[1].

(٢٠٦)

عليّ بن ميثم مع ملحد

قال: وأخبرني الشيخ ـ أدام الله عزّه ـ أيضاً، قال: دخل أبو الحسن عليّ ابن ميثم ـ رحمه الله ـ على الحسن بن سهل وإلى جانبه ملحد قد عظّمه والناس حوله. فقال: لقد رأيت ببابك عجباً! قال: وماهو؟ قال: رأيت سفينة تعبر بالناس من جانب إلى جانب بلا ملّاح ولا حاصر. فقال له صاحبه الملحد وكان بحضرته: إنّ هذا أصلحك الله لمجنون! قال: قلت: وكيف ذلك؟ قال خشب جماد لاحيلة له ولاقوّة ولاحياة فيه ولاعقل كيف تعبر بالناس؟ قال: فقال أبو الحسن: وأيّما أعجب، هذا أو هذا الماء الذي يجري على وجه الأرض يمنةً ويسرةً بلا روح ولاحيلة ولاقوى، وهذا النبات الذي يخرج من الأرض، والمطر الذي ينزل من السماء؟ تزعم أنّه لامدبّر لهذا كلّه، وتنكر أن تكون سفينة تتحرّك بلا مدبّر وتعبر بالناس! قال: فبهت الملحد[2].

---

(١) البحار: ج١٠ ص٣٧٣، ونبذأ منه ج٨ ط الكمباني ص١٤٤-١٤٥.

(٢) البحار: ج١٠ ص٣٧٤. وروضات الجنات: ج٦ ص١٦٧.

(٢٠٧)

عليّ بن ميثم مع العلّاف

قال: وأخبرني الشيخ -أدام الله عزّه- قال: سأل أبو الهذيل العلّاف عليّ ابن ميثم -رحمه الله- عند عليّ بن رياح، فقال له: ماالدليل على أنّ عليّاً عليه السلام كان أولى بالإمامة من أبي بكر؟ فقال له: الدليل عل ذلك إجماع أهل القبلة على أنّ عليّاً عليه السلام كان عند وفاة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله مؤمناً عالماً كافياً، ولم يجمعوا بذلك على أبي بكر.

فقال له أبو الهذيل: ومن لم يجمع عليه عافاك الله؟! قال له أبو الحسن: أنا وأسلافي من قبل وأصحابي الآن. قال له أبو الهذيل: فأنت وأصحابك ضلّال تائهون. فقال له أبو الحسن: ليس جواب هذا الكلام إلّا السباب واللطام[1].

(٢٠٨)

مجنون مع العلّاف

حكي عن أبي الهذيل العلّاف أنّه قال: دخلت الرقّة، فذكر لي أنّ بدير زكي [رجلاً] مجنوناً حسن الكلام، فأتيته فاذا أنا بشيخ حسن الهيئة جالساً على وسادة يسرّح رأسه ولحيته، فسلّمت عليه، فردّ السلام.

وقال: ممّن يكون الرجل؟ قال: قلت: من أهل العراق قال: نعم! أهل الظرف والآداب. قال: من أيّها أنت؟ قلت: من أهل البصرة،قال: أهل التجارب والعلم! قال: [فمن] أيّهم أنت؟ قلت: أبو الهذيل العلّاف، قال: المتكلّم؟ قلت: بلى، فوثب عن وسادته وأجلسني عليها.

---

(١) البحار: ج١٠ ص٣٧٤ عن الفصول المختارة: ج١ ص٥٥.

ثمّ قال بعد كلام جرى بيننا: ماتقول في الإمامة؟ قلت: أيّ الامامة تريد؟ قال: من تقدّمون بعد النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله؟ قلت: من قدّم رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله،قال: ومن هو؟ قلت: أبو بكر. قال لي: ياأبا الهذيل! ولم قدّمتموه؟ قلت: لأنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله قال: «قدّموا خيركم وولّوا أفضلكم» وتراضى الناس به جميعاً.

قال: ياأبا الهذيل! هاهنا وقعت. أمّا قولك: إنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله قال: «قدمّوا خيركم وولّوا أفضلكم» فانّي اوجدك أنّ أبابكر صعد المنبر وقال: ولّيتكم ولست بخيركم! فان كانوا كذبوا عليه فقد خالفوا أمر النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله،وإن كان هو الكاذب على نفسه فمنبر النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله لايصعده الكاذبون. وأمّا قولك: «إنّ الناس تراضوا به» فانّ أكثر الأنصار قالوا: منّا أمير ومنكم أمير. وأمّا المهاجرون: فانّ زبير بن العوّام قال: لاابايع إلّا عليّاً فامر به فكسر سيفه، وجاء أبو سفيان بن حرب، فقال: ياأبا الحسن! إن شئت لأملأنّها خيلاً ورجالاً -يعني المدينة- وخرج سلمان فقال: «كردند ونكردند ونداننند كه چه كردند» والمقداد وأبو ذر فهؤلاء المهاجرون.

أخبرني ياأبا الهذيل! عن قيام أبي بكر على المنبر وقوله: «إنّ لي شيطاناً يعتريني فاذا رأيتموني مغضباً فاحذروني لاأقع في أشعاركم وأبشاركم» فهو يخبركم على المنبر أنّي مجنون! وكيف يحلّ لكم أن تولّوا مجنوناً؟.

وأخبرني ياأبا الهذيل! عن قيام عمر على المنبر وقوله: «وددت أنّي شعرة في صدر أبي بكر» ثمّ قام بعدها بجمعة، فقال: «إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرّها ، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه» فبينا هو يودّ أن يكون شعرة في صدر أبي بكر يأمر بقتل من بايع مثله!

فاخبرني ياأبا الهذيل! بالذي زعم أنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله لم

يستخلف وأنّ أبابكر استخلف عمر، وأنّ عمر لم يستخلف، فأرى أمركم بينكم متناقضاً.

وأخبرني ياأباالهذيل! عن عمر حين صيّرها شورى في ستّة وزعم أنّهم من أهل الجنة، فقال: إن خالف اثنان لأربعة فاقتلوا الاثنين، وإن خالف ثلاثة لثلاثة فاقتلوا الثلاثة الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف، فهذه ديانة أن يأمر بقتل أهل الجنّة؟!

وأخبرني ياأباالهذيل! عن عمر لـمّا طعن دخل عليه عبدالله بن العبّاس قال: فرأيته جزعاً، فقلت: ياأميرالمؤمنين! ماهذا الجزع؟ فقال: ياابن عبّاس! ماجزعي لأجلي ولكن جزعي لهذا الأمر من يليه بعدي؟!

قال: قلت: ولّها طلحة بن عبيدالله، قال: رجل له حدّة، كان النبيّ صلّى الله عليه وآله يعرفه، فلا اوّلي امور المسلمين حديداً.

قال: قلت: ولّها الزبير بن العوّام، قال: رجل بخيل،رأيته يماكس امرأته في كبّة من غزل، فلا اولّي امور المسلمين بخيلاً.

قال: قلت: ولّها سعد بن أبي وقّاص، قال: رجل صاحب فرس وقوس وليس من أحلاس الخلافة.

قلت: ولّها عبدالرحمن بن عوف، قال: رجل ليس يحسن أن يكفي عياله.

قال: قلت: ولّها عبدالله بن عمر، فاستوى جالساً وقال: ياابن عبّاس! ماوالله أردت بهذا اولّي رجلاً لم يحسن أن يطلّق امرأته.

قلت: ولّها عثمان بن عفّان، فقال: والله لئن ولّيته ليحملنّ آل أبي معيط على رقاب المسلمين وأوشك إن فعلنا أن يقتلوه، قالها ثلاثاً.

قال: ثمّ سكت لما عرفت معاندته لأميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب، فقال لي: ياابن عبّاس اذكر صاحبك ،قال: قلت: ولّها عليّاً، قال: والله

ماجزعي إلّا لما أخذت الحقّ من أربابه! والله لئن ولّيته ليحملنّهم على المحجّة العظمى وإن يطيعوه يدخلهم الجنّة.

فهو يقول هذا، ثمّ صيّراها شورى بين ستّة، فويل له من ربّه!

قال أبو الهذيل: بينا هو يكلّمني إذ اختلط وذهب عقله! فأخبرت المأمون بقصّته. وكان من قصّته أن ذهب بماله وضياعه حيلة وغدراً فبعث إليه المأمون فجاء به وعالجه؛ وكان قد ذهب عقله بما صنع به، فردّ عليه ماله وضياعه وصيّره نديماً. فكان المأمون يتشيّع من أجله[1].

أقول: لابأس هنا بنقل احتجاج المأمون مع العلماء، وان كان خارجاً عن شرط الكتاب.

(٢٠٩)

المأمون العبّاسي مع أهل الحديث والكلام

روي عن إسحاق بن حمّاد بن زيد، قال: سمعنا يحيى بن أكثم القاضي قال: أمرني المأمون بإحضار جماعة من أهل الحديث وجماعة من أهل الكلام والنظر، فجمعت له من الصنفين زهاء أربعين رجلاً، ثمّ مضيت بهم فأمرتهم بالكينونة في مجلس الحاجب لاعلمه بمكانهم، ففعلوا، فأعلمته، فأمرني بإدخالهم، ففعلت، فدخلوا وسلّموا، فحدّثهم ساعة وآنسهم.

ثمّ قال: إنّي اريد أن أجعلكم بيني وبين الله تبارك وتعالى في يومي هذا حجّة، فمن كان حاقناً أو به حاجة فليقم إلى قضاء حاجته، وانبسطوا وسلّموا أخفافكم وضعوا أرديتكم، ففعلوا ماامروا به.

فقال: ياأيّها القوم! إنّما استحضرتكم لأحتجّ بكم عند الله عزّوجلّ، فاتقّوا الله وانظروا لأنفسكم وإمامكم! ولا تمنعكم جلالتي ومكاني من قول

---

(١) الاحتجاج ج٢ ص٣٨٢ والبحار ج٤٩ ص٢٧٩-٢٨١ عنه وج٨ ص٣٢٩ ط الكمباني وفي الهامش: نقلها أيضاً تذكرة الخواص ت عقلاء المجانين.

الحقّ حيث كان وردّ الباطل على من أتى به، وأشفقوا على أنفسكم من النار، وتقرّبوا إلى الله برضوانه وإيثار طاعته، فما أحد تقرّب إلى مخلوق بمعصية الخالق إلاّ سلّطه الله عليه، فناظروني بجميع عقولكم.

إنّي رجل أزعم أنّ علياً خير البشر بعد النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله،فان كنت مصيباً فصوّبوا قولي، وإن كنت مخطئاً فردّوا عليّ. وهلمّوا، فان شئتم سألتكم وإن شئتم سألتموني.

فقال له الذين يقولون بالحديث: بل نسألك. فقال: هاتوا، وقلّدوا كلامكم رجلاً منكم، فاذا تكلّم فان كان عند أحدكم زيادة فليزد، وإن أتى بخلل فسدّدوه.

فقال قائل منهم: أمّا نحن فنزعم أنّ خير الناس بعد النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله أبو بكر، من قبل أنّ الرواية المجمع عليها جاءت عن الرسول صلّىٰ الله عليه وآله قال: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر» فلمّا أمر نبيّ الرحمة بالاقتداء بهما، علمنا أنّه لم يأمر بالاقتداء إلّا بخير الناس.

فقال المأمون: الروايات كثيرة، ولابدّ من أن يكون كلّها حقّاً، أو كلّها باطلاً، أو بعضها حقّاً وبعضها باطلاً.فلو كانت كلها حقاً كانت كلها باطلاً من قبل أن بعضها ينقض بعضاً ولو كانت كلها باطلاً كان في بطلانها بطلان الدين ودروس الشريعة. فلمّا بطل الوجهان ثبت الثالث بالاضطرار، وهو أن بعضها حقّ وبعضها باطل، فاذا كان كذلك، فلا بدّ من دليل على مايحقّ منها ليعتقد وينفي خلافه، فاذا كان دليل الخبر في نفسه حقّاً كان أولى ماأعتقده وآخذ به.

وروايتك هذه من الأخبار التي أدلّتها باطلة في نفسها، وذلك أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله أحكم الحكماء وأولى الخلق بالصدق وأبعد الناس من الأمر بالمحال وحمل الناس على التدين بالخلاف، وذلك أنّ هذين

الرجلين لايخلوا من أن يكونا متفقين من كلّ جهة أو مختلفين، فان كانا متّفقين من كلّ جهة كانا واحداً في العدد والصفة والصورة والجسم، وهذا معدوم أن يكون اثنان بمعنى واحد من كلّ جهة. وإن كانا مختلفين، فكيف يجوز الاقتداء بهما؟ وهذا تكليف مالايطاق، لأنّك إن اقتديت بواحد خالفت الآخر.

والدليل على اختلافهما: أنّ أبا بكر سبى أهل الردّة، وردّهم عمر أحراراً. وأشار عمر على أبي بكر بعزل خالد وبقتله بمالك بن نويرة، فأبى أبو بكر عليه. وحرّم عمر المتعة، ولم يفعل ذلك أبو بكر. ووضع عمر ديوان العطيّة، ولم يفعله أبو بكر. واستخلف أبو بكر، ولم يفعل ذلك عمر. ولهذا نظائر كثيرة[1].

فقال آخر من أصحاب الحديث: فانّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله قال: لو كنت متّخذاً خليلاً لاتّخذت أبا بكر خليلاً.

فقال المأمون: هذا مستحيل، من قبل أنّ رواياتكم أنّه صلّىٰ الله عليه وآله آخى بين أصحابه وأخّر عليّاً، فقال عليه السلام له في ذلك؟ فقال: «ماأخّرتك إلّا لنفسي» فأيّ الروايتين ثبتت بطلت الاخرى.

قال آخر: إنّ عليّاً قال على المنبر: خير هٰذه الامّة بعد نبيّها أبو بكر وعمر.

قال المأمون: هذا مستحيل، من قبل أنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله لو علم أنّهما أفضل ماولّى عليهما مرّة عمرو بن العاص ومرّة اسامة بن زيد،

---

(١) هنا كلام للصدوق رحمه الله قال في هذا الفصل لم يذكره المأمون لخصمه، وهو أنهم لم يرووا أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله قال: «اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر» وانما رووا «ابو بكر وعمر» ومنهم من روى «ابا بكر وعمر» فلو كانت الرواية صحيحة لكان معنى قوله بالنصب «اقتدوا بالذين من بعدي كتاب الله والعترة يا ابا بكر وعمر» ومعنى قوله بالرفع «اقتدوا ايها الناس وأبوبكر، وعمر بالذين من بعدي: كتاب الله والعترة».

وممّا يكذب هذه الرواية قول عليّ عليه السلام: قبض النبيّ وأنا أولى بمجلسه منّي بقميصي ولكنّي أشفقت أن يرجع الناس كفّاراً. وقوله عليه السلام: أنّى يكونان خيراً منّي؟ وقد عبدت الله عزّوجلّ قبلهما وعبدته بعدهما.

قال آخر: فانّ أبا بكر أغلق بابه وقال: هل من مستقيل فاقيله؟ فقال عليّ عليه السلام: قدّمك رسول الله فمن ذا يؤخّرك ؟

فقال المأمون: هذا باطل، من قبل أنّ عليّاً عليه السلام قعد عن بيعة أبي بكر، ورويتم أنّه قعد عنها حتّى قبضت فاطمة عليها السلام،وأنّها أوصت أن تدفن ليلاً لئلا يشهدا جنازتها.

ووجه آخر: وهو أنّه إن كان النبيّ صلّى الله عليه وآله استخلفه فكيف كان له أن يستقيل؟ وهو يقول للأنصارى: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين:أبا عبيدة وعمر!

قال آخر: إنّ عمرو بن العاص قال: يانبيّ الله! من أحبّ الناس إليك من النساء؟ فقال: عائشة. فقال: من الرجال؟ فقال: أبوها.

فقال المأمون: هذا باطل، من قبل أنكم رويتم أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وضع بين يديه طائر مشوي، فقال: «اللّهم إئتني بأحبّ خلقك إليك» فكان عليّ عليه السلام،فأيّ روايتكم تقبل؟

فقال آخر: فانّ عليّاً عليه السلام قال: من فضّلني على أبي بكر وعمر جلدته حدّ المفتري.

قال المأمون: كيف يجوز أن يقول عليّ عليه السلام اجلّد الحدّ من لايجب الحدُّ عليه؟ فيكون متعدياً لحدود الله عزّوجلّ عاملاً بخلاف أمره! وليس تفضيل من فضّله عليهما فرية، وقد رويتم عن إمامكم أنّه قال: «ولّيتكم ولست بخيركم» فأيّ الرجلين أصدق عندكم، أبو بكر على نفسه أو عليّ

على أبي بكر؟ مع تناقض الحديث في نفسه، ولابدّ له في قوله من أن يكون صادقاً أو كاذباً، فان كان صادقاً فأنّى عرف ذلك؟ أبوحيٍ؟ فالوحي منقطع، أو بالنظر؟فالنظر متحيّر، وإن كان غير صادق فمن المحال أن يلي أمر المسلمين ويقوم بأحكامهم ويقيم حدودهم [وهو] كذّاب.

قال آخر: فقد جاء أنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله قال: أبو بكر وعمر سيّدا كهول أهل الجنّة.

قال المأمون: هذا الحديث محال، لأنّه لايكون في الجنّة كهل، ويروى أنّ أشجعية كانت عند النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله فقال: «لايدخل الجنّة عجوز» فبكت! فقال النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله: إنّ الله عزّوجلّ يقول: «إنّا أنشأناهنّ إنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً» فان زعمتم أنّ أبابكر ينشأ شابّاً إذا دخل الجنّة، فقد رويتم أن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال للحسن والحسين: «إنّهماسيّدا شباب أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين، وأبوهما خير منهما».

قال آخر: فقد جاء أنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله قال: لو لم ابعث فيكم، لبعث عمر.

قال المامون: هذا محال، لأنّ الله عزّوجلّ يقول: «إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيّين من بعده» وقال عزّوجلّ: «وإذ أخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم» فهل يجوز أن يكون من لم يؤخذ ميثاقه على النبوّة مبعوثاً؟ ومن اخذ ميثاقه على النبوّة مؤخّراً؟!

قال آخر: إنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله نظر إلى عمر يوم عرفة فتبسّم وقال: إنّ الله تعالى باهى بعباده عامّةً وبعمر خاصّةً.

قال المأمون: فهذا مستحيل، من قبل أنّ الله تعالى لم يكن ليباهي بعمر

ويدع نبيّه، فيكون عمر في الخاصّة والنبيّ في العامّة! وليست هذه الرواية بأعجب من روايتكم: أنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله قال: «دخلت الجنّة فسمعت خفق نعلين، فاذا بلال مولى أبي بكر قد سبقني إلى الجنّة» وإنّما قالت الشيعة: «عليّ خير من أبي بكر» فقلتم: «عبد أبي بكر خير من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله» لأنّ السابق أفضل من المسبوق. وكما رويتم: أنّ الشيطان يفرّ من حسّ عمر، وألقى على لسان النبي صلّىٰ الله عليه وآله: أنّهنّ الغرانيق العلى؛ ففرّ من عمر وألقى على لسان النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله بزعمكم الكفر!

قال آخر: قد قال النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله: لو نزل العذاب مانجا إلّا عمر بن الخطاب.

قال المأمون: هذا خلاف الكتاب نصّاً، لأنّ الله عزّوجلّ يقول: «وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم» فجعلتم عمر مثل الرسول.

قال آخر: فقد شهد النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله لعمر بالجنّة في عشرة من الصحابة.

فقال: لو كان هذا كما زعمت كان عمر لايقول لحذيفة: نشدتك بالله أمن المنافقين أنا؟ فان كان قد قال له النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله :أنت من أهل الجنّة ولم يصدّقه حتّى زكاه حذيفة وصدّق حذيفة ولم يصدّق النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله فهذا على غير الإسلام، وإن كان قد صدّق النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله فلم سأل حذيفة؟ وهذان الخبران متناقضان في أنفسهما.

فقال آخر: فقد قال النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله: وضعت امّتي في كفّة الميزان ووضعت في اخرى فرجحت بهم، ثمّ وضع مكاني أبو بكر فرجح بهم، ثمّ عمر فرجح، ثمّ رفع الميزان.

فقال المأمون: هذا محال، من قبل أنّه لايخلو من أن يكون من أجسامهما

أو أعمالهما. فان كانت الأجسام، فلا يخفى على ذي روح أنّه محال، لأنّه لايرجح أجسامهما بأجسام الامّة. وإن كانت أفعالهما، فلم يكن بعد، فكيف يرجح بما ليس؟ وخبرّوني: بما يتفاضل بالناس؟ فقال بعضهم: بالأعمال الصالحة. قال: فأخبروني فمن فضل صاحبه على عهد النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله؟ ثمّ إنّ المفضول عمل بعد وفاة النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله بأكثر من عمل الفاضل على عهد النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله أيلحق به؟ فان قلتم: نعم، أوجدتكم في عصرنا هذا من هو أكثر جهاداً وحجّاً وصوماً وصلاةً وصدقة من احدهم . قالوا: صدقت لايلحق فاضل دهرنا فاضل عصر النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله.

قال المأمون: فانظروا فيما روت أئمّتكم الذين أخذتم عنهم أديانكم في فضائل عليّ عليه السلام وقايسوا إليها ماروووا في فضائل تمام العشرة الذين شهدوا لهم بالجنّة، فان كانت جزءاً من أجزاء كثيرة فالقول قولكم، وإن كانوا قد رووا في فضائل عليّ عليه السلام أكثر فخذوا عن أئمّتكم ماروووا ولا تعدوه. قال: فأطرق القوم جميعاً.

فقال المأمون: مالكم سكتم؟ قالوا: قد استقصينا.

قال المأمون: فانّي أسألكم خبّروني أيّ الأعمال كان أفضل يوم بعث الله نبيّه صلّىٰ الله عليه وآله؟ قالوا: السبق إلى الإسلام، لأنّ الله تبارك وتعالى يقول: «السابقون السابقون اولئك المقرّبون» قال: فهل علمتم أحداً أسبق من عليّ عليه السلام إلى الإسلام؟ قالوا: إنّه سبق حدثاً لم يجر عليه حكم، وأبو بكر أسلم كهلاً قد جرى عليه الحكم وبين هاتين الحالتين فرق.

قال المأمون: فخبّروني عن إسلام عليّ عليه السلام أبإلهام من قبل الله عزّوجلّ ، أم بدعاء النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله؟ فان قلتم: بإلهام، فقد

فضّلتموه على النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله؛لأنّ النبيّ لم يلهم بل أتاه جبرئيل عليه السلام عن الله عزّوجلّ داعياً ومعرّفاً، وإن قلتم: بدعاء النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله فهل دعاه من قبل نفسه أم بأمر الله عزّوجلّ؟ فان قلتم: من قبل نفسه، فهذا خلاف ماوصف الله عزّوجلّ نبيّه عليه السلام في قوله تعالى: «وماأنا من المتكلفّين» وفي قوله عزّوجلّ: «وماينطق عن الهوى» وإن كان من قبل الله عزّوجلّ، فقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلّىٰ الله عليه وآله بدعاء علي عليه السلام من بين صبيان الناس وإيثاره عليهم، فدعاه ثقة به وعلماً بتأييد الله تعالى إيّاه.

وخلّة اخرى: خبّروني عن الحكيم هل يجوز أن يكلّف خلقه مالايطيقون؟ فان قلتم: نعم، كفرتم ، وإن قلتم: لا، فكيف يجوز أن يأمر نبيّه صلّىٰ الله عليه وآله بدعاء من لم يمكنه قبول مايؤمر به، لصغره وحداثة سنّه وضعفه عن القبول.

وخلّة اخرى: هل رأيتم النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله دعا أحداً من صبيان أهله وغيرهم فيكون اسوة عليّ عليه السلام ؟فان زعمتم أنّه لم يدع غيره، فهذه فضيلة لعليّ عليه السلام على جميع صبيان الناس.

ثمّ قال: أيّ الأعمال أفضل بعد السبق إلى الإيمان؟ قالوا: الجهاد في سبيل الله. قال: فهل تحدّثون لأحد من العشرة في الجهاد ما لعليّ عليه السلام في جميع مواقف النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله من الأثر؟ هذه بدر قتل من المشركين فيها نيّف وستّون رجلاً، قتل عليّ عليه السلام منهم نيّفاً وعشرين، وأربعون لسائر الناس.

فقال قائل: كان أبو بكر مع النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله في عريشه يدبّرها.

فقال المأمون: لقد جئت بها عجيبة! أكان يدبّر دون النبيّ صلّىٰ الله

عليه وآله؟ أو معه فيشركه؟ أو لحاجة النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله إلى رأي أبي بكر؟ أيّ الثلاث أحبّ إليك؟ فقال: أعوذ بالله! من أن أزعم أنّه يدبّر دون النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله أو يشركه، أو بافتقار من النبيّ إليه.

قال: فما الفضيلة في العريش؟ فان كانت فضيلة أبي بكر بتخلّفه عن الحرب، فيجب أن يكون كلّ متخلّف فاضلاً أفضل من المجاهدين! والله عزّوجلّ يقول: «لايستوي القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلّاً وعد الله الحسنى وفضلّ الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً».

قال إسحاق بن حمّاد بن زيد: ثمّ قال لي: اقرأ «هل أتى على الإنسان حين من الدهر» فقرأت حتّى بلغت «ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً» إلى قوله: «وكان سعيكم مشكوراً» فقال: فيمن نزلت هذه الآيات؟ قلت: في عليّ عليه السلام قال: فهل بلغك أنّ عليّاً عليه السلام قال حين أطعم المسكين واليتيم والأسير: «إنّما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاءً ولاشكوراً» على ماوصف الله عزّوجلّ في كتابه؟ فقلت: لا. قال: فانّ الله عزّوجلّ عرف سريرة عليّ عليه السلام ونيّته، فأظهر ذلك في كتابه تعريفاً لخلقه أمره.

فهل علمت أنّ الله عزّوجلّ وصف في شيءممّا وصف في الجنّة مافي هذه السورة «قوارير من فضّة»؟ قلت: لا. قال: فهذه فضيلة اخرى، فكيف يكون القوارير من فضّة؟ قلت: لاأدري. قال: يريد كأنّها من صفائها من فضّة يرى داخلها كما يرى خارجها، وهذا مثل قوله صلّىٰ الله عليه وآله: «ياأبخشة رويداً سوقك بالقوارير!» وعنى به النساء كأنّهن القوارير رقّة. وقوله عليه السلام: «ركبت فرس أبي طلحة فوجدته بحراً» أي كانّه بحر من

كثرة جريه وعدوه. وكقول الله عزّوجلّ: «ويأتيه الموت من كلّ مكان وماهو بميّت ومن ورائه عذاب غليظ» أي كأنّه مايأتيه الموت ولو أتاه من مكان واحد لمات.

ثمّ قال: ياإسحاق! ألست ممّن يشهد أنّ العشرة في الجنّة؟ فقلت: بلى. قال: أرأيت لو أنّ رجلاً قال: ماأدري أصحيح هذا الحديث أم لا؛ أكان عندك كافراً؟ قلت: لا. قال: أفرأيت لو قال: ماأدري أهذه السورة قرآن أم لا، أكان عندك كافراً؟ قلت: بلى. قال: أرىٰ فضل الرجل يتأكّد.

خبّرني ياإسحاق! عن حديث الطائر المشويّ أصحيح عندك ؟ قال: بلى. قال: بان والله عنادك! لايخلو هذا إمّا أن يكون كما دعا النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله أو يكون مردوداً، أو عرف الله الفاضل من خلقه وكان المفضول أحبّ إليه، أو تزعم أنّ الله لم يعرف الفاضل من المفضول! فأيّ الثلاث أحبّ إليك أن تقول به؟.

قال إسحاق: فأطرقت ساعة، ثمّ قلت: ياأميرالمؤمنين! إنّ الله عزّوجلّ يقول في أبي بكر:«ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إنّ الله معنا» فنسبه الله عزّوجلّ إلى صحبة نبيّه صلّىٰ الله عليه وآله.

فقال: سبحان الله! ماأقلّ علمكم باللغة والكتاب! أما يكون الكافر صاحباً للمؤمن؟ فأيّ فضيلة في هذه؟ أما سمعت الله عزّوجلّ يقول: «قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثمّ من نطفة ثمّ سوّاك رجلاً» فقد جعله له صاحباً.

وقال الهذليّ:

ولقد غدوت وصاحبي وحشيّة تحت الرداء بصيرة بالمشرق

وقال الأزدي:

ولقد دعوت الوحش فيه وصاحبي محض القوائم من هجان هيكل

فصير فرسه صاحبه.

وأمّا قوله: «إنّ الله معنا» فانّه تبارك وتعالى مع البرّ والفاجر، أما سمعت قوله عزّوجلّ: «مايكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولاخمسة إلّا هو سادسهم ولاأدنى من ذلك ولاأكثر إلّا هو معهم أينما كانوا».

وأمّا قوله: «لاتحزن» فخبّرني عن حزن أبي بكر أكان طاعة أو معصية؟ فان زعمت أنّه كان طاعة، فقد جعلت النبيّ صلّى الله عليه وآله ينهى عن الطاعة، وهذا خلاف صفة الحكيم. وإن زعمت أنّه معصية، فأيّ فضيلة للعاصي؟

وخبّرني عن قوله عزّوجلّ: «فأنزل الله سكينته عليه» على من؟ قال إسحاق: فقلت: على أبي بكر، لأنّ النبيّ كان مستغنياً عن السكينة. قال: فخبّرني عن قوله عزّوجلّ: «ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثمّ ولّيتم مدبرين ثمّ أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين» أتدري من المؤمنون الذين أراد الله عزّوجلّ في هذا الموضع؟ قال: قلت: لا. قال: إنّ الناس انهزموا يوم حنين فلم يبق مع النبيّ صلّى الله عليه وآله إلّا سبعة من بني هاشم: عليّ عليه السلام يضرب بسيفه، والعبّاس أخذ بلجام بغلة النبيّ صلّى الله عليه وآله والخمسة محدقون بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم خوفاً من أن يناله سلاح الكفّار حتّى أعطى الله تبارك وتعالى رسوله عليه السلام الظفر، عنى بالمؤمنين في هذا الموضع: عليّاً عليه السلام ومن حضر من بني هاشم، فمن كان أفضل؟ أمن كان مع النبيّ صلّى الله عليه وآله ونزلت السكينة على النبيّ صلّى الله عليه وآله وعليه؟ أم من كان في الغار مع النبيّ صلّى الله عليه وآله ولم يكن أهلاً لنزولها عليه؟

ياإسحاق! من أفضل؟ من كان مع النبيّ صلّى الله عليه وآله في الغار،

أم من نام على مهاده ووقاه بنفسه حتّى تم للنبيّ صلّىٰ الله عليه وآله ماعزم عليه من الهجرة؟ إنّ الله تبارك وتعالى أمر نبيّه صلّىٰ الله عليه وآله أن يأمر عليّاً عليه السلام بالنوم على فراشه ووقايته بنفسه، فأمره بذلك، فقال عليّ عليه السلام: أتسلم يانبيّ الله؟ قال: نعم، قال: سمعاً وطاعة، ثمّ أتى مضجعه وتسجّى بثوبه وأحدق المشركون به، لايشكّون في أنّه النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وقد أجمعوا أن يضربه من كلّ بطن من قريش رجل ضربة لئلّا يطالب الهاشميّون بدمه، وعليّ عليه السلام يسمع ماالقوم فيه من التدبير في تلف نفسه؛ فلم يدعه ذلك إلى الجزع كما جزع أبو بكر في الغار، وهو مع النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وعليّ عليه السلام وحده، فلم يزل صابراً محتسباً، فبعث الله تعالى ملائكة تمنعه من مشركي قريش.

فلمّا أصبح قام فنظر القوم إليه، فقالوا: أين محمّد؟ قال: وماعلمي به؟ قالوا: فأنت غررتنا! ثمّ لحق بالنبيّ صلّىٰ الله عليه وآله.فلم يزل عليّ أفضل منه لما بدا منه [إلّا ما] يزيد خيراً، حتّى قبضه الله تعالى إليه وهو محمود مغفور له.

ياإسحاق! أما تروي حديث الولاية؟ فقلت: نعم، قال: إروه؛ فرويته. فقال: أما ترى أنّه أوجب لعليّ على أبي بكر وعمر من الحقّ مالم يوجب لهما عليه؟

قلت: إنّ الناس يقولون: إنّ هذا قاله بسبب زيد بن حارثة.

قال: وأين قال النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله هذا؟ قلت: بغدير خمّ بعد منصرفه من حجّة الوداع. قال: فمتى قتل زيد بن حارثة؟ قلت: بمؤتة. قال: أفليس قد كان قتل زيد بن حارثة قبل غدير خمّ؟ قلت: بلى. قال: فخبّرني لو رأيت ابناً لك أتت عليه خمس عشرة سنة يقول: مولاي مولى ابن عمّي أيّها الناس فاقبلوا، أكنت تكره ذلك؟ فقلت: بلى. قال: أفتنزّه ابنك عمّا

لا تنزّه النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله؟ ويحكم! أجعلتم فقهاءكم أربابكم؟ إنّ الله عزّوجلّ يقول: «اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله» والله ماصاموا لهم ولاصلّوا لهم ولكنّهم أمروا لهم فأُطيعوا.

ثمّ قال: أتروي قول النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله لعليّ: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى»؟ قلت: نعم. قال: أما تعلم أنّ هارون أخو موسى لأبيه وامه؟ قلت: بلى. قال: فعليٌّ كذلك؟ قلت: لا. قال: فهارون نبيّ وليس عليٌّ كذلك، فما المنزلة الثالثة إلّا الخلافة. وهذا كما قال المنافقون: إنّه استخلفه استثقالاً له، فأراد أن يطيّب نفسه، وهذا كما حكى الله عزّوجلّ عن موسى حيث يقول لهارون: «اخلفني في قومي وأصلح ولا تتّبع سبيل المفسدين».

فقلت: إنّ موسى خلف هارون في قومه وهو حيّ، ثمّ مضى إلى ميقات ربّه عزّوجلّ، وإنّ النبيّ خلف عليّاً عليه السلام حين خرج إلى غزاته.

فقال: أخبرني عن موسى حين خلف هارون، أكان معه ـحيث مضى إلى ميقات ربّه عزّوجلّـ أحد من أصحابه؟ فقلت: نعم. قال: أو ليس قد أستخلفه على جميعهم؟ قلت: بلى. قال: فكذلك عليّ عليه السلام خلفه النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله حين خرج في غزاته في الضعفاء والنساء والصبيان، إذ كان أكثر قومه معه وإن كان قد جعله خليفته على جميعهم، والدليل على أنّه جعله خليفة عليهم في حياته إذا غاب وبعد موته قوله عليه السلام: «عليّ بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لانبيّ بعدي» وهو وزير النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله أيضاً بهذا القول، لأنّ موسى عليه السلام قد دعا الله عزّوجلّ، فقال فيما دعى: «واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري» وإذا كان عليّ عليه السلام منه صلّىٰ الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى، فهو وزيره، كما كان هارون وزير موسى

عليه السلام وهو خليفته، كما كان هارون خليفة موسى عليه السلام.

ثمّ أقبل على أصحاب النظر والكلام، فقال: أسألكم أو تسألوني؟ قالوا: بل نسألك. فقال: قولوا.

فقال قائل منهم: أليست إمامة عليّ عليه السلام من قبل الله عزّوجلّ نقل ذلك عن رسول الله من نقل الفرض، مثل الظهر أربع ركعات، وفي مائتين درهم خمسة دراهم، والحجّ إلى مكّة؟ فقال: بلى. قال: فما بالهم لم يختلفوا في جميع الفرض واختلفوا في خلافة عليّ عليه السلام وحدها؟

قال المأمون: لأنّ جميع الفرض لايقع فيه من التنافس والرغبة مايقع في الخلافة.

فقال آخر: ماأنكرت أن يكون النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله أمرهم باختيار رجل يقوم مقامه رأفة بهم ورقّة عليهم أن يستخلف هو بنفسه، فيعصى خليفته، فينزل العذاب؟

فقال: أنكرت ذلك من قبل أنّ الله عزّوجلّ أرأف بخلقه من النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وقد بعث نبيّه صلّىٰ الله عليه وآله وهو يعلم أنّ فيهم العاصي والمطيع، فلم يمنعه ذلك من إرساله.

وعلّة اخرى: لو أمرهم باختيار رجل منهم كان لايخلو من أن يأمرهم كلّهم أو بعضهم، فلو كان أمر الكلّ من كان المختار؟ ولو أمر بعضاً دون بعض كان لايخلو من أن يكون على هذا البعض علامة، فان قلت: الفقهاء، فلا بدّ من تحديد الفقيه وسمته.

قال آخر: فقد روي أنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله قال: مارآه المسلمون حسناً فهو عند الله عزّوجلّ حسن، ومارأوه قبيحاً فهو عند الله تبارك وتعالىٰ قبيح.

فقال: هذا القول لابدّ من أن يريد كلّ المؤمنين أو البعض؟ فان أراد

الكلّ فهو مفقود، لأنّ الكلّ لايمكن اجتماعهم، وإن كان البعض فقد روي كلّ في صاحبه حسناً، مثل رواية الشيعة في عليّ عليه السلام،ورواية الحشويّة في غيره، فمتى يثبت مايريدون من الإمامة؟

قال آخر: فيجوز أن يزعم أنّ أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله أخطأوا؟

قال: كيف نزعم أنّهم أخطأوا واجتمعوا على ضلالة وهم لايعلمون فرضاً ولاسنّة؟ لأنّك تزعم أنّ الإمامة لافرض من الله عزّوجلّ ولاسنّة من الرسول، فكيف يكون فيما ليس عندك بفرض ولاسنّة خطأ؟

قال آخر: إن كنت تدّعي لعليّ عليه السلام من الإمامة [دون غيره] فهات بيّنتك على ماتدّعي.

فقال: ماأنّا بمدّع ولكني مقر، ولابينة على مقر، والمدّعي من يزعم أنّ إليه التولية والعزل وأنّ إليه الاختيار، والبيّنة لا تعرى من أن يكون من شركائه فهم خصماء، أو يكون من غيرهم والغير معدوم، فكيف بالبيّنة على هذا؟

قال آخر: فما كان الواجب على عليّ عليه السلام بعد مضيّ رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ قال: مافعله. قال: أفما وجب عليه أن يعلم الناس أنّه إمام؟

فقال: إنّ الإمامة لا تكون بفعل منه في نفسه ولابفعل من الناس فيه من اختيار أو تفضيل أو غير ذلك، إنّما يكون بفعل من الله عزّوجلّ فيه، كما قال لإبراهيم عليه السلام: «إنّي جاعلك للناس إماماً» وكما قال عزّوجلّ لداود عليه السلام: «ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض» وكما قال عزّوجلّ للملائكة في آدم عليه السلام:«إنّي جاعل في الأرض خليفة» فالإمام إنّما يكون إماماً من قبل الله باختياره إيّاه في بدء الصنيعة،

والتشريف في النسب، والطهارة في المنشأ، والعصمة في المستقبل، ولو كانت بفعل منه في نفسه كان من فعل ذلك الفعل مستحقاً للإمامة وإذا عمل خلافها اعتزل، فيكون خليفة قبل أفعاله.

وقال آخر: فلم أوجبت الإمامة لعليّ عليه السلام بعد الرسول صلّىٰ الله عليه وآله؟

فقال: لخروجه من الطفوليّة إلى الايمان كخروج النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله من الطفوليّة إلى الايمان، والبراءة من ضلالة قومه عن الحجّة واجتنابه الشرك، كبراءة النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله من الضلالة واجتنابه الشرك، لأنّ الشرك ظلم عظيم.

ولايكون الظالم إماما ولامن عبد وثناً باجماع، ومن أشرك فقد حلّ من الله عزّوجلّ محلّ أعدائه، فالحكم فيه الشهادة عليه بما اجتمعت عليه الأُمّة حتىّ يجيء إجماع آخر مثله، ولأنّ من حكم عليه مرّة فلا يجوز أن يكون حاكماًفيكون الحاكم محكوماً عليه، فلا يكون حينئذ فرق بين الحاكم والمحكوم عليه.

قال آخر: فلم لم يقاتل عليّ عليه السلام أبابكر وعمر وعثمان كما قاتل معاوية؟

فقال: المسألة محال، لأنّ «لم» اقتضاء و«لايفعل» نفي، والنفي لايكون له علّة، إنّما العلّة للإثبات، وإنّما يجب أن ينظر في أمر عليّ عليه السلام أمن قبل الله أم من قبل غيره؟ فان صحّ أنّه من قبل الله عزّوجلّ فالشكّ في تدبيره كفر، لقوله عزّوجلّ: «فلا وربّك لايؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لايجدوا في انفسهم حرجا ممّا قضيت ويسلّموا تسليما» فأفعال الفاعل تبع لأصله، فان كان قيامه عن الله عزّوجلّ، فأفعاله عنه، وعلى الناس الرضا والتسليم، وقد ترك رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله القتال يوم

الحديبيّة يوم صدّ المشركون هديه عن البيت، فلمّا وجد الأعوان وقوي حارب، كما قال عزّوجلّ في الأوّل: «فاصفح الصفح الجميل» ثمّ قال عزّوجلّ: «اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلّ مرصد».

قال آخر: إذا زعمت أنّ إمامة عليّ عليه‌السلام من قبل الله عزّوجلّ وأنّه مفترض الطاعة فلم لم يجز إلّا التبليغ والدعاء كما للأنبياء عليهم‌السلام وجاز لعليّ أن يترك ماامر به من دعوة الناس إلى طاعته.

فقال: من قبل أنّا لم ندّع أنّ عليّاً امر بالتبليغ فيكون رسولاً، ولكنّه عليه‌السلام وضع علماً بين الله تعالى وبين خلقه، فمن تبعه كان مطيعاً ومن خالفه كان عاصياً، فان وجد أعواناً يتقوّى بهم جاهد، وإن لم يجد أعواناً فاللوم عليهم لاعليه، لأنّهم اُمروا بطاعته على كلّ حال، ولم يؤمر هو بمجاهدتهم إلّا بقوّة، وهو بمنزلة البيت على الناس الحجّ إليه، فاذا حجّوا أدّوا ماعليهم، وإذا لم يفعلوا كانت اللائمة عليهم لاعلى البيت.

وقال آخر: إذا وجب أنّه لابدّ من إمام مفترض الطاعة بالاضطرار، فكيف يجب بالاضطرار أنّه عليّ عليه‌السلام دون غيره؟

فقال: من قبل أنّ الله عزّوجلّ لايفرض مجهولاً، ولايكون المفروض ممتنعاً، إذ المجهول ممتنع، ولابدّ من دلالة الرسول على الفرض، ليقطع العذر بين الله عزّوجلّ وبين عباده. أرأيت لو فرض الله عزّوجّل على الناس صوم شهر ولم يعلم الناس أيّ شهر هو ولم يسمّ كان على الناس استخراج ذلك بعقولهم حتّى يصيبوا ماأراد الله تبارك وتعالى؟ فيكون الناس حينئذٍ مستغنين عن الرسول والمبيّن لهم وعن الإمام الناقل خبر الرسول اليهم.

وقال آخر: من أين أوجبت أنّ عليّاً عليه‌السلام كان بالغاً حين دعاه

النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله؟ فانّ الناس يزعمون أنّه كان صبيّاً حين دعا ولم يكن جاز عليه الحكم ولابلغ مبلغ الرجال.

فقال: من قبل أنّه لايعرى في ذلك الوقت من أن يكون ممّن أرسل إليه النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله ليدعوه، فان كان كذلك فهو محتمل للتكليف قويّ على أداء الفرائض، وإن كان ممّن لم يرسل إليه فقد لزم النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله قول الله عزّوجلّ: «ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثمّ لقطعنا منه الوتين» وكان مع ذلك قد كلّف النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله عباد الله مالا يطيقون عن الله تبارك وتعالى، وهذا من المحال الذي يمتنع كونه، ولايأمر به حكيم ولايدلّ عليه الرسول، تعالى الله عن أن يأمر بالمحال، وجلّ الرسول عن أن يأمر بخلاف مايمكن كونه في حكمة الحكيم. فسكت القوم عند ذلك جميعاً.

فقال المأمون: قد سألتموني ونقضتم عليّ أفأسألكم؟ قالوا: نعم.

قال: أليس روت الامّة باجماع منها أنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله قال: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» ؟قالوا: بلى. [قال]: ورووا عنه عليه السلام أنّه قال: «من عصى بمعصية صغرت أو كبرت ثمّ أتخذها ديناً ومضى مصرّاً عليها فهو مخلّد بين أطباق الجحيم»؟ قالوا: بلى. قال: فخبّروني عن رجل يختاره العامّة فتنصبه خليفة هل يجوز أن يقال له خليفة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ومن قبل الله عزّوجلّ ولم يستخلفه الرسول؟ فان قلتم: نعم، كابرتم، وإن قلتم: لا، وجب أنّ أبابكر لم يكن خليفة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ولامن قبل الله عزّوجلّ، وأنكمّ تكذبون على نبيّ الله صلّىٰ الله عليه وآله وأنكّم متعرّضون لأن تكونوا ممّن وسمه النبي صلّىٰ الله عليه وآله بدخول النار.

وخبروني في أيّ قوليكم صدقتم؟ أفي قولكم: مضى صلّىٰ الله عليه وآله

ولم يستخلف، أو في قولكم لأبي بكر: ياخليفة رسول الله، فان كنتم صدقتم في القولين فهذا مالايمكن كونه إذ كان متناقضاً، وإن كنتم صدقتم في أحدهما بطل الآخر.

فاتّقوا الله! وانظروا لأنفسكم، ودعوا التقليد، وتجنّبوا الشبهات، فوالله! مايقبل الله عزّوجلّ إلّا من عبد لايأتي إلّا بما يعقل ولايدخل إلّا فيما يعلم أنّه حقّ، والريب شكّ، وإدمان الشك كفربالله عزّوجلّ، وصاحبه في النار.

وخبّروني هل يجوز ابتياع أحدكم عبداً، فاذا ابتاعه صار مولاه وصار المشتري عبده؟ قالوا: لا. قال: كيف جاز أن يكون من اجتمعتم عليه لهواكم واستخلفتموه صار خليفة عليكم وأنتم ولّيتموه؟ ألّا كنتم أنتم الخلفاء عليه؟ بل تولّون خليفة وتقولون: انّه خليفة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ثمّ إذا سخطتم عليه قتلتموه! كما فعل بعثمان بن عفّان.

قال قائل منهم: لأنّ الإمام وكيل المسلمين إذا رضوا عنه ولّوه، وإذا سخطوا عليه عزلوه.

قال: فلمن المسلمون والعباد والبلاد! قالوا: الله[1] عزّوجلّ. قال: فالله أولى أن يوكّل على عباده وبلاده من غيره، لأن من إجماع الامّة أنّه من أحدث في ملك غيره حدثاً فهو ضامن، وليس له أن يحدث، فان فعل فآثم غارم.

ثمّ قال: خبّروني عن النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله هل استخلف حين مضى أم لا؟ فقالوا: لم يستخلف قال: فتركه ذلك هدى أم ضلال؟ قالوا: هدى. قال: فعلى الناس أن يتّبعوا الهدى ويتنكّبوا الضلالة، قالوا: قد فعلوا ذلك . قال: فلم استخلف الناس بعده وقد تركه هو؟ فترك فعله ضلال، ومحال أن يكون خلاف الهدى هدى، وإذا كان ترك الاستخلاف هدى

---

(١) كذا في الأصل، وفي العقد: «لله».

فلم استخلف أبو بكر، ولم يفعله النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله،وجعل عمر الأمر بعده شورى بين المسلمين خلافاً على صاحبه!.

زعمتم أنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله لم يستخلف، وأنّ أبابكر استخلف، وعمر لم يترك الاستخلاف كما تركه النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله بزعمكم ولم يستخلف كما فعل أبو بكر وجاء بمعنى ثالث، فخبّروني أيّ ذلك ترونه صواباً؟ فان رأيتم فعل النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله صواباً فقد خطّأتم أبابكر، وكذلك القول في بقيّة الأقاويل.

وخبّروني أيّهما أفضل؟ مافعله النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله بزعمكم من ترك الاستخلاف؟ أو ماصنعت طائفة من الاستخلاف؟

وخبّروني هل يجوز أن يكون تركه من الرسول صلّىٰ الله عليه وآله هدىً وفعله من غيره هدىً، فيكون هدى ضدّ هدى!فأين الضلال حينئذٍ؟

وخبّروني هل ولي أحد بعد النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله باختيار الصحابة منذ قبض النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله إلى اليوم؟ فان قلتم: لا، فقد أوجبتم أنّ الناس كلّهم عملوا ضلالة بعد النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله،وإن قلتم: نعم، كذّبتم الامّة وأبطل قولكم الوجود الذي لايدفع.

وخبّروني عن قول الله عزّوجلّ :«قل لمن مافي السموات والأرض قل لله» أصدق هذا أم كذب؟ قالوا: صدق. قال: أفليس ماسوى الله لله،إذ كان محدثه ومالكه؟ قالوا: نعم. قال: ففي هذا بطلان ماأوجبتم من اختياركم خليفة تفترضون طاعته [إذ اخترتموه] وتسمّونه خليفة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وأنتم استخلفتموه، وهو معزول عنكم إذا غضبتم عليه وعمل بخلاف محبتكم، وهو مقتول إذا أبى الاعتزال، ويلكم! لا تفتروا على الله كذباً فتلقوا وبال ذلك غداً إذا قمتم بين يدي الله عزّوجلّ، وإذا وردتم على رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وقد كذبتم عليه متعمّدين، وقد

قال: «من كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار».

ثمّ استقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللّهم إنّي قد نصحت لهم، اللّهم إنّي قد أرشدتهم، اللّهم إنّي قد أخرجت ماوجب عليّ إخراجه من عنقي، اللّهم إنّي لم أدعهم في ريب ولافي شكّ، اللّهم إنّي أدين بالتقرّب إليك بتقديم عليّ عليه السلام على الخلق بعد نبيّك صلّى الله عليه وآله كما أمرنا به رسولك صلواتك وسلامك عليه وآله.

قال: ثمّ افترقنا، فلم نجتمع بعد ذلك حتّى قبض المأمون.

قال محمّد بن أحمد بن يحيى الأشعري: وفي حديث آخر: قال: فسكت القوم، فقال لهم: لم سكتم؟ قالوا: لاندري مانقول. قال: يكفيني هذه الحجة عليكم. ثمّ أمر باخراجهم. قال: فخرجنا متحيّرين خجلين. ثمّ نظر المأمون إلى الفضل بن سهل، فقال: هذا أقصى ماعند القوم، فلا يظنّ ظانّ أنّ جلالتي منعتهم من النقض عليّ[1].

(٢١٠)

المأمون وبنو العباس

أقول: لمّا انتهى الكلام إلى هنا، فلا نرى بأساً بنقل كتاب المأمون إلى بني العبّاس في الاحتجاج عليهم:

عن الطرائف للسيّد ـ رحمه الله تعالى ـ قال: من الطرائف المشهورة مابلغ إليه المأمون في مدح اميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومدح أهل بيته عليهم السلام ذكره ابن مسكويه صاحب التاريخ (المسمى ظ) بحوادث الإسلام في كتاب سمّاه «نديم الفريد» يقول فيه حيث ذكر كتاباً كتبه بنو

---

(١) البحار: ج٤٩ ص١٨٩ـ٢٠٨ عن عيون أخبار الرضا ج٢ ص١٨٥، والعقد الفريد: ج٥ ص٩٢-١٠١.

هاشم يسألون جوابهم ماهذا لفظه:

فقال المأمون:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآل محمّد على رغم أنف الراغمين.

أمّا بعد، عرف المأمون كتابكم وتدبير أمركم، ومخض زبدتكم، وأشرف على صغيركم وكبيركم، وعرفكم مقبلين ومدبرين،وماآل إليه كتابكم قبل كتابكم في مراوضة الباطل وصرف وجوه الحقّ عن مواضعها،ونبذكم كتاب الله تعالى والآثار وكلّما جاءكم به الصادق محمّد صلّى الله عليه وآله حتّى كأنّكم من الامم السالفة التي هلكت بالخسفة والغرق والريح والصيحة والصواعق والرجم.

«أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها»؟ والذي هو أقرب إلى المأمون من حبل الوريد! لولا أن يقول قائل: إنّ المأمون ترك الجواب عجزاً لما أجبتكم من سوء أخلاقكم وقلّة أخطاركم وركاكة عقولكم ومن سخافة ماتأوون إليه من آرائكم، فليستمع مستمع، فليبلّغ شاهد غائباً.

أما بعد، فانّ الله تعالى بعث محمّداً صلّى الله عليه وآله على فترة من الرسل وقريش في أنفسها وأموالها لايرون أحداً يساميهم ولايباريهم، فكان نبيّنا صلّى الله عليه وآله أميناً من أوسطهم بيتاً وأقلّهم مالاً، وكان أوّل من آمنت به خديجة بنت خويلد، فواسته بمالها، ثمّ آمن به أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب سبع سنين، لم يشرك بالله شيئاً طرفة عين، ولم يعبد وثناً، ولم يأكل رباً، ولم يشاكل الجاهليّة في جهالاتهم، وكانت عمومة رسول الله صلّى الله عليه وآله إمّا مسلم مهين أو كافر معاند، إلّا حمزة، فانّه لم يمتنع من الإسلام ولايمتنع الإسلام منه، فمضى لسبيله على بيّنة من ربّه.

وأمّا أبو طالب: فانّه كفّله وربّاه، ولم يزل مدافعاً عنه ومانعاً منه، فلمّا

قبض الله أباطالب فهمّ القوم وأجمعوا ليقتلوه، فهاجر إلى القوم الذين تبوّؤا الدار والإيمان من قبلهم،يحبّون من هاجر إليهم ولايجدون في أنفسهم حاجة ممّا أُوتوا«ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون».

فلم يقم مع رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله أحد من المهاجرين كقيام عليّ بن أبي طالب عليه السلام فانّه آزره ووقاه بنفسه ونام في مضجعه، ثمّ لم يزل بعد متمسّكاً بأطراف الثغور، وينازل الأبطال، ولاينكل عن قرن، ولايولّي عن جيش، منيع القلب، يؤمّر على الجميع ولايؤمّر عليه أحد، أشدّ الناس وطأةً على المشركين، وأعظمهم جهادا في الله، وأفقههم في دين الله وأقرأهم لكتاب الله، وأعرفهم بالحلال والحرام، وهو صاحب الولاية في حديث غدير خمّ، وصاحب قوله: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لانبيّ بعدي» وصاحب يوم الطائف، وكان أحبّ الخلق إلى الله تعالى وإلى رسوله صلّىٰ الله عليه وآله،وصاحب الباب فتح له وسدّ أبواب المسجد، وهو صاحب الراية يوم خيبر، وصاحب عمرو بن عبد ودّ في المبارزة، وأخو رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله حين آخى بين المسلمين.

وهو منيع جزيل، وهو صاحب آية «ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً» وهو زوج فاطمة سيّدة نساء العالمين وسيّدة نساء أهل الجنّة، وهو ختن خديجة عليها السلام،وهو ابن عمّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ربّاه وكفّله، وهو ابن أبي طالب عليه السلام في نصرته وجهاده، وهو نفس رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله في يوم المباهلة، وهو الذي لم يكن أبو بكر وعمر ينفذان حكماً حتّى يسألانه عنه، فما رأى إنفاذه أنفذاه ومالم يره ردّاه، وهو داخل من بني هاشم في الشورى.

ولعمري! لو قدر أصحابه على دفعه عنه عليه السلام كما دفع العبّاس

ـرضوان الله عليه ـ ووجدوا إلى ذلك سبيلاً لدفعوه.

فأمّا تقديمكم العبّاس عليه: فانّ الله تعالى يقول: «أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لايستوون عند الله» والله! لو كان مافي أميرالمؤمنين من المناقب والفضائل والآي المفسّرة في القرآن خلّة واحدة في رجل واحد من رجالكم أو غيره لكان مستأهلاً متأهلاً للخلافة مقدّماً على أصحاب رسول الله بتلك الخلّة.

ثمّ لم يزل الامور تتراقى به إلى أن ولي امور المسلمين، فلم يعن بأحد من بني هاشم إلّا بعبد الله بن عبّاس تعظيماً لحقّه وصلة لرحمه وثقة به، فكان من أمره الذي يغفر الله له. ثمّ نحن وهم يد واحدة كما زعمتم، حتّى قضى الله تعالى بالأمر إلينا، فأخفناهم وضيّقنا عليهم وقتلناهم أكثر من قتل بني اميّة إيّاهم!

ويحكم! إنّ بني اميّة إنّما قتلوا منهم من سلّ سيفاً، وإنّا معاشر بني العبّاس قتلناهم جملاً! فتسألنّ أعظم الهاشميّة بأيّ ذنب قتلت؟ ولتسألنّ نفوس القيت في دجلة والفرات ونفوس دفنت ببغداد والكوفة أحياء، هيهات! إنّه من يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره.

وأمّا ماوصفتم من أمر المخلوع وما كان فيه من لبس: فلعمري! مالبّس عليه أحد غيركم، إذ هويتم عليه النكث وزيّنتم له الغدر، وقلتم له: ماعسى أن يكون من أمر أخيك وهو رجل مغرّب ومعك الأموال والرجال، نبعث إليه فيؤتى به،فكذّبتم ودبّرتم ونسيتم قول الله تعالى: «ومن بغي عليه لينصرنّه الله»

وأمّا ماذكرتم من استبصار المأمون في البيعة لأبي الحسن الرضا عليه السلام فما بايع له المأمون إلّا مستبصراً في أمره،عالماً بأنّه لم يبق أحد على ظهرها أبين فضلاً ولاأظهر عفّة ولاأورع ورعاً ولاأزهد زهداً في الدنيا ولاأطلق نفسا ولاأرضى في الخاصّة والعامّة ولاأشدّ في ذات الله منه، وأنّ

البيعة له لموافقة لرضى الربّ عزّوجلّ، ولقد جهدت ومأأجد في الله لومة لائم. ولعمري! إن لو كانت بيعتي بيعة محاباة لكان العبّاس ابني وسائر ولدي أحبّ إلى قلبي وأجلىٰ في عيني، ولكن أردت أمراً وأراد الله أمراً، فلم يسبق أمري أمر الله.

وأمّا ماذكرتم ممّا مسّكم من الجفاء في ولايتي: فلعمري! ماكان ذلك إلّا منكم بمظافرتكم عليه وممايلتكم إيّاه، فلمّا قتلته وتفرّقتم عباديد، فطوراً أتباعاً لابن أبي خالد، وطوراً أتباعاً لاعرابي،وطوراً أتباعاً لابن شكلَه، ثمّ لكلّ من سلّ سيفاً عليّ. ولولا أنّ شيمتي العفو وطبيعتي التجاوز ماتركت على وجهها منكم أحداً، فكلّكم حلال الدم محلّ بنفسه.

وأمّا ماسألتم من البيعة للعبّاس ابني: أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ ويلكم! إنّ العباس غلام حدث السنّ ولم يونس رشده ولم يمهل وحده ولم تحكمه التجارب، تدبّره النساء تكفّله الإماء، ثمّ لم يتفقّه في الدين، ولم يعرف حلالاً من حرام إلّا معرفة لا تأتي به رعيّة ولا تقوم به حجّة، ولو كان مستأهلاً قد أحكمته التجارب وتفقّه في الدين وبلغ مبلغ أمير العدل في الزهد في الدنيا وصرف النفس عنها ماكان له عندي في الخلافة إلّا ماكان لرجل من عك وحمير، فلا تكثروا في هذا المقال، فانّ لساني لم يزل مخزوناً عن امور وأنباء كراهية أن تخنث النفوس عند ماتنكشف، علماً بأنّ الله بالغ أمره ومظهر قضاه يوماً.

فاذا أبيتم إلّا كشف الغطاء وقشر العطاء، فالرشيد أخبرني عن آبائه وعمّا وجد في كتاب الدولة غيرها:أنّ السابع من ولد العبّاس لا تقوم لبني العبّاس بعده قائمة ولا تزال النعمة متعلّقة عليهم بحياته،فاذا أودعت فودّعاها، وإذا فقدتم شخصي فاطلبوا لأنفسكم معقلاً، وهيهات! مالكم إلا السيف! يأتيكم الحسنيّ الثائر البائر فيحصدكم حصداً، أو السفياني المرغم، والقائم

المهدي يحقن دمائكم إلّا بحقّها.

وأمّا ماكنت أردته من البيعة لعليّ بن موسى بعد استحقاق منه لها في نفسه واختيار منّي له: فما كان ذلك منّي إلّا أن أكون الحاقن لدمائكم والذائد عنكم باستدامته المودّة بيننا وبينهم وهي الطريق أسلكها في إكرام آل أبي طالب ومواساتهم في الفيء بيسير مايصيبهم منه.

وإن تزعموا أنّي أردت أن يؤول إليهم عاقبة ومنفعة، فانّي في تدبيركم والنظر لكم ولعقبكم وأبنائكم من بعدكم، وأنتم ساهون لاهون تائهون في غمرة تعمهون، لا تعلمون مايراد بكم وماأظللتم عليه من النقمة وابتزاز النعمة، همّة أحدكم أن يمسي مركوباً ويصبح مخموراً، تباهون بالمعاصي وتبتهجون بها وآلهتكم البرابط، مخنثون مؤنّثون، لايتفكّر متفكّر منكم في إصلاح معيشة ولااستدامة نعمة ولااصطناع مكرمة ولاكسب حسنة يمدّ بها عنقه يوم لاينفع مال ولابنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

أضعتم الصلاة، واتّبعتم الشهوات، وأكببتم على اللذات [عن النغمات][1]، فسوف تلقون غيّاً.

وأيم الله! لربّما افكّر في أمركم فلا أجد أُمّة من الامم استحقّوا العذاب حتّى نزل بهم لخلّة من الخلال إلاّ أصيب تلك الخلّة بعينها فيكم مع خلال كثيرة، لم أكن أظنّ أنّ إبليس اهتدى إليها ولاأمر بالعمل عليها! وقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز عن قوم صالح أنّه كان فيهم تسعة رهط يفسدون في الأرض ولايصلحون، فأيّكم ليس معه تسعة وتسعون من المفسدين في الأرض؟ قد اتّخذتموهم شعاراً ودثاراً، استخفافاً بالمعاد وقلّة يقين بالحساب، وأيّكم له رأي يتّبع أوروية تنفع؟ فشاهت الوجوه وعفّرت الخدود!

---

(١) مابين المعقوفتين عن البحار.

وأما ماذكرتم من العشرة كانت في أبي الحسن عليه السلام نوّر الله وجهه: فلعمري! أنّها عندي للنهضة والاستقلال الذي أرجو به قطع الصراط والأمن والنجاة من الخوف يوم الفزع الأكبر، ولاأظن عملت عملاً هو عندي أفضل من ذلك إلّا أن أعود بمثلها إلى مثله، وأين لي بذلك! وأنّى لكم بتلك السعادة!

وأمّا قولكم: إنّي سفّهت آراء آبائكم وأحلام أسلافكم: فكذلك قال مشركو قريش: «إنّا وجدنا آباءنا على امّة وإنا على آثارهم مقتدون» ويلكم! إنّ الدين لايؤخذ إلّا من الأنبياء، فافقهوا وماأراكم تعقلون!

وأمّا تعبيركم إيّاي بسياسة المجوس إيّاكم: فما أذهبكم الأنفة عن ذلك! ولو ساستكم القردة والخنازير ماأردتم إلّا أميرالمؤمنين، ولعمري! لقد كانوا مجوساً فأسلموا كآبائنا وامّهاتنا في القديم، فهم المجوس الذين أسلموا، وأنتم المسلمون الذين ارتدّوا، فمجوسيّ أسلم خير من مسلم ارتدّ، فهم يتناهون عن المنكر، ويأمرون بالمعروف، ويتقرّبون من الخير، ويتباعدون من الشرّ، ويذبّون عن حرم المسلمين، يتباهجون بما نال الشرك وأهله من النكر، ويتباشرون بما نال الإسلام وأهله من الخير «منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدّلوا تبديلاً».

وليس منكم إلّا لاعب بنفسه مأفون في عقله وتدبيره، إمّا مغنٍّ أو ضارب دفّ أو زامر، والله! لو أنّ بني امّية الذين قتلتموهم بالأمس نُشروا، فقيل لهم: لا تأنفوا في معائب تنالونهم بها، لما زادوا على ماصيّرتموه لكم شعاراً ودثاراً وصناعة وأخلاقاً.

ليس فيكم إلاّ من إذا مسّه الشرّ جزع وإذا مسّه الخير منع،ولا تأنفون ولا ترجعون إلّا خشية؛ وكيف يأنف من يبيت مركوباً ويصبح باثمه معجباً؟ كأنّه قد اكتسب حمداً! غايته بطنه وفرجه، لايبالي أن ينال شهوته

بقتل ألف نبيّ مرسل أو ملك مقرّب، أحبّ الناس إليه من زينّ له معصيته أو أعانه في فاحشة، تنظفه المخمورة وتربده المطمورة، فشتتّ الأحوال. فان ارتدعتم ممّا أنتم فيه من السيّئات والفضائح وماتهذرون به عن عذاب ألسنتكم، وإلّا فدونكم تعلوا بالحديد. ولاقوّة إلاّ بالله، وعليه توكلّي، وهو حسبي[1].

(٢١١)

ضرار بن ضمرة ومعاوية

لم أجد هذا الرجل في كتب الرجال والتراجم، إلّا في قصّة له وقعت في مجلس معاوية، رواها العلماء من الفريقين في كتبهم؛ وفي مروج الذهب: أنّه «كان من خواصّ علي عليه السلام».

قالوا: دخل ضرار بن ضمرة على معاوية، فقال له معاوية: صف لي عليّاً. فقال: أو تعفيني ياأميرالمؤمنين؟ قال: لااعفيك.

قال: أمّا إذ لابدّ، فانّه كان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، وكان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلّب كفّه، ويخاطب نفسه، يعَجبه من اللباس ماقصر، ومن الطعام ماجشب.

كان والله كأحدنا، يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع تقرّبه إلينا وقربه منّا لانكلّمه هيبة له، فان تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم،

---

(١) البحار: ج٤٩ ص٢٠٨. وراجع قاموس الرجال: ج١٠/٣٥٦. وحياة الإمام الرضا عليه السلام:ص٤٥٣ عن الطرائف (الترجمة الفارسية) ص١٣١ نقلاً عن كتاب نديم الفريد لابن مسكويه والبحار والقاموس. والينابيع:ص٤٨٤ مختصراً. والغدير عن العبقات: ج١ ص١٤٧.

يعظّم أهل الدين ويحبّ المساكين، لايطمع القويّ في باطله، ولاييأس الضعيف من عدله.

فاشهد بالله! لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه، يميل في محرابه،قابضاً على لحيته،يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأنّي أسمعه الآن وهو يقول: ياربّنا ياربّنا، يتضرّع إليه، ثمّ يقول للدنيا: إليّ تغرّرت إليّ تشوّقت؟ هيهات! هيهات! غرّي غيري،قد تبتك ثلاثاً:فعمرك قصير ومجلسك حقير وخطرك يسير، آه آه! من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق.

فوكفت دموع معاوية على لحيته مايملكها،وجعل ينشفها بكمّه، وقد اختنق القوم بالبكاء فقال: كذا كان أبو الحسن ـرحمه الله- كيف وجدك عليه ياضرار؟ قال: وجد من ذبح واحدها في حجرها، لا ترقأ دمعتها ولا يسكن حزنها. ثمّ قام وخرج[1].

---

(١)رواه حلية الأولياء: ج١ ص٨٤. وأمالي الصدوق ـرحمه الله-:ص٣٧١ المجلس ٩١ بأسانيده. والاستيعاب هامش الإصابة:ج٣ ص٤٠ في ترجمة أميرالمؤمنين ـعليه السلام- وكشف الغمة ص٢٣ الحجرّية. والمناقب لابن شهر اشوب: ج١ ص٣٠٩. وزهر الآداب للقيرواني: ص٤٠ هامش العقد الفريد. وتذكرة الخواصّ:ص١٢٧. وينابيع المودّة: ص١٤٤-٢١٩. وتهذيب ابن عساكر: ج٧ ص٣٥. ومطالب السؤول: ص٢٣. وصفوة الصفوة: ج١ ص١٢٢. والبحار: ج٨٧ ص١٥٦. ونور الأبصار: ص١٠٩. والفصول المهمّة لابن صبّاغ: ص١٢٨. وابن أبي الحديد ج١٨ ص٢٢٥. ونهج البلاغة: ٧٧ من القصار. والإرشاد للديلمي: ص١١. والبحار: ج٨ ص٥٣٢-٥٣٨ الحجرية وج٤١ الجديدة ص١٤-٢٣-١٢٠ والغدير: ج٢ ص٣١٩ وج٧ ص١١٤. وكنز الفوائد للكراجكي: ص٢٧١. ومروج الذهب في آخر تاريخ أميرالمؤمنين عليه السلام وزاد: فقال معاوية: زدني شيئاً من كلامه.

فقال ضرار: كان يقول: أعجب مافي الإنسان قلبه، وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها، فان سنح له الرجاء أماله الطمع، وإن مال به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه القنوط قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتدّ به الغيظ، وإن أسعده الرضا نسي التحفّظ، وإن ناله الخوف فضحه

(٢١٢)

تلامذة الصادق عليه السلام مع الشامي

عن يونس بن يعقوب، قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام فقال: إنّي رجل صاحب كلام وفقه وفرائض،

الجزع، وإن أفاد مالاً أطغاه الغنى، وإن عضّته فاقة فضحه الفقر، وإن أجهده الجوع أقعده الضعف، وإن أفرط به الشبع كظّته البطنة، فكلّ تقصير به مضرّ، وكلّ إفراط له مفسد.

فقال له معاوية: زدني كلّما وعيته من كلامه.

فقال: هيهات أن آتي على جميع ماسمعته منه. ثمّ قال: سمعته يوصي كميل بن زياد [ذات يوم فقال له] ياكميل! ذبّ عن المؤمن، فانّ ظهره حمى الله، ونفسه كريمة على الله، وظالمه خصم الله، واحذّر كم من ليس له ناصر إلاّ الله. قال: وسمعته يقول ذات يوم: إنّ هذه الدنيا إذا أقبلت على قوم أعرتهم محاسن غيرهم، وإذا أدبرت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم. قال وسمعته يقول: بطر الغنى يمنع من عزّ الصبر. قال: وسمعته يقول: ينبغي للمؤمن أن يكون نظره عبرة، وسكوته فكرة، وكلامه حكمة.

ورواه (يعني ماتقدّم من كلام ضرار في وصف أميرالمؤمنين عليه السلام) في ملحقات الإحقاق: ج٨ ص٥٩٨ عن أمالي القالي، وربيع الأبرار: ص١٥، والتطريز: ص١٢٢، ودرّ بحر المناقب: ص٩، ونهاية الأدب: ج٣ ص١٧٣، ونظم درر السمطين: ص١٣٤، والرياض النضرة: ج٢ ص٢١٢، وذخائر العقبى: ص١٠٠، والمستطرف: ج٢ ص١٢٧، والارجوزة: ص٣٠٠، والكواكب الدرّية: ص٤٤، وأخبار الدول: ص٣٧، والاتحاف: ص٧، والروضة النديّة: ص١٣، والشرف المؤبد: ص٥٩. والطبقات المالكية: ص٧٢؟ وبعض المصادر المتقدمة.

نسخ هذه القصّة مختلفة، فمن أراد فليراجع المصادر التي ذكرناها.

ونسبه البيهقي في المحاسن والمساوئ إلى ابن عبّاس راجع ص٤٥ وفي نسخة ج١ ص٧٢، وإلى عديّ بن حاتم كما في ص٤٦.

وراجع ربيع الأبرار للزمخشري: ج١ ص٩٧ - ٨٣٥. وشرح النهج لابن أبي الحديد: ج١٨ ص٢٢٥ - ٢٢٦ وقاموس الرجال: ج٥ ص١٤٩. ونهج الصباغة: ج٣ ص١٨٢ وج١٢ ص١٢٤، والمروج، وخصائص السيّد الرضي -رحمه الله- وأمالي ابن بابويه، والاستيعاب. وزهر الربيع: ج١ ص١٩٧ وج٢ ص٢٣. الكنى والالقاب: ج٢ ص١٠٥.

وقد جئت لمناظرة أصحابك .

فقال أبو عبدالله عليه السلام: كلامك من كلام رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله أو من عندك ؟ فقال: من كلام رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ومن عندي،فقال أبو عبدالله عليه السلام: فأنت إذا شريك رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله؟! قال: لا. قال: فسمعت الوحي عن الله عزّوجلّ يخبرك ؟ قال: لا. قال: فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله؟ قال: لا.

فالتفت أبو عبدالله عليه السلام إليّ، فقال: يايونس بن يعقوب! هذا قد خصم نفسه قبل أن يتكلّم. ثمّ قال: يايونس! لو كنت تحسن الكلام كلّمته. قال: يونس: فيالها من حسرة! فقلت: جعلت فداك ! إنّي سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويل لأصحاب الكلام! يقولون: هذا ينقاد وهذا لاينقاد، وهذا ينساق وهذا لاينساق، وهذا نعقله وهذا لانعقله. فقال أبو عبدالله عليه السلام: إنّما قلت: فويل لهم إن تركوا ماأقول وذهبوا إلى مايريدون.

ثمّ قال لي: اخرج إلى الباب فانظر من ترى من المتكلّمين فأدخله.

قال: فأدخلت حمران بن أعين وكان يحسن الكلام، وأدخلت الأحول وكان يحسن الكلام، وأدخلت هشام بن سالم وكان يحسن الكلام، وأدخلت قيس الماصر وكان عندي أحسنهم كلاماً وكان قد تعلّم الكلام من عليّ بن الحسين عليهما السلام.

فلمّا استقرّ بنا المجلس ـ وكان أبو عبدالله عليه السلام قبل الحجّ يستقرّ أيّاماً في جبل في طرف الحرم في فازة له مضروبة ـ قال: فأخرج أبو عبدالله عليه السلام رأسه من فازته فاذا هو ببعير يخبّ، فقال: هشام وربّ الكعبة!

قال: فظننا أنّ هشاماً رجل من ولد عقيل كان شديد المحبّة له.

قال: فورد هشام بن الحكم وهو أوّل مااختطت لحيته وليس فينا إلّا من هو أكبر سنّاً منه. قال: فوسّع له أبو عبدالله عليه السلام وقال: ناصرنا بقلبه ولسانه ويده!

ثمّ قال: ياحمران كلّم الرجل، فكلّمه فظهر عليه حمران. ثم قال: ياطاقي كلّمه، فكلّمه، فظهر عليه الأحول. ثمّ قال: ياهشام بن سالم كلّمه، فتعارفا. ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام لقيس الماصر كلّمه، فكلّمه. فأقبل أبو عبدالله عليه السلام يضحك من كلامهما ممّا قد أصاب الشامي.

فقال للشامي: كلّم هذا الغلام -يعني هشام بن الحكم- فقال: نعم. فقال لهشام: ياغلام! سلني في إمامة هذا. فغضب هشام حتّى ارتعد، ثمّ قال للشامي: ياهذا! أربك أنظر لخلقه أم خلقه لأنفسهم؟ فقال الشامي: بل ربّي أنظر لخلقه. قال: ففعل بنظره لهم ماذا؟ قال: أقام لهم حجّة ودليلاً كي لا يتشتّتوا أو يختلفوا، يتألّفهم ويقيم أودهم ويخبرهم بفرض ربّهم. قال: فمن هو؟ قال: رسول الله صلّى الله عليه وآله - قال هشام: فبعد رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ قال: الكتاب والسنّة. قال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنّة في رفع الاختلاف عنّا؟ قال الشامي: نعم. قال: فلم اختلفنا أنا وأنت وصرت إلينا من الشام في مخالفتنا إيّاك؟ قال: فسكت الشامي!

فقال أبو عبدالله عليه السلام للشامي: مالك لا تتكلّم؟ قال الشامي: إن قلت: لم نختلف كذبت، وإن قلت: إنّ الكتاب والسنّة يرفعان عنّا الاختلاف أبطلت لأنّهما يحتملان الوجوه، وإن قلت: قد اختلفنا وكلّ واحد منّا يدّعي الحقّ فلم ينفعنا إذن الكتاب والسنّة، إلاّ أنّ لي عليه هذه الحجّة.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: سله تجده مليّاً.

فقال الشامي: ياهذا! من أنظر للخلق أربهم أو أنفسهم؟ فقال هشام:

ربّهم أنظر لهم منهم لأنفسهم. فقال الشامي:فهل أقام لهم من يجمع لهم كلمتهم ويقيمهم اودهم ويخبرهم بحقّهم من باطلهم؟ قال هشام: في وقت رسول الله صلّى الله عليه وآله أو الساعة؟ قال الشامي: في وقت رسول الله صلّى الله عليه وآله والساعة من؟ فقال هشام: هذا القاعد الذي تشدّ إليه الرحال ويخبرنا بأخبار السماء [والأرض] وراثة عن أبٍ عن جدٍّ، قال الشامي: فكيف لي أن أعلم ذلك؟ قال هشام: سله عمّا بدا لك، قال الشامي: قطعت عذري، فعليّ السؤال.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: ياشامي اخبرك كيف كان سفرك وكيف كان طريقك؟ كان كذا وكذا! فأقبل الشامي يقول: صدقت أسلمت لله الساعة. فقال أبو عبدالله عليه السلام: بل آمنت بالله الساعة، إنّ الإسلام قبل الإيمان وعليه يتوارثون ويتناكحون، والإيمان عليه يثابون.

فقال الشامي: صدقت! فأنا الساعة أشهد أن لاإله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله وأنّك وصيّ الأوصياء.

ثمّ التفت أبو عبدالله عليه السلام إلى حمران فقال: تجري الكلام على الأثر فتصيب. والتفت إلى هشام بن سالم، فقال: تريد الأثر ولا تعرفه. ثمّ التفت إلى الأحول، فقال: قيّاس روّاغ تكسر باطلاً بباطل، إلاّ أنّ باطلك أظهر. ثمّ التفت إلى قيس الماصر، فقال: تتكلّم وأقرب ماتكون من الخبر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أبعد ماتكون منه، تمزج الحقّ مع الباطل، وقليل الحقّ يكفي عن كثير الباطل، أنت والأحول لقفّازان حاذقان.

قال يونس:فظننت والله! إنّه يقول لهشام قريباً ممّا قال لهما. ثمّ قال: ياهشام! لا تكاد تقع تلوي رجليك إذا هممت بالأرض طرت! مثلك فليكلّم

الناس، فاتّق الزّلة، والشفاعة من ورائها، إن شاء الله[١].

(٢١٣)
أسعد بن أبي روح مع بعض المالكيّة

قال ابن حجر في لسان الميزان[٢] في ترجمة أسعد بن أبي روح أبي الفضل الرافضي قاضي طرابلس مالفظه باختصار منّا:

كان جليل القدر، يرجع إليه أهل عقيدته، وكان عظيم الصلاة والتهجّد، لاينام إلّا بعض الليل، وكان صمته اكثر من كلامه.

وحكى الراشدي تلميذه، قال: جمع ابن عمّار بين أبي الفضل وبين بعض الفقهاء المالكيّة فناظره في تحريم الفقّاع، وكان فصيحاً، فنطق بالحجّة فانزعج المالكي، فقال له: كلني! فقال في الحال: ماأنا على مذهبك! يريد أنّ مذهبه جواز أكل الكلب.

وقال له ابن عمّار: ماالدليل على حدوث القرآن؟ قال: النسخ، والقديم لايتبدّل ولايدخله زيادة ولانقص.

(٢١٤)
هشام بن الحكم مع بعض الخوارج

قال بعض الخوارج لهشام بن الحكم: العجم تتزّوج في العرب؟ قال: نعم. قال: فالعرب تتزوّج في قريش؟ قال: نعم. قال فقريش تتزوّج في بني هاشم؟ قال: نعم. فجاء الخارجي إلى الصادق عليه السلام فقصّ عليه، ثمّ قال: أسمعه منك؟ فقال عليه السلام: نعم قد قلت ذاك . قال الخارجي:

---

(١) اصول الكافي: ج١ ص١٧١-١٧٣، والبحار: ج٤٧ ص١٥٧ مختصراً منه عنه وعن المناقب وج ٤٨ ص٢٠٣ عن الإرشادوأعلام الورى.وج٢٣ص٩عن الاحتجاج. وراجع قاموس الرجال: ج٩ ص٣٣٥. وبهج الصباغة ج٣ ص٩. والاحتجاج: ج٢ ص١٢٣.

(٢) لسان الميزان:ج١ ص٣٨٦/٣٨٧.

فها أنا ذَا قد جئتك خاطباً! فقال له أبو عبدالله عليه السلام: إنكّ لكفو في دينك وحسبك في قومك، ولكنّ الله عزّوجلّ صاننا عن الصدقات وهي أوساخ أيدي الناس، فنكره أن نشرك فيما فضلنا الله به من لم يجعل الله له مثل ماجعل لنا. فقام الخارجي وهو يقول: بالله مارأيت رجلاً مثله ردّني والله أقبح ردّ، وماخرج من قول صاحبه[١].

(٢١٥)

هشام مع ابن أبي العوجاء

سأل ابن أبي العوجاء هشام بن الحكم، فقال له: أليس الله حكيماً؟ قال: بلى هو أحكم الحاكمين. قال: فأخبرني عن قول الله عزّوجلّ: «فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة» أليس هذا فرض؟ قال: بلى قال: فأخبرني عن قوله عزّ وجلّ: «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كلّ الميل» أيّ حكيم يتكلّم بهذا؟

فلم يكن عنده جواب، فرحل إلى المدينة إلى أبي عبدالله عليه السلام فقال: ياهشام! في غير وقت حجّ ولاعمرة! قال: نعم جعلت فداك لأمر أهمّني، إنّ ابن أبي العوجاء سألني عن مسألة لم يكن عندي فيها شيء، قال: وماهي؟ قال: فأخبره بالقصّة.

فقال له أبو عبدالله عليه السلام: أمّا قوله عزّ وجلّ: «فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة» يعني في النفقة.

وأمّا قوله: «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا

---

(١) البحار: ج٤٧ ص٢١٩ عن المناقب.

كلّ الميل فتذروها كالمعلّقة» يعني في المودّة.

قال: فلمّا قدم عليه هشام بهذا الجواب وأخبره قال: والله ماهذا من عندك [١]!

(٢١٦)

مؤمن الطاق مع الخوارج

اجتمعت الشيعة والمحكّمة عند أبي نعيم النخعي بالكوفة، وأبو جعفر محمّد بن النعمان مؤمن الطاق حاضر، فقال ابن أبي خدرة: أنا اقرّر معكم أيّتها الشيعة أنّ أبا بكر أفضل من عليّ وجميع أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله بأربع خصال لايقدر على دفعها أحد من الناس:

هو ثانٍ مع رسول الله صلّى الله عليه وآله في بيته مدفون، وهو ثاني اثني معه في الغار، وهو ثاني اثنين صلّى بالناس آخر صلاة قبض بعدها رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو ثاني اثنين الصديق من الامّة.

قال أبو جعفر مؤمن الطاق رحمة الله عليه: ياابن أبي خدرة! وأنا اقرّر معك أنّ عليّاً عليه السلام أفضل من أبي بكر وجميع أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله بهذه الخصال التي وصفتها وأنّها مثلبة لصاحبك، والزمك طاعة عليّ عليه السلام من ثلاث جهات: من القرآن وصفاً، ومن خبر رسول الله صلّى الله عليه وآله نصّاً، ومن حجّة العقل اعتباراً، ووقع الاتّفاق على إبراهيم النخعي، وعلى أبي إسحاق السبيعى، وعلى سليمان بن مهران الأعمش.

فقال أبو جعفر مؤمن الطاق: أخبرني ياابن أبي خدرة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أترك بيوته التي أضافها الله إليه ونهى الناس عن دخولها إلّا

---

(١) البحار: ج٤٧ ص٢٢٥ عن الكافي:ج٥ ص٣٦٢.

باذنه ميراثاً لأهله وولده ، أو تركها صدقة على جميع المسلمين؟ قل ماشئت. فانقطع ابن أبي خدرة لمّا أورد عليه ذلك وعرف خطأ مافيه.

فقال أبو جعفر مؤمن الطاق: إن تركها ميراثاً لولده وأزواجه فانّه قبض عن تسع نسوة، وإنّما لعائشة بنت أبي بكر تسع ثمن هذا البيت الذي دفن فيه صاحبك ، ولم يصبها من البيت ذراع في ذراع، وإن كان صدقة فالبليّة أطمّ وأعظم! فانّه لم يصب له من البيت إلّا مالأدنى رجل من المسلمين، فدخول بيت النبيّ صلّى الله عليه وآله بغير إذنه في حياته وبعد وفاته معصية إلّا لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وولده، فانّ الله أحلّ لهم ماأحل للنبيّ صلّى الله عليه وآله.

ثمّ قال: إنّكم تعلمون أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله أمر بسدّ أبواب جميع الناس التي كانت مشرعة إلى المسجد ماخلا باب عليّ عليه السلام، فسأله أبو بكر أن يترك له كوّة لينظر منها إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فأبى عليه، وغضب عمّه العبّاس من ذلك ، فخطب النبيّ صلّى الله عليه وآله خطبة وقال: إنّ الله تبارك وتعالى أمر لموسى وهارون أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً، وأمرهما أن لايبيت في مسجدهما جنب ولايقرب فيه النساء إلّا موسى وهارون وذرّيتهما، وإنّ عليّاً منّي هو بمنزلة هارون من موسى وذرّيته كذرّية هارون، ولايحلّ لأحد أن يقرب النساء في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله ولايبيت فيه جنباً، إلّا عليّ وذرّيته عليهم السلام،فقالوا بأجمعهم: كذلك كان.

قال أبو جعفر: ذهب ربع دينك ياابن أبي خدرة! وهذه منقبة لصاحبي ليس لأحد مثلها، ومثلبة لصاحبك .

وأمّا قولك : ثاني اثنين إذ هما في الغار، أخبرني هل أنزل الله سكينته على رسول الله صلّى الله عليه وآله وعلى المؤمنين في غير الغار؟ قال ابن أبي

خدرة: نعم. قال أبو جعفر: فقد أخرج صاحبك في الغار من السكينة وخصّه بالحزن، ومكان عليّ عليه السلام في هذه الليلة على فراش النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وبذل مهجته دونه أفضل من مكان صاحبك في الغار، فقال الناس: صدقت. فقال أبو جعفر: ياابن أبي خدرة! ذهب نصف دينك.

وأمّا قولك: ثاني اثنين الصدّيق من الامّة، أوجب الله على صاحبك الاستغفار لعليّ بن أبي طالب عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: «والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان» إلى آخر الآية. والذي ادّعيت إنّما هو شيء سمّاه الناس، ومن سمّاه القرآن وشهد له بالصدق والتصديق أولى به ممّن سماه الناس، وقد قال عليّ عليه السلام على منبر البصرة: «أنا الصدّيق الأكبر آمنت قبل أن آمن أبو بكر وصدّقت قبله» قال الناس: صدقت.

قال أبو جعفر مؤمن الطاق: ياابن أبي خدرة! ذهب ثلاث أرباع دينك.

وأمّا قولك في الصلاة بالناس: كنت ادّعيت لصاحبك فضيلة لم تقم له، وإنّها إلى التهمة أقرب منها إلى الفضيلة، فلو كان ذلك بأمر رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله لما عزله عن تلك الصلاة بعينها، أما علمت أنّه لمّا تقدّم أبو بكر ليصليّ بالناس خرج رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله فتقدّم وصلّى بالناس وعزله عنها؟ ولاتخلو هذه الصلاة من أحد وجهين: إمّا أن تكون حيلة وقعت منه فلمّا حسّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله بذلك خرج مبادراً مع علّته فنحاه عنها لكي لايحتجّ بعده على امّته فيكونوا في ذلك معذورين، وإمّا أن يكون هو الذي أمره بذلك وكان ذلك مفوّضاً إليه كما في قصّة تبليغ براءة فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: لايؤدّيها إلّا أنت أو رجل منك، فبعث عليّاً عليه السلام في طلبه وأخذها منه وعزله عنها وعن تبليغها؟

فكذلك كانت قصّة الصلاة، وفي الحالتين هو مذموم، لأنّه كشف عنه ماكان مستوراً عليه، وذلك دليل واضح، لأنّه لايصلح للاستخلاف بعده، ولاهو مأمون على شيء من أمر الدين، فقال الناس: صدقت.

قال أبو جعفر مؤمن الطاق: ياابن أبي خدرة! ذهب دينك كلّه، وفضحت حيث مدحت، فقال الناس لأبي جعفر: هات حجّتك فيما ادّعيت من طاعة عليّ عليه السلام، فقال أبو جعفر مؤمن الطاق:

أمّا من القرآن وصفاً، فقوله: عزّ وجلّ: «ياأيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وكونوا مع الصادقين» فوجدنا عليّاً عليه السلام بهذه الصفة في القرآن في قوله عزّ وجلّ: «والصابرين في البأساء والضرّاء وحين البأس» يعني في الحرب والتعب «اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتّقون» فوقع الإجماع من الامّة بأنّ عليّاً عليه السلام أولى بهذا الأمر من غيره، لأنّه لم يفرّ عن زحف قطّ كما فرّ غيره في غير موضع، فقال الناس: صدقت.

وأمّا الخبر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله نصّاً، فقال: «إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» وقوله صلّى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنا غرق، ومن تقدّمها مرق، ومن لزمها لحق» فالمتمسّك بأهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله هاد مهتد بشهادة من الرسول صلّى الله عليه وآله والمتمسك بغيرهم ضالّ مضلّ، قال الناس: صدقت ياأباجعفر.

وأمّا من حجّة العقل: فانّ الناس كلّهم يستعبدون بطاعة العالم ووجدنا الإجماع قد وقع على عليّ عليه السلام أنّه كان أعلم اصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وكان جميع الناس يسألونه ويحتاجون إليه، وكان عليّ عليه السلام مستغنياً عنهم، هذا من الشاهد، والدليل عليه من القرآن قوله عزّ

وجلّ: «أفمن يهدي إلى الحقّ أحق أن يتّبع أمّن لايهدي إلّا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون».

فما اتّفق يوم أحسن منه، ودخل في هذا الأمر عالم كثير.

وقد كانت لأبي جعفر مؤمن الطاق مقامات مع أبي حنيفة، فمن ذلك: ماروي أنّه قال يوماً من الأيّام لمؤمن الطاق: إنّكم تقولون بالرجعة؟ قال: نعم، قال أبو حنيفة: فأعطني الآن ألف درهم حتّى أعطيك ألف دينار إذا رجعنا! قال الطاقي لأبي حنيفة: فاعطني كفيلاً بأنّك ترجع إنساناً ولا ترجع خنزيراً .

وقال له يوماً آخر: لم لم يطالب عليّ بن أبي طالب بحقّه بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله إن كان له حقّ؟ فأجابه مؤمن الطاق، فقال: خاف أن تقتله الجنّ كما قتلوا سعد بن عبادة بسهم المغيرة بن شعبة.

وكان أبو حنيفة يوماً آخر يتماشى مع مؤمن الطاق في سكّة من سكك الكوفة، إذا بمناد ينادي:من يدلّني على صبيّ ضالّ؟ فقال مؤمن الطاق: أمّا الصبيّ الضال فلم نره، وإن أردت شيخاً ضالّاً فخذ هذا! عنى به أبا حنيفة.

ولمّا مات الصادق عليه السلام رأى أبو حنيفة مؤمن الطاق، فقال له: مات إمامك؟ قال: نعم، أمّا إمامك فمن المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم![1].

---

(١) البحار: ج٤٧ ص٣٩٦-٤٠٠-٤٠٥ وج٨ ص١٤٤ ط الكمباني عن المناقب. وراجع قاموس الرجال: ج٨ ص٣١٠ وج٩ ص٢١٥. وروضة المؤمنين: ص٦٩-٨١ عن الاحتجاج وكذا ص١٥٣ ونهج الصباغة: ج٤ ص٣٣٩. والاحتجاج: ج٢ ص١٤٣-١٤٨. وزهر الربيع: ص٢٤-٣١-١٤٢. والكنى والألقاب: ج٢ ص٤٠٣.

(٢١٧)

هشام وأبو عبيدة

قال أبو عبيدة المعتزلي لهشام بن الحكم: الدليل على صحّة معتقدنا وبطلان معتقدكم كثرتنا وقلّتكم مع كثرة أولاد عليّ وادّعائهم. فقال هشام: لست إيّانا أردت بهذا القول إنّما أردت الطعن على نوح عليه‌السلام حيث لبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً يدعوهم إلى النجاة ليلاً ونهاراً، وماآمن معه إلّا قليل.

وسأل هشام بن الحكم جماعة من المتكلمين، فقال: أخبروني حين بعث الله محمّداً صلّى الله عليه وآله بعثه بنعمة تامّة أو بنعمة ناقصة؟ قالوا: بنعمة تامّة، قال: فأيّما أتمّ؟ أن يكون في أهل بيت واحد نبّوة وخلافة؟ أو يكون نبوّة بلا خلافة؟ قالوا: بل يكون نبوّة وخلافة، قال: فلماذا جعلتموها في غيرها، فاذا صارت في بني هاشم ضربتم وجوههم بالسيوف؟ فافحموا[١].

(٢١٨)

الهيثم وأبو حنيفة

عن محمّد بن نوفل قال: [كنت عند الهيثم بن حبيب الصيرفي] دخل علينا أبو حنيفة النعمان بن ثابت، فذكرنا أميرالمؤمنين عليه‌السلام ودار بيننا كلام فيه، فقال أبو حنيفة: قد قلت لأصحابنا لا تقرّوا لهم بحديث غدير خمّ فيخصموكم! فتغيّر وجه الهيثم بن حبيب الصيرفي وقال له: لم لايقرّون به؟ أما هو عندك يانعمان؟ قال: هو عندي وقد رويته! قال: فلم لايقرّون به وقد حدّثنا به حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن ارقم: أنّ

---

(١) البحار: ج٤٧ ص٤٠١ عن المناقب.

عليّاً عليه السلام نشد الله في الرحّبة من سمعه؟ فقال أبو جنيفة: أفلا ترون أنّه قد جرى في ذلك خوض حتّى نشد عليّ الناس لذلك؟ فقال الهيثم: فنحن نكذّب عليّاً أو نردّ قوله؟ فقال أبو حنيفة: مانكذّب عليّاً ولانردّ قولاً قاله، ولكنّك تعلم أنّ الناس قد غلا فيهم قوم.

فقال الهيثم: يقوله رسول الله صلّى الله عليه وآله ويخطب به ونشفق نحن منه ونتّقيه لغلوّ غال أو قول قائل؟ ثمّ جاء من قطع الكلام بمسألة سأل عنها، ودار الحديث بالكوفة وكان معنا في السوق حبيب بن نزار بن حسّان، فجاء إلى الهيثم، فقال له: قد بلغني مادار عنك في عليّ وقوله ـ وكان حبيب مولى لبني هاشم ـ فقال له الهيثم: النظر يمرّ فيه أكثر من هذا، فخفّض الأمر.

فحججنا بعد ذلك ومعنا حبيب، فدخلنا على أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام فسلّمنا عليه، فقال له حبيب: ياأباعبدالله! كان من الأمر كذا وكذا، فتبيّن الكراهيّة في وجه أبي عبدالله عليه السلام، فقال له حبيب: هذا محمّد بن نوفل حضر ذلك، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: أي حبيب كفّ! خالقوا الناس بأخلاقهم وخالفوهم بأعمالكم، فانّ لكل امرئ مااكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحبّ، لاتحملوا الناس عليكم وعلينا، وادخلوا في ذهماء الناس، فانّ لنا أيّاماً ودولة يأتي بها الله إذا شاء، فسكت حبيب، فقال: أفهمت ياحبيب؟ لاتخالفوا أمري فتندموا، قال: لن أخالف أمرك، الحديث[1].

(٢١٩)
محمّد بن حكيم مع شريك

عن محمّد بن حكيم وصاحب له ـ قال أبو محمّد: قد كان درس اسمه في

---

(١) البحار: ج٤٧ ص٤٠١-٤٠٢ عن أمالي المفيد رحمه الله: ص١٤.

كتاب أبي ـ قالا: رأينا شريكاً واقفاً في حائط من حيطان فلان ـ قد كان درس اسمه أيضاً في الكتاب ـ قال أحدنا لصاحبه: هل لك في خلوة من شريك؟ فأتيناه فسلّمنا عليه، فردّ علينا السلام، فقلنا: ياأباعبدالله مسألة، فقال: في أيّ شئ؟ فقلنا: في الصلاة، فقال: سلوا عمّا بدا لكم.

فقلنا: لانريد أن تقول: قال فلان وقال فلان، إنّما نريد أن تسنده إلى النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله فقال: أليس في الصلاة؟ فقلنا: بلى، فقال: سلوا عما بدا لكم. فقلنا: في كم يجب التقصير؟ قال: كان ابن مسعود يقول: لايغرنّكم سوادنا هذا، وكان يقول فلان. قال: قلت: إنّا استثنينا عليك ألّا تحدّثنا إلّا عن نبيّ الله صلّىٰ الله عليه وآله قال: والله! إنّه لقبيح لشيخ يسئل عن مسألة في الصلاة عن النبيّ لايكون عنده فيها شيء، وأقبح من ذلك أن أكذب على رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله.

قلت: فمسألة اخرى، فقال: أليس في الصلاة؟ قلنا: بلى، قال: سلوا عمّا بدا لكم.

قلنا: على من تجب صلاة الجمعة؟ قال: عادت المسألة جذعة! ماعندي في هذا عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله شيء.

قال: فأردنا الانصراف، قال: إنكم لم تسألوا عن هذا إلّا وعندكم منه علم، قال: قلت: نعم أخبرنا محمّد بن مسلم الثقفي، عن محمّد بن عليّ، عن أبيه، عن جدّه، عن النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله، فقال: الثقفي الطويل اللحية؟ فقلنا: نعم، قال: أما انّه لقد كان مأموناً على الحديث، ولكن كانوا يقولون: إنّه خشبيّ، ثمّ قال: ماذا روى؟ قلنا: روى عن النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله: أنّ التقصير يجب في بريدين، وإذا اجتمع خمسة أحدهم

الإمام فلهم أن يجمّعوا[١].

(٢٢٠)

مؤمن الطاق مع زيد

عن مؤمن الطاق ـ واسمه محمّد بن عليّ بن النعمان، أبو جعفر الأحول ـ قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فدخل زيد بن عليّ، فقال لي: يامحمّد بن علي أنت الذي تزعم أنّ في آل محمّد إماماً مفترض الطاعة معروفاً بعينه؟ قال: قلت: نعم، فكان أبوك علي بن الحسين أحدهم؛ قال: ويحك! فما كان يمنعه من أن يقول لي؟ فوالله! لقد كان يؤتى بالطعام الحارّ فيقعدني على فخذه ويتناول البضعة فيبردها ثمّ يلقّمنيها، أفتراه كان يشفق عليّ من حرّ الطعام ولايشفق عليّ من حرّ النار؟ قال: قلت: كره أن يقول فتكفر، فيجب من الله عليك الوعيد ولايكون له فيك شفاعة، فتركك مرجئاً لله فيك المشيّة وله فيك الشفاعة[٢].

(٢٢١)

مؤمن الطاق مع الضحّاك

عن أبي مالك الأحمسي قال: خرج الضحّاك الشاري بالكوفة فحكم وتسمّى بامرة المؤمنين ودعا الناس إلى نفسه، فأتاه مؤمن الطاق، فلمّا رأته الشراة وثبوا في وجهه فقال لهم: جانح. قال: فأُوتي به صاحبهم، فقال له مؤمن الطاق: أنا رجل على بصيرة من ديني، وسمعتك تصف العدل، فأحببت الدخول معك، فقال الضحّاك لأصحابه: إن دخل هذا معكم نفعكم.

---

(١) البحار: ج٤٧ ص٤٠٣-٤٠٤ عن الكشي. والاختصاص: ص٤٥. والكشي: ص١٦٦.

(٢) البحار: ج٤٧ ص٤٠٥ وقد مرّ بلفظ آخر والكشي: ص١٨٦-١٨٧ بسندين.

قال: ثمّ أقبل مؤمن الطاق على الضحّاك ، فقال: لم تبرّأتم من عليّ بن أبي طالب واستحللتم قتله وقتاله؟ قال: لأنّه حكّم في دين الله، قال: وكلّ من حكّم في دين الله استحللتم قتله وقتاله والبراءة منه؟ قال: نعم، قال: فأخبرني عن الدين الذي جئت اناظرك عليه لأدخل معك فيه إن غلبت حجّتي حجّتك أو حجّتك حجّتي، من يوقف المخطئ على خطئة ويحكم للمصيب بصوابه؟ فلا بدّ لنا من إنسان يحكم بيننا قال: فاشار الضحاك الى رجل من أصحابه فقال: هذا الحكم بيننا فهو عالم بالدين، قال: وقد حكّمت هذا في الدين الذي جئت أُناظرك فيه؟ قال: نعم، فأقبل مؤمن الطاق على أصحابه، فقال: إنّ هذا صاحبكم قد حكّم في دين الله فشأنكم به! فضربوا الضحّاك بأسيافهم حتى سكت[1].

(٢٢٢)

مؤمن الطاق مع ابن أبي العوجاء

عن يونس، عن أبي جعفر الأحول، قال: قال ابن أبي العوجاء مرّة: أليس من صنع شيئاً وأحدثه حتى يعلم أنّه من صنعته فهو خالقه؟ قلت: بلى، قال: فأخلني شهراً أو شهرين ثمّ تعال حتىّ اريك. قال: فحججت فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال: أما أنّه قد هيّأ لك شاتين وهو جاء معه بعدّة من أصحابه، ثمّ يخرج لك الشاتين قد امتلئا دوداً، ويقول لك: هذا الدود يحدث من فعلي، فقل له: إن كان من صنعك وأنت أحدثته فميّز ذكوره من اناثه. وأخرج إليّ الدود فقلت له: ميّز الذكور من الاناث، فقال: هذه والله ليست من إبرازك ! هذه التي حملتها الإبل من الحجاز.

---

(١) البحار: ج٤٧ ص٤٠٥ عن الكشي وج٨ ص٥٧٠ ط الكمباني عن المناقب. وراجع قاموس الرجال: ج٨ ص٣٠٧ والكشي: ص١٨٨.

ثمّ قال: ويقول لك: أليس تزعم أنّه غني، فقل: بلى، فيقول أيكون الغنيّ عندك من المعقول في وقت من الأوقات ليس عنده ذهب ولافضّة؟ فقل له: نعم، فانّه سيقول لك: كيف يكون هذا غنيّاً؟ فقل: إن كان الغني عندك أن يكون الغني غنيّاً من قبل فضّته وذهبه وتجارته؛ فهذا كلّه ممّا يتعامل الناس به،فأيّ القياس أكثر وأولى بأن يقال: غني: من أحدث الغنىٰ فأغنى به الناس قبل أن يكون شيء وهو وحده،أو من أفاد مالاً من هبة أو صدقة أو تجارة؟ قال: فقلت له ذلك، قال: فقال: وهذه والله ليست من إبرازك! هذه والله ممّا تحملها الإبل[١].

(٢٢٣)

مؤمن الطاق وأبو حنيفة

وقيل: انّه -يعني مؤمن الطاق- دخل على أبي حنيفة يوماً، فقال له أبو حنيفة: بلغني عنكم معشر الشيعة شيء؟ فقال: فما هو؟ قال: بلغني أنّ الميّت منكم إذا مات كسرتم يده اليسرى لكي يعطى كتابه بيمينه! فقال: مكذوب علينا يانعمان! ولكني بلغني عنكم معشر المرجئة:أنّ الميّت منكم إذا مات قمعتم في دبره قمعاً فصببتم فيه جرّة من ماء لكي لايعطش يوم القيامة! فقال أبو حنيفة: مكذوب علينا وعليكم[٢].

(٢٢٤)

حمران ورجل

عن هشام بن سالم، قال: كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام جماعة من أصحابه، فورد رجل من أهل الشام فاستأذن، فاذن له، فلمّا دخل سلّم،

---

(١) البحار: ج٤٧ ص٤٠٦ وراجع قاموس الرجال: ج٨ ص٣٠٨ والكشي: ص١٨٩.

(٢) البحار: ج٤٧ ص٤٠٧. قاموس الرجال:ج٨ص٣٠٨. والكشي:ص١٩٠.

فأمره أبو عبدالله عليه السلام بالجلوس.

ثم قال له: ماحاجتك أيّها الرجل؟ قال: بلغني أنّك عالم بكلّ ماتسأل عنه، فصرت إليك لاناظرك . فقال أبو عبدالله عليه السلام: فيما ذا؟ قال: في القرآن وقطعه واسكانه وخفضه ونصبه ورفعه، فقال أبو عبدالله عليه السلام: ياحمران دونك الرجل!

فقال الرجل: اريدك أنت لاحمران. فقال أبو عبدالله عليه السلام: إن غلبت حمران فقد غلبتني، فأقبل الشامي يسأل حمران حتىّ ضجر وملّ وعرض وحمران يجيبه. فقال أبو عبدالله عليه السلام: كيف رأيت ياشاميّ؟ قال: رأيته حاذقاً ماسألته عن شيء إلّا أجابني فيه. فقال أبو عبدالله عليه السلام: ياحمران سل الشامي، فما تركه يكثر.

فقال الشامي: أرأيت ياأبا عبد الله اناظرك في العربية؟ فالتفت أبو عبدالله عليه السلام فقال: ياأبان بن تغلب ناظره، فناظره، فما ترك الشامي يكثر.

قال: اريد أن اناظرك في الفقه، فقال أبو عبدالله: يازرارة ناظره، فما ترك الشامي يكثر.

قال: اريد أن اناظرك في الكلام، فقال: يامؤمن الطاق ناظره، فناظره فسجل الكلام بينهما، ثمّ تكلّم مؤمن الطاق بكلامه فغلبه به.

فقال: اريد أن اناظرك في الاستطاعة، فقال للطيّار: كلّمه فيها، قال: فكلّمه، فما ترك يكثر.

فقال: اريد أن اناظرك في التوحيد، فقال لهشام بن سالم: كلّمه، فسجل الكلام بينهما، ثمّ خصمه هشام.

فقال: اريد أن اتكلم في الإمامة، فقال لهشام بن الحكم: كلّمه ياأبا الحكم، فكلّمه فما تركه يرتم ولايحلي ولايمرّ. قال: فبقي يضحك أبو عبدالله

عليه السلام حتّى بدت نواجده.

فقال الشامي: كأنّك أردت أن تخبرني أنّ في شيعتك مثل هؤلاء الرجال؟ قال: هو ذلك، ثمّ قال: ياأخا أهل الشام! أمّا حمران: فحرفك فحرت له فغلبك بلسانه، وسألك عن حرف من الحقّ فلم تعرفه. وأمّا أبان ابن تغلب: فمغث حقّاً بباطل فغلبك. وأمّا زرارة: فقاسك فغلب قياسه قياسك. وأمّا الطيّار: فكان كالطير يقع ويقوم وأنت كالطير المقصوص [لانهوض لك].وأمّا هشام بن سالم: قام حبارى يقع ويطير. وأمّا هشام بن الحكم: فتكلّم بالحقّ فما سوّغك بريقك.

ياأخا أهل الشام! إنّ الله أخذ ضغثاً من الحقّ وضغثاً من الباطل، فمغثهما، ثمّ أخرجهما إلى الناس، ثمّ بعث أنبياء يفرّقون بينهما، فعرّفهما الأنبياء والأوصياء فبعث الله الأنبياء ليفرّقوا ذلك وجعل الأنبياء قبل الأوصياء ليعلم الناس من فضل الله ومن يختصّ، ولو كان الحقّ على حدة والباطل على حدة كلّ واحد منهما قائم بشأنه ماالحتاج الناس إلى نبيّ ولاوصيّ، ولكنّ الله خلطهما، وجعل يفرّقهما الأنبياء والأئمّة عليهم السلام من عباده.

فقال الشامي: قد أفلح من جالسك! فقال أبو عبدالله عليه السلام: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يجالسه جبرائيل وميكائيل واسرافيل يصعد إلى السماء فيأتيه الخبر من عند الجبّار، فان كان ذلك كذلك فهو كذلك.

فقال الشامي: اجعلني من شيعتك وعلّمني، فقال أبو عبدالله عليه السلام لهشام: علّمه فانّي احبّ أن يكون تلماذاً لك.

قال علي بن منصور وأبو مالك الخضرمي،رأينا الشامي عند هشام بعد موت أبي عبدالله عليه السلام ويأتي الشامي بهدايا أهل الشام وهشام يردّه

هدايا أهل العراق. قال عليّ بن منصور: وكان الشامي ذكيّ القلب[١].

(٢٢٥)

حريز وأبو حنيفة

عن حريز قال: دخلت على أبي حنيفة وعنده كتب كادت تحول فيما بيننا وبينه؛ فقال لي: هذه الكتب كلّها في الطلاق! وأنتم؟ وأقبل يقلّب بيده قال: قلت: نحن نجمع هذا كلّه في حرف؛ قال وماهو؟ قلت: قوله تعالى «ياأيّها النبي إذا طلّقتم النساء فطلّقوهن لعدّتهنّ وأحصوا العدّة».

فقال لي: وأنت لا تعلم شيئاً إلّا برواية؟ قلت: أجل؛ فقال لي: ماتقول في مكاتب كانت مكاتبته ألف درهم فأدّى تسعمائة وتسعة وتسعين درهماً ثمّ أحدث -يعني الزنا- كيف تحدّه؟ فقلت: عندي بعينها حديث، حدّثني محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليهما السلام أنّ علياً عليه السلام كان يضرب بالسوط وبثلثه وبنصفه وببعضه بقدر أدائه.

فقال لي: أما إنّي أسألك عن مسألة لايكون فيها شيء، فما تقول في جمل اخرج من البحر؟ فقلت: إن شاء فليكن جملاً وإن شاء فليكن بقرة، إن كان عليه فلوس أكلناه، وإلّا فلا[٢].

(٢٢٦)

مؤمن الطاق وأبو حنيفة

سأل أبو حنيفة أبا جعفر محمّد بن النعمان صاحب الطاق، فقال له: ياأبا جعفر ماتقول في المتعة؟ أتزعم أنّها حلال؟ قال: نعم، قال: فما منعك

---

(١) البحار: ج٤٧ ص٤٠٧ عن الكشيّ، وقاموس الرجال: ج٩ ص٣٣٩ والكشي: ص٢٧٥-٢٧٨.

(٢) البحار: ج٤٧ ص٤٠٩-٤١٠ عن الكشيّ والاختصاص للمفيد. والكشي: ص٣٨٤.

أن تأمر نساءك أن يستمتعن ويكتسبن عليك؟ فقال له أبو جعفر: ليس كلّ الصناعات يرغب فيها وإن كانت حلالاً، وللناس أقدار ومراتب يرفعون أقدارهم، ولكن ماتقول ياأبا حنيفة في النبيذ أتزعم أنّه حلال؟ قال: نعم. قال: فما يمنعك أن تُقعد نساءك في الحوانيت نبّاذات فيكسبن عليك؟ فقال أبو حنيفة: واحدة بواحدة، وسهمك أنفذ!

ثمّ قال له: ياأبا جعفر إنّ الآية التي في «سأل سائل» تنطق بتحريم المتعة، والرواية عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قد جاءت بنسخها، فقال له أبو جعفر: ياأبا حنيفة إنّ سورة «سأل سائل» مكيّة وآية المتعة مدنيّة وروايتك شاذة رديّة. فقال له أبو حنيفة: وآية الميراث أيضاً تنطق بنسخ المتعة، فقال له أبو جعفر: قد ثبت النكاح بغير ميراث، قال أبو حنيفة: من أين قلت ذاك؟ فقال أبو جعفر: لو أنّ رجلاً من المسلمين تزوّج امرأة من أهل الكتاب ثمّ توفّى عنها ماتقول فيها؟ قال: لا ترث منه. قال: فقد ثبت النكاح بغير ميراث. ثمّ افترقا[١].

(٢٢٧)
الأعمش وأبو حنيفة

عن شريك بن عبدالله القاضي، قال: حضرت الأعمش في علّته التي قبض فيها، فبينا أنا عنده إذ دخل عليه ابن شبرمة وابن أبي ليلى وأبو حنيفة، فسألوه عن حاله، فذكر ضعفاً شديداً، وذكر مايتخوّف من خطيئاته، وأدركته رنّة فبكى! فأقبل عليه أبو حنيفة، فقال: ياأبامحمّد اتّق الله! وانظر لنفسك فانّك في آخر يوم من أيّام الدنيا وأوّل يوم من أيّام الآخرة، وقد كنت تحدّث في عليّ بن أبي طالب عليه السلام بأحاديث لو

---

(١) البحار: ج٤٧ ص٤١١. وراجع قاموس الرجال: ج٨ ص٣١٠.

رجعت عنها كان خيراً لك.

قال الأعمش: مثل ماذا يانعمان؟ قال: مثل حديث عباية:«أنا قسيم النار» قال: أو لمثلي تقول يايهودي؟ أقعدوني سنّدوني أقعدوني!

حدّثني والذي إليه مصيري! موسى بن طريف -ولم أر أسديّاً كان خيراً منه- قال: سمعت عباية بن ربعي إمام الحيّ، قال: سمعت عليّاً أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: انا قسيم النار،أقول: هذا وليّي دعيه،وهذا عدوّي خذيه.

وحدّثني أبو المتوكّل الناجي في إمرة الحجّاج، وكان يشتم عليّاً عليه السلام شتماً مقذعاً -يعني الحجاج لعنه الله- عن أبي سعيد الخدري -رحمه الله- قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة يأمر الله عزّوجلّ فأقعد أنا وعليّ على الصراط، ويقال لنا: «أدخلا الجنّة من آمن بي وأحبّكما وأدخلا النار من كفر بي وأبغضكما» قال أبو سعيد: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:ماآمن بالله من لم يؤمن بي ولم يؤمن بي من لم يتولّ -أو قال: لم يحبّ- عليّا، وتلا «ألقيا في جهنم كلّ كفّار عنيد».

قال: فجعل أبو حنيفة إزاره على رأسه وقال: قوموا بنا! لا يجيئنا أبو محمّد بأطمّ من هذا. قال الحسن بن سعيد: قال لي شريك بن عبدالله: فما أمسى -يعني الأعمش- حتّى فارق الدنيا[1].

(٢٢٨)

أعرابيّ وهارون

الفضل بن ربيع ورجل آخر قالا: حجّ هارون الرشيد وابتدأ بالطواف

---

(١) البحار: ج٤٧ ص٤١٢ عن أمالي الشيخ، وص٣٥٨ عن بشارة المصطفى، وج٣٩ ص١٩٧ عن أمالي الشيخ -رحمه الله-، وص٢٠٥ عن المناقب. وقاموس الرجال: ج٤ ص٤٩٤، وج٦ ص٤٠١.

ومنعت العامّة من ذلك لينفرد وحده، فبينما هو في ذلك إذ ابتدر أعرابي البيت! وجعل يطوف معه.

فقال الحاجب: تنحّ ياهذا عن وجه الخليفة! فانتهرهم الأعرابيّ وقال: إنّ الله ساوى بين الناس في هذا الموضع، فقال: «سواء العاكف فيه والباد» فأمر الحاجب بالكفّ عنه، فكلّما طاف الرشيد طاف الأعرابي أمامه، فنهض إلى الحجر الأسود ليقبّله فسبقه الأعرابي إليه والتثمه، ثمّ صار الرشيد إلى المقام ليصلّي فيه فصلّى الأعرابي أمامه.

فلمّا فرغ هارون من صلاته استدعى الأعرابي، فقال الحجّاب:أجب امير المؤمنين! فقال: مالي إليه حاجة فأقوم إليه، بل إن كانت الحاجة له فهو بالقيام إليّ أولى! قال: صدق! فمشى إليه وسلّم عليه، فردّ عليه السلام، فقال هارون: أجلس ياأعرابي؟ فقال: مالموضع لي فتستأذنني فيه بالجلوس! إنّما هو بيت الله نصبه لعباده، فان أحببت أن تجلس فاجلس، وإن أحببت أن تنصرف فانصرف.

فجلس هارون وقال: ويحك ياأعرابي! مثلك من يزاحم الملوك ؟ قال: نعم وفيّ مستمع، قال: فانّي سائلك فان عجزت آذيتك ، قال: سؤالك هذا سؤال متعلّم أو متعنّت؟ قال: بل سؤال متعلّم، قال: اجلس مكان السائل من المسؤول! وسل وأنت مسؤول.

فقال هارون: أخبرني مافرضك ؟ قال: إنّ الفرض ـ رحمك الله ـ واحد، وخمسة، وسبعة عشر، وأربع وثلاثون وأربع وتسعون ومائة وثلاثة وخمسون على سبعة عشر؛ ومن إثنى عشر واحد، ومن أربعين واحد، ومن مائتين خمس، ومن الدهر كلّه واحد، وواحد بواحد.

قال: فضحك الرشيد! وقال: ويحك ! أسألك عن فرضك وأنت تعدّ عليّ الحساب! قال: أما علمت أنّ الدين كلّه حساب؟ ولو لم يكن الدين

حساباً لما اتّخذ الله للخلائق حساباً، ثمّ قرأ «وإن كان مثقال حبّة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين» قال: فبيّن لي ماقلت، وإلّا أمرت بقتلك بين الصفا والمروة.

فقال الحاجب: تهبه لله ولهذا المقام، قال: فضحك الأعرابي من قوله، فقال الرشيد: ممّا ضحكت ياأعرابي؟ قال: تعجّباً منكما، إذ لاأدرى من الأجهل منكما؟ الذي يستوهب أجلاً قد حضر؟ أو الذي استعجل أجلاً لم يحضر؟ فقال الرشيد: فسّر ماقلت، قال: أمّا قولي: «الفرض واحد» فدين الاسلام كلّه واحد، وعليه خمس صلوات، وهي سبع عشر ركعة، وأربع وثلا ثون سجدة، وأربع وتسعون تكبيرة، ومائة وثلاث وخمسون تسبيحة. وأمّا قولي: «من إثني عشر واحد» فصيام شهر رمضان من إثني عشر شهراً. وأمّا قولي: «من الأربعين واحد» فن ملك أربعين ديناراً أوجب الله عليه ديناراً وأمّا قولي: «من مائتين خمسة» فن ملك مائتي درهم أوجب الله عليه خمسة دراهم، وأمّا قولي: «فن الدهر كلّه واحد» فحجّة الإسلام. وأمّا قولي: «واحد من واحد» فن أهرق دماً من غير حقّ وجب إهراق دمه، قال الله تعالى: «النفس بالنفس».

فقال الرشيد لله درك! وأعطاه بدرة. فقال: فبم استوجبت منك هذه البدرة ياهارون؟ بالكلام أو بالمسألة؟ قال: بالكلام، قال: فانّي سائلك عن مسألة، فان أتيت بها كانت البدرة لك تصدّق بها في هذا الموضع الشريف، وإن لم تجبني عنها أضفت إلى البدرة بدرة أُخرى لأتصدّق بها على فقراء الحيّ من قومي، فأمر بايراد اخرى وقال: سل عمّا بدا لك.

فقال: أخبرني عن الخنفساء تزقّ، أم ترضع ولدها؟ فحرد هارون وقال: ويحك ياأعرابي! مثلي من يسأل عن هذه المسألة؟! فقال: سمعت ممّن سمع من رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: من ولي أقواماً وهب له

من العقل كعقولهم، وأنت إمام هذه الامّة يجب أن تسأل عن شيءمن أمر دينك ومن الفرائض إلاّ أجبت عنها، فهل عندك له الجواب؟

قال هارون: رحمك الله! لا، فبيّن لي ماقلته، وخذ البدرتين، فقال: إنّ الله تعالى لمّا خلق الأرض خلق دبّابات الأرض الذي من غير روث ولادم خلقها من التراب، وجعل رزقها وعيشها منه، فاذا فارق الجنين امّه لم تزقّه ولم ترضعه وكان عيشها من التراب.

فقال هارون: والله! ماابتلي أحد بمثل هذه المسألة. وأخذ الأعرابي البدرتين، وخرج.

فتبعه بعض الناس وسأله عن اسمه، فاذا هو موسى بن جعفر بن محمّد عليهم السلام، فاخبر هارون بذلك، فقال: والله! لقد كان ينبغي أن تكون هذه الورقة من تلك الشجرة[1].

أقول: نقلته كما وجدته، وإن كان خارجاً من موضوع الكتاب، لأنّ الغرض جمع مواقف الشيعة لا الائمّة عليهم السلام والرجاء من الله سبحانه أن يوفقني لجمعه في كتاب مستقلّ، إن شاء الله تعالى.

(٢٢٩)

هشام والمتكلّمون

عن يونس بن عبدالرحمن، قال: كان يحيى بن خالد البرمكي قد وجد على هشام بن الحكم شيئاً من طعنه على الفلاسفة، وأحبّ أن يغري به هارون ونصرته على القتل، قال: وكان هارون لمّا بلغه عن هشام مال إليه.

وذلك: أنّ هشاماً تكلّم يوماً بكلام عند يحيى بن خالد في إرث النبيّ صلّى الله عليه وآله فنقل إلى هارون فأعجبه، وقد كان قبل ذلك يحيى

(١) البحار: ج٤٨ ص١٤١-١٤٣ عن المناقب.

يسترق أمره عند هارون ويردّه عن أشياء كان يعزم عليها من أذاه، فكان ميل هارون إلى هشام أحد ماغيّر قلب يحيى على هشام، فشيعه عنده وقال له: ياأميرالمؤمنين! إنّي قد استبطنت أمر هشام، فاذا هو يزعم أنّ لله في أرضه إماماً غيرك مفروض الطاعة! قال: سبحان الله!! قال: نعم، ويزعم أنّه لو أمره بالخروج لخرج، وإنّما كنّا نرى أنّه ممّن يرى الإلباد بالأرض.

فقال هارون ليحيى: فاجمع عندك المتكلّمين وأكون أنا من وراء الستر بيني وبينهم لئلا يفطنوا بي ولايمتنع كلّ واحد منهم أن يأتي بأصله لهيبتي.

قال: فوجّه يحيى وأشحن المجلس من المتكلّمين، وكان فيهم ضرار بن عمرو وسليمان بن جرير وعبدالله بن يزيد الأباضي ومؤبد بن مؤبد ورأس الجالوت، قال: فتساءلوا فتكافؤوا وتناظروا وتقاطعوا وتناهوا إلى شاذّ من شاذّ الكلام، كلّ يقول لصاحبه:لم تجب، ويقول: قد أجبت، وكان ذلك من يحيى حيلة على هشام، إذ لم يعلم بذلك المجلس، واغتنم ذلك لعلّة كان أصابها هشام بن الحكم.

فلمّا تناهوا إلى هذا الموضع قال لهم يحيى بن خالد: أترضون فيا بينكم هشاماً حكما؟ قالوا: قد رضينا أيّها الوزير! فأنّى لنا به وهو عليل؟ فقال يحيى :فأنا اوجّه إليه، فأرسله أن يتجشّم المشي، فوجّه إليه فأخبره بحضورهم وأنّه إنّما منعه أن يحضروه أوّل المجلس إبقاءاً عليه من العلّة وأنّ القوم قد اختلفوا في المسائل والأجوبة وتراضوا بك حكماً بينهم، فان رأيت أن تتفضّل وتحمل على نفسك فافعل.

فلمّا صار الرسول إلى هشام، قال لي: يايونس! قلبي ينكر هذا القول ولست آمن أن يكن هاهنا أمراً لاأقف عليه، لأنّ هذا الملعون -يحيى بن خالد- قد تغيّر عليّ لامور شتّى، وقد كنت عزمت إن منّ الله عليّ بالخروج من هذه العلّة أن أشخص إلى الكوفة واحرّم الكلام بتّة وألزم المسجد ليقطع

عنّي مشاهدة هذا الملعون -يعني يحيى بن خالد- قال: قلت: جعلت فداك! لايكون إلاّ خيراً، فتحرّز ماأمكنك، فقال لي: يايونس! أترى التحرّز عن أمر يريد الله إظهاره على لساني؟ أنّى يكون ذلك! ولكن قم بنا على حول الله وقوّته.

فركب هشام بغلاً كان مع رسوله، وركبت أنا حماراً كان لهشام، قال: فدخلنا المجلس، فاذا هو مشحون بالمتكلّمين! قال: فمضى هشام نحو يحيى فسلمّ عليه وسلّم على القوم وجلس قريباً منه، وجلست أنا حيث انتهى بي المجلس.

قال: فأقبل يحيى على هشام بعد ساعة، فقال: إنّ القوم حضروا وكنّا مع حضورهم نحبّ أن تحضر، لا لأن تناظر، بل لأن نأنس بحضورك إن كانت العلّة تقطعك عن المناظرة، وأنت بحمد الله صالح وليست علّتك بقاطعة من المناظرة، وهؤلاء القوم قد تراضوا بك حكماً بينهم.

قال: فقال هشام: ماالموضع الذي تناهت به المناظرة؟ فأخبره كلّ فريق منهم بموضع مقطعه، فكان من ذلك أن حكم لبعض على بعض، فكان من المحكومين عليه «سليمان بن جرير» فحقدها على هشام.

قال: ثمّ إنّ يحيى بن خالد قال لهشام: إنّا قد أعرضنا عن المناظرة والمجادلة منذ اليوم، ولكن إن رأيت أن تبيّن عن فساد اختيار الناس الإمام وأنّ الإمامة في آل بيت الرسول دون غيرهم! قال هشام: أيّها الوزير! العلّة تقطعني عن ذلك، ولعلّ معترضاً يعترض فيكتسب المناظرة والخصومة. قال: إن اعترض معترض قبل أن تبلغ مرادك وغرضك فليس ذلك له، بل عليه أن يحفظ المواضع التي له فيها مطعن فيقفها إلى فراغك ولايقطع عليك كلامك.

فبدأ هشام وساق الذكر لذلك وأطال واختصرنا منه موضع الحاجة.

فلمّا فرغ ممـا قد ابتدأ فيـه من الكلام في فساد اختيار الناس الإمام قال يحيـى لسليمان بـن جـريـر: سل أبا محمّد عـن شـيء مـن هذا الباب؟ قال سليمـان لهشام: أخبـرني عن عـليّ بـن أبي طالب مـفروض الطـاعة؟ فقال هشام: نـعم، قـال: فان أمـرك الـذي بعـده بالخـروج بالسيـف معـه تفـعل وتطيعه؟ فقال هشام: لايـأمرني، قال: ولم إذا كانت طاعتـه مفروضة عليك وعليك أن تطيـعه؟ فقال هشـام: عـد عن هذا فقد تـبيّن فيه الجـواب، قال سليمـان: فلـم يـأمرك في حـال تطيـعه وفي حال لا تطيـعه؟ فقـال هشام: ويحك! لم أقل لك: إنّي لااطيعه فتقول: إنّ طاعتهُ مفروضة، إنّما قلت لك: لايأمرني.

قال سليمـان: لـيس أسـألك إلّا على سبيل سلطـان الجـدل، ليس على الواجب أنّه لايأمرك، فقـال هشام: كم تحول حول الحمى؟ هـل هو إلّا أن أقول لك: إن أمرني فعلت؟ فـتنقطع أُقبح الانقطـاع ولايكون عندك زيادة! وأنا أعلم بما يجب قولي وما إليه يؤول جوابي.

قـال: فـتـغيّـر وجـه هـارون، وقـال هارون: قـد أفصح، وقـام الناس، واغتنمها هشام، فخرج على وجهه إلى المدائن.

قال: فبلغنا أنّ هارون قال ليحيى: شدّ يدك بهذا وأصحابه.

وبعث إلى أبي الحسن موسى عليه السلام فحبسه، فكان هذا سبب حبسه مع غيره من الأسباب، وإنّما أراد يحيى أن يهرب هشام فيموت مخفياً مادام لهارون سلطان.

قال: ثمّ صـار هشام إلى الـكوفـة، وهو يعقّب عـليـه، ومات في دار ابن شرف بالكوفة، رحمه الله تعالى.

قال: فـبلغ هذا المجلس مـحّمـد بن سليمـان النـوفلي وابن ميثم، وهما في حـبس هارون، فقـال النوفلي: أرى هشـامـاً مااستطـاع أن يعتـلّ، فقال ابن

ميثم: بأيّ شيء يستطيع أن يعتلّ وقد أوجب أنّ طاعته مفروضة من الله قال: يعتلّ بأن يقول: الشرط عليّ في إمامته أن لايدعو أحداً إلى الخروج حتّى ينادي مناد من السماء، فمن دعاني ممّن يدّعي الإمامة قبل ذلك الوقت علمت أنّه ليس بامام، وطلبت من أهل هذا البيت من لايقول أنّه يخرج ولايأمر بذلك حتّى ينادي مناد من السماء، فأعلم أنّه صادق.

فقال ابن ميثم: هذا من أخبث الخرافة! ومتى كان هذا في عقد الإمامة؟ إنّما يروى هذا في صفة القائم عليه السلام وهشام أجدل من أن يحتجّ بهذا! على أنّه لم يفصح بهذا الإفصاح الذي قد شرطته أنت، إنّما قال: إن أمرني المفروض الطاعة بعد عليّ عليه السلام فعلت، ولم يسمّ فلان دون فلان، كما تقول: إن قال لي طلبت غيره، فلو قال هارون له وكان المناظر له: من المفروض الطاعة؟ فقال: أنت، لم يكن أن يقول له: فان أمرتك بالخروج بالسيف تقاتل أعدائي تطلب غيري وتنتظر المنادي من السماء، هذا لايتكلّم به مثل هذا، لعلّك لو كنت أنت تكلّمت به.

قال: ثمّ قال عليّ بن إسماعيل الميثمي: إنا لله وإنّا اليه راجعون! على ما يمضي من العلم إن قتل، ولقد كان عضدنا وشيخنا والمنظور إليه فينا[1].

(٢٣٠)

هشام مع يحيى

عن يونس، قال: كنت مع هشام بن الحكم في مسجده بالعشاء، حيث أتاه مسلم صاحب بيت الحكم؛ فقال له: إنّ يحيى بن خالد يقول: قد أفسدت على الرفضة دينهم! لأنّهم يزعمون أنّ الدين لايقوم إلّا بامام حيّ،

(١) البحار: ج٤٨ ص١٨٩-١٩٣ وقاموس الرجال: ج٩ ص٣٢٠ والكشي: ص٢٥٨.

وهم لاَيدرون إمامهم اليوم حيّ أو ميّت.

فقال هشام عند ذلك: إنّما علينا أن ندين بحياة الإمام أنّه حيّ حاضراً عندنا أو متوارياً عنّا حتّى يأتينا موته، فما لم يأتنا موته فنحن مقيمون على حياته، ومثّل مثالاً فقال: الرجل إذا جامع أهله وسافر إلى مكة أو توارى عنه ببعض الحيطان، فعلينا أن نقيم على حياته حتّى ياتينا خلاف ذلك.

فانصرف سالم ابن عمّ يونس بهذا الكلام فقصّه على يحيى بن خالد، فقال يحيى: ماترى؟ ماصنعنا شيئاً! فدخل يحيى على هارون فأخبره، فأرسل من الغد فطلبه، فطلب في منزله فلم يوجد، وبلغه الخبر، فلم يلبث إلّا شهرين أو أكثر حتى مات في منزل محمّد وحسين الحنّاطين؛ فهذا تفسير أمر هشام.

وزعم يونس أنّ دخول هشام على يحيى بن خالد وكلامه مع سليمان بن جرير بعد أن أُخذ أبو الحسن عليه السلام بدهر، إذ كان في زمن المهديّ ودخوله إلى يحيى بن خالد في زمن الرشيد[١].

(٢٣١)

هشام والمتكلّمون

عن عليّ الأسواري، قال: كان ليحيى بن خالد مجلس في داره يحضره المتكلّمون من كل فرقة وملّة يوم الأحد، فيتناظرون في أديانهم ويحتجّ بعضهم على بعض؛ فبلغ ذلك الرشيد، فقال ليحيى بن خالد: ياعبّاسيّ ماهذا المجلس الذي بلغني في منزلك يحضره المتكلّمون؟ فقال: ياأميرالمؤمنين! ماشيء ممّا رفعني به أميرالمؤمنين وبلغ من الكرامة والرفعة أحسن موقعاً عندي من هذا المجلس، فانّه يحضره كلّ قوم مع اختلاف مذاهبهم، فيحتج بعضهم على

---

(١) البحار: ج٤٨ ص١٩٦، والكشي: ص٢٦٦.

بعض، ويعرف المحقّ منهم، ويتبيّن لنا فساد كلّ مذهب من مذاهبهم.

قال له الرشيد: فأنا أحبّ أن أحضر هذا المجلس وأسمع كلامهم من غير أن يعلموا بحضوري فيحتشمون ولايظهرون مذاهبهم، قال: ذلك إلى أميرالمؤمنين متى شاء. قال: فضع يدك على رأسي ولا تعلمهم بحضوري، ففعل.

وبلغ الخبر المعتزلة فتشاوروا فيما بينهم وعزموا أن لايكلّموا هشاماً إلّا في الإمامة لعلمهم بمذهب الرشيد وإنكاره على من قال بالإمامة.

قال: فحضروا وحضر هشام وحضر عبدالله بن يزيد الأباضي ـوكان من أصدق الناس لهشام بن الحكم وكان يشاركه في التجارةـ فلمّا دخل هشام سلّم على عبدالله بن يزيد من بينهم، فقال: يحيى بن خالد لعبد الله ابن يزيد: ياعبدالله! كلّم هشاماً فيما اختلفتم فيه من الإمامة، فقال هشام: أيّها الوزير! ليس لهم علينا جواب ولامسألة، هؤلاء قوم كانوا مجتمعين معنا على إمامة رجل، ثمّ فارقونا بلا علم ولامعرفة، فلا حين كانوا معنا عرفوا الحقّ ولاحين فارقونا علموا على مافارقونا! فليس لهم علينا مسألة ولاجواب.

فقال بيان ـوكان من الحروريةـ: أنا أسألك ياهشام! أخبرني عن أصحاب عليّ يوم حكّموا الحكمين: أكانوا مؤمنين، أم كافرين؟

قال هشام: كانوا على ثلاثة أصناف: صنف مؤمنون، وصنف مشركون، وصنف ضلّال. فأمّا المؤمنون: فمن قال مثل قولي، الذين قالوا: إنّ عليّاً إمام من عند الله ومعاوية لايصلح لها، فآمنوا بما قال الله عزّوجلّ في عليّ وأقرّوا به. وأمّا المشركون: فقوم قالوا:عليّ إمام ومعاوية يصلح لها فأشركوا إذ أدخلوا معاوية مع عليّ. وأمّا الضلّال: فقوم خرجوا على الحميّة والعصبيّة للقبائل والعشائر لم يعرفوا شيئاً من هذا وهم جهّال.

قال: وأصحاب معاوية ماكانوا؟ قال: كانوا ثلاثة أصناف: صنف

كافرون، وصنف مشركون، وصنف ضلّال. فأمّا الكافرون: فالذين قالوا: إنّ معاوية إمام وعليّ لايصلح لها، فكفروا من جهتين: أن جحدوا إماماً من الله، ونصبوا إماماً ليس من الله. وأمّا المشركون: فقوم قالوا: معاوية إمام وعليّ يصلح لها، فأشركوا معاوية مع عليّ عليه السلام. وأمّا الضلّال فعلى سبيل أُولئك خرجوا للحميّة والعصبيّة للقبائل والعشائر.

فانقطع بيان عند ذلك.

فقال ضرار: فأنا أسألك ياهشام! في هذا، فقال هشام: اخطأت، قال: ولم؟ قال: لأنّكم مجتمعون على دفع إمامة صاحبي وقد سألني هذا عن مسألة وليس لكم أن تثنّوا بالمسألة عليّ حتّى أسألك ياضرار عن مذهب في هذا الباب، قال ضرار: فسل.

قال: أتقول: إنّ الله عدل لايجور؟ قال: نعم هو عدل لايجور تبارك وتعالى، قال: فلو كلّف الله المقعد المشي إلى المساجد والجهاد في سبيل الله وكلّف الأعمى قراءة المصاحف والكتب أتراه كان عادلاً أم جائراً؟ قال ضرار: ماكان الله ليفعل ذلك، قال هشام: قد علمنا أنّ الله لايفعل ذلك، ولكن على سبيل الجدل والخصومة إن لو فعل ذلك أليس كان في فعله جائراً؟ وكلّفه تكليفاً لايكون له السبيل إلى إقامته وأدائه؟ قال: لو فعل ذلك لكان جائراً.

قال: فأخبرني عن الله عزّوجلّ كلّف العباد ديناً واحداً لااختلاف فيه لايقبل منهم إلّا أن يأتوا به كما كلّفهم؟ قال: بلى، قال: فجعل لهم دليلاً على وجود ذلك الدين، أو كلّفهم مالادليل على وجوده فيكون بمنزلة من كلّف الأعمى قراءة الكتب والمقعد المشي إلى المساجد والجهاد؟

قال: فسكت ضرار ساعة، ثمّ قال: لابدّ من دليل وليس بصاحبك، قال: فضحك هشام! وقال: تشيّع شطرك وصرت إلى الحق ضرورة!

ولاخلاف بيني وبينك إلّا في التسمية.

قال ضرار: فانّي أرجع إليك في هذا القول: قال: هات! قال ضرار: كيف تعقد الإمامة؟ قال هشام: كما عقد الله النبوّة، قال: فاذاً هو نبيّ؟! قال هشام: لا لأنّ النبوّة يعقدها أهل السماء والإمامة يعقدها اهل الأرض فعقد النبوّة بالملائكة وعقد الإمامة بالنبيّ والعقدان جميعاً باذن الله عزّوجلّ.

قال: فما الدليل على ذلك؟ قال هشام: الاضطرار في هذا، قال ضرار: وكيف ذلك؟ قال هشام: لايخلو الكلام في هذا من أحد ثلاثة وجوه: إمّا أن يكون الله عزّوجلّ رفع التكليف عن الخلق بعد الرسول صلّى الله عليه وآله فلم يكلّفهم ولم يأمرهم ولم ينهم وصاروا بمنزلة السباع والبهائم التي لا تكليف عليها، أفتقول هذا ياضرار: انّ التكليف عن الناس مرفوع بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ قال: لاأقول هذا،قال هشام: فالوجه الثاني ينبغي أن يكون الناس المكلّفون قد استحالوا بعد الرسول علماء في مثل حدّ الرسول في العلم حتىّ لايحتاج أحد إلى أحد فيكونوا كلّهم قد استغنوا بأنفسهم وأصابوا الحقّ الذي لااختلاف فيه، أفتقول هذا: إنّ الناس قد استحالوا علماء حتّى صاروا في مثل حدّ الرسول في العلم حتى لايحتاج أحد إلى أحد مستغنين بأنفسهم عن غيرهم في إصابة الحقّ؟ قال: لاأقول هذا ولكنّهم يحتاجون إلى غيرهم.

قال: فبقي الوجه الثالث، لأنّه لابدّ لهم من علم يقيمه الرسول لهم، لايسهو ولايغلط ولايحيف، معصوم من الذنوب، مبرّأ من الخطايا، يحتاج إليه ولايحتاج إلى أحد، قال: فما الدليل عليه؟ قال هشام: ثمان دلالات: أربع في نعت نسبه، وأربع في نعت نفسه.

فأمّا الأربع التي في نعت نسبه: بأن يكون معروف الجنس، معروف القبيلة، معروف البيت، وأن يكون من صاحب الملّة والدعوة إليه إشارة،

فلم ير جنس من هذا الخلق أشهر من جنس العرب الذين منهم صاحب الملّة والدعوة الذي ينادى باسمه في كلّ يوم خمس مرّات على الصوامع: أشهد أن لاإله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، فتصل دعوته إلى كلّ برّ وفاجر وعالم وجاهل ومقرّ ومنكر في شرق الأرض وغربها، ولو جاز أن يكون الحجّة من الله على هذا الخلق في غير هذا الجنس لأتى على الطالب المرتاد دهر من عصره لايجده، ولو جاز أن يطلبه في أجناس هذا الخلق من العجم وغيرهم لكان من حيث أراد الله أن يكون صلاحاً يكون فساداً، ولايجوز هذا في حكم الله تبارك وتعالى وعدله أن يفرض على الناس فريضة لا توجد.

فلمّا لم يجز ذلك لم يجز إلّا أن يكون إلّا في هذا الجنس لا تّصاله بصاحب الملّة والدعوة، ولم يجز أن يكون من هذا الجنس إلّا في هذه القبيلة لقرب نسبها من صاحب الملّة، وهي قريش، ولمّا لم يجز أن يكون من هذا الجنس إلّا في هذه القبيلة لم يجز أن يكون من هذه القبيلة إلّا في هذا البيت لقرب نسبه من صاحب الملة والدعوة، ولمّا كثر أهل هذا البيت وتشاجروا في الإمامة لعلوّها وشرفها ادّعاها كلّ واحد منهم، فلم يجز إلّا أن يكون من صاحب الملّة والدعوة إليه إشارة بعينه واسمه ونسبه لئلا يطمع فيها غيره.

وأمّا الأربع التي في نعت نفسه: أن يكون أعلم الناس كلّهم بفرائض الله وسننه وأحكامه حتّى لايخفى عليه منها دقيق ولاجليل، وأن يكون معصوماً من الذنوب كلّها، وأن يكون أشجع الناس، وأن يكون أسخى الناس؛ قال: من أين قلت: إنّه أعلم الناس؟ قال: لأنّه إن لم يكن عالماً بجميع حدود الله وأحكامه وشرائعه وسننه لم يؤمن عليه أن يقلب الحدود، فمن وجب عليه القطع حدّه ومن وجب عليه الحدّ قطعه، فلا يقيم لله حدّاً على ماأمر به، فيكون من حيث أراد الله صلاحاً يقع فساداً.

قال: فمن أين قلت: إنّه معصوم من الذنوب؟ قال: لأنّه إن لم يكن

معصوماً من الذنوب دخل في الخطأ فلا يؤمن أن يكتم على نفسه ويكتم على حميمه وقريبه، ولايحتجّ الله عزّوجلّ بمثل هذا على خلقه.

قال: فمن أين قلت: إنّه أشجع الناس؟ قال: لأنّه فئة للمسلمين الذين يرجعون إليه في الحروب وقال الله عزّوجلّ: «ومن يولّهم يومئذ دبره إلّا متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله» فان لم يكن شجاعاً فرّ، فيبوء بغضب من الله، فلا يجوز أن يكون من يبوء بغضب من الله حجة لله على خلقه.

قال: فمن أين قلت: إنّه أسخى الناس؟ قال: لأنّه خازن المسلمين، فان لم يكن سخيّاً تاقت نفسه إلى أموالهم فأخذها، فكان خائناً، ولايجوز أن يحتجّ الله على خلقه بخائن.

فقال عند ذلك ضرار: فمن هذا بهذه الصفة في هذا الوقت؟ فقال: صاحب العصر أميرالمؤمنين! وكان هارون الرشيد قد سمع الكلام كلّه فقال عند ذلك: أعطانا والله من جراب النورة! ويحك ياجعفر ـوكان جعفر ابن يحيى جالساً معه في الستر ـ من يعني بهذا؟ قال: ياأميرالمؤمنين يعني موسى ابن جعفر، قال: ماعنى بها غير أهلها، ثمّ عضّ على شفته وقال: مثل هذا حيّ ويبقى لي ملكي ساعة واحدة ؟ فوالله للسان هذا أبلغ في قلوب الناس من مائة ألف سيف!

وعلم يحيى أنّ هشاماً قد أتى فدخل الستر، فقال:ويحك ياعبّاسي! من هذا الرجل؟ فقال: ياأميرالمؤمنين تكفى تكفى!

ثمّ خرج إلى هشام، فغمزه فعلم هشام أنّه قد أُتي، فقام يريهم أنّه يبول أو يقضي حاجة، فلبس نعليه وانسلّ ومرّ ببنيه وأمرهم بالتواري، وهرب، ومرّ من فوره نحو الكوفة ونزل على بشير النبّال ـوكان من حملة الحديث من أصحاب أبي عبدالله عليه السلام فأخبره الخبر، ثمّ اعتلّ علّة شديدة، فقال له

بشير: آتيك بطبيب؟ قال: لا أنا ميّت.

فلمّا حضره الموت قال لبشير: إذا فرغت من جهازي فاحملني في جوف الليل وضعني بالكناسة واكتب رقعة وقل: هذا هشام بن الحكم الذي طلبه أميرالمؤمنين مات حتف أنفه! وكان هارون قد بعث إلى إخوانه وأصحابه، فأخذ الخلق به، فلمّا أصبح أهل الكوفة رأوه! وحضر القاضي وصاحب المعونة والعامل والمعدّلون بالكوفة، وكتب إلى الرشيد بذلك، فقال: الحمد لله الذي كفانا أمره فخلىّ عمّن كان اخذ به[1].

(٢٣٢)

سعيد بن جبير والحجّاج

قال أبو عبدالله عليه السلام: إن سعيد بن جبير كان يأتمّ بعليّ بن الحسين عليهما السلام فكان علي يثني عليه، وماكان سبب قتل الحجّاج له إلّا على هذا الأمر، وكان مستقيماً.

وذكر أنّه لمّا دخل على الحجّاج بن يوسف قال: أنت شقيّ بن كسير؟ قال: امّي أعرف بي سمّتني «سعيد بن جبير» قال: ماتقول في أبي بكر وعمر، هما في الجنّة أو في النار؟ قال: لو دخلت الجنّة فنظرت إلى أهلها لعلمت من فيها، ولو دخلت النار ورأيت أهلها لعلمت من فيها، قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل، قال: أيّهم احبّ إليك؟ قال: أرضاهم لخالقي، قال: فأيّهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرّهم ونجواهم، قال: أبيت أن تصدّقني؟ قال: بل لم احبّ أن اكذّبك[2].

---

(١) البحار: ج٤٨ ص١٩٧-٢٠٣ عن إكمال الدين.

(٢) البحار: ج٤٦ ص١٣٦-١٣٧ عن روضة الواعظين. وقاموس الرجال: ج٤ ص٣٥٤ عن الكشي ص١١٩ ويأتي برواية ابن قتيبة ج٢ ص٣٠١.

(٢٣٣)

داود وبعض الخوارج

عن داود الرقّي، قال: سألني بعض الخوارج عن قول الله تبارك وتعالى «ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين -إلى قوله- ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين» الآية، ماالذي أحلّ الله من ذلك؟ ومالذي حرّم الله؟ قال: فلم يكن عندي في ذلك شيء، فحججت فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت: جعلت فداك! إنّ رجلاً من الخوارج سألني عن كذا وكذا.

فقال عليه السلام: إنّ الله عزّوجلّ أحلّ في الاضحية بمنى الضأن والمعز الأهليّة وحرّم فيها الجبليّة، وذلك قول الله عزّوجلّ: «ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين» وإنّ الله عزّوجلّ أحلّ في الاضحيّة بمنى الإبل العراب وحرّم فيها البخاتي، وأحلّ فيها البقر الأهليّة وحرّم فيها الجبليّة، فذلك قوله: «ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين».

قال: فانصرفت إلى صاحبي، فأخبرته بهذا الجواب، فقال: هذا شيء حملته الإبل من الحجاز[١].

(٢٣٤)

أعرابي والوليد

عن الخليل بن أحمد العروضي، قال: حضرت مجلس الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان، وقد اسحنفر في سبّ عليّ واثعنجر في ثلبه، إذ خرج عليه أعرابيّ على ناقة له وذفراها يسيلان لإغذاذ السير دماً! فلمّا رآه الوليد -لعنه الله- في منظرته قال: ائذنوا لهذا الأعرابيّ، فانّي أراه قد قصدنا.

(١) الاختصاص: ص٤٨.

وجاء الأعرابي فعقل ناقته بطرف زمامها، ثمّ أذن له فدخل فأورده قصيدةً لم يسمع السامعون مثلها جودة قطّ إلى أن انتهى إلى قوله:

ولـمّا أن رأيت الدهر ألّى علـيّ ولـحّ في إضعاف حالي
وفدت إليك أبغي حسن عقبى أسدّ بها خصاصات العيال
وقائلة إلى من قد رآه يؤمّ ومن يرجّى للمعالى
فقلت إلى الوليد أزمّ قصداً وقاه الله من غير الليالي
هو الليث الهصور شديد بأس هو السيف المجرّد للقتال
خليفة ربّنا الداعي علينا وذو المجد التليد أخو الكمال

قال: فقبل مدحته وأجزل عطيّته، وقال له: ياأخا العرب! قد قبلنا مدحتك وأجزلنا صلتك، فاهج لنا عليّاً أبا تراب، فوثب الأعرابيّ يتهافت قطعاً ويزأر حنقاً ويشمذر شفقاً! وقال:

والله! إنّ الذي عنيته بالهجاء لهو أحقّ منك بالمديح وأنت أولى منه بالهجاء! فقال له جلساؤه: اسكت نزحك الله! قال: علام ترجوني؟ وبم تبشّروني؟ ولما أبديت سقطاً ولاقلت شططاً ولاذهبت غلطاً، على أنّني فضلت عليه من هو أولى بالفضل منه عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه الذي تجلبب بالوقار، ونبذ الشنار، وعاف العار، وعمد الإنصاف، وأبد الأوصاف، وحصّن الأطراف، وتألّف الأشراف، وأزال الشكوك في الله بشرح مااستودعه الرسول من مكنون العلم الذي نزل به الناموس وحياً من ربّه، ولم يفتر طرفاً، ولم يصمت ألفاً، ولم ينطق خلفاً، الذي شرفه فوق شرفه، وسلفه في الجاهليّة أكرم من سلفه، لا تعرف المأديّات في الجاهليّة إلّا بهم ولاالفضل إلّا فيهم، صفة من اصطفاها الله واختارها.

فلا يغترُّ الجاهل بأنّه قعد عن الخلافة بمثابرة من ثابر عليها وجالد بها، والسلال المارقة والأعوان الظالمة، ولئن قلتم ذلك كذلك إنّما استحقّها

بالسبق، تالله! مالكم الحجّة في ذلك، هلّا سبق صاحبكم إلى المواضع الصعبة والمنازل الشعبة والمعارك المرّة ،كما سبق إليها عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه الذي لم يكن بالقبعة ولا الهبعة، ولامضطغناً آل الله ولامنافقاً رسول الله؛ كان يدرأ عن الإسلام كلّ اصبوحة، ويذبّ عنه كلّ أمسية، ويلج نفسه في الليل الديجور المظلم الحلكوك مرصداً للعدو، هوذلّ تارةً وتضكضك اخرى وياربّ لزبة آتية قسيّة! وأوان آن أرونان قذف بنفسه في لهوات وشيجة، وعليه زغفة ابن عمّه الفضفاضة وبيده خطّيته عليها سنان لهذم، فبرز عمرو بن ودّ القرم الأود والخصم الألدّ، والفارس الأشدّ على فرس عنجوج، كأنّما نجر نجره باليلنجوج؛ فضرب قونسه ضربة قنع منها عنقه، أو نسيتم عمرو بن معدي كرب الزبيدي؟ إذ أقبل يسحب ذلاذل درعه مدلاً بنفسه، قد زحزح الناس عن أماكنهم، ونهضهم عن مواضعهم، ينادي أين المبارزون يميناً وشمالاً فانقض عليه كسوذنيق أو كصيخودة منجنيق، فوقصه وقص القطام بحجره الحمام، وأتى به إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله كالبعير الشارد، يقاد كرهاً، وعينه تدمع، وأنفه ترمع، وقلبه يجزع، هذا وكم له من يوم عصيب برز فيه إلى المشركين بنيّة صادقة، وبرز غيره وهو أكشف أميل أجمّ أعزل. الا وإنّي مخبركم بخبر على أنّه منّي بأوباش كالمراطة بين لغموط وحجابه وفقامه، ومغذمر ومهزمر، حملت به شوهاء شهواء في أقصى مهيلها، فأتت به محضاً بحتاً، وكلّهم أهون على عليّ من سعدانة بغل، أفمثل هذا يستحقّ الهجاء؟ وعزمه الحاذق، وقوله الصادق، وسيفه الفالق، وإنّما يستحقّ الهجاء من سامه إليه وأخذ الخلافة، وأزالها عن الوراثة، وصاحبها ينظر إلى فيئه، وكأنّ الشبادع تلسبه، حتّى إذا لعب بها فريق بعد فريق وخريق بعد خريق، إقتصروا على ضراعة الوهز وكثرة الأبز، ولو ردّوه إلى سمت الطريق والمرت البسيط والتامور العزيز، ألفوه قائماً

واضعاً الأشياء في مواضعها، لكنّهم انتهزوا الفرصة واقتحموا الغصّة وباءوا بالحسرة.

قال: فاربدّ وجه الوليد وتغيّر لونه وغصّ بريقه وشرق بعبرته، كأنّما فقئ في عينه حبّ المضّ الحاذق، فأشار عليه بعض جلسائه بالانصراف، وهو لايشك أنّه مقتول به! فخرج فوجد بعض الأعراب الداخلين. فقال له: هل لك أن تأخذ خلعتي الصفراء وآخذ خلعتك السوداء وأجعل لك بعض الجائزة حظّاً، ففعل الرجل.

وخرج الأعرابيّ، فاستوى على راحلته، وغاص في صحرائه، وتوغّل في بيدائه. واعتقل الرجل الآخر فضرب عنقه! وجيء به إلى الوليد، فقال: ليس هو هذا، بل صاحبنا! وأنفذ الخيل السراع في طلبه، فلحقوه بعد لأي، فلمّا أحسّ بهم أدخل يده إلى كنانته يخرج سهماً سهماً يقتل به فارساً، إلى أن قتل من القوم أربعين، وانهزم الباقون.

فجاءوا إلى الوليد فأخبروه بذلك، فاغمي عليه يوماً وليلة أجمع! قالوا: ماتجد؟ قال: أجد على قلبي غمة كالجبل من فوت هذا الأعرابيّ، فلله درّه[1].

(٢٣٥)
رجل مع عبدالملك

قال رجل لعبدالملك بن مروان: اناظرك وأنا آمن؟ قال: نعم.

فقال له: أخبرني عن هذا الأمر الذي صار إليك أبنصّ من الله ورسوله؟ قال: لا، قال: اجتمعت الامّة فتراضوا بك؟ فقال: لا، قال: فكانت لك بيعة في أعناقهم فوفوا بها؟ قال: لا، قال: فاختارك أهل

---

(١) البحار: ج٤٦ ص٣٢١-٣٢٣ عن الإرشاد للديلمي.

الشورى؟ قال: لا، قال: أفليس قد قهرتهم على أمرهم واستأثرت بفيئهم دونهم؟ قال: بلى، قال: فبأيّ شيئ سمّيت أميرالمؤمنين ولم يؤمّرك الله ولارسوله ولاالمسلمون؟ قال له: اخرج عن بلادي، وإلّا قتلتك! قال: ليس هذا جواب أهل العدل والإنصاف، ثمّ خرج عنه[١].

(٢٣٦)

رجل مع عمر بن عبدالعزيز

روي أنّ عمر بن عبدالعزيز كتب إلى عامله بخراسان:أن أوفد إليّ من علماء بلادك مائة رجل أسألهم عن سيرتك.

فجمعهم، وقال لهم ذلك، فاعتذروا وقالوا: إنّ لنا عيالاً وأشغالاً لايمكننا مفارقته، وعدله لايقتضي إجبارنا، ولكن قد أجمعنا على رجل منّا يكون عوضنا عنده ولساننا لديه، فقوله قولنا ورأيه رأينا، فأوفد به العامل إليه.

فلمّا دخل عليه سلّم وجلس، فقال له: اخل لي المجلس! فقال له: ولم ذلك وأنت لاتخلو أن تقول حقّاً فيصدّقوك أو تقول باطلاً فيكذّبوك؟ فقال له: ليس من أجلي اريد خلوّ المجلس، ولكن من أجلك، فانّي أخاف أن يدور بيننا كلام تكره سماعه.

فأمر باخراج أهل المجلس، ثمّ قال له: قل، فقال: أخبرني عن هذا الأمر من أين صار إليك؟ فسكت طويلاً، فقال له: ألا تقول؟ فقال: لا! فقال: ولم؟ فقال له: إن قلت: بنصّ من الله ورسوله كان كذباً، وإن قلت: باجماع المسلمين قلت:فنحن أهل بلاد المشرق ولم نعلم بذلك ولم نجمع عليه، وإن قلت: بالميراث من آبائي قلت: بنوأبيك كثيرفلم تفرّدت أنت به دونهم؟

---

(١) البحار: ج٤٦ ص٣٣٥ عن أعلام الدين للديلمي.

فقال له: الحمد لله على اعترافك على نفسك بالحقّ لغيرك ! أفأرجع إلى بلادي؟ فقال: لا، فوالله إنّك لواعظ قطّ! فقال له: فقل ماعندك بعد ذلك، فقال له: رأيت أنّ من تقدّمني ظلم وغشم وجار واستأثر بفيء المسلمين وعلمت من نفسي أنّي لااستحلّ ذلك وأنّ المؤمنين لاشيء يكون أنقص وأخفّ عليهم، فولّيت.

فقال له: أخبرني لو لم تل هذا الأمر ووليه غيرك وفعل مافعل من كان قبله أكان يلزمك من إثمه شيء! فقال: لا، فقال له: فأراك قد شريت راحة غيرك بتعبك وسلامته بخطرك ؟ فقال له: إنّك لواعظ قطّ! فقام ليخرج. ثمّ قال له: والله لقد هلك أوّلنا بأوّلكم،وأوسطنا بأوسطكم، وسيهلك آخرنا بآخركم! والله المستعان عليكم، وهو حسبنا ونعم الوكيل[١].

(٢٣٧)

رجل مع عبدالملك

عن الثمالي، قال: حدّثني من حضر عبدالملك بن مروان وهو يخطب الناس بمكّة؛ فلمّا صار إلى موضع العظة من خطبته قام إليه رجل، فقال له:

مهلاً! مهلاً! إنّكم تأمرون ولا تأتمرون، وتنهون ولا تنتهون، وتعظون ولا تتعظون، أفاقتداء بسيرتكم أم طاعة لأمركم؟ فان قلتم: اقتداء بسيرتنا، فكيف يقتدى بسيرة الظالمين؟ وماالحجّة في اتّباع المجرمين؟ الذين اتّخذوا مال الله دولاً وجعلوا عباد الله خولاً. وإن قلتم: أطيعوا أمرنا واقبلوا نصحنا، فكيف ينصح غيره من لم ينصح نفسه؟ أم كيف تجب طاعة من لم تثبت له عدالة؟ وإن قلتم: خذوا الحكمة من حيث وجدتموها واقبلوا العظة ممّن سمعتموها، فلعلّ فينا من هو أفصح بصنوف العظات وأعرف بوجوه اللغات منكم،

---

(١) البحار: ج٤٦ ص٣٣٦.

فتزحزحوا عنها، وأطلقوا أقفالها، وخلّوا سبيلها، ينتدب لها الذين شرّدتم في البلاد، ونقلتموهم عن مستقرّهم إلى كلّ واد، فوالله ماقلّدناكم أزمّة امورنا! وحكمناكم في أموالنا وأبداننا وأدياننا لتسيروا فينا بسيرة الجبّارين! غير أنّا بصراء بأنفسنا لاستيفاء المدّة وبلوغ الغاية وتمام المحنة، ولكلّ قائم منكم يوم لايعدوه وكتاب لابدّ أن يتلوه، لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلّا أحصاها، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون. قال: فقام إليه بعض أصحاب المسالح، فقبض عليه، وكان آخر عهدنا به، ولاندري ماكانت حاله[1].

(٢٣٨)

كلام برير بن خضير في كربلاء

ركب أصحاب عمر بن سعد فقرب إلى الحسين فرسه، فاستوى عليه، وتقدّم نحو القوم في نفر من أصحابه، وبين يديه برير بن خضير، فقال له الحسين عليه السلام: كلّم القوم، فتقدّم برير، فقال:

ياقوم اتقوا الله! فانّ ثقل محمّد قد أصبح بين أظهركم، هؤلاء ذريّته وعترته وبناته وحرمه، فهاتوا ماعندكم، وماالذي تريدون أن تصنعوه بهم؟ فقالوا: نريد أن نمكّن منهم الأمير ابن زياد، فيرى رأيه فيهم، فقال لهم برير: أفلا تقبلون منهم أن يرجعوا إلى المكان الذي جاءوامنه؟ ويلكم ياأهل الكوفة، أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها وأشهدتم الله عليها؟ ياويلكم! أدعوتم أهل بيت نبيّكم وزعمتم أنكم تقتلون أنفسكم دونهم، حتّى إذا أتوكم أسلمتموهم إلى ابن زياد وحلأتموهم عن ماء الفرات؟ بئس ماخلفتم نبيكم في ذريّته! مالكم؟ لاسقاكم الله يوم القيامة! فبئس القوم أنتم!

فقال له نفر منهم: ياهذا ماندري ماتقول! فقال برير: الحمد لله الذي

---

(١) البحار: ج٤٦ ص٣٣٧ عن أمالي المفيد رحمه الله وأمالي الشيخ ج١ص١٠٦-١٠٧.

زادني فيكم بصيرة، اللّهم إنّي أبرأ إليك من فعال هؤلاء القوم، اللّهم ألق بأسهم بينهم حتّى يلقوك وأنت عليهم غضبان.

فجعل القوم يرمونه بالسهام، فرجع برير إلى ورائه[١].

(٢٣٩)

كلام للحرّ ـ رحمه الله ـ في كربلاء

فاستقدم الامام الحسين عليه السلام فقال:

ياأهل الكوفة! لأُمّكم الهبل والعبر! أدعوتم هذا العبد الصالح حتّى إذا أتاكم أسلمتموه؟ وزعمتم أنكم قاتلوا انفسكم دونه، ثمّ عدوتم عليه لتقتلوه، أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكلكله، وأحطتم به من كلّ جانب لتمنعوه التوجّه الى بلاد الله العريضة، فصار كالأسير في أيديكم! لايملك لنفسه نفعاً ولايدفع عنها ضرّاً، وحلأتموه ونساءه وصبيته وأهله من ماء الفرات الجاري تشربه اليهود والنصارى والمجوس وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابهم، وهاهم قد صرعهم العطش، بئسما خلفتم محمّداً في ذريته! لاسقاكم الله يوم الظمأ[٢]!

(٢٤٠)

بنو هاشم ومعاوية

روى سليم بن قيس، قال: سمعت عبدالله بن جعفر بن أبي طالب قال: قال لي معاوية: ماأشدّ تعظيمك للحسن والحسين! ماهما بخير منك ولاأبوهما بخير من ابيك، لولا أنّ فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله لقلت: ماامك أسماء بنت عميس بدونها! قال: فغضبت من مقالته وأخذني مالاأملك، فقلت: إنّك لقليل المعرفة بهما وبأبيهما وامّهما، بلى والله! هماخير منّي، وأبوهما

---

(١) البحار: ج٤٥ ص٥ عن محمّد بن أبي طالب.

(٢) البحار: ج٤٥ ص١١ عن المفيد رحمه الله.

خير من أبي، وامّهما خير من امي، ولقد سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله يقول فيهما وفي أبيهما وأنا غلام، فحفظته منه ووعيته.

فقال معاوية -وليس في المجلس غير الحسن والحسين عليهما السلام وابن جعفر رحمه الله وابن عباس وأخيه الفضل-: هات ماسمعت، فوالله ماأنتّ بكذّاب! فقال: إنّه أعظم ممّا في نفسك، قال: وإن كان أعظم من احد وحرى! فانه مالم يكن أحد من أهل الشام لاابالي، أمّا إذا قتل الله طاغيتكم وفرّق جمعكم وصار الأمر في أهله ومعدنه فلا نبالي ماقلتم ولايضرّنا ماادّعيتم.

قال: سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله يقول: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، من كنت أولى به من نفسه فأنت ياأخي أولى به من نفسه وعليّ بين يديه عليهما السلام [في البيت والحسن والحسين وعمر بن امّ سلمة واسامة بن زيد][1] وفي البيت فاطمة عليها السلام وامّ أيمن وأبو ذر والمقداد والزبير بن العوّام وضرب رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله على عضده وأعاد ماقال فيه ثلاثاً ثمّ نصّ بالامامة على الائمّة تمام الاثني عشر عليهم السلام.

ثمّ قال صلوات الله عليه: ولامّتي اثنا عشر إمام ضلالة كلّهم ضالّ مضلّ، عشرة من بني اميّة ورجلان من قريش وزر جميع الاثني عشر وماأظلّوا في أعناقهما، ثمّ سمّاهما رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسمّى العشرة معهما.

قال: فسمّهم لنا، قال: فلان، وفلان، وفلان، وصاحب السلسلة وابنه من آل أبي سفيان، وسبعة من ولد الحكم بن أبي العاص، أوّلهم مروان.

قال معاوية: لئن كان ماقلت حقّاً لقد هلكت وهلكت الثلاثة قبلي وجميع من تولاهم من هذه الامّة، ولقد هلك أصحاب رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار والتابعين غيركم أهل البيت وشيعتكم. قال ابن

(١) قال في هامش البحار: مابين العلامتين ساقط عن نسخة الكمپاني موجود في نسخة المصنف والمصدر ص١٤٦.

جعفر: فانّ الذي قلت والله حقّ سمعته من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله.

قال معاوية للحسن والحسين وابن عبّاس: مايقول ابن جعفر؟ قال ابن عبّاس ـومعاوية بالمدينة أوّل سنة إجتمع عليه الناس بعد قتل عليّ عليه السلام ـ: أرسل إلى الذين سمّى.

فأرسل إلى عمر بن امّ سلمة واسامة فشهدوا جميعاً أنّ الذي قال ابن جعفر حقّ قد سمعوا من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله كما سمعه[1].

ثمّ أقبل معاوية إلى الحسن والحسين وابن عبّاس والفضل وابن امّ سلمة واسامة، فقال: كلّكم على ماقال ابن جعفر؟ قالوا: نعم. قال معاوية: فانّكم يابني عبدالمطلب لتدّعون أمراً عظيما! وتحتجون بحجّة قويّة، فان كانت حقّاً فانكم لتصبرون على أمر وتسترونه والناس في غفلة وعمى، ولئن كان ما تقولون حقّاً لقد هلكت الامّة ورجعت عن دينها وكفرت بربّها وجحدت نبيّها إلّا أنتم أهل البيت ومن قال بقولكم، فاولئك قليل في الناس.

فأقبل ابن عبّاس على معاوية، فقال: قال الله: «وقليل من عبادي الشكور» وقال: «وقليل ماهم» وماتعجب منّي يامعاوية أعجب من بني إسرائيل، إنّ السحرة قالوا لفرعون: «فاقض ماأنت قاض» فآمنوا بموسى وصدّقوه، ثمّ سار بهم ومن اتبعهم من بني إسرائيل، فأقطعهم البحر وأراهم العجائب، وهم مصدّقون بموسى وبالتوراة يقرّون له بدينه، ثمّ مرّوا بأصنام تعبد، فقالوا: «اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنّكم قوم تجهلون»، وعكفوا على العجل جميعاً غير هارون! فقالوا: «هذا الهكم واله موسى»! وقال لهم موسى بعد ذلك: «ادخلوا الأرض المقدّسة» فكان من جوابهم ماقصّ الله عزّوجلّ عليهم، فقال موسى عليه السلام: «ربّ إنّي لاأملك إلّا نفسي وأخي فافرق

---

(١) إلى هنا تجد الحديث في الكافي:ج١ ص٥٢٩ مع تغيير ما عن سليم بن قيس فراجع.

بيننا وبين القوم الفاسقين».

فما اتّباع هذه الامّة رجالاً سوّدوهم وأطاعوهم لهم سوابق مع رسول الله ومنازل قريبة منه وإصهار مقرّين بدين محمّد وبالقرآن حملهم الكبر والحسد أن خالفوا إمامهم ووليّهم بأعجب من قوم صاغوا من حليّهم عجلاً ثمّ عكفوا عليه يعبدونه ويسجدون له ويزعمون أنّه ربّ العالمين! واجتمعوا على ذلك كلّهم غير هارون وحده.

وقد بقي مع صاحبنا الذي هو من نبينا بمنزلة هارون من موسى من أهل بيته ناس: سلمان وأبو ذر والمقداد والزبير، ثمّ رجع الزبير وثبت هؤلاء الثلاثة مع إمامهم حتّى لقوا الله.

وتتعجّب يامعاوية أن سمّى الله من الأئمّة واحداً بعد واحد؟ قد نصّ عليهم رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله بغدير خمّ وفي غير موطن، واحتجّ بهم عليهم وأمرهم بطاعتهم، وأخبر أنّ اولهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة من بعده وأنّه خليفته فيهم ووصيّه، وقد بعث رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله جيشاً يوم مؤتة، فقال: عليكم جعفر، فان هلك فزيد، فإن هلك فعبدالله بن رواحة، فقتلوا جميعاً أفتراه يترك الامّة ولم يبيّن لهم من الخليفة بعده؟ ليختاروا هم لأنفسهم الخليفة! كأنّ رأيهم لأنفسهم أهدى لهم وأرشد من رأيه واختياره! وماركب القوم ماركبوا إلّا بعدما بيّنه، وماتركهم رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله في عمى ولاشبهة.

فأمّا ماقال الرهط الأربعة الذين تظاهروا على عليّ عليه السلام وكذبوا على رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وزعموا أنّه قال: «إنّ الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوّة والخلافة» فقد شبّهوا على الناس بشهادتهم وكذبهم ومكرهم.

قال معاوية: ماتقول ياحسن؟ قال: يامعاوية قد سمعت ماقلت وماقال ابن عبّاس، العجب منك يامعاوية ومن قلّة حيائك، ومن جرأتك على الله

حين قلت: «قد قتل الله طاغيتكم وردّالأمر الى معدنه» فأنت يامعاوية معدن الخلافة دوننا ويل لك يامعاوية! وللثلاثة قبلك الذين أجلسوك هذا المجلس، وسنّوا لك هذه السنّة! لأقولنّ كلاماً ماأنت أهله، ولكنّي أقول لتسمعه بنو أبي هؤلاء حولي:

إنّ الناس قد اجتمعوا على امور كثيرة ليس بينهم اختلاف فيها ولا تنازع ولافرقة، على شهادة أن لاإله إلّا الله، وأنّ محمداً رسول الله وعبده، والصلوات الخمس، والزكاة المفروضة، وصوم شهر رمضان، وحجّ البيت؛ ثمّ أشياء كثيرة من طاعة الله التي لاتحصى ولايعدّها إلّا الله. واجتمعوا على تحريم الزنا، والسرقة، والكذب، والقطيعة، والخيانة، وأشياء كثيرة من معاصي الله لاتحصى ولايعدّها إلّا الله.

واختلفوا في سنن اقتتلوا فيها، وصاروا فرقاً يلعن بعضهم بعضاً، وهي الولاية، ويبرأ بعضهم من بعض، ويقتل بعضهم بعضاً، أيّهم أحقّ وأولى بها إلّا فرقة تتبع كتاب الله وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله،فمن أخذ بما عليه أهل القبلة الذي ليس فيه اختلاف وردّعلم مااختلفوا فيه إلى الله سلم ونجا به من النار ودخل الجنّة، ومن وفّقه الله ومنّ عليه واحتجّ عليه بأن نوّر قلبه بمعرفة ولاة الأمر من أئمّتهم ومعدن العلم أين هو ،فهوعند الله سعيد ولله وليّ، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: رحم الله امرءاً علم حقّاً فقال فغنم، أو سكت فسلم.

نحن نقول أهل البيت: إنّ الائمّة منّا، وإنّ الخلافة لا تصلح إلّا فينا، وإنّ الله جعلنا أهلها في كتابه وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله،وإنّ العلم فينا ونحن أهله، وهوعندنا مجموع كلّه بحذافيره، وانه لايحدث شيئ الى يوم القيامة حتى ارش الخدش إلّا وهوعندنا مكتوب باملاء رسول الله صلّى الله عليه وآله وخطّ عليّ عليه السلام بيده.

وزعم قوم أنّهم أولى بذلك منّا حتىّ أنت ياابن هند! تدّعى ذلك وتزعم، إنّ عمر أرسل إلى أبي: إنّي اريد أن أكتب القرآن في مصحف، فابعث إليّ بما كتبت من القرآن، فأتاه، فقال: تضرب والله عنقي قبل أن يصل إليك، قال: ولم؟ قال: لأنّ الله تعالى قال: «والراسخون في العلم» قال: إيّاي عنى، ولم يعنك ولاأصحابك، فغضب عمر.

ثمّ قال: إنّ ابن أبي طالب يحسب أنّ أحداً ليس عنده علم غيره، من كان يقرأ من القرآن شيئا فليأتني، فاذا جاء رجل فقرأ شيئاً معه فيه آخر كتبه وإلّا لم يكتبه، ثمّ قالوا: قد ضاع منه قرآن كثير، بل كذبوا والله! بل هو مجموع محفوظ عند أهله.

ثمّ أمر عمر قضاته وولاته: أجهدوا آراءكم واقضوا بما ترون أنّه الحق، فلا يزال هو وبعض ولاته قد وقعوا في عظيمة، فيخرجهم منها أبي ليحتج عليهم بها، فتجتمع القضاة عند خليفتهم وقد حكموا في شيىء واحد بقضايا مختلفة، فأجازها لهم لأنّ الله لم يؤته الحكمة وفصل الخطاب.

وزعم كلّ صنف من مخالفينا من أهل هذه القبلة: أنّ معدن الخلافة والعلم دوننا، فنستعين بالله على من ظلمنا وجحدنا حقّنا وركب رقابنا وسنّ للناس علينا مايحتجّ به مثلك، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

إنّما الناس ثلاثة: مؤمن يعرف حقّنا ويسلّم لنا ويأتّم بنا، فذلك ناج محبّ لله وليّ. وناصب لنا العداوة يتبرأ منّا ويلعننا ويستحلّ دماءنا ويجحد حقّنا ويدين الله بالبراءة منّا، فهذا كافر مشرك فاسق؛ وإنّما كفر وأشرك من حيث لايعلم، كما سبّوا الله [عدواً] بغير علم، كذلك يشرك مابالله بغير علم. ورجل آخذ بما لايختلف فيه وردّ علم ماأشكل عليه إلى الله مع ولايتنا ولايأتمّ بنا ولايعادينا ولايعرف حقّنا فنحن نرجو أن يغفر الله له ويدخله الجنّة، فهذا مسلم ضعيف.

فلمّا سمع ذلك معاوية أمر لكلّ واحد منهم بمائة ألف غير الحسن والحسين وابن جعفر، فانّه أمر لكلّ واحد. منهم بألف ألف درهم(١).

(٢٤١)

بنو هاشم وبنو أُميّة

خاصم عمرو بن عثمان بن عفّان اسامة بن زيد إلى معاوية بن أبي سفيان مقدمه المدينة في حائط من حيطان المدينة، فارتفع الكلام بينهما حتى تلاحيا، فقال عمرو: تلاحيني وأنت مولاي! فقال اسامة: والله ماأنا بمولاك ، ولايسرّني أنّي في نسبك ، مولاي رسول الله صلّى الله عليه وآله،فقال: ألا تسمعون مايستقبلني به هذا العبد ؟!

ثمّ التفت إليه عمرو، فقال: ياابن السوداء ماأطغاك ! فقال: أنت أطغى منّي ،ولم تعيّرني بامّي؟ وامّي والله خيرمن امّك! وهي «امّ ايمن» مولاة رسول الله صلّى الله عليه وآله بشّرها رسول الله في غير موطن بالجنّة، وأبي خيرمن أبيك «زيد بن حارثة» صاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله وحبّه ومولاه قتل شهيداً بمؤتة على طاعة الله وطاعة رسول الله صلّى الله عليه وآله،وأنا أمير على أبيك وعلى من هو خير من أبيك على أبي بكر وعمر وعلى أبي عبيدة وسروات المهاجرين والأنصار، فأنّى تفاخرني ياابن عثمان؟

فقال عمرو: ياقوم أما تسمعون مايجيبني به هذا العبد؟ فقام مروان بن الحكم، فجلس إلى جنب عمرو بن عثمان، فقام الحسن بن عليّ عليهما السلام فجلس إلى جنب اسامة، فقام سعيد بن العاص، فجلس إلى جنب عمرو، فقام عبدالله بن جعفر، فجلس إلى جنب اسامة، فلمّا رآهم معاوية قد صاروا

---

(١) البحار: ج٤٤ ص٩٧-١٠٢ عن الاحتجاج. وج٣٦ ص٢٣١ عن كمال الدين والخصال وعيون الأخبار، وغيبة النعماني نبذاً منه وراجع قاموس الرجال: ج٦ ص٣٩ عن سليم، وسيأتي ج٢ص٦٧عن البحارج٨.

فريقين من بني هاشم وبني اميّة، خشي أن يعظم البلاء، فقال: إنّ عندي من هذا الحائط لعلماً. قالوا: فقل بعلمك، فقد رضينا، فقال معاوية: أشهد أن رسول الله صلّى الله عليه وآله جعله لاسامة بن زيد، قم ياسامة، فاقبض حائطك هنيئاً مريئاً. فقام اسامة والهاشميّون فجزوا معاوية خيراً.

فأقبل عمرو بن عثمان على معاوية، فقال: لاجزاك الله عن الرحم خيراً! مازدت على أنّ كذّبت قولنا، وفسخت حجّتنا، واشمتّ بنا عدوّنا. فقال معاوية: ويحك ياعمرو! إنّي لمّا رأيت هؤلاء الفتية من بني هاشم قد اعتزلوا ذكرت أعينهم تدور إليّ من تحت المغافر بصفّين وكاد يختلط عليّ عقلي، ومايؤمنني يابن عثمان منهم؟ وقد أحلّوا بأبيك ماأحلّوا ونازعوني مهجة نفسي حتى نجوت منهم بعد نبأ عظيم وخطب جسيم؛ فانصرف، فنحن مخلفون لك خيراً من حائطك إن شاء الله[١].

(٢٤٢)
عبيدالله بن عبّاس وبسر

اجتمع عبيدالله بن العبّاس من بعد ـ أي بعد قتل بُسر ابنيه في اليمن ـ وبسر ابن أرطاة عند معاوية، فقال معاوية لعبيدالله: أتعرف هذا الشيخ قاتل الصبيّين؟ قال بسر: نعم أنا قاتلهما، فمه؟ فقال عبيدالله: لو أنّ لي سيفاً! قال بسر: فهاك سيفي ـ وأومأ إلى سيفه ـ فزبره معاوية وانتهره وقال: اف لك من شيخ ماأحمقك! تعمد إلى رجل قد قتلت ابنيه فتعطيه سيفك! كأنّك لا تعرف أكباد بني هاشم، والله لو دفعته اليه لبدء بك، وثنّى بي! فقال عبيدالله: بل والله كنت أبدء بك واثنّي به![٢].

---

(١) البحار: ج٤٤ ص١٠٧ عن أمالي المفيد ـ رحمه الله ـ وأمالي الشيخ ـ رحمه الله ـ: ج١ ص٢١٦.

(٢) البحار: ج٤٤ ص١٢٩ عن أمالي المفيد ـ رحمه الله ـ ومجالس الشيخ ـ رحمه الله ـ: ج١ ص٧٥ وسيأتي عن ابن أبي الحديد برواية اخرى.

(٢٤٣)

بنوهاشم وبنوامية

في دفن الإمام السبط الأكبر الحسن عليه السلام في حديث منع بني اميّة وأنّ الحسين أمر أن يفتح البيت فحال دون ذلك مروان بن الحكم وآل أبي سفيان ومن حضر هناك من ولد عثمان بن عفّان، وقالوا: يدفن أميرالمؤمنين الشهيد القتيل ظلماً بالبقيع بشرّ مكان ويدفن الحسن مع رسول الله؟! لايكون ذلك أبداً حتّى تكسر السيوف بيننا وتنقصف الرماح وينفده النبل.

فقال الحسين عليه السلام: أما والله الذي حرّم مكّة،للحسن بن عليّ وابن فاطمة أحقّ برسول الله صلّى الله عليه وآله وببيته ممّن أُدخل بيته بغير إذنه، وهو والله أحقّ به من حمّال الخطايا،مُسيّر أبي ذر رحمه الله،الفاعل بعمّار مافعل، وبعبد الله ماصنع، الحامي الحمى، المأوي لطريد رسول الله صلّى الله عليه وآله لكنّكم صرتم بعده الامراء وتابعكم على ذلك الأعداء وأبناء الأعداء.

قال: فحملناه فأتينا به قبر امّه فاطمة عليها السلام فدفّناه إلى جنبها رضي الله عنه وأرضاه.

قال ابن عبّاس: وكنت أوّل من انصرف فسمعت اللغط وخفت أن يعجّل الحسين على من قد أقبل، ورأيت شخصاً علمت الشرّ فيه، فأقبلت مبادراً، فاذا أنا بعائشة في أربعين راكباً على بغل مرحّل! تقدّمهم وتأمرهم بالقتال.

فلمّا رأتني قالت: إليّ إليّ ياابن عبّاس! لقد اجترأتم عليّ في الدنيا تؤذونني مرة بعد اخرى، تريدون أن تدخلوا بيتي من لاأهوى ولاأحبّ. فقلت: واسوأتاه! يوم على بغل، ويوم على جمل، تريدين أن تطفئي نور الله، وتقاتلي أولياء الله، وتحولي بين رسول الله وبين حبيبه أن يدفن معه! ارجعي فقد كفى الله عزّوجلّ المؤونة ودفن الحسن عليه السلام إلى جنب امّه،فلم يزدد من الله

تعالىٰ إلّا قرباً وماازددتم منه والله إلّا بعداً؛ ياسوأتاه! انصرفي فقد رأيت ماسرّك .

قال: فقطبت في وجهي ونادت بأعلى صوتها: أو مانسيتم الجمل ياابن عباس؟ إنّكم لذوو أحقاد، فقلت:أم والله مانسيته أهل السماء، فكيف تنساه أهل الأرض؟ فانصرفت وهي تقول:

فألقت عصاها واستقرّت بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر[1]

(٢٤٤)

بنو هاشم و بنو اميّة

فلما قبض الحسن عليه السلام وضع على سريره،وانطلق به إلى مصلّى رسول الله الذي كان يصلّي فيه على الجنائز؛ فصلّي على الحسن عليه السلام فلمّا أن صلّي عليه حمل فأُدخل المسجد.

فلمّا اوقف على قبر رسول الله بلغ عائشة الخبر وقيل لها: إنّهم قد أقبلوا بالحسن بن عليّ عليهما السلام ليدفن مع رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله،فخرجت مبادرة على بغل بسرج، فكانت أوّل امرأة ركبت في الإسلام سرجاً، فوقفت فقالت: نحّوا ابنكم عن بيتي! فانّه لايدفن فيه شيء، ولايهتك على رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله حجابه.

فقال لها الحسين بن عليّ صلوات الله عليهما: قديماً هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله،وأدخلت بيته من لايحبّ رسول الله قربه، وإنّ الله سائلك عن ذلك ياعائشة! إنّ أخي أمرني أن اقربه من أبيه رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ليحدث به عهداً.

واعلمي أنّ أخي أعلم الناس بالله ورسوله، وأعلم بتأويل كتابه من أن

---

(١) البحار: ج٤٤ ص١٥٢عن أمالي المفيد ـ رحمه الله ـ وعن الكافي.

يهتك على رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ستره، لأنّ الله تبارك وتعالى يقول: «ياايّها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبيّ إلّا أن يؤذن لكم» وقد أدخلت أنت بيت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله الرجال بغير إذنه، وقد قال الله عزّوجلّ: «ياأيّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ» ولعمري! لقد ضربت أنت لأبيك وفاروقه عند اذن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله المعاول، وقال الله عزّوجلّ: «إنّ الذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى» ولعمري! لقد أدخل أبوك وفاروقه على رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله بقربهما منه الأذى، ومارعيا من حقّه ماأمرهما الله به على لسان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله،إنّ الله حرّم على المؤمنين أمواتاً ماحرّم منهم أحياءً.

وتالله ياعائشة! لو كان هذا الذي كرهتيه من دفن الحسن عند أبيه صلوات الله عليهما جائزاً فيما بيننا وبين الله لعلمت أنّه سيدفن وإن رغم معطسك!

قال: ثمّ تكلّم محمّد بن الحنفيّة وقال: ياعائشة يوماً على بغل، ويوماً على جمل! فما تملكين نفسك ولا تملكين الأرض عداوة لبني هاشم. قال: فأقبلت عليه فقالت: ياابن الحنفيّة! هؤلاء الفواطم يتكلّمون فما كلامك؟ فقال لها الحسين: وأنّى تبعدين محمّداً من الفواطم؟! فوالله لقد ولدته ثلاث فواطم: فاطمة بنت عمران بن عائذ بن عمرو بن مخزوم، وفاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت الأصمّ بن رواحة بن حجر بن [عبد] معيص بن عامر. قال: فقالت عائشة للحسين عليه السلام: نحوا ابنكم واذهبوا به فانّكم قوم خصمون! قال: فمضى الحسين عليه السلام الى قبر امّه ثمّ أخرجه فدفنه بالبقيع[1].

---

(١) البحار: ج٤٤ ص١٤٢ عن روضة الكافي:ص١٦٧.

(٢٤٥)

ابن عبّاس وعائشة

فلمّا فرغ الحسين عليه السلام من شأنه وحمله ليدفنه ـ الحسن عليه السلام ـ مع رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ركب مروان بن الحكم طريد رسول الله بغلة وأتى عائشة، فقال لها: ياامّ المؤمنين! إنّ الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن مع رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله، والله إن دفن معه ليذهبنّ فخر أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة! قالت: فما أصنع يامروان؟ قال: الحقي به وامنعيه من أن يدفن معه! قالت: وكيف الحقه؟ قال: اركبي بغلتي هذه.

فنزل عن بغلته، وركبتها. وكانت تؤزّ الناس وبني اميّة على الحسين عليه السلام وتحرّضهم على منعه ممّا هم به، فلمّا قربت من قبر رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وكان قد وصلت جنازة الحسن فرمت بنفسها عن البغلة! وقالت: والله لايدفن الحسن هاهنا أبداً أو تجزّ هذه ـ وأومت بيدها إلى شعرها ـ فأراد بنو هاشم المجادلة، فقال الحسين عليه السلام: الله الله! لا تضيّعوا وصيّة أخي، فاعدلوا به إلى البقيع، فانه أقسم عليّ إن أنا منعت من دفنه مع جدّه صلّىٰ الله عليه وآله أن لاأخاصم فيه أحداً، وأن أدفنه بالبقيع مع امّه عليها السلام، فعدلوا به ودفنوه بالبقيع معها عليها السلام.

فقام ابن عبّاس رضى الله عنه وقال: ياحميراء ليس يومنا منك بواحد، يوم على الجمل ويوم على البغلة! أما كفاك أن يقال: «يوم الجمل» حتّى يقال: «يوم البغل»؟ يوم على هذا ويوم على هذا! بارزة عن حجاب رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله تريدين إطفاء نور الله، والله متمّ نوره ولو كره المشركون، إنّا لله

وإنّا إليه راجعون. فقالت له: إليك عنّي، وأُفٍ لك ولقومك![١].

فلمّا غسّله وكفّنه الحسين عليه السلام وحمله على سريره وتوجّه إلى قبر جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله ليجدّد به عهداً، أتى مروان بن الحكم ومن معه من بني اميّة، فقال: أيدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبيّ؟ لايكون ذلك أبداً! ولحقت عائشة على بغل، وهي تقول: مالي ولكم؟ تريدون أن تدخلوا بيتي من لاأحبّ.

فقال ابن عبّاس لمروان بن الحكم: لانريد دفن صاحبنا، فانّه كان أعلم بحرمة قبر رسول الله من أن يطرق عليه هجماً، كما طرق ذلك غيره ودخل بيته بغير إذنه، انصرف فنحن ندفنه بالبقيع كما وصّى.

ثمّ قال لعائشة: واسوأتاه! يوماً على بغل ويوماً على جمل! وفي رواية: يوماً تجمّلت ويوماً تبغّلت وإن عشت تفيّلت فأخذه ابن الحجّاج الشاعر البغدادي، فقال:

يابنت أبي بكر لاكان ولاكنت ... لك التسع من الثمن وبالكلّ تملّكت
تجمّلت تبغّلت ... وإن عشت تفيّلت[٢]

وفي ص١٥٧ نقله عن الارشاد للمفيد رحمه الله والمناقب لابن شهرآشوب بنحو يقرب ممّا ذكرنا.

(٢٤٦)

ابن عبّاس ومعاوية

عن خراش، قال: سأل معاوية ابن عبّاس، قال: فما تقول في عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ قال: عليّ أبو الحسن عليه السلام عليّ، كان والله علم

(١) الخرائج: ص١٥٤، البحار: ج٤٤ ص١٤١.

(٢) البحار: ج٤٤ ص١٥٤.

الهدى، وكهف التقى، ومحلّ الحجى، ومحتد النداء، وطود النهى، وعلم الورى، ونوراً في ظلمة الدجى، وداعياً إلى المحجة العظمى، ومستمسكاً بالعروة الوثقى، وسامياً إلى المجد والعلى، وقائد الدين والتقى، وسيّد من تقمّص وارتدى، بعل بنت المصطفى، وأفضل من صام وصلّى، وأفخر من ضحك وبكى، صاحب القبلتين، فهل يساويه مخلوق كان أو يكون؟ كان والله كالأسد مقاتلاً ولهم في الحروب حاملاً، على مبغضيه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين إلى يوم التناد[1].

(٢٤٧)

صعصعة ومعاوية

قدم وفد العراقيّين على معاوية، فقدم في وفد أهل الكوفة عديّ بن حاتم الطائي، وفي وفد أهل البصرة الأحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: هؤلاء رجال الدنيا وهم شيعة عليّ عليه السلام الذين قاتلوا معه يوم الجمل ويوم صفّين، فكن منهم على حذر. فأمر لكلّ رجل منهم بمجلس سريّ واستقبل القوم بالكرامة.

فلمّا دخلوا عليه قال لهم: أهلاً وسهلاً، قدمتم أرض المقدّسة والأنبياء والرسل والحشر والنشر.

فتكلّم صعصعة ـ وكان من أحضر الناس جواباً ـ فقال: يامعاوية! أمّا قولك: «أرض المقدّسة» فانّ الأرض لا تقدّس أهلها، وإنّما تقدّسهم الأعمال الصالحة. وأمّا قولك: «أرض الأنبياء والرسل» فمن بها من أهل النفاق والشرك والفراعنة والجبابرة أكثر من الأنبياء والرسل. وأمّا قولك: «أرض الحشر والنشر» فانّ المؤمن لايضرّه بُعد المحشر والمنافق لاينفعه قربه.

---

(١) البحار: ج٤٤ ص١١٢ عن الروضة والفضائل.

فقال معاويـة: لو كان الناس كلّهم أولدهم أبو سفيان لما كـان فيهم إلّا كيّساً رشيداً. فـقال صعصعة: قـد أولد الناس من كـان خيراً من أبي سفـيان، فاولد الأحمق والمنـافق والفاجر والفاسق والمعتوه والمجنون، آدم أبو البشر. فخجل معاوية[١].

(٢٤٨)

صعصعة ومعاوية

عن هشـام بن السائب، عن أبـيه، قال: خطب الناس يومـاً معاوية بمسجد دمشق، وفي الجـامع يـومئذٍ مـن الوفود علماء قـريش وخطباء ربـيعة ومدارهـها وصناديد اليمن وملوكها.

فقـال معاوية:إنّ الله تعـالى أكرم خـلفاءه فأوجب لهما الجنّة وأنـقذهم من النـار، ثـمّ جعـلني منهـم، وجـعل أنصاري أهـل الشـام الـذابّين عن حرم الله، المؤيّدين بظفر الله، المنصورين على أعداء الله.

قـال: كان في الجـامع مـن أهل الـعراق الأحنـف بن قـيس وصعصـعة بن صوحان، فقـال الأحـنف لصعصعة: أتـكفيني أم أقوم إليـه أنا؟ فقال صعصـعة للأحنف: بل أكفيـكه أنا، ثمّ قام صعصعـة فقال: ياابن أبي سفيـان! تكلّمت فأبلغـت ولم تـقصر دون ماأردت، وكيـف يـكون ماتقـول ، وقـد غلبتـنـا قسراً، وملـكتنا تجبّـراً، ودنـتـنا بغير الحقّ، واستـوليـت بأسباب الفضـل عـلينا. فأمّا إطراؤك لأهل الشام: فما رأيـت أطوع لمخلوق وأعصى لخالق منهـم! قوم ابـتعت منهم دينهم وأبـدانهم بالمال، فـان أعطيتهم حاموا عليـك ونصروك ، وإن منعتهم قعدوا عنك ورفضوك .

قال معاويـة: اسكـت يـاابن صوحان! فـوالله لولا أنّي لم أتجـرّع غصّـة غيظ

---

(١) البحار: ج٤٤ ص١٢٣ عن الاختصاص:ص٦٤-٦٥.

قطّ أفضل من حلم وأحمد من كرم ـ سيا في الكف عن مثلك والاحتمال لذويك ـ لما عدت إلى مثل مقالتك ! فقعد صعصعة،فأنشأ معاوية يقول:

قبلت جاهلهم حلماً ومكرمة والحلم عن قدرة فضل من الكرم[1]

(٢٤٩)

أبو الأسود ومعاوية

روي أنّ معاوية نظر إلى الحسن بن عليّ عليهما السلام وهو بالمدينة، وقد احتفّ به خلق من قريش يعظّمونه، فتداخله حسد، فدعا أبا الأسود الدؤلي والضحّاك بن قيس الفهري، فشاورهما في أمر الحسن والذي يهمّ به من الكلام.

فقال له أبو الأسود: رأي أميرالمؤمنين أفضل وأرىٰ أن لا تفعل، فانّ أميرالمؤمنين لن يقول فيه قولاً إلّا أنزله سامعوه منه به حسداً ورفعوه به صعداً، والحسن ياأميرالمؤمنين معتدل شبابه، أحضر ماهو كائن جوابه، فأخاف أن يردّ عليك كلامك بنوافذ تردع سهامك، فيقرع بذلك ظُنبوبك، ويبدي به عيوبك، فاذا كلامك فيه صار له فضلاً وعليك كلّاً، إلّا أن تكون تعرف له عيباً في أدب، أو وقيعة في حسب، وإنّه لهو المهذّب، قد أصبح من صريح العرب في غرّ لبابها وكريم محتدها وطيب عنصرها، فلا تفعل ياأميرالمؤمنين. الحديث[2].

(٢٥٠)

حارثة بن قدامة مع معاوية

قدم حارثة بن قدامة السعدي على معاوية، ومع معاوية على السرير

---

(١) البحار: ج٤٤ ص١٣٢ عن أمالي الشيخ رحمه الله:ج١ ص٤-٥.

(٢) البحار: ج٤٤ ص١٢٠.

الأحنف بن قيس والحباب المجاشعي، فقال له معاوية: من أنت؟ قال: أنا حارثة بن قدامة، قال: وكان نبيلاً، فقال له معاوية: ماعسيت أن تكون! هل أنت إلّا نحلة ؟

فقال: لا تفعل يامعاوية! قد شبّهتني بالنحلة، وهي والله حامية اللسعة حلوة البصاق، مامعاوية إلّا كلبة تعاوي الكلاب، ومااميّة إلّا تصغير أمة، فقال معاوية: لا تفعل، قال: إنكّ فعلت ففعلت.

قال له: فادن اجلس معي على السرير، فقال: لاافعل، قال: ولم؟ قال: لأنّي رأيت هذين قد أماطاك عن مجلسك فلم أكن لأُشاركهما.

قال له معاوية: ادن اسارّك، فدنا منه، فقال: ياحارثة! إنّي اشتريت من هذين الرجلين دينهما، قال: ومنيّ فاشتريامعاوية! قال له: لاتجهر[١].

(٢٥١)

أعرابيّ ومعاوية

يقال: دخل الحسين عليه السلام على معاوية وعنده أعرابيّ يسأله حاجة، فأمسك وتشاغل بالحسين عليه السلام فقال الأعرابيّ لبعض من حضر: من هذا الذي دخل؟ قالوا: الحسين بن عليّ، فقال الأعرابيّ للحسين عليه السلام: أسألك يابن بنت رسول الله لمّا كلّمته في حاجتي، فكلّمه الحسين عليه السلام في ذلك، فقضى حاجته، فقال الأعرابيّ:

أتيت العبشميّ فلم يجد لي ... إلى أن هزّه ابن الرسول
هو ابن المصطفى كرماً وجوداً ... ومن بطن المطهّرة البتول
وإنّ لهاشم فضلاً عليكم ... كما فضل الربيع على المحول

فقال معاوية: يااعرابي اعطيك وتمدحه؟! فقال الأعرابيّ: يامعاوية!

---

(١) البحار: ج٤٤ ص١٣٣ عن أمالي المفيد.

أعطيتني من حقّه وقضيت حاجتي بقوله[١].

(٢٥٢)

هاني بن عروة وابن زياد

قال المفيد رحمه الله: وخاف هاني بن عروة عبيدالله على نفسه فانقطع عن حضور مجلسه وتمارض، فقال ابن زياد لجلسائه:مالي لاأرى هانئاً؟ فقالوا: هو شاكٍ ، فقال: لوعلمت بمرضه لعدته. ودعا محمّد بن الأشعث واسماء بن خارجة وعمرو بن الحجّاج الزبيدي -وكانت رويحة بنت عمرو تحت هاني بن عروة، وهي امّ يحيى بن هاني- فقال لهم: مايمنع هاني بن عروة من إتياننا؟ فقالوا: ماندري، وقد قيل: إنّه يشتكي قال: قد بلغني أنّه قد برئ وهو يجلس على باب داره، فالقوه ومروه أن لايدع ماعليه من حقّنا، فانّي لااحبّ أن يفسد عندي مثله من أشراف العرب.

فأتوه حتّى وقفوا عليه عشيّة وهو جالس على بابه، وقالوا له: مايمنعك من لقاء الأمير؟ فانّه قد ذكرك وقال: لو أعلم أنّه شاكٍ لعدته، فقال لهم: الشكوى تمنعني، فقالوا: قد بلغه أنّك تجلس كلّ عشيّة على باب دارك ، وقد استبطأك ، والإبطاء والجفاء لايحتمل السلطان، اقسمنا عليك لمّا ركبت معنا! فدعا بثيابه فلبسها ثمّ دعا ببغلته فركبها حتى إذا دنا من القصر كأنّ نفسه أحسّت ببعض الذي كان.

فقال لحسّان بن أسماء بن خارجة: ياابن الأخ إنّي والله لهذا الرجل لخائف فما ترى؟ فقال: ياعمّ والله ما أتخوّف عليك شيئاً، ولم تجعل على نفسك سبيلا؟ ولم يكن حسّان يعلم في أيّ شيءبعث إليه عبيدالله.

فجاء هاني حتّى دخل على عبيدالله بن زياد وعنده القوم، فلما طلع قال

---

(١) البحار: ج٤٤ ص٢١٠ عن المناقب.

عبيدالله: أتتك بحائن رجلاه!

فلمّا دنا من ابن زياد -وعنده شريح القاضي- التفت نحوه، فقال:

اريــد حــبــاءه ويــريــد قــتلي عــذيرك مـن خـليـلك من مـراد

وقد كان أوّل ماقدم مكرمـاً له ملطّفاً، فقال له هاني:وماذاك أيّها الأمير؟ قال: ايـه! ياهـاني بن عروة، مـاهذه الامـور التي تربّص في دارك لأميرالمؤمنين وعامّة المسلـمين؟ جـئت بمسلم بـن عـقيل فأدخلـته دارك وجمعت لـه الجـموع والسلاح والرجال في الدور حولك! وظننت أنّ ذلك يخفى عليّ؟ قال: مافعلت ذلك ومـامسلم عنـدي، قـال: بلى قد فعلت! فلـمّـا كثر بينهما وأبى هـاني إلّا مجـاحدته ومناكرتـه، دعـا ابن زياد معقلاً -ذلـك الـعين- فجاء حتى وقف بين يديه، وقال: أتعرف هذا؟ قال: نعم، وعلم هاني عند ذلك أنّه كان عيناً عليهم وأنّه قد أتاه بأخبارهم، فأسقط في يده ساعة.

ثمّ راجعته نفسه، فـقال: اسمع منّي وصدّق مقالتي، فوالله ماكذبت، والله مـادعـوته إلى مـنـزلي ولاعلـمـت بشيءمن أمـره حـتّى جـاءني يسألني النزول، فاستحييت من ردّه، وداخلني من ذلك ذمام فضيّفته وآويته، وقد كان من أمره مابلغك، فـان شئت أن اعطيك الآن مـوثقاً مغلّظـاً أن لاأبغيك سوءاً ولاغائلة، ولآتينّك حتىّ أضع يـدي في يدك، وإن شئت أعطيتك رهـينة تكون في يدك حتىّ آتيك وأنطلق إليه، فآمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض، فأخرج من ذمامه وجواره.

فـقـال لـه ابن زيـاد: والله لا تـفـارقني أبداً حتّـى تـأتـيني به! قال: لاوالله لاأجيئك بـه أبـداً! أجيئك بضـيفي تـقتله؟ قال: والله لـتأتينّي بـه! قال: والله لاآتيك به! فلـمّا كثر الكلام بينهما، قام مسلم بن عمرو الباهلي -وليس بالكوفة شاميّ ولابصريّ غيره- فقـال: أصلح الله الأمير! خلّني وإيّاه حتى اكلّمـه، فقام فخلا به ناحية من ابن زياد،وهما منه بحيث يراهما،فاذا رفعا أصواتهما سمع مايقولان.

فقال له مسلم: ياهـاني أنشدك الله أن تقتل نفسك وأن تدخل البلاء في عشيرتك ! فوالله إنّي لأنفس بك عن القتل، إنّ هذا ابن عمّ القوم وليسوا قاتليه ولاضائريه، فادفعه إليهم، فانّه لـيس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة إنّما تدفعه إلى السلطان.

فـقال هاني: والله إنّ عليّ في ذلـك الخزي والعار أن أدفع جاري وضيفي وأنا حيّ صحيح أسمع وأرى، شديد الساعد كثير الأعوان، والله لـو لم يكن لي إلّا واحد ليس لي نـاصر لم أدفعه حتّى أموت دونـه. فأخذ ينـاشده وهو يـقول: والله لاأدفعه إليه أبداً.

فسمـع ابن زياد ـلعنـه الله ـ ذلك ، فـقال: أدنوه منّي ، فـأدنوه مـنه، فقال: والله لـتـأتيني به أو لأضـربـنّ عـنقك ! فقال هـانـي:إذاً والله تكثر البارقة حول دارك ! فقال ابن زياد: والهفاه عـليك ! أبالبارقه تخوفني؟ وهو يظنّ أنّ عشيرته سيمنعـونه. ثمّ قال: ادنوه مـنّي ، فأُدني منه، فـاستعرض وجهـه بالقضيب فـلم يـزل يضـرب به أنفه وجبـيـنـه وخده حتى كسر أنـفـه وسال الدماء على وجهه ولحيته ونثر لحم جـبينه وخدّه على لحيته، حتىّ كسـر القضيب، وضرب هـاني يده على قائم سيف شرطيّ ، وجاذبه [الرجل] ومنعه.

فقال عبيد الله: أحروريّ سـائر اليوم؟قد حلّ دمك،جرّوه، فجرّوه وألقوه في بيت من بيـوت الدار، وأغلقوا عليه بابه، فقال: اجعلوا عليه حرساً، ففعل ذلك به.

فقام إليه حسّان بن اسماء، فـقال: أرسل غدر سائر اليوم، أمرتنا أن نجيئك بالرجـل حتـى إذا جئنـاك به هشـمت أنفه ووجهـه وسيّلت دماءه على لحيته وزعمـت أنّـك تقتـله! فقال لـه عبيـد الله: وإنّـك لهاهنا،فأمر به فـلـهز وتعـتع واجلس نـاحيته، فقـال محمّد بن الأشعث: قد رضينا بما رأى الأمير، لنا كان أم علينا، إنّما الأمير مؤدّب.

وبلغ عمرو بن الحجّاج أنّ هانئاً قد قتل! فأقبل في مذحج حتىّ أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم، وقال: أنا عمرو بن الحجّاج، وهذه فرسان مذحج ووجوهها، لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة، وقد بلغهم أنّ صاحبهم قد قتل، فأعظموا ذلك.

فقيل لعبيدالله بن زياد: وهذه فرسان مذحج بالباب؟! فقال لشريح القاضي:ادخل على صاحبهم فانظر إليه، ثمّ اخرج فأعلمهم أنّه حيّ لم يقتل، فدخل شريح فنظر إليه فقال هاني لمّا رأى شريحاً: ياالله! ياللمسلمين! اهلكت عشيرتي، أين أهل الدين؟ أين أهل المصر؟ والدماء تسيل على لحيته، إذ سمع الضجّة على باب القصر، فقال: إنّي لأظنّها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين، إنّه إن دخل عليّ عشرة نفر أنقذوني.

فلمّا سمع كلامه شريح خرج إليهم، فقال لهم: إنّ الأمير لمّا بلغه كلامكم ومقالتكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه، فأتيته فنظرت إليه، فأمرني أن ألقاكم واعرّفكم أنّه حيّ، وأنّ الذي بلغكم من قتله باطل.

فقال له عمرو بن الحجّاج وأصحابه: أمّا إذ لم يقتل فالحمد لله، ثمّ انصرفوا! الحديث[١].

(٢٥٣)

دخول مسلم على ابن زياد

فلمّا دخل لم يسلّم عليه بالإمرة فقال له الحرسيُّ: ألا تسلّم على الأمير؟ فقال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لايريد قتلي فليكثرنّ سلامي عليه، فقال له ابن زياد: لعمري لتقتلنّ! قال :كذلك ؟ قال: نعم، قال: فدعني اوصي إلى بعض قومي، قال: افعل.

---

(١) البحار: ج٤٤ ص٣٤٤ـ٣٤٨ عن إرشاد المفيد.

فنظر مسلم إلى جلساء عبيدالله بن زياد، وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقّاص، فقال: ياعمر! إنّ بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب لي عليك نجح حاجتي وهيّ سرّ. فامتنع عمر أن يسمع منه، فقال له عبيدالله بن زياد: لم تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمّك؟ فقام معه فجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد.

فقال له: إنّ عليّ بالكوفة ديناً استدنته منذ قدمت الكوفة، سبعمائة درهم، فبع سيفي ودرعي فاقضها عنّي، وإذا قتلت فاستوهب جثّتي من ابن زياد فوارها، وابعث إلى الحسين عليه السلام من يردّه، فانّي قد كتبت إليه اعلمه أنّ الناس معه، ولاأراه إلّا مقبلاً.

فقال عمر لابن زياد: أتدري أيّها الأمير ماقال لي؟ إنّه ذكر كذا وكذا! فقال ابن زياد: إنّه لايخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن! أمّا ماله فهو له ولسنا نمنعك أن تصنع به ماأحبّ، وأمّا جثّته فانّا لانبالي إذا قتلناه ماصنع بها، وأمّا حسين فانّه إن لم يردنا لم نرده.

ثمّ قال ابن زياد: إيه ابن عقيل! أتيت الناس وهم جمع فشتّت بينهم وفرّقت كلمتهم وحملت بعضهم على بعض، قال: كلّا! لست لذلك أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو الى الكتاب، فقال له ابن زياد: وماأنت وذاك يافاسق! لم لم تعمل فيهم بذلك إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟ قال مسلم: أنا أشرب الخمر؟ أما والله! إنّ الله ليعلم أنّك غير صادق وأنّك قد قلت بغير علم، وإنّي لست كما ذكرت، وإنك أحقّ بشرب الخمر منّي، وأولى بها من يلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرّم الله قتلها، ويسفك الدم الذي حرّم الله على الغصب والعداوة وسوء الظنّ وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً.

فقال له ابن زياد: يافاسق! إنّ نفسك منّتك ماحال الله دونه، ولم يرك الله له أهلاً، فقال مسلم: فمن أهله إذا لم نكن نحن أهله؟ فقال ابن زياد: أميرالمؤمنين يزيد! فقال مسلم: الحمد لله على كلّ حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينك، فقال له ابن زياد:قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام من الناس.

فقال له مسلم: أما إنّك احقّ من أحدث في الإسلام سالم يكن، وأنّك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة، لاأحد أولى بها منك.

فأقبل ابن زياد يشتمه، ويشتم الحسين وعليّاً وعقيلاً، وأخذ مسلم لايكلّمه الحديث[1].

(٢٥٤)

سودة ومعاوية

روي أن سودة بنت عمارة الهمدانيّة دخلت على معاوية بعد موت عليّ، فجعل يؤنّبها على تحريضها عليه أيّام صفّين، وآل أمره إلى أن قال: ماحاجتك؟ قالت: إنّ الله مسائلك عن أمرنا وماافترض عليك من حقّنا، ولايزال يتقدّم علينا من قبلك من يسمو بمكانك ويبطش بقوّة سلطانك، فيحصدنا حصيد السنبل ويدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف، هذا بسر بن أرطاة قدم علينا فقتل رجالنا وأخذ أموالنا، ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة، فان عزلته عنّا شكرناك، وإلّا كفرناك.

فقال معاوية: إيّاي تهدّدين بقومك ياسودة! لقد هممت أن أحملك على قتب أشوس فاردّك إليه، فينفذ فيك حكمه، فأطرقت سودة ساعة، ثمّ قالت:

صلّى الاله على روح تضمّنها قبر فأصبح العدل فيه مدفونا

---

(١) البحار: ج٤٤ ص٣٥٥،راجع قاموس الرجال: ج٩ ص٢٩٢ في ترجمته.

قد حالف الحقّ لايبغي به بدلا فصار بالحقّ والإيمان مقرونا

فقال معاوية: من هذا ياسودة؟ قالت: هو والله أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام،والله لقد جئته في رجل كان قد ولّاه صدقاتنا فجار علينا، فصادفته قائماً يصلّي، فلمّا رآني انفتل من صلاته، ثمّ أقبل عليّ برحمة ورفق ورأفة وتعطّف، وقال: ألك حاجة؟ قلت: نعم، فأخبرته الخبر، فبكى ثمّ قال: «اللّهم أنت الشاهد عليّ وعليهم، وإنّي لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقّك» ثمّ أخرج قطعة جلد فكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم ...الحديث[1].

نورده عن العقد الفريد أيضاً لاشتماله على الزيادة:

وفدت سودة بنت عمارة بن الأشتر [الأسك] الهمدانيّة على معاوية بن أبي سفيان فاستأذنت عليه، فأذن لها، فلمّا دخلت عليه سلّمت، فقال لها: كيف أنت ياابنة الأشتر؟ قالت: بخير ياأميرالمؤمنين. قال لها: أنت القائلة لأخيك:

شمّر كفعل أبيك ياابن عمارة يوم الطعان وملتقى الأقران

وانصر عليّاً والحسين ورهطه واقصد لهند وابنها بهوان

إنّ الإمام أخو النبيّ محمّد علم الهدى ومنارة الإيمان

فقه الحتوف وسر أمام لوائه قدماً بأبيض صارم وسنان

قالت: ياأميرالمؤمنين مات الرأس وبتر الذنب، فدع عنك تذكار ماقد نسي. قال: هيهات! ليس مثل مقام أخيك ينسى، قالت: صدقت والله

(١) راجع كشف الغمّة: ص٥٠. والعقد الفريد: ج٢ ص١٠٢. والبحار: ج٤١ ص١١٩. والإمامة والسياسة: ج١ ص٥٣. ونور الأبصار: ص١٠٩. والفصول المهمة لابن الصبّاغ: ص١٢٩. ومطالب السؤول: ص٣٣، وبلاغات النساء: ص٣٠. ومحادثات النساء: ص٧٣.

يا أميرالمؤمنين ماكان أخي خفيّ المقام ذليل المكان، ولكن كما قالت الخنساء:

وإنّ صخراً لتأتمّ الهداة به . كأنّه علم في رأسه نار

(وفي بلاغات النساء: قالت: إي والله! مامثلي من رغب عن الحقّ أو اعتذر بالكذب. قال لها: فما حملك على ذلك؟ قالت: حبّ علي عليه السلام واتّباع الحقّ، قال: فوالله ماأرى عليك من أثر عليّ شيئاً، قالت: انشدك الله يا أميرالمؤمنين! وإعادة مامضى وتذكار ماقد نسي، قال: هيهات! مامثل مقام أخيك ينسى، ومالقيت من أحد مالقيت من قومك وأخيك، قالت: صدق فوك، لم يكن أخي ذميم المقام ولاخفيّ المكان، كان والله كقول الخنساء:) وبالله أسأل أميرالمؤمنين إعفائي ممّا استعفيته، قال: قد فعلت، فقولي حاجتك.

قالت: يا أميرالمؤمنين إنّك للناس سيّد ولامورهم مقلّد، والله سائلك عمّا افترض عليك من حقّنا، ولا تزال تقدم علينا من ينهض [ينوء خ] بعزّك ويبسط سلطانك [يبطش بسلطانك خ] فيحصدنا حصاد السنبل ويدوسنا دياس البقر ويسومنا الخسيسة ويسألنا [يسلبنا خ] الجليلة، هذا (بسر) بن أرطاة قدم بلادي [قدم علينا من قبلك خ] وقتل رجالي وأخذ مالي (يقول لي فوهي بما استعصم الله منه وألجأ إليه فيه) ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة، فإمّا عزلته عنّا فشكرناك، وإمّا لا فعرفناك.

فقال معاوية: إيّاي تهدّدين بقومك، والله لقد هممت أن أردّك إليه على قتب أشرس، فينفذ حكمه فيك، فسكتت ثمّ قالت:

صلّى الإله على روح تضمّنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قدحالف الحقّ لايبغي به ثمناً [بدلاخ] فصار بالحقّ والايمان مقرونا

قال: ومن ذلك؟ قالت: عليّ بن أبي طالب رحمه الله تعالى، قال: ماأرى عليك منه أثراً، قال: بلى أتيته يوماً في رجل ولّاه صدقاتنا، فكان بيننا وبينه مابين الغثّ والسمين، فوجدته قائماً يصلّي فانفتل من الصلاة، ثمّ قال برأفة

وتعطّف: ألك حاجة؟ فأخبرته خبر الرجل؛ فبكى، ثمّ رفع يديه إلى السماء، فقال: «اللّهم إنّي لم آمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقّك» ثمّ أخرج من جيبه قطعة من جراب، فكتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم: قد جاءتكم بيّنة من ربّكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين* بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين* وماأنا عليكم بحفيظ. إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتىّ يأتي من يقبضه منك والسلام».

فأخذته منه ياأميرالمؤمنين، ماخزمه بخزام، ولاختمه بختام.

فقال معاوية: اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها، فقالت: ألي خاصّة أم لقومي عامّة؟ قال: وماأنت وغيرك ؟ قالت: هي والله إذاً الفحشاء واللؤم إن لم يكن عدلاً شاملاً، وألّا يسعني مايسع قومي، قال: هيهات! لمَّظكم ابن أبي طالب الجرأة [على السلطان، فبطيئاً ماتفطمون ، وغرّكم قوله:

فلو كنت بوّاباً على باب جنّة   لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقوله:

ناديت همدان والأبواب مغلقة   ومثل همدان سنّى فتحة الباب

كالهندواني لم تفلل مضاربه   وجه جميل وقلب غير وجّاب

اكتبوا لها بحاجتها[1].

أقول: أشرنا إلى بعض الخلاف بين نسختي العقد الفريد وبلاغات النساء. ونقله في قاموس الرجال عن البلاغات[2].

---

(١) العقد الفريد: ج١ ص٣٢٥.

(٢) قاموس الرجال: ج١ ص٤٦١ عن بلاغات النساء.

(٢٥٥)

بكّارة الهلالية ومعاوية

محمّد بن عبدالله الخزاعي، عن الشعبي، قال:

استأذنت بكارة الهلاليّة على معاوية بن أبي سفيان، فأذن لها، وهو يومئذٍ بالمدينة، فدخلت عليه ـ وكانت امرأة قد أسنّت وعشى بصرها وضعفت قوّتها ترعش بين خادمين لها ـ فسلّمت وجلست؛ فردّ عليها معاوية السلام، وقال: كيف أنت ياخالة؟ قالت: بخير ياأميرالمؤمنين، قال: غيّرك الدهر! قالت: كذلك هو ذو غير، ومن عاش كبر، ومن مات قبر.

قال عمرو بن العاص: هي والله القائلة ياأميرالمؤمنين:

يازيد دونك فاستثر من دارنا ... سيفاً حساماً في التراب دفينا
قد كنت أذخره ليوم كريهة[1] ... فاليوم أبرزه الزمان مصونا

قال مروان: وهي والله القائلة ياأميرالمؤمنين:

أترى ابن هند للخلافة مالكا ... هيهات! ذاك وإن أراد بعيد
منّتك نفسك في الخلاء ضلالة ... أغراك عمرو للشقاء وسعيد

قال سعيد بن العاص: هي والله القائلة:

قد كنت أطمع أن أموت ولاأرى ... فوق المنابر من اميّة خاطبا
فالله أخّر مدّتي فتطاولت ... حتى رأيت من الزمان عجائبا
في كلّ يوم للزمان خطيبهم ... بين الجميع لآل أحمد عائبا

ثمّ سكتوا.

فقالت: يامعاوية[2] كلامك أعشى بصري وقصر حجّتي، أنا والله قائلة

(١) قد كان مذخوراً لكل عظيمة «عن البلاغات».

(٢) في البلاغات: فقالت بكارة: نبحتني كلابك ياأميرالمؤمنين واعتورتني، فقصر محجني وكثر عجبي ←

ماقالوا، وماخفي عليك منّي أكثر! فضحك وقال: ليس يمنعنا ذلك من برّك ، اذكري حاجتك ، قالت: الآن فلا[(١)].

(٢٥٦)

الزرقاء مع معاوية

عبيدالله بن عمرو الغسّاني عن الشعبي، قال: حدّثني جماعة من بني اميّة ممّن كان يسمر مع معاوية قالوا:

بينما معاوية ذات ليلة مع عمرو وسعيد وعتبة والوليد، إذ ذكروا الزرقاء بنت عديّ [بن غالب] بين قيس الهمدانيّة [امرأة كانت من أهل الكوفة] وكانت شهدت مع قومها صفّين، فقال: أيّكم يحفظ كلامها؟ قال بعضهم:نحن نحفظه ياأميرالمؤمنين، قال: فأشيروا عليّ في أمرها، فقال بعضهم: نشير عليك بقتلها، قال: بئس الرأي أشرتم به عليّ! أيحسن بمثلي أن يتحدّث عنه أنّه قتل امرأة بعد ماظفر بها؟ فكتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوي محارمها وعدّة من فرسان قومها،وأن يمهد لها وطاء ليّناً ويسترها بستر خصيفٌ يوسّع لها في النفقة، فأرسل إليها فأقرأها الكتاب.

فقالت: إن كان أميرالمؤمنين جعل الخيار إليّ فانّي لاآتيه، وإن كان حتم فالطاعة أولى.

فحملها وأحسن جهازها على ما أُمر به، فلمّا دخلت على معاوية قال: مرحباً وأهلاً! قدمت خير مقدم قدمه وافد، كيف حالك؟ قالت: بخير ياأميرالمؤمنين أدام الله لك النعمة، قال: كيف كنت في مسيرك ؟ قالت: ربيبة بيت أو طفلاً ممهّداً، قال: بذلك أمرناهم، أتدرين فيم بعثت إليك ؟

وعشى بصري وانا والله.

(١) العقد الفريد: ج٢ ص١٠٥،وراجع بلاغات النساء: ص٣٥،ومحادثات النساء: ص٩١.

قالت: أنّى لي بعلم مالم اعلم؟ قال: ألست الراكبة الجمل الأحمر والواقفة بين الصفّين [يوم صفّين] تحضّين على القتال وتوقدين الحرب؟ فما حملك على ذلك ؟ قالت: ياأميرالمؤمنين مات الرأس وبتر الذنب، ولم يعد ماذهب، والدهر ذو غير، ومن تفكّر أبصر، والأمر يحدث بعد الأمر، قال لها معاوية:[صدقت] أتحفظين كلامك؟[يوم صفّين]قالت: لاوالله! لاأحفظه، ولقد أنسيته، قال: لكنّي أحفظه، لله أبوك ! حين تقولين:

أيّها الناس! ارعووا وارجعوا، إنّكم قد أصبحتم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم، وجارت بكم عن قصد المحجّة، فيالها من فتنة عمياء صمّاء بكماء. لا تسمع لنا عقها ولا تنساق لقائدها، إنّ المصباح لايضيءفي الشمس، ولا تنير الكواكب مع القمر، ولايقطع الحديد إلّا الحديد، ألا من استرشدنا أرشدناه، ومن سألنا أخبرناه. أيّها الناس! إنّ الحقّ كان يطلب ضالّته فأصابها، فصبراً يامعشر المهاجرين [والأنصار] على الغصص، فكان قد اندمل شعب الشتات، والتأمت كلمة العدل، ودمغ الحقّ باطله، فلا يجهلّن أحد، فيقول: كيف [العدل] وأنّى؟ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، ألا وإنّ خضاب النساء الحنّاء وخضاب الرجال الدماء، ولهذا اليوم مابعده، والصبر خير في الامور عواقباً، إيهاً في الحرب قدماً غير ناكصين ولامتشاكسين.

ثمّ قال لها: والله يازرقاء! لقد شركت عليّا في كلّ دم سفكه.

قالت: أحسن الله بشارتك وأدام سلامتك ! فمثلك بشّر بخير وسرّ جليسه، قال لها: أويسرّك ذلك ؟ قالت: نعم والله لقد سررت بالخير،فأنّى لي بتصديق الفعل؟ فضحك معاوية وقال: والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب من حبّكم له في حياته! اذكري حاجتك .

قالت: ياأميرالمؤمنين آليت على نفسي أن لاأسأل أميراً أعنت عليه أبداً، ومثلك أعطى عن غير مسألة وجاد من غير طلبة، قال: صدقت! وأمر لها وللذين

جاءوا معها بجوائز وكسا[1].

(٢٥٧)

امّ سنان ومعاوية

حبس مروان [بن الحكم] وهو والي المدينة غلاماً من بني ليث في جناية جناها، فأتته جدّة الغلام [امّ أبيه] وهي امّ سنان بنت خيثمة بن خرشة المذحجيّة، فكلّمته في الغلام، فأغلظ [لها] مروان.

فخرجت إلى معاوية: فدخلت عليه فانتسبت، فعرفها، فقال لها: مرحباً بابنة خيثمة! ماأقدمك أرضنا وقد عهدتك تشتميننا وتحضّين علينا عدوّنا؟ قالت: إنّ لبني عبدمناف أخلاقاً طاهرة، وأحلاماً وافرة، لايجهلون بعد علم، ولايسفهون بعد حلم، ولاينقمون بعد عفو، وإنّ أولى الناس باتّباع ماسنّ آباؤه لأنت. قال: صدقت نحن كذلك، فكيف قولك:

عزب الرقاد فمقلتي لاترقد ... والليل يصعد بالهموم ويورد
ياآل مذحج لامقام فشمّروا ... إنّ العدوّ لآل أحمد يقصد
هذا عليّ كالهلال تحفّه ... وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق وابن عمّ محمّد ... إن يهدكم بالنور منه تهتدوا
مازال مذ شهد الحروب مظفّرا ... والنصر فوق لوائه مايفقد

قالت: كان ذلك ياأميرالمؤمنين، وأرجو أن تكون لنا خلفاً [بعده] فقال: رجل من جلسائه: كيف ياأميرالمؤمنين وهي القائلة:

أما هلكت أبا الحسين فلم تزل ... بالحقّ تعرف هادياً مهديا
فاذهب عليك صلاة ربك مادعت ... فوق الغصُون حمامة قُمريا

---

(١) العقد الفريد: ج٢ ص١٠٦. وبلاغات النساء: ص٣٢ وأكملناه من البلاغات. وراجع قاموس الرجال: ج١٠ ص٤٤٠. ومحادثات النساء: ص٧٦.

قد كنت بعد محمّد خلفاً كما أوصى إليك بنا فكنت وفيّا
فاليوم لاخلف يؤمّل بعده هيهات! نأمل بعده انسيّا

قالت: ياأميرالمؤمنين لسان نطق وقول صدق! ولئن تحقّق [فيك] ماظننّا فحظّك الأوفر؛ والله ماورثك الشناءة في قلوب المسلمين إلّا هؤلاء، فأدحض مقالتهم وأبعد منزلتهم، فانّك إن فعلت ذلك تزدد من الله قرباً ومن المؤمنين حبّاً.

قال: وإنّك لتقولين ذلك؟ قالت: سبحان الله! والله مامثلك مدح بباطل ولااعتذر إليه بكذب، وإنّك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا، كان والله عليّ أحبّ إلينا منك، وأنت أحبّ إلينا من غيرك، قال: ممّن؟ قالت: من مروان بن الحكم وسعيد بن العاص، قال: وبم استحققت ذلك عندك؟ قالت: بسعة حلمك وكريم عفوك، قال: فانّهما يطمعان في ذلك، قالت: هما والله من الرأي على ماكنت عليه لعثمان بن عفّان ـ رحمه الله ـ قال: والله لقد قاربت! فما حاجتك؟

قالت: ياأميرالمؤمنين، إنّ مروان تبنّك بالمدينة تبنّك من لايريد منها البراح، لايحكم بعدل ولايقضي بسنّة، يتتبع عثرات المسلمين، ويكشف عورات المؤمنين؛ حبس ابن ابني فأتيته، فقال: كيت وكيت، فألقمته أخشن من الحجر، وألعقته أمرّ من الصاب، ثمّ رجعت إلى نفسي باللائمة وقلت: لم لاأصرف ذلك إلى من هو أولى بالعفو منه، فأتيتك ياأميرالمؤمنين لتكون في أمري ناظراً وعليه معدياً.

قال: صدقت،لا اسألك عن ذنبه ولاعن القيام بحجّته، اكتبوا لها باطلاقه.
قالت: ياأميرالمؤمنين وأنّى لي بالرجعة وقد نفذ زادي وكلّت راحلتي، فأمر

لها براحلة [موطأة] وخمسة الآف [درهم][١].

(٢٥٨)
عكرشة عند معاوية

دخلت عكرشة بنت الأطرش بن رواحة على معاوية متوكّئة على عكّاز لها، فسلّمت عليه بالخلافة ثمّ جلست،فقال لها معاوية: الآن ياعكرشة صرت عندك أميرالمؤمنين؟! قالت: نعم إذ لاعليّ حيّ.

قال: ألست المتقلّدة حمائل السيف بصفيّن وأنت واقفة بين الصفيّن تقولين: أيّها الناس! عليكم أنفسكم لايضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم، إنّ الجنّة لايرحل عنها من قطنها، ولايهرم من سكنها، ولايموت من دخلها، فابتاعوها بدار لايدوم نعيمها ولا تنصرم همومها، وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم مستظهرين بالصبر على طلب حقهم، إنّ معاوية دلف إليكم بعجم العرب غلف القلوب، لايفقهون الإيمان ولايدرون ما الحكمة،دعاهم بالدنيا فأجابوه، واستدعاهم إلى الباطل فلبّوه،فالله الله عباد الله في دين الله! وإيّاكم والتواكل، فانّ ذلك ينقض عرى الإسلام ويطفئ نور الحقّ، هذه بدر الصغرى والعقبة الاخرى، يامعشر المهاجرين والأنصار! امضوا على بصيرتكم واصبروا على عزيمتكم، فكأنّي بكم غداً وقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تصقع صقع البقر [وتروث روث العتاق]، فكأنّي أراك على عصاك هذه وقد انكفأ عليك العسكران، يقولون: هذه عكرشة بنت الأطرش بن رواحة، فان كدت لتقتلين أهل الشام لولا قدر الله، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، فما حملك على ذلك؟

قالت: ياأميرالمؤمنين [قال الله تعالى]: «ياأيّها الذين آمنوا لا تسألوا عن

---

(١) العقد الفريد: ج٢ ص١٠٨، وراجع بلاغات النساء: ص٦٣،وقاموس الرجال: ج١٠ ص٤٠١، محادثات النساء: ص٧٨.

أشياء إن تبد لكم تسؤكم» وإنّ اللبيب إذا كره أمراً لايحبّ إعادته.

قال: صدقت فاذكري حاجتك [قالت]: إنّه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فتردّ على فقرائنا، وإنّا قد فقدنا ذلك ، فما يجبر لنا كسير ولاينعش لنا فقير، فان كان ذلك عن رأيك ، فمثلك من انتبه عن الغفلة وراجع التوبة وإن كان عن غير رأيك ، فما مثلك من استعان بالخونة ولااستعمل الظلمة.

قال معاوية: ياهذه إنّه ينوبنا من امور رعيّتنا امور تنبثق وبحور تنفهق، قالت: ياسبحان الله! والله مافرض الله لنا حقّاً فجعل فيه ضرراً على غيرنا، وهو علّام العيوب.

قال معاوية: [هيهات] بأهل العراق! نبّهكم عليّ بن أبي طالب فلن تطاقوا. ثمّ أمر بردّ صدقاتهم فيهم وإنصافها[1].

(٢٥٩)

الدارميّة الحجونيّة ومعاوية

سهل بن أبي سهل التميمي عن أبيه قال:

حجّ معاوية فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحجون يقال لها: دارميّة الحجونيّة ـ وكانت سوداء كثيرة اللحم ـ فاخبر بسلامتها، فبعث إليها، فجيء بها. فقال: ماحالك ياابنة حام؟ فقالت: لست لحام إن عبتني، أنا امرأة من بني كنانة.

قال: صدقت، أتدرين لم بعثت إليك ؟ قالت: لايعلم الغيب إلاّ الله، قال: بعثت إليك لأسألك علامَ أحببت عليّاً وأبغضتني وواليته وعاديتني؟ قالت: أو تعفيني [ياامير المؤمنين] قال: لااعفيك، قالت: أمّا إذا أبيت فانّي

---

(١) العقد الفريد: ج٢ ص١٠٨-١١١ وبلاغات النساء: ص٧١ وقاموس الرجال: ج١١ ص٢ عنه. ومحادثات النساء: ص٨١ وفتوح ابن أعثم الكوفي : ج٣ ص١٠١-١٠٥.

أحببت عليّاً على عدله في الرعيّة وقسمه بالسويّة، وأبغضتك على قتالك من هو أولى منك بالأمر وطلبتك ماليس لك بحق، وواليت عليّاً على ماعقد له رسول الله صلّى الله عليه وآله من الولاء، وحبّه المساكين، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفكك الدماء، وجورك في القضاء،وحكمك بالهواء.

قال: صدقت فلذلك انتفخ بطنك، وعظم ثدياك، وربت عجيزتك، قالت: ياهذا بهند والله كان يضرب المثل في ذلك لا بي.

قال معاوية: ياهذه اربعي، فانّا لم نقل إلّا خيراً، إنّه إذا انتفخ بطن المرأة تمّ خلق ولدها، وإذا عظم ثدياها تروّى رضيعها، وإذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها، فرجعت وسكتت.

قال لها: ياهذه هل رأيت عليّاً؟ قالت: إي والله! قال: فكيف رأيته؟ قالت: رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك، ولم تشغله النعمة التي شغلتك.

قال: فهل سمعت كلامه؟ قالت: نعم والله! فكان يجلو القلب من العمى كما يجلو الزيت صداء الطست، قال: صدقت، فهل لك من حاجة؟ قالت: أو تفعل إذا سألتك؟ قال: نعم؛ قالت: تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها، قال: تصنعين بها ماذا؟ قال: أغذوا بألبانها الصغار وأستحيي بها الكبار، وأكتسب بها المكارم، واصلح بها بين العشائر.

قال: فان أعطيتك فهل احلّ عندك محلّ عليّ بن أبي طالب؟ قالت: [ماء ولا كصدّاء ومرعى ولا كالسعدان وفتى ولا كمالك يا] سبحان الله! أو دونه، فأنشأ معاوية يقول:

إذ لم أعد بالحلم منّي عليكم فمن ذا الذي بعدي يؤمّل للحلم
خذيها هنيئاً واذكري فعل ماجد جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثمّ قال: أما والله لو كان عليّ حيّاً ماأعطاك منها شيئاً، قالت: لا والله!

ولا وبرة واحدة من مال المسلمين(١).

(٢٦٠)

أُمّ الخير عند معاوية

عبيدالله بن عمر الغسّاني، عن الشعبي، قال:

كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه امّ الخير بنت الحريش بن سراقة البارقي برحلها، وأعلمه أنّه مجازيه بقولها فيه بالخير خيراً وبالشرّ شرّاً، فلمّا ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها كتابه.

فقالت: أمّا أنا فغير زائغة عن طاعة ولامعتلة بكذب، ولقد كنت احبّ لقاء أميرالمؤمنين لأُمور تختلج في صدري. فلمّا شيّعها وأراد مفارقتها، قال لها: ياامّ الخير إنّ أميرالمؤمنين كتب إليّ أنّه مجازيني بالخير خيراً وبالشرّ شراً فمالي عندك؟ قالت: ياهذا لايطمعنّك برّك بي أن أسرّك بباطل، ولا تؤيسك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحقّ.

فسارت خير مسير حتّى قدمت على معاوية، فأنزلها مع الحرم، ثمّ أدخلها عليه في اليوم الرابع وعنده جلساؤه، فقالت: السلام عليك ياأميرالمؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال لها: وعليك السلام ياامّ الخير بحقّ مادعوتني بهذا الاسم! قالت: ياأميرالمؤمنين [مه! فانّ بديهة السلطان مدحضة لما يحبّ علمه و] لكلّ أجل كتاب.

قال: صدقت، فكيف حالك ياخالة؟ وكيف كنت في مسيرك؟ قالت: لم أزل ياأميرالمؤمنين في خير وعافية حتّى صرت إليك، فأنا في مجلس أنيق عند

---

(١) العقد الفريد: ج٣ ص١١٣. وبلاغات النساء: ص٧٢، والغدير: ج١٠ ص١٦٦ ط١ عنها وعن صبح الأعشى:ج١ ص٢٥٩. وربيع الأبرار للزمخشري: الباب ٤١. والبحار: ج٨ ص٥٣٤ ط الكمباني: عن العقد. وقاموس الرجال: ج١٠ ص٤٣٦. ومحادثات النساء: ص٨٨.

ملك رفيق.

قال معاوية: بحسن نيّتي ظفرت بكم؛ قالت: ياأميرالمؤمنين يعيذك الله من دحض المقال وماتردّى عاقبته.

قال: ليس هذا أردنا،أخبرينا كيف كان كلامك إذ قتل عمّار بن ياسر؟ قالت: لم أكن زوّرته قبل ولا رويته بعد، وإنّما كانت كلمات نفثها لساني عند الصدمة، فان أحببت أن احدّث لك مقالاً غير ذلك فعلت [قال: لاأشاء ذلك]

فالتفت معاوية إلى جلسائه، فقال: أيكمّ يحفظ كلامها؟ فقال رجل منهم أنا أحفظ بعض كلامها ياأميرالمؤمنين قال: هات، قال: كأنّي بها وعليها برد زبيدي كثيف النسيج وهي على جمل أرمك [وقد احيط حولها] وبيدها سوط منتشر الضفيرة، وهي كالفحل يهدر في شقشقته، تقول:

ياأيّها الناس اتّقوا ربكم، إنّ زلزلة الساعة شيءعظيم، إنّ الله قد أوضح لكم الحقّ وأبان الدليل وبيّن السبيل ورفع العلم، ولم يدعكم في عمياء [مبهمة ولاسوداء] مدلهمّة فأين تريدون رحمكم الله؟ أفراراً عن أميرالمؤمنين؟ أم فراراً من الزحف؟ أم رغبة عن الإسلام؟ أم ارتدادا عن الحقّ؟ أما سمعتم الله جلّ ثناؤه يقول: «ولنبلونّكم حتّى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم» ثمّ رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول: اللّهم قد عيل الصبر وضعف اليقين وانتشرت الرغبة، وبيدك ياربّ أزمّة القلوب، فاجمع اللّهم بها الكلمة على التقوى، وألّف القلوب على الهدى، واردد الحقّ إلى أهله، هلمّوا رحمكم الله إلى الإمام العادل والرضيّ التقيّ والصدّيق الأكبر، إنّها أحن بدريّة وأحقاد جاهليّة [وضغائن أُحُديّة] وثب بها واثب[1] حين الغفلة ليدرك ثارات بني

---

(١) في بلاغات النساء: معاوية.

عبد شمس.

ثمّ قالت:

قاتلوا ائمّة الكفر إنّهم لاإيمان لهم لعلّهم ينتهون؛ صبراً يامعشر المهاجرين والأنصار! قاتلوا على بصيرة من ربّكم وثبات من دينكم، فكأنّي بكم غداً وقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة فرّت من قسورة، لا تدري أين يسلك بها من فجاج الأرض، باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى [وباعوا البصيرة بالعمى] وعمّا قليل ليصبحنّ نادمين، حين تحلّ بهم الندامة، فيطلبون الإقالة ولات حين مناص، إنّه من ضلّ والله عن الحقّ وقع في الباطل، ألا إنّ أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها، واستطابوا الآخرة فسعوا لها، فالله الله أيّها الناس! قبل أن تبطل الحقوق وتعطّل الحدود [ويظهر الظالمون] وتقوى كلمة الشيطان، فالى أين تريدون رحمكم الله؟ عن ابن عمّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وصهره وأبي سبطيه؟ خلق من طينته، وتفرّع من نبعته [وخصّه بسّره] وجعله باب مدينته، وأبان ببغضه المنافقين، وها هو ذا مفلق الهام ومكسّر الأصنام، صلّى والناس مشركون، وأطاع والناس كارهون، فلم يزل في ذلك حتّى قتل مبارزي بدر، وأفنى أهل أُحد، وهزم الأحزاب، وقتل الله به أهل خيبر، وفرّق به جمع هوازن، فيالها من وقايع! زرعت في قلوب نفاقاً وردّةً وشقاقاً، وزادت المؤمنين إيماناً، قد اجتهدت في القول وبالغت في النصيحة، وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله.

فقال معاوية: ياامّ الخير ماأردت بهذا الكلام إلّا قتلي، ولو قتلتك ماحرجت في ذلك.

قالت: والله مايسوءني أن يجري قتلي على يدي من يسعدني الله بشقائه .

قال: هيهات ياكثيرة الفضول! ماتقولين في عثمان بن عفّان رحمه الله؟

قالت: وماعسيت أن أقول في عثمان؟ استخلفه الناس وهم به راضون، وقتلوه

وهم له كارهون.

قال معاوية: ياامّ الخير هذا أصلك الذي تبنين عليه؟ قالت: لكنّ الله يشهد وكفى بالله شهيداً، ماأردت بعثمان نقصاً ولكن كان سابقاً إلى الخير وإنّه لرفيع الدرجة غداً [قال: فما تقولين في طلحة بن عبيدالله؟ قالت: وماعسى أن أقول في طلحة اغتيل من مأمنه وأتى من حيث لم يحذر وقد وعده رسول الله صلّى الله عليه وآله الجنّة] قال: فما تقولين في الزبير؟ قالت: وماأقول في ابن عمّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وحواريه وقد شهد له رسول الله صلّى الله عليه وآله بالجنّة [ولقد كان سبّاقاً إلى كلّ مكرمة في الإسلام] وأنا أسألك بحقّ الله يامعاوية ـ فانّ قريشاً تحدّثت أنك أحلمها ـ [أن تسعني بفضل حلمك و] أن تعفيني من هذه المسائل، وتسألني عمّا شئت من غيرها.

قال: نعم ونقمة عين وقد أعفيتك منها. ثمّ أمر لها بجائزة رفيعة وردّها مكرمة(١).

(٢٦١)

أروى بنت الحارث ومعاوية

العبّاس بن بكّار، قال: حدّثني عبدالله بن سليمان المدني وأبو بكر الهذلي: أنّ أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة، فلمّا رآها معاوية قال: مرحبا بك وأهلاً ياعمّة! فكيف كنت بعدنا؟ فقالت: ياابن أخي! لقد كفرت يد النعمة، وأسأت لابن عمّك الصحبة، وتسمّيت بغير اسمك، وأخذت غير حقّك، من غير بلاء كان منك ولا من آبائك، ولاسابقة في الإسلام بعد أن كفرتم برسول الله، فأتعس الله منكم الجدود،

(١) العقد الفريد: ج٢ ص١١٥ وبلاغات النساء: ص٣٦ وقاموس الرجال: ج١٠ ص٣٩٤. وبهج الصباغة ج١٠ ص١٧٨، ومحادثات النساء: ص٨٣.

وأضرع الخدود، وردّ الحقّ إلى أهله ولو كره المشركون، وكانت كلمتنا هي العليا، ونبيّنا هو المنصور، فولّيتم علينا من بعده تحتجّون بقرابتكم من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا الأمر، فكنّا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، وكان عليّ بن أبي طالب رحمه الله بعد نبيّنا صلّىٰ الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى، فغايتنا الجنّة وغايتكم النار.

فقال لها عمرو بن العاص:

كفّي أيّتها العجوزة الضالّة! وأقصري من قولك مع ذهاب عقلك، إذ لاتجوز شهادتك وحدك.

فقالت له: وأنت ياابن النابغة تتكلّم؟ وامّك كانت أشهر امرأة تغنّي (بغيّ خ) بمكّة وآخذهنّ لاجرة، ادّعاك خمسة نفر من قريش فسئلت امك عنهم فقالت: كلّهم أتاني! فانظروا أشبههم به فألحقوه به، فغلب عليك شبه العاصي بن وائل، فلحقت به.

فقال مروان:

كفّي أيّتها العجوزة! واقصدي لما جئت له، فقالت: وأنت أيضاً ياابن الزرقاء تتكلّم؟ [والله وأنت ببشير مولى ابن كلدة أشبه منك بالحكم بن العاص، وقد رأيت الحكم سبط الشعر مديد القامة ومابينكما قرابة إلا كقرابة الفرس الضامر من الأتان المقرف،فاسأل عمّا أخبرتك به امّك، فانّها ستخبرك بذلك] عن البحار.

ثمّ التفتت إلى معاوية فقالت: والله ماجرّأ عليّ هؤلاء غيرك، فانّ امّك القائلة في قتل حمزة:

نحن جزينا بكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر

ماكان لي عن عتبة من صبر وشكر وحشيّ عليّ دهري

حتى ترمّ أعظمي في قبري

فأجابتها بنت عمّي، وهي تقول:

خـزيـت في بـدر وبـعـد بـدر يا ابنـة جـبّـار عظيم الـكـفـر

فقال معاوية: عفا الله عمّا سلف، ياعمّة هات حاجتك، قالت: مالي إليك حاجة، وخرجت عنه[1].

(٢٦٢)

امّ البراء عند معاوية

حدّثنا العبّاس، قال: حدّثنا سهيل بن أبي سفيان التميمي، عن جعدة بن هبيرة المخزومي، قال: استأذنت امّ البراء بنت صفوان بن هلال على معاوية، فاذن لها، فدخلت في ثلاثة دروع تسحبها قد كارت على رأسها كوراً كهيئة المنسف، فسلّمت ثمّ جلست، فقال: كيف أنت يابنت صفوان؟ قالت: بخير ياأمير المؤمنين،قال: فكيف حالك؟ قالت: ضعفت بعد جَلَد وكسلت بعد نشاط، قال: سيّان بينك اليوم وحين تقولين:

ياعمرو دونك صارماً ذا رونق عضب المهزّة ليس بالخوّار

اسرج جوادك مسرعا ومشمّراً للحرب غير معرّد لفرار

أجب الإمام ودبّ تحت لوائه وافر العدوّ بصارم بتّار

ياليتني أصبحت ليس بعورة فأذبّ عنه عساكر الفجّار

قالت: قد كان ذاك ياأمير المؤمنين ومثلك عفا، والله تعالى يقول: «عفا الله عمّا سلف» قال: هيهات! أما إنّه لو عاد لعدت، لكنّه اخترم دونك،

---

(١) العقد الفريد: ج٢ ص١١٩. وبلاغات النساء: ص٢٧، والغدير: ج١٠ ص١٦٧ عنهما، وثمرات الأوراق هامش المستطرف: ج١ص١١٣ وسيأتي من البحار أيضاً. ومحادثات النساء:ص٩٢ وقاموس الرجال: ج١٠ ص٣٧٧، والغدير: ج٢ ص١٢١ عن العقد والبلاغات وروض المناظر: ج٨ ص٤. وثمرات الأوراق: ج١ ص١٣٢. ودائرة المعارف للوجدي: ج١ ص٢١٥. وجمهرة الخطب: ج٢ ص٣٦٣.

فكيف قولك حين قتل؟ قالت: نسيته ياأميرالمؤمنين.

فقال بعض جلسائه: هو والله حين تقول ياأميرالمؤمنين:

يـالـلرجـال لـعظـم هــول مصيبـة　　فـدحـت فـلـيس مصـابها بـالهـازل
الشـمس كـاسـفـة لـفـقـد إمـامـنـا　　خير الخـلائـق والإمـام الـعـادل
ياخير مـن ركـب المطيّ ومـن مشى　　فـوق الـتـراب لمحـتـف أو نـاعـل
حـاشـا النـبـيّ لقـد هـددت قـواعنا　　فـالحقّ أصبـح خـاضـعاً لـلـبـاطل

فقـال معاويـة: قاتـلك الله يابـنـت صـفوان! ماتـركت لقائل فـقال مقالاً، اذكري حاجتك.

قالت: هيهات بعـد هذا! والله لاسألتك شيئاً. ثمّ قامت فعثرت، فقالت: تعس شـانىءعليّ، فـقال: يـابنت صـفوان زعمت إلاّ، قالت: هو ماعلمـت. فلمّا كـان مـن الغد بعث إليهـا بـكسوة فاخرة ودراهم كثيـرة وقال: إذا أنا ضيّعت الحلم فمن يحفظه؟[1].

(٢٦٣)

آمنة بنت الشريد ومعاوية

حدّثنا العبّاس بن بكّار، قـال: حدّثنا أبو بكر الهذلي، عن الزهري وسهل ابن أبي سهل التميـمي، عن أبيه، قـالا: لمّا قتل عـليّ بن أبي طالب عـليه السلام بعث معاويـة في طلب شيعـته، فكان في من طلـب عمرو بن الحـمق الخزاعي، فراغ منه، فأرسل إلى امرأته آمنة بنت الشريد فحبسها في سجن دمشق سنتين.

ثمّ إنّ عـبدالـرحمن بن الحـكم ظفر بـعمرو بـن الحمـق في بعض الجـزيرة، فـقتلـه، وبعث بـرأسـه إلى معاويـة، وهو أوّل رأس حمل في الإسـلام. فـلمّا أتى مـعاوية الرسول بالـرأس، بعث به إلى آمنة في السجـن، وقال للحرسي: احفظ

---

(١) بلاغات النساء: ص٧٥. وعنه في قاموس الرجال: ج١٠ ص٣٨٨.

ماتكلمت به حتى تودّيه إليّ واطرح الرأس في حجرها ، ففعل هذا،فارتاعت له ساعة. ثمّ وضعت يدها على رأسها وقالت:

واحزنا! لصغره في دار هوان وضيق من ضيمة سلطان، فنفيتموه عنّي طويلاً وأهديتموه إليّ قتيلاً، فأهلاً وسهلاً بمن كنت له غير قالية وأنا له اليوم غير ناسية، ارجع به أيّها الرسول إلى معاوية، فقل له ولا تطوه دونه: أيتم الله ولدك وأوحش منك أهلك ولاغفر لك ذنبك.

فرجع الرسول إلى معاوية، فأخبره بما قالت، فأرسل إليها فأتته، وعنده نفر فيهم أياس بن حسل أخو مالك بن حسل، وكان في شدقيه نتوءعن فيه لعظم كان في لسانه وثقل إذا تكلّم، فقال لها معاوية: أأنت ياعدوّة الله صاحبة الكلام الذي بلغني؟

قالت: نعم! غير نازعة عنه ولا معتذرة منه ولامنكرة له، فلعمري لقد اجتهدت في الدعاء إن نفع الإجتهاد، وأنّ الحقّ لمن وراء العباد، ومابلغت شيئاً من جزائك وإنّ الله بالنقمة من ورائك.

فأعرض عنها معاوية. فقال أياس: اقتل هذه ياأمير المؤمنين،فوالله ماكان زوجها أحقّ بالقتل منها! فالتفت إليه، فلمّا رأته ناتئ الشدقين ثقيل اللسان، قالت: تبّاً لك! ويلك! بين لحيتيك كجثمان الضفدع، ثمّ أنت تدعوه إلى قتلي كما قتل زوجي بالأمس ،إن تريد إلا أن تكون جبّاراً في الأرض، وماتريد أن تكون من المصلحين. فضحك معاوية، ثمّ قال: لله درّك! اخرجي ثمّ لاأسمع بك في شيءمن الشام.

قالت: وأبي لأخرجنّ! ثمّ لا تسمع لي في شيءمن الشام، فما الشام لي بحبيب ولا أعرج فيها على حميم، وماهي لي بوطن ولاأحنّ فيها إلى سكن، ولقد عظم فيها ديني وماقرّت فيها عيني، وماأنافيهاإليك بعائدة ولاحيث كنت بحامدة

فاشار إليها ببنانه:اخرجي، فخرجت وهي تقول:

واعجبي لمعاوية يكفّ عنّي لسانه ويشير إلى الخروج ببنانه، أما والله ليعارضنّه عمرو بكلام مؤيّد سديد أوجع من نوافذ الحديد أو ما أنا بابنة الشريد! فخرجت، وتلقّاها الأسود الهلالي ـ وكان رجلاً أسود أصلع أسلع أصعل ـ فسمعها وهي تقول ماتقول، فقال: لمن تعني هذه؟ ألأمير المؤمنين تعني؟ عليها لعنة الله! فالتفتت إليه، فلمّا رأته قالت: خزياً لك وجدعاً! أتلعنني؟ واللعنة بين جنبيك ومابين قرنيك إلى قدميك، إخسأ ياهامّة الصعل ووجه الجعل، فاذلل بك نصيراً واقلل بك ظهيراً، فبهت الأسلع ينظر إليها، ثمّ سأل عنها فأُخبر، فأقبل إليها معتذراً خوفاً من لسانها.

فقالت: قد قبلت عذرك، وإن تعد أعد،ثمّ لاأستقيل ولا أراقب فيك.

فبلغ ذلك معاوية، فقال: زعمت ياأسلع أنكّ لا تواقف من يغلبك، أماعلمت أنّ حرارة المبتول ليست بمخالسة نوافذ الكلام عند مواقف الخصام؟ أفلا تركت كلامها قبل البصبصة منها والاعتذار إليها؟ قال: إي والله ياأميرالمؤمنين! لم أكن أرى شيئاً من النساء يبلغ من معاضيل الكلام مابلغت هذه المرأة، حالستها، فاذا هي تحمل قلباً شديداً ولسانا حديداً وجواباً عتيداً، وهالتني رعباً وأوسعتني سبّاً.

ثمّ التفت معاوية إلى عبيد بن أوس، فقال: ابعث لها ماتقطع به عنّا لسانها وتقضي به ماذكرت من دينها، وتخف به إلى بلادها، وقال: اللّهم اكفني شرّ لسانها،فلمّا أتاها الرسول بما أمر به معاوية، قالت: ياعجبي لمعاوية! يقتل زوجي ويبعث إليّ بالجوائز، فليت أبي كرب سدّ عنّي حره صله،خذ من الرضعةماعليها ،فأخذت ذلك وخرجت تريدالجزيرة فمرت بحمص،فقتلها الطاعون

(١) كذا والصحيح ما في مجمع الامثال: ج٢ ص١٩٤: «ليت حظي من أبي كرب أن يسدّ عني خيره خبله».

(٢) كذا والصحيح ما في مجمع الامثال: ج١ ص٢٣١: «خذ من الرضفة ماعليها».

فبلغ ذلك الأسلع، فأقبل إلى معاوية كالمبشّر له، فقال له: أفرخ روعك ياأميرالمؤمنين، قد استجيبت دعوتك في ابنة الشريد، وقد كفيت شرّ لسانها. قال: وكيف ذلك؟ قال مرّت بحمص فقتلها الطاعون، فقال له معاوية: فنفسك فبشّر بما أحببت، فانّ موتها لم يكن على أحد أروح منه عليك، ولعمري! ماأنصفت منها حين أفرغت عليك شؤباً وبيلاً، فقال الأسلع: ماأصابني من حرارة لسانهاشيء إلاّ وقد أصابك مثله أو أشدّ منه[1].

(٢٦٤)

امرأة من بني ذكوان عند معاوية

عن خالد بن سعيد، عن رجل من بني اميّة، قال: حضرت معاوية يوماً وقد أذن للناس إذناً عامّاً، فدخلوا عليه لمظالمهم وحوائجهم، فدخلت إمرأة كأنّها قلعة ومعها جاريتان لها، فحدرت اللثام عن لون كأنّما اشرب ماء الدرّ في حمرة التفّاح، ثمّ قالت:

الحمد لله يامعاوية! الذي خلق اللسان فجعل فيه البيان، ودلّ به على النعم، وأجرى به القلم فيما أبرم وحتم، ودرأ وبرأ، وحكم وقضى، صرف الكلام باللغات المختلفة على المعاني المتفرقة، ألّفها بالتقديم والتأخير، والأشباه والمناكر والموافقة والتزايد، فأدّته الآذان إلى القلوب، وأدّته القلوب إلى الألسن بالبيان، استدلّ به على العلم، وعبد به الربّ، وأبرم به الأمر، وعرفت به الأقدار، وتمّت به النعم، فكان من قضاء الله وقدره أن قرّبت زياداً وجعلت له بين آل سفيان نسباً، ثمّ ولّيته أحكام العباد،يسفك الدّماء بغير حلّها ولاحقّها، ويهتك الحرم بلا مراقبة الله فيها، خؤون غشوم، كافر ظلوم، يتخيّر من المعاصي أعظمها، لايرى لله وقاراً ولايظنّ أنّ له معاداً، وغداً يعرض عمله في

---

(١) بلاغات النساء: ص ٥٩ ـ ٦١، وسيأتي ج٢ ص٩٠ عن المفيد. وراجع قاموس الرجال: ج١٠ ص٣٧٧. ومحادثات النساء: ص٦٧-٧١. وأعلام النساء: ج١ص١١. والبحار: ج٨ص٦٧٣، ط حجري

صحيفتك وتوقف على ماأجترم بين يدي ربّك، ولك برسول الله صلّى الله عليه وآله اسوة وبينك وبينه صهر، فلا الماضين من ائمّة الهدى اتّبعت ولا طريقتهم سلكت، جعلت عبد ثقيف على رقاب امّة محمّد صلّى الله عليه وآله يدبّر امورهم ويسفك دماءهم، فماذا تقول لربّك يامعاوية؟ وقد مضى من أجلك أكثره، وذهب خيره وبقي وزره.

إنّي امرأة من بني ذكوان وثب زياد المدّعى إلى أبي سفيان على ضيعتي ورثتها عن أبي واميّ، فغصبنيها وحال بيني وبينها، وقتل من نازعه فيها من رجالي، فأتيتك مستصرخة، فان أنصفت وعدلت، وإلّا وكلتك وزياد إلى الله عزّوجلّ، فلن تبطل ظلامتي عندك ولاعنده والمنصف لي منكما حكم عدل.

فبهت معاوية ينظر إليها متعجّباً من كلامها، ثمّ قال: مالزياد؟ لعن الله زياداً، فانّه لايزال يبعث علي مثالبه من ينشرها، وعلى مساويها من يثيرها. ثمّ أمر كاتبه بالكتاب إلى زياد، يأمره بالخروج إليها من حقّها، وإلاّ صرفه مذموماً مدحوراً، ثمّ أمر لها بعشرين ألف درهم.

وعجب معاوية وجميع من حضره من مقالتها وبلوغها حاجتها[١].

(٢٦٥)

جروة التميميّة عند معاوية

أبوعبدالله محمد بن زكريا، قال: حدّثنا العبّاس بن بكّار، قال: حدّثني عبدالله بن سليمان المديني عن أبيه، وسهيل التميمي عن أبيه، عن عمّته، قالت: احتجم معاوية بمكّة، فلما أمسى أرق أرقاً شديداً، فأرسل إلى جروة ابنة غالب التميميّة، وكانت مجاورة بمكّة، وهي من بني أسد بن عمرو بن تميم، فلمّا دخلت قال لها: مرحباً ياجروة، أرعناك؟ قالت: إي والله! ياأميرالمؤمنين، لقد

---

(١) بلاغات النساء: ص٦١-٦٣. ومحادثات النساء: ص٧١-٧٢.

طرقت في ساعة لايطرق فيها الطير في وكره، فأرعت قلبي وريع صبياني وأفزعت عشيرتي، وتركت بعضهم يموج في بعض،يراجعون القول ويديرون الكلام خشية منك وشفقة عليّ.

فقال لها: ليسكن روعك ولتطب نفسك فانّ الأمر على خلاف ماظننت، إنّي احتجمت فأعقبني ذلك أرقاً،فأرسلت إليك تخبريني عن قومك.

قالت: عن أيّ قومي تسألني؟ قال: عن بني تميم.

قالت: ياأميرالمؤمنين، هم أكثر الناس عدداً وأوسعه بلداً وأبعده أمداً، هم الذهب الأحمر والحسب الأفخر، قال: صدقت فنزّليهم لي.

قالت: ياأميرالمؤمنين، أمّا بنو عمرو بن تميم: فأصحاب بأس ونجدة وتحاشد وشدّة، لايتخاذلون عند اللقاء ولايطمع فيهم الأعداء، سلمهم فيهم وسيفهم على عدوّهم، قال: صدقت، ونعم القوم لأنفسهم.

قالت: وأمّا بنو سعد بن زيد مناه: ففي العدد الأكثرون وفي النسب الأطيبون، يضرون إن غضبوا ويدركون إن طلبوا، أصحاب سيوف وجحف ونزال وزلف، على أنّ بأسهم فيهم وسيفهم عليهم.

وأمّا حنظلة: فالبيت الرفيع والحسب البديع والعزّ المنيع، المكرمون للجار والطالبون بالثار والناقضون للأوتار. قال: ان حنظلة شجرة تفرع، قالت: صدقت ياأميرالمؤمنين.

وأمّا البراجم: فأصابع مجتمعة وكفّ ممتنعة. وأمّا طهية: فقوم هوج وقرن لجوج. وأمّا بنو ربيعة: فصخرة صمّاء وحيّة رقشاء، يغزون غيرهم ويفخرون بقومهم. وأمّا بنو يربوع: ففرسان الرماح واسود الصباح، يعتنقون الأقران ويقتلون الفرسان. وأما بنو مالك: فجمع غير مفلول وعزّ غير مجهول، ليوث هرّارة وخيول كرّارة. وأمّا بنو دارم: فكرم لايدانى وشرف لايسامى وعزّ لايوازى.

قال: أنت اعلم الناس بتميم، فكيف علمك بقيس؟ قالت: كعلمي بنفسي ،قال فخبّريني عنهم.

قالت: أمّا غطفان: فأكثر سادة وأمنع قادة. وأمّا فزارة: فبيتها المشهور وحسبها المذكور. وإمّا ذبيان: فخطباء شعراء أعزّة أقوياء، وأمّا عبس: فجمرة لا تطفأ وعقبة لا تعلى وحيّة لا ترقى، وأمّا هوازن: فحلم ظاهر وعزّ قاهر. وأمّا سليم: ففرسان الملاحم واسود ضراغم، وأمّا نمير: فشوكة مسمومة وهامّة مذمومة وراية ملمومة. وأمّا هلال: فاسم فخم وعزّ قوم. وأمّا بنو كلاب فعدد كثير وفخر أثير.

قال: لله أنت! فما قولك في قريش؟ قالت: ياأميرالمؤمنين هم ذروة السنام وسادة الأنام والحسب القمقام، قال: فما قولك في عليّ عليه السلام؟ قالت: جاز والله في الشرف حدّاً لايوصف وغاية لا تعرف، وبالله أسأل أميرالمؤمنين إعفائي ممّا أتخوّف.

قال: قد فعلت، وأمر لها بضيعة نفيسة غلّتها عشرة الآف درهم[١].

(٢٦٦)
أروى بنت الحارث مع معاوية

كلام أروى بنت الحارث بن عبدالمطّلب مع معاوية، بنقل البحار:

روي في بعض مؤلّفات أصحابنا عن قتادة: أن أروى بنت الحارث بن عبدالمطّلب دخلت على معاوية بن أبي سفيان؛ وقد قدم المدينة،وهي عجوز كبيرة. فلمّا رآها معاوية قال: مرحبا بك ياخالة! كيف كنت بعدي؟ قالت: كيف أنت ياابن اختي؟ لقد كفرت النعمة وأسأت لابن عمك الصحبة وتسمّيت بغير اسمك وأخذت غير حقّك، بلا بلاء كان منك ولامن آبائك في

---

(١) بلاغات النساء: ص٧٣، وعنه بهج الصباغة: ج١٠ ص٢٨٠.

ديننا ولاسابقة كانت لكم، بل كفرتم بما جاء به محمّد صلّى الله عليه وآله فأتعس الله منكم الجدود وأصعر منكم الخدود، وردّ الحقّ إلى أهله، فكانت كلمتنا هي العليا، ونبيّنا هو المنصور على من ناواه، فوثبت قريش علينا من بعده حسداً لنا وبغياً، فكنّا بحمد الله ونعمته أهل بيت فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، وكان سيّدنا فيكم بعد نبيّنا بمنزلة هارون من موسىٰ، وغايتنا الجنّة وغايتكم النار.

فقال لها عمرو بن العاص: كفّي أيّتها العجوز الضالّة، واقصري من قولك مع ذهاب عقلك، إذ لاتجوز شهادتك وحدك.

فقالت: وأنت ياابن الباغية تتكلّم؟ وامّك أشهر بغيّ بمكة وأقلّهم اجرة! وادّعاك خمسة من قريش، فسئلت امّك عن ذلك، فقالت: كلّ أتاها! فانظروا أشبههم به فألحقوه به، فغلب شبه العاص بن وائل جزّار قريش، الأمهم مكراً وأمهنهم خيراً، فما ألومك ببغضنا.

قال مروان بن الحكم: كفّي أيّتها العجوز، واقصدي لما جئت له.

فقالت: وأنت ياابن الزرقاء تتكلّم؟ والله وأنت ببشير مولى ابن كلدة أشبه منك بالحكم بن العاص، وقد رأيت الحكم سبط الشعر مديد القامة، ومابينكما قرابة إلّا كقرابة الفرس الضامر من الإتان المقرف، فاسأل عمّا أخبرتك به امّك، فانّها ستخبرك بذلك.

ثمّ التفتت إلى معاوية، فقالت: والله ما جرّأ هؤلاء غيرك، وإن امّك القائلة في قتل حمزة:

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات السعر

الى آخر الأبيات. فأجابتها ابنة عمّي:

خزيت في بدر وغير بدر يابنت وقّاع عظيم الكفر

إلى آخر الأبيات.

فالتفت معاوية إلى مروان وعمرو، وقال: والله ماجرّأها عليّ غيركما، ولاأسمعني هذا الكلام سواكما. ثمّ قال: ياخالة اقصدي لحاجتك ودعي أساطير النساء عنك .

قالت: تعطيني ألفي دينار وألفي دينار وألفي دينار. قال: ماتصنعين بألفي دينار؟ قالت: ازوج بها فقراء بني الحارث بن عبدالمطلب. قال: هي كذلك ، فما تصنعين بألفي دينار؟ قالت: استعين بها على شدّة الزمان وزيارة بيت الله الحرام. قال: قد أمرت بها لك ، فما تصنعين بألفي دينار؟ قالت: أشتري بها عيناً خرّارة في أرض حوّارة تكون لفقراء بني الحارث بن عبدالمطّلب. قال: هي لك ياخالة، أما والله لو كان ابن عمّك عليّ ماأمربها لك ! قالت: تذكر عليّاً فضّ الله فاك وأجهد بلاك ! ثمّ علا نحيبها وبكاؤها، وجعلت تقول:

ألا ياعين ويحك فاسعدينا ألا فابكي أميرالمؤمنينا
رزئنا خيرمن ركب المطايا وجال بها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ومن قرأ المثاني والمثينا
اذا استقبلت وجه أبي حسين رأيت البدر راق الناظرينا
إلا فابلغ معاوية بن حرب فلا قرّت عيون الشامتينا
أفي الشهر الحرام فجعتمونا بخير الخلق طرّاً أجمعينا
مضى بعد النبيّ فدته نفسي أبو حسن وخير الصالحينا
كأنّ الناس إذ فقدوا عليّاً نعام جال في بلد سنينا
فلا والله لاأنسى عليّاً وحسن صلاته في الراكعينا
لقد علمت قريش حيث كانت بانّك خيرها حسبا ودينا
فلا يفرح معاوية بن حرب فانّ بقيّة الخلفاء فينا

قال: فبكى معاوية! ثمّ قال: ياخالة لقد كان كما قلت وأفضل[١].

(٢٦٧)

أبو أُمامة مع معاوية

رأيت في بعض مؤلّفات أصحابنا: روي أنّه دخل ابو أُمامة الباهلي على معاوية، فقرّبه وأدناه، ثمّ دعا بالطعام فجعل يطعم أبا أُمامة بيده، ثمّ أوسع رأسه ولحيته طيباً بيده، وأمرله ببدرة من دنانير فدفعها إليه، ثمّ قال: ياأبا أُمامة بالله أنا خير أم عليّ بن أبي طالب؟ فقال أبو أُمامة: نعم ولاكذب، ولو بغيرالله سألتني لصدقت، عليّ والله خير منك، وأكرم وأقدم إسلاماً، وأقرب إلى رسول الله قرابة، وأشدّ في المشركين نكاية، وأعظم عند الامّة غناء، أتدري من عليّ يامعاوية؟ ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله،وزوج ابنته سيّدة نساء العالمين، وأبو الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنة، وابن أخ حمزة سيّد الشهداء، وأخو جعفر ذي الجناحين، فأين تقع أنت من هذا يامعاوية؟ أظننت أنيّ سأُخيرك على عليّ بالطافك وطعامك وعطائك؟ فأدخل إليك مؤمناً وأخرج منك كافراً؟ بئس ماسوّلت لك نفسك يامعاوية! ثمّ نهض وخرج من عنده.

فأتبعه بالمال، فقال: لاوالله! لاأقبل منك ديناراً واحداً.[٢]

(٢٦٨)

كميل والحجّاج

روى جرير عن المغيرة، قال: لمّا ولّي الحجّاج طلب كميل بن زياد،

---

(١) البحار: ج٤٢ ص١١٨-١٢٠. وج٨ ص٥٣٣ ط الكمباني عن كشف الحقّ وص٥٣٤ عن الطرائف. وراجع قاموس الرجال: ج١٠ ص٣٧٧ وقد مرّ في ص٤٠٢ فراجع.

(٢) البحار: ج٤٢ ص١٧٩.

فهرب منه، فحرم قومه عطاهم.

فلمّا رأى كميل ذلك، قال: أنا شيخ كبير وقد نفذ عمري، لا ينبغي أن احرم قومي عطاهم، فخرج فدفع بيده إلى الحجّاج.

فلمّا رآه قال له: لقد كنت احبّ أن أجد عليك سبيلاً، فقال له كميل: لا تصرف عليّ أنيابك ولا تهدّم عليّ، فوالله مابقي من عمري إلّا مثل كواهل الغبار، فاقض ماأنت قاض، فانّ الموعد الله وبعد القتل الحساب، ولقد خبّرني أميرالمؤمنين عليه السلام أنّك قاتلي.

فقال له الحجّاج: الحجّة عليك إذاً! فقال له كميل: ذاك إذا كان القضاء إليك. قال: بلى قد كنت فيمن قتل عثمان بن عفّان، اضربوا عنقه، فضربت عنقه[١].

(٢٦٩)

قنبر مولى عليّ عليه السلام والحجّاج

إنّ الحجّاج بن يوسف الثقفي قال ذات يوم: احبّ أن اصيب رجلاً من أصحاب أبي تراب فأتقرّب إلى الله بدمه، فقيل له: مانعلم أحداً كان أطول صحبة لأبي تراب من قنبر مولاه.

فبعث في طلبه، فأوتي به، فقال له: أنت قنبر؟ قال: نعم، قال: أبو همدان؟ قال: نعم، قال: مولى عليّ بن أبي طالب؟ قال: الله مولاي وأميرالمؤمنين عليّ وليّ نعمتي، قال: أبرأ من دينه، قال: فاذا برئت من دينه تدلّني على دين غيره أفضل منه؟ قال: إنّي قاتلك فاختر أيّ قتلة أحبّ إليك، قال: قد صيّرت ذلك إليك، قال: ولم؟ قال: لأنّك لا تقتلني قتلة إلّا قتلتك مثلها، وقد أخبرني أميرالمؤمنين عليه السلام: أنّ ميتتي يكون ذبحاً ظلماً بغير حقّ. قال: فأمر به،

---

(١) البحار: ج٤٢ ص١٤٨. وراجع بهج الصباغة: ج٥ ص١٢٧.

فذبح[١].

(٢٧٠)

ميثم وابن زياد

....فقدم (ميثم) الكوفة، فأُخذ وأُدخل على عبيدالله بن زياد، وقيل له: هذا كان من آثر الناس عند أبي تراب، قال: ويحكم! هذا الأعجمي؟ قالوا: نعم.

فقال له عبيدالله: أين ربّك؟ قال: بالمرصاد، قال: قد بلغني اختصاص أبي تراب لك؟ قال: قد كان بعض ذلك، فما تريد؟ قال: وإنّه ليقال: إنّه قد أخبرك بما سيلقاك، قال: نعم إنّه أخبرني: أنّك تصلبني عاشر عشرة وأنا أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة، قال: لأُخالفنّه، قال: ويحك! كيف تخالفه؟ إنمّا أخبر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وأخبر رسول الله صلّى الله عليه وآله عن جبرئيل وأخبر جبرئيل عن الله، فكيف تخالف هؤلاء؟ أما والله! لقد عرفت الموضع الذي أُصلب فيه أين هو من الكوفة، وإنّي لأوّل خلق الله أُلجم في الإسلام بلجام كما يلجم الخيل.

فحبسه، وحبس معه المختار بن أبي عبيدة الثقفي، فقال ميثم للمختار وهما في حبس ابن زياد: إنّك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الجبّار الذي نحن في سجنه، وتطأ بقدمك هذا على جبهته وخدّيه.

فلمّا دعا عبيدالله بن زياد بالمختار ليقتله طلع البريد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيدالله يأمره بتخلية سبيله، وذلك: أنّ اخته كانت تحت عبدالله ابن عمر بن الخطاب، فسألت بعلها أن يشفع فيه إلى يزيد، فشفع، فأمضى

---

(١) البحار: ج٤٢ ص١٢٦ عن الإرشاد للمفيد رحمه الله، ونهج الصباغة: ج١٠ ص٢١٤ وج٥ ص١٢٧. والكنى والالقاب: ج٢ ص٢٦٨.

شفاعته، فكتب بتخلية سبيل المختار على البريد، فوافى البريد وقد أُخرج ليضرب عنقه، فأُطلق.

وأمّا ميثم: فأُخرج بعده ليصلب، وقال عبيدالله: لأمضينّ حكم أبي تراب فيه! فلقيه رجل فقال له: ماكان أغناك عن هذا ياميثم؟ فتبسّم وقال: لها خلقت ولي غذيت.

فلمّا رفع على الخشبة اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث، فقال عمرو: لقد كان يقول: إنّي مجاورك ، وكان يأمر جاريته كلّ عشيّة أن تكنس تحت خشبته وترشّه وتجمر بمجمرة تحته.

فجعل ميثم يحدّث بفضائل بني هاشم ومخازي بني اميّة وهو مصلوب على الخشبة. فقيل لابن زياد: قد فضحكم هذا العبد، فقال: ألجموه ، فأُلجم، فكان أوّل خلق الله أُلجم في الإسلام.

فلمّا كان في اليوم الثاني فاضت منخراه وفمه دماً، فلمّا كان في اليوم الثالث طعن بحربة، فمات.

وكان قتل ميثم قبل قدوم الحسين عليه السلام العراق بعشرة أيّام[1].

(٢٧١)

رشيد الهجري وزياد

عن زياد النضر الحارثي، قال: كنت عند زياد وقد أُوتي برشيد الهجري، وكان من خواصّ أصحاب عليّ عليه السلام،فقال له زياد: ماقال لك خليلك إنّا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني، فقال زياد: أما والله

(١) البحار: ج٤١ ص٣٤٤ـ٣٤٥ عن ابن أبي الحديد. وراجع ج٤٢ ص١٢٥ عن الإرشاد للمفيد ـرحمه اللهـ و١٣١ عن الكشيّ و١٣٣ عن الكشيّ أيضاً و١٣٨ عن الروضة. وراجع بهج الصباغة: ج٥ ص١٢٥ـ١٢٧. والكشيّ: ص٨٣ و٨٦ وسيأتي ج٣ ص١٥٤.

لاكذّبنّ حديثه! خلّوا سبيله. فلمّا أراد أن يخرج قال: ردّوه، لانجد لك شيئاً أصلح ممّا قال صاحبك، إنّك لا تزال تبغي لنا سوء إن بقيت، اقطعوا يديه ورجليه، فقطعوا يديه ورجليه وهو يتكلّم، فقال: اصلبوه خنقاً في عنقه. فقال رشيد: وقد بقي لي عندكم شيئ ماأراكم فعلتموه،فقال زياد: اقطعوا لسانه، فلمّا أخرجوا لسانه، قال: نفّسوا عنّي أتكلّم كلمة واحدة، فنفّسوا عنه، فقال: والله هذا تصديق خبر أميرالمؤمنين، أخبرني بقطع لساني، فقطعوا لسانه وصلبوه[١].

(٢٧٢)

ابن عبّاس ومعاوية

حجّ معاوية فأتى المدينة وأصحاب النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله متوافرون، فجلس في حلقة بين عبدالله بن عبّاس وعبدالله بن عمر، فضرب بيده على فخذ ابن عبّاس، ثمّ قال: أما كنت أحقّ وأولى بالأمر من ابن عمّك؟ قال ابن عبّاس:وبم؟ قال: لأنّي ابن عمّ الخليفة المقتول ظلماً! قال: هذا اذاً -يعني ابن عمر- أولى بالأمر منك، لأنّ أبا هذا قتل قبل ابن عمّك. قال: فانصاع عن ابن عباس، وأقبل على سعد وقال: وأنت ياسعد الذي لم يعرف حقّنا من باطل غيرنا فتكون معنا أو علينا؟ قال سعد: إنّي لمّا رأيت الظلمة قد غشيت الأرض قلت لبعيري: «هيخ» فأنخته حتّى إذا اسفرّت مضيت، قال: والله لقد قرأت المصحف يوماً بين الدفّتين، ماوجدت فيه «هيخ» فقال: أمّا إذ أبيت فانّي سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله يقول لعليّ: «أنت مع الحقّ والحقّ معك» قال: لتجيئني بمن سمعه معك أو لأفعلنّ، قال: امّ سلمة، قال:

(١) البحار: ج٤١ ص٣٤٦ عن ابن ابي الحديد. وراجع ج٤٢ ص١٢٢ عن أمالي الشيخ رحمه‌الله و١٢٥ عن الإرشاد للمفيد رحمه‌الله و١٣٦ عن الكشي و١٣٨ عنه أيضاً. وراجع بهج الصباغة: ج٥ ص١٣٨. والكشّي:ص٧٦.

فقام وقاموا معه حتّى دخلوا على امّ سلمة،قال: فبدأ معاوية فتكلّم فقال: ياامّ المؤمنين! إنّ الكذّابة قد كثرت على رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله بعده، فلا يزال قائل يقول: قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله مالم يقل، وإنّ سعداً روى حديثاً يزعم أنّك سمعته معه، قالت:فما هو؟ قال: زعم أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله قال لعليّ: «أنت مع الحقّ والحقّ معك» قالت: صدق في بيتي قاله.

فأقبل على سعد، فقال: الآن ألوم ماكنت عندي، والله لو سمعت هذا من رسول الله مازلت خادماً لعليّ حتّى أموت![1].

(٢٧٣)

أبو أيّوب وعلقمة والأسود

إنّ علقمة والأسود أتيا أبا أيّوب الأنصاري عند منصرفه من صفّين، فقالا له: ياأبا أيّوب إنّ الله أكرمك بنزول محمّد صلّىٰ الله عليه وآله في بيتك وبمجيء ناقته تفضّلاً من الله تعالى وإكراماً لك حتّى أناخت ببابك دون الناس جميعاً، ثمّ جئت بسيفك على عاتقك تضرب أهل لاإله إلاّ الله! فقال: ياهذا إنّ الرائد لايكذب أهله، إنّ رسول الله أمرنا بقتال ثلاثة مع عليّ: بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فأمّا الناكثون:فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل وطلحة والزبير، وأمّا القاسطون: فهذا منصرفنا عنهم -يعني معاوية وعمرو بن العاص- وأمّا المارقون: فهم أهل الطرفاوات وأهل السقيفات وأهل النخيلات وأهل النهروانات، والله ماأدري أين هم، ولكن لابدّ من قتالهم إنّ شاء الله.

ثمّ قال: سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله يقول لعمّار: تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحقّ والحقّ معك، ياعمّار إن رأيت عليّاً قد سلك وادياً وسلك الناس كلّهم وادياً فاسلك مع عليّ، فانّه لن يدليك في ردى ولن

---

(١) البحار: ج٣٨ ص٣٣ عن كشف الغمّة.

يخرجك من هدى، ياعمّار من تقلّد سيفاً وأعان به عليّاً على عدّوه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من درّ، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدّو عليّ قلّده الله تعالى يوم القيامة وشاحين من نار.

قلنا: ياهذا حسبك يرحمك الله! حسبك يرحمك الله![1].

(٢٧٤)

ابن عبّاس وقريش

عن سعيد، عن ابن عبّاس، أنّه مرّ بمجلس من مجالس قريش وهم يسبّون عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال لقائده: مايقول هؤلاء؟ قال: يسبّون عليّاً! قال: قرّبني إليهم، فلمّا أن وقف عليهم قال: أيّكم السابّ الله؟ قالوا: سبحان الله! ومن يسبّ الله فقد أشرك بالله، قال: فأيّكم السابّ رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ قالوا: ومن يسبّ رسول الله فقد كفر، قال: فأيّكم السابّ عليّ بن أبي طالب؟ قالوا: قد كان ذلك، قال: فاشهد بالله وأشهد لله! لقد سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «من سبّ عليّاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله عزّوجل» ثمّ مضى، فقال لقائده: فهل قالوا شيئاً حين قلت لهم ماقلت؟ قال: ماقالوا شيئاً، قال: كيف رأيت وجوههم؟ قال:

نظروا إليك بأعين محمّرة — نظر التيوس إلى شفار الجازر

قال: زدني فداك أبوك! قال:

خرز الحواجب ناكسوا أذقانهم — نظر الذليل إلى العزيز القاهر

قال: زدني فداك أبوك! قال: ماعندي غير هذا، قال: لكن عندي:

أحياؤهم خزي على أمواتهم — والميّتون فضيحة للغابر[2]

---

(١) البحار: ج٣٨ ص٣٨-٣٩ عن الطرائف عن الخطيب.

(٢) البحار: ج٣٩ ص٣١١ عن أمالي الصدوق رحمه الله.وقاموس الرجال: ج٦ ص٢٨ عن ←

(٢٧٥)

خليل بن أحمد ويونس

عن يونس بن حبيب النحوي ـ وكان عثمانيّاً ـ قال: قلت: للخليل بن أحمد: اريد أن أسألك عن شيء، فتكتمها عليّ؟ قال: إنّ قولك يدلّ على أنّ الجواب أغلظ من السؤال، فتكتمه أنت أيضاً؟ قال: قلت: نعم أيّام حياتك.

قال: سل، قال: قلت: مابال أصحاب رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ورحمهم كأنّهم كلّهم بنو امّ واحدة، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام من بينهم كأنّه ابن عَلّة؟ قال: من أين لك هذا السؤال؟ قال: قلت: قد وعدتني الجواب، قال: وقد ضمنت لي الكتمان، قال: قلت: أيّام حياتك، فقال: إنّ عليّاً تقدّمهم إسلاما، وفاقهم علماً، وبزّهم شرفاً، ورجحهم زهداً، وطالهم جهاداً، فحسدوه، والناس إلى أشكالهم وأشباههم أميل منهم إلى من بان منهم، فافهم[1].

(٢٧٦)

خليل بن أحمد وأبو زيد النحوي

عن أبي زيد النحوي، قال سألت الخليل بن أحمد العروضي: لم هجر الناس عليّاً عليه السلام وقرباه من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله قرباه وموضعه من المسلمين موضعه وعناؤه في الإسلام عناؤه؟ فقال: بهر والله نوره أنوارهم،

المسعودي. والغدير: ج٢ ص٣٠٠ عن الملاّ في سيرته، والرياض: ج١ ص١٦٦، وكفاية الطالب: ص٢٧، والفرائد للحموي، والفصول لابن صبّاغ.

(١) البحار: ج٤٠ ص٧٤ـ ص٧٥ عن أمالي الشيخ رحمه الله. وج٨ ص١٥١ ط الكمباني عن المناقب قريباً منه، وص١٥٣ عن الشيخ رحمه الله. وراجع قاموس الرجال: ج٩ ص٤٨٤. ونور القبس: ص٥٧. وبهج الصباغة: ج٤ ص١٥٧ و٥١٧. والكنى والالقاب: ج١ ص٤١٧.

وغلبهم على صفو كلّ منهل، والناس إلى أشكالهم أميل؛ أما سمعت الأوّل حيث يقول:

وكلّ شكل لشكله آلف أما ترى الفيل يألف الفيلا؟

قال:وأنشدنا الرياشي في معناه عن العباس بن الأحنف:

وقائل كيف تهاجرتما فقلت قولاً فيه انصاف
لم يكن من شكلي فهاجرته والناس أشكال وألاف(١)

(٢٧٧)

جمع من الصحابة أنكروا على أبي بكر

عن أبان بن تغلب، قال: قلت لأبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: جعلت فداك ! هل كان أحد في أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه مجلس رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ فقال: نعم كان الذي أنكر على أبي بكر اثنا عشر رجلاً من المهاجرين: خالد ابن سعيد بن العاص وكان من بني اميّة، وسلمان الفارسي، وأبو ذرّ الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمّار بن ياسر، وبريدة الأسلمي. ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان، وسهل وعثمان ابنا حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأُبيّ بن كعب، وأبو ايّوب الأنصاري.

قال: فلمّا صعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم، فقال بعضهم لبعض: والله لنأتينّه ولننزلنّه عن منبر رسول الله صلّى الله عليه وآله،وقال الآخرون منهم: والله لئن فعلتم ذلك إذاً لأعنتم على أنفسكم وقد قال الله عزّوجلّ: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» فانطلقوا بنا إلى امير المؤمنين عليه السلام لنستشيره

(١) البحار: ج٨ ص١٥١ط الكمباني عن علل الشرايع والأمالي للصدوق ـ رحمه الله ـ وبهج الصباغة: ج٤ ص١٥٧.

ونستطلع رأيه.

فانطلق القوم إلى أميرالمؤمنين بأجمعهم، فقالوا: ياأميرالمؤمنين تركت حقّاً أنت أحقّ به وأولى منه، لانّا سمعنا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله يقول: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، يميل مع الحق كيف مال» ولقد هممنا أن نصير إليه فننزله عن منبر رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله، فجئناك نستشيرك ونستطلع رأيك فيما تأمرنا، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: وأيم الله! لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم إلّا حرباً، ولكنّكم كالملح في الزاد وكالكحل في العين، وأيم الله! لو فعلتم ذلك لأتيتموني شاهرين أسيافكم مستعدّين للحرب والقتال، إذاً لأتوني فقالوا لي: بايع وإلّا قتلناك، فلا بد من أن أدفع القوم عن نفسي، وذلك: أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله أوعز إليّ قبل وفاته فقال لي: ياأبا الحسن إنّ الامّة ستغدر بك بعدي وتنقض فيك عهدي، وإنك منّي بمنزلة هارون من موسى، وأنّ الامّة من بعدي بمنزلة هارون ومن اتّبعه والسامري ومن اتّبعه، فقلت: يارسول الله فما تعهد إليّ اذا كان ذلك، فقال: إنَ وجدت أعواناً فبادر إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً كفّ يدك واحقن دمك حتّى تلحق بي مظلوماً، ولمّا توفّي رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله اشتغلت بغسله وتكفينه والفراغ من شأنه، ثمّ آليت يميناً أن لاأرتدي إلّا للصلاة حتّى أجمع القرآن، ففعلت. ثمّ أخذت بيد فاطمة عليها السلام وابني الحسن والحسين عليهما السلام فدرت على أهل بدر وأهل السابقة، فناشدتهم حقّي ودعوتهم إلى نصرتي، فما أجابني منهم إلّا أربعة رهط منهم: سلمان، وعمّار، والمقداد، وأبو ذر. ولقد راودت في ذلك تقييد بيّنتي، فاتّقوا الله على السكوت لما علمتم من وغر صدور القوم وبغضهم لله ولرسوله ولأهل بيت نبيّه صلّىٰ الله عليه وآله، فانطلقوا بأجمعكم إلى الرجل، فعرّفوه ماسمعتم من قول رسولكم صلّىٰ الله عليه وآله ليكون ذلك أوكد للحجّة وأبلغ للعذر، وأبعد لهم من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله إذا وردوا عليه.

فسار القوم حتّى أحدقوا بمنبر رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وكان يوم الجمعة، فلمّا صعد أبو بكر المنبر قال المهاجرون للأنصار: تقدّموا فتكلّموا، وقال الأنصار للمهاجرين: بل تكلّموا أنتم، فانّ الله عزّوجلّ ادناكم في كتابه إذ قال الله: «لقد تاب الله بالنبيّ على المهاجرين والأنصار».قال أبان: فقلت له: ياابن رسول الله إنّ العامّة لا تقرأ كما عندك ، فقال: وكيف تقرأ ياأبان؟ قال: قلت: إنّها تقرأ: «لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار» فقال: ويلهم! وأيّ ذنب كان لرسول الله صلّىٰ الله عليه وآله حتى تاب الله عليه منه؟ إنّما تاب الله به على امّته. فأوّل من تكلّم به خالد بن سعيد بن العاص، ثمّ باقي المهاجرين، ثمّ من بعدهم الأنصار. وروي أنّهم كانوا غيّبا عن وفاة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله فقدموا وقد تولّى أبو بكر! وهم يومئذ أعلام مسجد رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله.

فقام خالد بن سعيد بن العاص وقال:

اتّق الله يا أبابكر، فقد علمت أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله ـقال ـ ونحن محتوشوه يوم قريظة حين فتح الله له وقد قتل عليّ يومئذٍ عدّة من صناديد رجالهم واولي البأس والنجدة منهم: يامعاشر المهاجرين والأنصار! إنّي موصيكم بوصيّة فاحفظوها ومودعكم امراً فاحفظوه، ألا إنّ علي بن أبي طالب عليه السلام أميركم بعدي وخليفتي فيكم، بذلك أوصاني ربّي، ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيّتي وتوازروه وتنصروه اختلفتم في أحكامكم،واضطرب عليكم أمر دينكم،ووليكم شراركم، ألا إنّ أهل بيتي هم الوارثون لأمري والعاملون بأمر امّتي من بعدي، اللّهم من أطاعهم من امّتي وحفظ فيهم وصيّتي فاحشرهم في زمرتي واجعل لهم نصيباً من مرافقتي يدركون به نور الآخرة، اللّهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فاحرمه الجنّة التي عرضها كعرض السماء والأرض.

فقال عمر بن الخطّاب: اسكت ياخالد، فلست من أهل المشورة ولاممن يقتدى برأيه.

فقال خالد: اسكت ياابن الخطّاب، فانّك تنطق عن لسان غيرك ، وأيم الله! لقد علمت قريش أنك من ألأمها حسباً وأدناها منصباً وأخسّها قدراً وأخملها ذكراً وأقلّهم غناءً عن الله ورسوله، وأنّك لجبان في الحروب بخيل بالمال لئيم العنصر،مالك في قريش من فخر ولافي الحروب من ذكر،وإنّك في هذا الأمر بمنزلة الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلمّا كفر قال إنّي بريءمنك إنّي أخاف الله ربّ العالمين فكان عاقبتهما أنّهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين. فأبلس عمر، وجلس خالد بن سعيد.

ثمّ قام سلمان الفارسي وقال:

كرديد و نكرديد [و ندانيد چه كرديد] أي فعلتم ولم تفعلوا [وما علمتم مافعلتم] وامتنع من البيعة قبل ذلك حتىّ وجئ عنقه، فقال: ياأبابكر! إلى من تسند أمرك إذا نزل بك مالا تعرفه؟ وإلى من تفزع إذا سئلت عمّا لا تعلمه؟ وماعذرك في تقدّم من هو أعلم منك وأقرب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وأعلم بتأويل كتاب الله عزّوجلّ وسنّة نبيّه ومن قدّمه النبيّ صلّى الله عليه وآله في حياته وأوصاكم به عند وفاته؟ فنبذتم قوله وتناسيتم وصيّته، وأخلفتم الوعد ونقضتم العهد، وحللتم العقد الذي كان عقده عليكم من النفوذ تحت راية اسامة بن زيد، حذراً من مثل ماأتيتموه وتنبيهاً للامة على عظيم مااجترحتموه من مخالفة أمره، فعن قليل يصفو لك الأمر وقد أثقلك الوزر ونقلت إلى قبرك، وحملت معك مااكتسبت يداك ، فلو راجعت الحقّ من قرب وتلافيت نفسك وتبت إلى الله من عظيم مااجترمت كان ذلك أقرب إلى نجاتك يوم تفرد في حفرتك ويسلمك ذوو نصرتك ، فقد سمعت كما سمعنا

ورأيت كما رأينا، فلم يردعك ذلك عمّا أنت متشبّث به من هذا الأمر الذي لاعذر لك في تقلّده،ولاحظّ للدين والمسلمين في قيامك به، فالله الله في نفسك! فقد أعذر من أنذر، ولا تكن كمن أدبر واستكبر.

ثمّ قام أبو ذر:

فقال: يامعاشر قريش! أصبتم قباحة وتركتم قرابة، والله! لترتدنّ جماعة من العرب ولتشكّنّ في هذا الدين، ولو جعلتم الأمر في أهل بيت نبيّكم مااختلف عليكم سيفان، والله! لقد صارت لمن غلب، ولتطمحنّ إليها عين من ليس من أهلها وليسفكنّ في طلبها دماء كثيرة ـ فكان كما قال أبو ذرّ ـ ثمّ قال: لقد علمتم وعلم خياركم أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله قال: الأمر بعدي لعليّ، ثمّ لابنيّ الحسن والحسين، ثمّ للطاهرين من ذرّيّتي، فاطرحتم قول نبيّكم، وتناسيتم ماعهد به إليكم، فأطعتم الدنيا الفانية، وبعتم الآخرة الباقية، التي لايهرم شبابها ولايزول نعيمها ولايحزن أهلها ولا تموت سكّانها، بالحقير التافه الفانيّ الزائل، وكذلك الامم من قبلكم كفرت بعد أنبيائها ونكصت على أعقابها وغيّرت وبدّلت واختلفت، فساويتموهم حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، وعمّا قليل تذوقون وبال أمركم،وتجزون بما قدّمت أيديكم، ومالله بظلّام للعبيد.

ثمّ قام المقداد بن الأسود وقال:

ارجع يا أبابكر عن ظلمك، وتب إلى ربّك، والزم بيتك، وابك على خطيئتك، وسلّم الأمر لصاحبه الذي هو أولى به منك، فقد علمت ماعقده رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله في عنقك من بيعته، وألزمك من النفوذ تحت راية اسامة بن زيد وهو مولاه، ونبّه على بطلان وجوب هذا الأمر لك ولمن عضدك

عليه بضمّه لكما إلى علم النفاق ومعدن الشنآن والشقاق عمرو بن العاص الذي أنزل الله تعالى فيه على نبيّه صلّى الله عليه وآله «إنّ شانئك هو الأبتر» فلا اختلاف بين أهل العلم أنّها نزلت في عمرو، وهو كان أميراً عليكما وعلى سائر المنافقين في الوقت الذي أنفذه رسول الله صلّى الله عليه وآله في غزاة ذات السلاسل، وإنّ عمرواًقلّدكما حرس عسكره، فمن الحرس إلى الخلافة؟ اتّق الله! وبادر الاستقالة قبل فوتها، فانّ ذلك أسلم لك في حياتك وبعد وفاتك، ولا تركن إلى دنياك، ولا تغررك قريش وغيرها، فعن قليل تضمحلّ عنك دنياك، ثمّ تصير إلى ربّك فيجزيك بعملك، وقد علمت وتيقّنت أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام صاحب هذا الأمر بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله فسلّمه إليه بما جعله الله له، فانّه أتمّ لسترك وأخفّ لوزرك، فقد والله نصحت لك إن قبلت نصحي، وإلى الله ترجع الامور.

ثمّ قام بريدة الأسلمي فقال:

إنّا لله وإنّا إليه راجعون! ماذا لقي الحقّ من الباطل يا أبابكر؟ أنسيت أم تناسيت؟ أم خدعتك نفسك وسوّلت لك الأباطيل؟ أو لم تذكر ماأمرنا به رسول الله صلّى الله عليه وآله من تسمية عليّ بامرة المؤمنين والنبيّ بين أظهرنا؟ وقوله في عدّة أوقات: هذا أميرالمؤمنين وقاتل القاسطين؟ فاتّق الله! وتدارك نفسك قبل أن لا تدركها، وأنقذها ممّا يهلكها، واردد الأمر إلى من هو أحقّ به منك، ولا تتماد في اغتصابه، وراجع وأنت تستطيع أن تراجع، فقد محضتك النصح، ودللتك على طريق النجاة، فلا تكوننّ ظهيراً للمجرمين.

ثمّ قام عمّاربن ياسرفقال:

يا معاشر قريش! يا معاشر المسلمين! إنّ كنتم علمتم، وإلّا فاعلموا:

أنّ أهل بيت نبيكم اولى به وأحقّ بإرثه وأقوم بامور الدين وآمن على المؤمنين وأحفظ لملّته وأنصح لامّته، فمروا صاحبكم فليردّ الحقّ إلى أهله قبل أن يضطرب حبلكم ويضعف أمركم ويظفر عدوّكم ويظهر شتاتكم وتعظم الفتنة بكم وتختلفون فيما بينكم ويطمع فيكم عدوكم، فقد علمتم أنّ بني هاشم أولى بهذا الأمر منكم، وعليّ من بينهم وليّكم بعهد الله وبرسوله، وفرق ظاهر قد عرفتموه في حال بعد حال: عند سدّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله أبوابكم التي كانت إلى المسجد فسدّها كلّها غير بابه، وإيثاره إيّاه بكريمته فاطمة دون سائر من خطبها إليه منكم، وقوله صلّىٰ الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها» وأنتم جميعاً مصطرخون فيما اشكل عليكم من امور دينكم إليه، وهو مستغنٍ عن كلّ أحد منكم إلى ماله من السوابق التي ليست لأفضلكم عند نفسه، فما بالكم تحيدون عنه وتغيرون على حقّه وتؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة؟ بئس للظالمين بدلاً! اعطوه ماجعله الله له،ولا تتولّوا عنه مدبرين، ولا ترتدّوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين.

ثمّ قام أُبيّ بن كعب فقال:

يا أبابكر! لا تجحد حقّاً جعله الله لغيرك، ولا تكن أوّل من عصى رسول الله صلّىٰ -الله عليه وآله في وصيّه وصفيّه وصدف عن أمره، اردد الحقّ إلى أهله تسلم، ولا تتماد في غيّك فتندم، وبادر الإنابة يخفّ وزرك، ولاتخصّص بهذا الأمر الذي لم يجعله الله لك نفسك فتلقى وبال عملك، فعن قليل تفارق ماأنت فيه وتصير إلى ربّك فيسألك عمّا جنيت، ومارِبّك بظلّام للعبيد.

ثمّ قام خزيمة بن ثابت فقال:

أيّها الناس! ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قبل

شهادتي وحدي ولم يرد معي غيري؟ قالوا: بلى، قال: فأشهد أنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «أهل بيتي يفرقون بين الحقّ والباطل، وهم الأئمّة الذين يقتدى بهم» وقد قلت ماعلمت، وماعلى الرسول إلّا البلاغ المبين.

ثمّ قام أبوالهيثم بن التيهان فقال:

وأنا أشهد على نبيّنا صلّى الله عليه وآله أنّه أقام عليّاً عليه السلام يعني يوم غدير خمّ، فقالت الأنصار: ماأقامه إلّا للخلافة، وقال بعضهم: ماأقامه إلّا ليعلم الناس أنّه مولى من كان رسول الله صلّى الله عليه وآله مولاه، وأكثروا الخوض في ذلك، فبعثنا رجالاً منّا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فسألوه عن ذلك، فقال: «قولوا لهم: عليّ عليه السلام وليّ المؤمنين بعدي، وأنصح الناس لامّتي» وقد شهدت بما حضرني، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، إنّ يوم الفصل كان ميقاتاً.

ثمّ قام سهل بن حنيف فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ محمّد وآله، ثمّ قال:

يامعاشر قريش إشهدوا عليّ إني اشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد رأيته في هذا المكان ـ يعني الروضة ـ وهو آخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول: أيّها الناس! هذا عليّ إمامكم من بعدي، ووصيّ في حياتي وبعد وفاتي وقاضي ديني، ومنجز وعدي، وأوّل من يصافحني على حوضي، فطوبى لمن تبعه ونصره! والويل لمن تخلّف عنه وخذله!

وقام معه أخوه عثمان بن حنيف فقال:

سمعنا رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «أهل بيتي نجوم الأرض فلا تتقدّموهم وقدّموهم، فهم الولاة بعدي» فقام إليه رجل فقال: يارسول الله وأيّ أهل بيتك؟ فقال صلّى الله عليه وآله: «عليّ والطاهرون من ولده»، وقد بيّن صلّى الله عليه وآله فلا تكن ياأبا بكر أوّل كافر به ،ولاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون.

ثمّ قام أبو أيّوب الأنصاري فقال:

اتّقوا الله عباد الله في أهل بيت نبيكم، وردّوا إليهم حقّهم الذي جعله الله لهم، فقد سمعتم مثل ماسمع إخواننا في مقام بعد مقام لنبيّنا صلّى الله عليه وآله ومجلس بعد مجلس يقول: «أهل بيتي أئمّتكم بعدي» ويومئ إلى عليّ عليه السلام ويقول: «هذا أميرالبررة وقاتل الكفرة، مخذول من خذله منصور من نصره» فتوبوا إلى الله من ظلمكم إنّ الله تواب رحيم، ولا تتولّوا عنه مدبرين، ولا تتولّوا عنه معرضين.

قال الصادق عليه السلام فأُفحم أبو بكر على المنبر حتّى لم يحر جوابا، ثمّ قال: ولّيتكم ولست بخيركم! أقيلوني أقيلوني! فقال عمر بن الخطّاب: انزل عنها يالكع! إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لم أقمت نفسك هذا المقام؟ والله لقد هممت أن أخلعك واجعلها في سالم مولى أبي حذيفة!

قال: فنزل ثمّ أخذ بيده وانطلق إلى منزله وبقوا ثلاثة أيّام لايدخلون مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله،فلمّا كان في اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد ومعه ألف رجل، وقال لهم: ماجلوسكم؟ فقد طمع فيها والله بنو هاشم، وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل، وجاءهم معاذ بن جبل ومعه

ألف رجل، فمازال يجتمع رجل رجل حتىّ اجتمع أربعة الآف رجل، فخرجوا شاهرين أسيافهم يقدمهم عمر بن الخطّاب حتى وقفوا بمسجد النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله،فقال عمر: والله ياصحابة علـيّ،لئن ذهب الرجل منكم يتكلم بالذي تكلّم به بالامس لنأخذنَ الذي فيه عيناه.

فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال:

يا ابن صهّاك الحبشية! أبا سيافكم تهدّدونا؟ أم بجمعكم تفزعونا؟ والله إنّ أسيافنا أحدّ من أسيافكم، وإنّا لأكثر منكم وإن كنّا قليلين، لأنّ حجة الله فينا، والله لولا أنّي أعلم أنّ طاعة إمامي أولى بي لشهرت سيفي ولجاهدتكم في الله إلى أن ابلى عذري. فقال له أميرالمؤمنين: اجلس ياخالد، فقد عرف الله مقامك وشكر لك سعيك، فجلس.

وقام إليه سلمان الفارسي وقال:

الله أكبر! الله أكبر! سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وإلّا صمتا، يقول: بينا أخي وابن عمّي جالس في مسجدي مع نفر من أصحابه، إذ يكبسه جماعة من كلاب أهل النار يريدون قتله وقتل من معه، ولست أشكّ إلّا وأنّكم هم! فهمّ به عمر بن الخطاب.

فوثب إليه أميرالمؤمنين عليه السلام وأخذ بمجامع ثوبه، ثمّ جلد به الأرض، ثمّ قال: ياابن صهّاك الحبشيّة! لولا كتاب من الله سبق وعهد من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله تقدّم لأريتك أيّنا أضعف ناصراً وأقلّ عدداً، ثمّ التفت إلى أصحابه، فقال: انصرفوا رحمكم الله ،فوالله لا دخلت المسجد إلّا كما دخل أخواي موسى وهارون، إذ قال له أصحابه:إذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون، والله لاأدخل إلّا لزيارة رسول الله صلّى الله عليه وآله أولقضية أقضيها،

فانّه لا يجوز لحجّة أقامه رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يترك الناس في حيرة [1].

ولابأس بنقل ماذكره الصدوق ـ رحمه الله ـ في الخصال باسناده عن زيد بن وهب.

قال: كان الذين أنكروا على أبي بكر جلوسه في الخلافة وتقدّمه على عليّ ابن أبي طالب عليه السلام اثني عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار، كان من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص [2]، والمقداد بن الأسود، وأُبيّ بن كعب، وعمّار بن ياسر، وأبو ذرّ الغفاري، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن مسعود، وبريدة الأسلمي، وكان من الأنصار: خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وسهل بن حنيف، وأبو أيّوب الأنصاري، وأبو الهيثم بن التّيهان، وغيرهم.

فلمّا صعد المنبر تشاوروا بينهم في أمره، فقال بعضهم: هَلّا نأتيه فننزله عن منبر رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله؟ وقال آخرون: إن فعلتم ذلك أعنتم على أنفسكم وقد قال الله عزّوجلّ: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» ولكن امضوا بنا إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام نستشيره ونستطلع أمره.

فأتوا عليّاً عليه السلام فقالوا: ياأمير المؤمنين ضيّعت نفسك وتركت حقّاً أنت أولى به، وقد أردنا أن نأتي الرجل فننزله عن منبر رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله فانّ الحقّ حقّك وأنت أولى بالأمر منه، فكرهنا أن ننزله من دون مشاورتك

فقال لهم عليّ عليه السلام: لو فعلتم ذلك ما كنتم إلّا حرباً لهم، ولا كنتم إلّا كالكحل في العين أو كالملح في الزاد، وقد اتّفقت عليه الامّة التاركة لقول: نبيّها والكاذبة على ربّها، ولقد شاورت في ذلك أهل بيتي فأبوا إلّا السكوت، لما يعلمون من وغر صدور القوم وبغضهم لله عزّوجلّ ولأهل بيت نبيّه، وإنّهم

(١) البحار: ج٢٨ ص١٨٩-٢٠٣ عن الاحتجاج ج١ ص٩٧ وص ٢٠٨ عن الخصال وص ٢١٤ عن كشف اليقين وذكر محلّ الخلاف من الروايات من طرق العامّة والخاصّة.

(٢) في الاحتجاج: «عمرو بن سعيه».

يطالبون بثارات الجاهليّة، والله لو فعلتم ذلك لشهروا سيوفهم مستعدّين للحرب والقتال، كما فعلوا ذلك حتّى قهروني وغلبوني على نفسي ولبّبوني وقالوا لي:بايع وإلّا قتلناك ، فلم أجد حيلة إلّا أن أدفع القوم عن نفسي، وذلك: أنّي ذكرت قول رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله: «ياعليّ! إنّ القوم نقضوا أمرك واستبدّوا بها دونك وعصوني فيك فعليك بالصبر حتّى ينزل الله الأمر، ألا وإنّهم سيغدرون بك لامحالة فلا تجعل لهم سبيلاً إلى إذلالك وسفك دمك، فانّ الامّة ستغدر بك بعدي، كذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام عن ربيّ تبارك وتعالى» ولكن ائتوا الرجل فأخبروه بما سمعتم من نبيّكم، ولا تدعوه في الشبهة من أمره، ليكون ذلك أعظم للحجّة عليه:وأبلغ في عقوبته إذا أتى ربّه وقد عصى نبيّه وخالف أمره.

قال: فانطلقوا حتّى حفّوا بمنبر رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله يوم جمعة، فقالوا للمهاجرين: إنّ الله عزّوجلّ بدء بكم في القرآن، فقال: «لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار» فبكم بدء.

فكان أوّل من بدأ وقام خالد بن سعيد بن العاص بادلاله ببني اميّة.

فقال: ياأبابكر اتّق الله! قد علمت مّاتقدّم لعليّ من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله،ألا تعلم أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله قال لنا ونحن محتوشوه في يوم بني قريظة، وقد أقبل على رجال منّا ذوي قدر، فقال: معاشر المهاجرين والأنصار! اوصيكم بوصيّة فاحفظوها، وإنّي مؤدٍّ إليكم أمراً فاقبلوه، ألا إنّ عليّاً عليه السلام أميركم من بعدي وخليفتي فيكم،أوصاني بذلك ربّي وربّكم، وإنّكم إنْ لم تحفظوا وصيّتي فيه وتؤوه وتنصروه اختلفتم في أحكامكم واضطرب عليكم امر دينكم وولي عليكم الأمر شراركم، ألا وإنّ أهل بيتي هم الوارثون أمري القائمون بأمر امّتي، اللّهم فمن حفظ فيهم وصيّتي فاحشره في زمرتي، واجعل له من مرافقتي نصيباً يدرك به فوز الآخرة، اللّهم ومن أساء خلافتي في

أهل بيتي فاحرمه الجنّة التي عرضها السماوات والأرض.

فقال له عمر بن الخطّاب: اسكت ياخالد! فلست من اهل الشورى، ولا ممّن يرضى بقوله.

فقال خالد: بل اسكت أنت ياابن الخطّاب! فوالله إنّك لتعلم أنّك لتنطق بغير لسانك وتعتصم بغير أركانك، والله إنّ قريشاً لتعلم أنّك ألأمها حسباً، وأقلّها أدباً، وأخملها ذكراً، وأقلّها غناء[1] عن الله عزّ وجلّ وعن رسوله، وأنّك لجبان عند الحرب، بخيل في الجدب، لئيم العنصر، مالك في قريش مفخر. قال: فأسكته خالد، فجلس.

ثمّ قام أبو ذرّ ـ رحمة الله عليه ـ فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

أمّا بعد، يامعاشر المهاجرين والأنصار! لقد علمتم وعلم خياركم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «الأمر لعليّ عليه السلام بعدي، ثمّ للحسن والحسين، ثمّ في أهل بيتي من ولد الحسين عليهم السلام» فاطرحتم قول نبيّكم وتناسيتم ماأوعز إليكم، واتّبعتم الدنيا، وتركتم نعيم الآخرة الباقية التي لايهدم بنيانها ولايزول نعيمها ولايحزن أهلها ولايموت سكّانها، وكذلك الامم التي كفرت بعد أنبيائها بدّلت وغيّرت، فحاذيتموها حذو القذّة بالقذّة والنعل بالنعل فعمّا قليل تذوقون وبال أمركم وماالله بظلاّم للعبيد.

ثمّ قام سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال:

يا أبا بكر! إلى من تستند أمرك إذا نزل بك القضاء؟ وإلى من تفزع إذا سئلت عمّا لا تعلم؟ وفي القوم من هو أعلم منك وأكثر في الخير أعلاماً

(١) ليس في الخصال «غناء» وأثبتناه لموافقته السياق.

ومناقب منك، وأقرب من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله قرابة وقدمة في حياته، وقد أو عز إليكم، فتركتم قوله وتناسيتم وصيّته، فعمّا قليل يصفو لك الأمر، حين تزور القبور وقد أثقلت ظهرك من الأوزار، لو حملت إلى قبرك لقدمت على ماقدّمت، فلو راجعت الحقّ وأنصفت أهله لكان ذلك نجاة لك يوم تحتاج إلى عملك وتفرد في حفرتك بذنوبك، وقد سمعت كما سمعنا ورأيت كما رأينا، فلم يردعك ذلك عمّا أنت له فاعل، فالله الله! في نفسك، فقد أعذر من أنذر.

ثمّ قام المقداد بن الأسود ـ رحمه الله ـ فقال:

يا أبا بكر! إربع على نفسك، وقس شبرك بفترك، و الزم بيتك، وابك على خطيئتك، فانّ ذلك أسلم لك في حياتك ومماتك، وردّ هذا الأمر إلى حيث جعله الله عزّوجلّ ورسوله صلّىٰ الله عليه وآله، ولا تركن إلى الدنيا، ولايغرّنك من قد ترى من أوغادها، فعمّا قليل تضمحلّ دنياك، ثمّ تصير إلى ربّك فيجزيك بعملك، وقد علمت أنّ هذا الأمر لعليّ، وهو صاحبه بعد رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله، وقد نصحتك إن قبلت نصحي.

ثمّ قام بريدة الأسلمي فقال:

يا أبا بكر! نسيت أم تناسيت؟ أم خادعتك نفسك؟ أما تذكر إذ أمرنا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله فسلّمنا على عليّ بامرة المؤمنين ونبيّنا بين أظهرنا؟ فاتق الله ربّك، وأدرك نفسك قبل أن لا تدركها، وأنقذها من هلكتها، ودع هذا الأمر وكِلْه إلى من هو أحقّ به منك، ولا تماد في غيّك، وارجع وأنت تستطيع الرجوع، وقد منحتك نصحي وبذلت لك ماعندي، وإن قبلت وفّقت ورشدت.

ثمّ قام عبدالله بن مسعود فقال:

يا معشر قريش! قد علمتم وعلم خياركم أنّ أهل بيت نبيّكم أقرب إلى رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله منكم، وإن كنتم إنّما تدّعون هذا الأمر بقرابة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وتقولون: إنّ السابقة لنا، فأهل بيت نبيّكم أقرب إلى رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله منكم وأقدم سابقة منكم، وعليّ بن أبي طالب صاحب هذا الأمر بعد نبيّكم، فاعطوه ماجعله الله له، ولا ترتدّوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين.

ثمّ قام عمّار بن ياسر ـ رحمه الله ـ فقال:

يا أبا بكر! لا تجعل لنفسك حقّاً جعله الله عزّوجلّ لغيرك، ولا تكن أوّل من عصى رسول الله وخالفه في أهل بيته، واردد الحقّ إلى أهله يخفّ ظهرك، ويقلّ وزرك، وتلقى رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وهو عنك راض، ثمّ تصير إلى الرحمن فيحاسبك بعملك ويسألك عمّا فعلت.

ثمّ قام خزيمة بن ثابت ذوالشهادتين فقال:

يا أبا بكر! ألست تعلم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قبل شهادتي وحدي ولم يرد معي غيري؟ قال: نعم، قال: فأشهد بالله أنّي سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله يقول: أهل بيتي يفرقون بين الحقّ والباطل وهم الأئمّة الذين يقتدى بهم.

ثمّ قام أبوالهيثم بن التّيهان فقال:

أنا أشهد على النبيّ أنّه أقام عليّاً، فقالت الأنصار: ماأقامه إلّا

للخلافة، وقال بعضهم: ماأقامه إلّا ليعلم الناس أنّه وليّ من كان رسول الله صلّى الله عليه وآله مولاه،فقال عليه السلام إنّ أهل بيتي نجوم أهل الأرض فقدّموهم ولا تقدّموهم.

ثمّ قام سهل بن حنيف فقال:

أشهد أنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله قال على المنبر: إمامكم من بعدي عليّ بن أبي طالب عليه السلام،وهو أنصح الناس لامّتي.

ثمّ قام أبوأيّوب الأنصاري فقال:

اتّقوا الله في أهل بيت نبيّكم، وردّوا هذا الأمر إليهم، فقد سمعتم كما سمعنا في مقام بعد مقام من نبيّ الله صلّى الله عليه وآله انّهم أولى به منكم، ثمّ جلس.

ثمّ قام زيد بن وهب، فتكلّم.

وقام جماعة بعده، فتكلّموا بنحو هذا.

فأخبر الثقة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّ أبا بكر جلس في بيته ثلاثة أيّام، فلمّا كان اليوم الثالث أتاه عمر بن الخطّاب وطلحة والزبير وعثمان بن عفّان وعبدالرحمان بن عوف وسعد بن أبي وقّاص وأبوعبيدة بن الجرّاح، مع كلّ واحد منهم عشرة رجال من عشائرهم شاهرين للسيوف، فأخرجوه من منزله، وعلا المنبر،فقال قائل منهم: والله لئن عاد منكم أحد فتكلّم بمثل الذي تكلّم به لنملئن أسيافنا منه! فجلسوا في منازلهم، ولم يتكلّم احد بعد ذلك [١].

(١) راجع الخصال ص٤٦١ـ٤٦٥.

أقول: روى[١] ذلك عن كشف اليقين عن أحمد بن محمد الطبري المعروف بالخليلي من رواة العامّة ورجالهم. وهنا تعاليق على البحار وتحقيق العلّامة المجلسي -رحمه الله- في الكتاب؛ فليراجع، لما فيها من الفوائد. وقد ذكر بعد ذلك بعض جُمَل رواية كشف اليقين عن الطبري، لم بينه وبين ماتقدّم من الروايتين من الاختلاف.

وهو:

ثمّ قام عمّار بن ياسر فقال:

معاشر قريش! هل علمتم أنّ أهل بيت نبيّكم أحقّ بهذا الأمر منكم؟ فمروا صاحبكم فليردّ الحقّ إلى أهله قبل أن يضطرب حبلكم ويضعف مسلككم وتختلفوا فيما بينكم، فقد علمتم أنّ بني هاشم أولى بهذا الأمر منكم،واقرب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله،وإن قلتم: إنّ السابقة لنا، فأهل بيت نبيّكم أقدم منكم سابقة واعظم غناءً من صاحبهم، وعلي بن أبي طالب صاحب هذا الأمر من بعد نبيكم، فاعطوه ماجعله الله له، ولا ترتدّوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين.

ثمّ قام سهل بن حنيف الأنصاري فقال:

يا أبا بكر! لا تجحد حقّاً ما جعله الله لك، ولا تكن أوّل من عصى رسول الله صلّى الله عليه وآله في أهل بيته، وأدّ الحقّ إلى أهله يخفّ ظهرك ويقلّ وزرك وتلقى رسول الله راضياً، ولا تختصّ به نفسك، فعمّا قليل ينقضي عنك ماأنت فيه، ثمّ تصير إلى الملك الرحمن فيحاسبك بعملك ويسألك عمّا جئت له، وما الله بظلّام للعبيد.

---

(١) أيّ العلامّة المجلسي قدس سرّه.

ثمّ قام خزيمة بن ثابت ذوالشهادتين فقال:

يا أبا بكر! ألست تعلم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل شهادتي وحدي ولم يرد معي غيري؟ قال: نعم، قال: فاشهد بالله إنّي سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله يقول: عليّ إمامكم بعدي.

قال:

وقام ابيّ بن كعب الأنصاري فقال:

أشهد أنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: أهل بيتي يفرقون بين الحقّ والباطل، وهم الائمّة الذين يقتدى بهم.

وقام أبوالهيثم بن التّيهان فقال:

وأنا أشهد على نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه أقام عليّاً لتسلّم له، فقال بعضهم: مااقامه إلّا للخلافة، وقال بعضهم: ماأقامه إلّا ليعلم الناس أنّه مولى من كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله مولاه،فتشاجروا في ذلك،فبعثوا إلى رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله،رجلاً يسأله عن ذلك، فقال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله: هو وليّكم بعدي،وأنصح الناس لكم بعد وفاتي.

وقام عثمان بن حنيف الأنصاري فقال:

سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: «أهل بيتي نجوم الأرض ونور الأرض، فلا تقدّموهم وقدّموهم فهم الولاة بعدي» فقام إليه رجل، فقال: يارسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وأيّ أهل بيتك أولى بذلك؟ فقال: عليّ وولده.

وقام أبوأيّوب الأنصاري فقال:

اتقوا الله في أهل بيت نبيّكم، وردّوا إليهم حقّهم الذي جعله الله لهم، فقد سمعنا مثل ماسمع إخواننا في مقام بعد مقام لنبيّنا صلّىٰ الله عليه وآله ومجلس بعد مجلس يقول: أهل بيتي ائمّتكم بعدي.

قال: فجلس أبو بكر في بيته ثلاثة أيّام، الخ.

(٢٧٨)

أُبيّ وأبو بكر

عن عليّ عليه السلام قال: لمّا خطب أبو بكر قام أُبيّ بن كعب يوم جمعة ـ وكان أوّل يوم من شهر رمضان ـ فقال: يامعشر المهاجرين الذين هاجروا واتبّعوا مرضات الرحمن وأثنى الله عليهم في القرآن، ويامعشر الأنصار الذين تبوّؤا الدار والإيمان وأثنى الله عليهم في القرآن، تناسيتم أم نسيتم؟ أم بدّلتم أم غيرّتم؟ أم خذلتم أم عجزتم؟!

ألستم تعلمون أنّ رسول الله قام فينا مقاماً أقام صلّىٰ الله عليه وآله لنا عليّاً، فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه ومن كنت نبيّه فهذا أميره؟

ألستم تعلمون أنّ رسول الله قال: ياعليّ أنت منّي بمنزلة هارون من موسى طاعتك واجبة على من بعدي؟

أو لستم تعلمون أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله قال: اوصيكم بأهل بيتي خيراً فقدّموهم ولا تتقدّموهم وأمّروهم ولا تأمّروا عليهم؟

أو لستم تعلمون أنّ رسول الله قال: أهل بيتي الائمّة من بعدي؟

أو لستم تعلمون أنّ رسول الله قال: أهل بيتي منار الهدى والمدلّون على الله؟

أو لستم تعلمون أنّ رسول الله قال: ياعليّ أنت الهادي لمن ضلّ؟

أو لستم تعلمون أنّ رسول الله قال: عليّ المحيي لسنّتي، ومعلّم امّتي، والقائم

بحجّتي، وخير من اخلف بعدي، وسيّد أهل بيتي، وأحبّ الناس إليّ، طاعته من بعدي كطاعتي على امّتي؟

أو لستم تعلمون انّ رسول الله لم يولّ على عليّ عليه السلام أحداً منكم وولّاه في كلّ غيبة عليكم؟

أو لستم تعلمون أنّهما كانا منزلتهما واحداً وأمرهما واحداً؟

أو لستم تعلمون انّه قال: إذا غبت عنكم وخلفت فيكم عليّاً فقد خلفت فيكم رجلاً كنفسي؟

أو لستم تعلمون أنّ رسول الله جمعنا قبل موته في بيت ابنته فاطمة عليها السلام فقال لنا: إنّ الله أوحى إلى موسى أن اتخذ أخاً من اهلك أجعله نبيّاً وأجعل أهله لك ولداً واطهّرهم من الآفات وأخلعهم من الذنوب، فاتخذ موسى هارون وولده، وكانوا ائمّة بني إسرائيل من بعده والذين يحلّ لهم في مساجدهم مايحلّ لموسى. ألا وإنّ الله تعالى أوحى إليّ أنّ اتّخذ عليّاً أخاً كموسى اتخذ هارون أخاً، واتّخذه ولداً، فقد طهرّتهم كما طهّرت ولد هارون، إلّا وأنّي ختمت بك النبيّين فلا نبيّ بعدك، فهم الائمّة؟[1].

أفما تفقهون؟ أما تبصرون؟ أما تسمعون؟ ضربت عليكم الشبهات فكان مثلكم كمثل رجل في سفر أصابه عطش شديد حتّى خشي أن يهلك، فلقي رجلاً هادياً بالطريق فسأله عن الماء، فقال: أمامك عينان: إحداهما مالحة والاخرى عذبة، فان أصبت من المالحة ضللت وهلكت، وإن أصبت من العذبة هديت ورويت، فهذا مثلكم أيّتها الامّة المهملة، كما زعمتم!

وأيم الله! ماهملتم، لقد نصب لكم علم يحلّ لكم الحلال ويحرّم عليكم الحرام، ولو أطعتموه مااختلفتم ولا تدابرتم ولا تعللتم ولابرئ بعضكم من بعض،

---

(١) راجع مايأتي بُعيد هذا.

فوالله! إنكم بعده لمختلفون في أحكامكم،وإنكم بعده لناقضون عهد رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم،وإنكم على عترته لمختلفون ومتباغضون، إن سئل هذا عن غير ماعلم أفتى برأيه، وان سئل هذا عمّا يعلم أفتى برأيه، فقد تحاربتم وزعمتم أنّ الاختلاف رحمة، هيهات! أبىٰ كتاب الله ذلك عليكم، يقول الله تبارك وتعالى: «ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البيّنات اولئك لهم عذاب عظيم» وأخبرنا باختلافهم، فقال: «ولايزالون مختلفين إلّا من رحم ربّك ولذلك خلقهم» أي للرحمة، وهم آل محمّد وشيعتهم، وسمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله يقول: ياعليّ أنت وشيعتك على الفطرة والناس منها براء.

فهلّا قبلتم من نبيّكم؟ كيف! وهو يخبركم بانتكاصكم، وينهاكم عن خلاف وصيّه وأمينه ووزيره وأخيه ووليّه، أطهركم قلباً وأعلمكم علماً وأقدمكم إسلاماً وأعظمكم غناءً عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله،أعطاه تراثه وأوصاه بعداته واستخلفه على امّته ووضع عنده سرّه فهو وليّه دونكم أجمعين، وأحقّ به منكم أكتعين، سيّد الوصيّين، وأفضل المتّقين، وأطوع الامّة لربّ العالمين، وسلّم عليه بخلافة المؤمنين في حياة سيّد النبيّين وخاتم المرسلين.

فقد أعذر من أنذر، وأدّى النصيحة من وعظ، وبصّر من عمى وتعاشى وردىٰ؛ فقد سمعتم كما سمعنا، ورأيتم كما رأينا، وشهدتم كما شهدنا.

فقام عبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجرّاح ومعاذ بن جبل، فقالوا: اقعد ياأُبيّ! أصابك خبل أم أصابتك جنّة؟ فقال: بل الخبل فيكم ،كنت عند رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله فألفيته يكلّم رجلاً وأسمع كلامه ولاأرى وجهه.

[فقال فيما يخاطبه:ماأنصحه لك ولامّتك وأعلمه بسنّتك! فقال رسول الله أفترى امّتي تنقاد له من بعدي؟ قال: يامحمّد يتّبعه من امّتك أبرارها،ويخالف

عليه من امّتك فجّارها، وكذلك أوصياء النبييّن من قبلك . يامحمّد إنّ موسى ابن عمران أوصى إلى يوشع بن نون، وكان أعلم بني إسرائيل وأخوفهم لله وأطوعهم له،وأمره الله عزّوجلّ أن يتّخذه وصيّاً كما اتّخذت عليّاً وصيّاً وكما اُمرت بذلك فحسده بنو إسرائيل سبط موسى خاصّة، فلعنوه وشتموه وعنّفوه ووضعوا منه، فان اخذت امّتك سنن بني إسرائيل كذّبوا وصيّك وجحدوا أمره وابتزّوا خلافته وغالطوه في علمه.

فقلت: يارسول الله من هذا؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله هذا ملك من ملائكة ربّي عزّوجلّ ينبئني أنّ امّتي تختلف على وصيّي عليّ بن أبي طالب، وإنّي اوصيك ياابّي بوصيّة إن حفظتها لم تزل بخير، يااُبيّ! عليك بعليّ، فانّه الهادي المهديّ الناصح لامّتي المحيي لسنّتي، وهو إمامكم بعدي، فمن رضي بذلك لقيني على مافارقته عليه، يااُبيّ! ومن غيّر أو بدّل لقيني ناكثاً لبيعتي عاصياً أمري جاحداً لنبوّتي، لاأشفع له عند ربّي ولاأسقيه من حوضي.

فقامت إليه رجال من الأنصار، فقالوا: اقعد رحمك الله يااُبيّ! فقد أدّيت ماسمعت ووفيت بعهدك][1].

-(٢٧٩)-

بريدة وأبوبكر

قال: ثمّ قام بريدة الأسلمي، فقال: ياأبابكر! أتناسيت أم تعاشيت؟ أم خادعتك نفسك؟ أما تذكر إذ أمرنا رسول الله فسلّمنا على عليّ بامرة المؤمنين وهو بين أظهرنا؟ فاتّق الله، وتدارك نفسك قبل أن لا تداركها، وأنقذها من هلكتها، وادفع هذا الأمر إلى من هو أحقّ به منك من أهله، ولا تماد في اغتصابه، وارجع وأنت تستطيع أن ترجع، فقد محضت نصيحتك وبذلت لك

---

(١) البحار: ج٢٨ ص٢٢١. ما بين العلامتين ساقط من طبع الكمپاني، اضفناه من المصدر.

ماعندي، ماإن فعلته وفّقت ورشدت[١].

(٢٨٠)
أبوذرّوبريدة عند أبي بكر

ننقل هنا مانقله سليم من الاحتجاج بعد حذف واختصار.

(سليم عن سلمان الفارسي)؛وقام أبو ذرّ، فقال: أيّتها الامّة المتحيّرة بعد نبيّها المخذولة بعصيانها ،إنّ الله يقول: «إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرّية بعضها من بعض والله سميع عليم» وآل محمّد صلّى الله عليه وآله الأخلاف من نوح، وآل إبراهيم من إبراهيم والصفوة والسلالة من إسماعيل. وعترة النبيّ صلّى الله عليه وآله محمّد أهل بيت النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وهم كالسماء المرفوعة، والجبال المنصوبة، والكعبة المستورة، والعين الصافية، والنجوم الهادية، والشجرة المباركة أضاء نورها وبورك زيتها، محمّد خاتم الأنبياء، وسيّد ولد آدم، وعليّ وصيّ الأوصياء، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، وهو الصدّيق الأكبر، والفاروق الأعظم، ووصيّ محمّد صلّى الله عليه وآله و وارث علمه، وأولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم، كما قال الله تعالى: «النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امّهاتهم واولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» فقدّموا من قدّم الله، وأخّروا من أخّر الله، واجعلوا الولاية والوزارة لمن جعل الله.

فقام عمر فقال لأبي بكر ـوهو جالس فوق المنبرـ: مايجلسك فوق المنبر وهذا جالس محارب لايقوم فيبايع (يعني عليّا عليه السلام)؟ أو تأمر به فنضرب عنقه؟ والحسن والحسين عليهما السلام قائمان، فلمّا سمعا مقالة عمر بكيا،

---

(١) وفي الطبعة ص(٢٢١) جعل ذلك رواية اخرى مستقلة قبل نقله الرواية المتقدمة وراجع ايضاً ص(٣٠٠) من البحار.

فضمّهما إلى صدره فقال: لا تبكيا فوالله مايقدران على قتل أبيكما.

وأقبلت امّ أيمن حاضنة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله فقالت: ياأبا بكر ماأسرع ماأبديتم حسدكم ونفاقكم!

فأمر بها عمر فأُخرجت من المسجد، وقال: مالنا وللنساء؟

وقام بريدة الأسلمي وقال:

يا عمر! أتثب على أخي رسول الله وأبي ولده، وأنت الذي نعرفك في قريش بما نعرفك؟ ألستما اللذين قال لكما رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله: «انطلقا إلى عليّ عليه السلام وسلّما عليه بإمرة المؤمنين» فقلتما: أعن أمر الله وأمر رسوله؟ فقال: نعم؟

فقال أبو بكر: قد كان ذلك، ولكن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله قال بعد ذلك: لايجتمع لأهل بيتي الخلافة والنبّوة

فقال: والله ماقال هذا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله،والله لاسكنت في بلدة أنت فيها أمير! فأمر به عمر فضرب وطرد.

ثمّ قال: قم ياابن أبي طالب فبايع، فقال عليه السلام: فان لم أفعل؟ قال: إذاً والله تضرب عنقك! فاحتجّ عليهم ثلاث مرّات، ثمّ مدّيده من غير أن يفتح كفّه، فضرب عليها أبو بكر ورضي بذلك منه.

فنادى عليّ عليه السلام قبل أنّ يبايع والحبل في عنقه: «ياابن امّ ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني».

وقيل للزبير: بايع، فأبى فوثب عمر وخالد والمغيرة بن شعبة في أُناس، فانتزعوا سيفه فضربوا به الأرض حتى كسروه لبّبوه. فقال الزبير وعمر على صدره:ياابن صهّاك! أما والله لو أنّ سيفي في يدي لحدت عني، فبايع.

قال سلمان: ثمّ أخذوني فوجأوا عنقي حتىّ تركوها كالسلعة. ثمّ أخذوا

يدي وفتلوها، فبايعت مكرهاً.

ثمّ بايع أبو ذرّ والمقداد مكرهين، ومابايع أحد من الامّة مكرهاً غير عليّ وأربعتنا، ولم يكن منّا أحد أشدّ قولاً من الزبير، فانّه لـمّا بايع قال: يابن صهّاك! أما والله لولا هؤلاء الطغاة الذين أعانوك لما كنت تقدم عليّ ومعي سيفي، لما أعرف من جبنك ولؤمك، ولكن وجدت طغات تقوى بهم وتصون. فغضب عمر وقال: اتذكر صهّاكاً؟ فقال: ومن صهّاك؟ وما يمنعني من ذكرها، وقد كانت صهّاك زانية؟أو تنكر ذلك؟ أوليس قد كانت أمة حبشيّة لجدّي عبدالمطلب، فزنا بها جدّك نفيل، فولدت أباك الخطّاب، فوهبها عبدالمطلب له بعد مازنا بها، فولدته، وإنّه لعبد جدّي ولد زنا! فأصلح بينهما أبو بكر كفّ كل واحد منهما عن صاحبه.

قال سليم: فقلت لسلمان: فبايعت أبا بكر ياسلمان ولم تقل شيئاً؟ قال: قد قلت بعد مابايعت: تبّاً لكم سائر الدهر! أوتدرون ماصنعتم بأنفسكم؟ أصبتم وأخطأتم، أصبتم سنّة من كان قبلكم من الفرقة والاختلاف، وأخطأتم سنّة نبيكم صلّى الله عليه وآله حتّى أخرجتموها من معدنها وأهلها[1].

فقال عمر: ياسلمان أمّا إذ بايع صاحبك وبايعت فقل ماشئت وافعل مابدا لك، وليقل صاحبك مابداله.

قال سلمان: فقلت:إنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: إنّ عليك وعلى صاحبك الذي بايعته مثل ذنوب امّته إلى يوم القيامة ومثل عذابهم جميعاً. فقال: قل ماشئت أليس قد بايعت؟ ولم يقرّ الله عينك بأن يليها صاحبك! فقلت: أشهد أنّي قد قرأت في بعض كتب الله المنزلة أنّه باسمك ونسبك وصفتك باب من أبواب جهنّم، فقال لي: قل ماشئت أليس قد أزالها

---

(١) راجع شرح النهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ١٧٠.

الله عن أهل البيت الذين اتّخذتموهم أرباباً من دون الله؟ فقلت له: أشهد أنّي سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله يقول وسألته عن هذه الآية: «فيومئذ لايعذّب عذابه أحد ولايوثق وثاقه أحد» فأخبرني أنّك أنت هو، فقال لي عمر: اسكت اسكت الله نأمتك ! أيّها العبد ابن اللخناء! فقال لي عليّ عليه السلام: أقسمت عليك ياسلمان لمّا سكتّ.

فقال سلمان: والله لو لم يأمرني عليّ عليه السلام بالسكوت لخبّرته بكلّ شيء نزل فيه وكلّ شيء سمعته من رسول الله فيه وفي صاحبه. فلمّا رآني عمر قد سكتّ قال: إنّك له لمطيع مسلّم.

فلمّا أن بايع أبو ذرّ والمقداد ولم يقولا شيئاً، قال عمر: ياسلمان ألا تكفّ كما كفّ صاحباك ؟ والله! ماأنت بأشدّ حبّاً لأهل هذا البيت منهما ولاأشدّ تعظيماً لحقّهم منهما، وقد كفّا كما ترى وبايعا، قال أبو ذرّ:أفتعيّرنا ياعمر بحبّ آل محمّد صلّىٰ الله عليه وآله وتعظيمهم؟ لعن الله -وقد فعل- من أبغضهم وافترى عليهم،وظلمهم حقّهم،وحمل الناس على رقابهم،وردّ هذه الامّة القهقري على أدبارها، فقال عمر: آمين! لعن الله من ظلمهم حقوقهم، لاوالله! مالهم فيها حقّ وماهم فيها وعرض الناس إلّا سواء.

قال أبو ذرّ: فلم خاصمتم الأنصار بحقّهم وحجّتهم؟ الحديث[1].

وقال البراء بن عازب: لم أزل لبني هاشم محبّاً (حبّاً شديداً في حياة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وبعد وفاته) فلمّا قبض رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله (أوصى علياً أن لايلي غسله غيره وأنّه لاينبغي لأحد أن يرى عورته غيره وأنّه ليس أحد يرى عورة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله إلاّ ذهب بصره، فقال عليّ عليه السلام: يارسول الله فمن يعينني على غسلك ؟ قال: جبرئيل

(١) البحار: ج٢٨ ص٢٧٥ ومابعدها.

عليه السلام في جنود من الملائكة، فكان عليّ عليه السلام يغسّله والفضل بن العبّاس مربوط العينين يصبّ الماء والملائكة يقلّبونه له كيف شاء، ولقد أراد عليّ عليه السلام أن ينزع قميص رسول الله صلّى الله عليه وآله فصاح به صائح: لا تنزع قميص نبيّك ياعليّ ،فأدخل يده تحت القميص فغسّله، ثمّ حنّطه وكفّنه، ثمّ نزع القميص عند تكفينه وتحنيطه).

فلمّا قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر من بني هاشم،فأخذني مايأخذ الواله العجول، مع مافي نفسي من الحزن لوفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله،فكنت أتردّد إلى بني هاشم وهم عند النبيّ صلّى الله عليه وآله في الحجرة وأتفقّد وجوه قريش، فانّي كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر! وإذا قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذا قائل آخر يقول: قد بويع أبو بكر!! فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبي عبيدة قد أقبلوا في أهل السقيفة وهم محتجزون بالازر الصنعانيّة لايمرّ بهم أحد إلاّ خبطوه، فاذا عرفوه مدّوا يده على يد أبي بكر شاء ذلك أم أبى، فأنكرت عند ذلك عقلي جزعاً منه مع المصيبة برسول الله صلّى الله عليه وآله فخرجت مسرعاً حتّى أتيت المسجد، ثمّ أتيت بني هاشم والباب مغلق دونهم ،فضربت عليهم الباب ضرباً عنيفاً وقلت: ياأهل البيت! فخرج إليّ الفضل بن العبّاس، فقلت: قد بايع الناس أبابكر!! فقال العبّاس: قد تربت أيديكم منها آخر الدهر! أما إنّي قد أمرتكم فعصيتموني.

فمكثت اكابد مافي نفسي، فلمّا كان الليل خرجت إلى المسجد، فلمّا صرت فيه تذكّرت أنّي كنت أسمع همهمة رسول الله صلّى الله عليه وآله بالقرآن ، فانبعثت من مكاني فخرجت نحو الفضاء، فوجدت نفراً يتناجون، فلمّا دنوت منهم سكتوا، فانصرفت عنهم، فعرفوني وماعرفتهم، فدعوني فأتيتهم، وإذا المقداد وأبو ذرّ وسلمان وعمّار بن ياسر وعبادة بن الصامت وأبو الهيثم بن

التيّهان وحذيفة بن اليمان والزبير بن العوّام، وحذيفة يقول: «والله ليفعلنّ ماأخبرتكم به! فوالله ماكذبت ولاكذِّبت!» وإذا القوم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين والأنصار، فقال: حذيفة: انطلقوا بنا إلى أُبيّ بن كعب، فقد علم مثل ماعلمت.

قال: فانطلقنا إلى أُبيّ بن كعب، وضربنا عليه بابه، فأتى حتّى صار خلف الباب، ثمّ قال: من أنتم؟ فكلّمه المقداد، فقال: ماجاء بك؟ فقال له: افتح فانّ الأمر الذي جئنا فيه أعظم من أن يجري وراء الباب، فقال: ماأنا بفاتح بابي وقد علمت ماجئتم له وماأنا بفاتح بابي، كأنّكم أردتم النظر في هذا العقد؟ فقلنا: نعم، فقال: أفيكم حذيفة؟ فقلنا: نعم، فقال: القول ماقال حذيفة، فأمّا أنا فلا أفتح بابي حتّى يجري عليّ ماهو جارعليه، وما يكون بعدها شرّمنها! وإلى الله جلّ ثناؤه المشتكى. قال: فرجعوا ثمّ دخل أُبيّ بن كعب بيته.

قال: وبلغ أبا بكر وعمر الخبر، فأرسلا إلى ابي عبيدة بن الجرّاح والمغيرة بن شعبة فسألاهما الرأي، فقال المغيرة بن شعبة: أرى أن تلقوا العبّاس بن عبدالمطّلب، فتطمعوه في أن يكون له في هذا الأمر نصيب يكون له ولعقبه من بعده، فتقطعوه بذلك عن ابن أخيه عليّ بن أبي طالب، فانّ العبّاس لو صار معكم كانت الحجّة على الناس، وهان عليكم أمرعليّ بن أبي طالب وحده.

قال: فانطلق أبو بكر وعمر وأبوعبيدة بن الجرّاح والمغيرة بن شعبة حتّى دخلوا على العبّاس في الليلة الثانية من وفاة رسول الله قال: فتكلّم أبو بكر، فحمد الله عزّوجلّ وأثنى عليه، وقال:

إنّ الله ابتعث لكم محمّداً صلّىٰ الله عليه وآله نبيّاً وللمؤمنين وليّاً، فمنّ الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم حتىّ اختار له ماعنده، وترك للناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم مصلحتهم متفقين لامختلفين، فاختاروني عليهم والياً

ولامورهـم راعياً، فتولّوني ذلك ، ومـاأخاف بعون الله وهنـاً ولاحيـرة ولاجبناً، وماتوفيقي إلاّ بالله عليه توكلّت وإليه انيب.

غير أنّي لاأنفك من طاعن يبلغني، فيقول بخلاف قول العامّة، فيتّخذكم لجأ فتكونون حصنه المنيع وخطبه البديع، فإمّا دخلتم مع النـاس فيما اجتمعوا عليه أو صرفتموهم عمّا مالوا إليه، فقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمـر نصيباً يكون لـك ولعقبك من بعدك ، إذ كنت عمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وإن كـان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك ، فعدلوا بهذا الأمر عنكما (وعلى رسلكم بني هاشم، فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله منّا ومنكم).

فاعترض كلامه عمر وخرج إلى مذهبه في الخشونة والوعيد وإتيان الأمر من أصعب جهاته، فقال:

إي والله! واخرى يابني هاشم على رسلكم، فانّ رسول الله صلّى الله عليه وآله منّا ومنكم، ولم نـأتك حاجة منّا إليكم، ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لأنفسكم وللعامّة!.

فتكلّم العبّاس، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

إنّ الله ابتعث محمّداً نبيّاً كما وصفت ووليّاً للمؤمنين، فمَنّ الله به على امّته حتّى اختـار له ماعنده، فخلّى الناس على أمرهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين للحقّ مائلين عن زيغ الهوى، فان كنت برسول الله طلبت الأمر هذا فحقّنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم، ماتقدّمنـا في أمركـم فرطاً ولا حللنا منكم وسطاً وبرحنا شحطاً، فان كان هذا الأمر يجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنّا كارهين؟ ومـاأبعد قولك: إنّهم طعنوا عليك من قولك: انّهم مالوا إليك! وأمّا مابذلت لنا فان يكن حقّك أعطيتناه فأمسكه عليك ، وإن يكن حقّ المؤمنين فليس لك أن تحكم فيه، وإن يكن حقّنا لم نرض لك ببعضه دون بعض، وماأقول هذا أروم صرفك عمّا دخلت فيه، ولكن للحجّة نصيبها

من البيان. وأمّا قولك ياعمر: «إنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله منّا ومنكم» فانّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها. وأمّا قولك ياعمر: «إنك تخاف الناس علينا» فهذا الذي قدّمتموه أوّل ذلك، وبالله المستعان.

فخرجوا من عنده، وأنشأ العبّاس يقول:

ماكنت أحسب هذا الأمر منحرفاً عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن!
أليس أوّل من صلّى لقبلتكم وأعلم الناس بالآثار والسنن؟
وأقرب الناس عهداً بالنبيّ ومن جبريل عون له بالغسل والكفن
من فيه مافي جميع الناس كلّهم وليس في الناس مافيه من الحسن
من ذا الذي ردّكم عنه فنعرفه؟ هاإنّ بيعتكم من أوّل الفتن [1]

(٢٨١)

رافع وأبوبكر

روى رافع بن أبي رافع الطائي عن أبي بكر وقد صحبه في سفر،قال: قلت له: ياأبابكر علّمني شيئاً ينفعني الله به.

قال،كنت فاعلاً ولو لم تسألني، لا تشرك بالله شيئاً، وأقم الصلاة، وآت الزكاة، وصم شهر رمضان، وحجّ البيت واعتمر، ولا تتأمّرن على اثنين من المسلمين.

قال: قلت له: أمّا ماأمرتني به من الإيمان والصلاة والحجّ والعمرة والزكاة فأنا أفعله، وأمّا الإمارة: فانّي رأيت الناس لايصيبون هذا الشرف وهذاالغنىٰ

---

(١) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد: ج١ ص٢١٩ وج٢ ص٥١. والبحار: ج٢٨ ص٢٨٥. وقد دخل رواية بعضهم في بعض. وراجع قاموس الرجال: ج٥ ص٢٣٤ ـ ٢٣٥. وبهج الصباغة: ج٥ ص٤٠ ـ ٤١. والغدير: ج٥ ص٣٧٤. والإمامة والسياسة: ج١ ص٢١.

والعزّ والمنزلة عند رسول الله صلّى الله عليه وآله إلّا بها.

قال: إنّك استنصحتني فأجهدت نفسي لك.

فلمّا توفّي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم واستخلف أبابكر جئته وقلت له: ياأبابكر! ألم تنهني أن أتأمّر على اثنين؟ قال: بلى، قلت: فما لك تأمّرت على امّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلم؟ قال: اختلف الناس وخفت عليهم الضلالة ودعوني، فلم أجد من ذلك بدّاً[1].

(٢٨٢)

سلمان يخطب

خطب الناس سلمان الفارسي-رحمه الله-بعد أن دفن النبيّ عليه وآله السلام بثلاثة أيّام، فقال فيها:

ألا أيّها الناس! اسمعوا عنّي حديثي ثمّ اعقلوه عنّي، ألا! إنّي اُوتيت علماً كثيراً، فلو حدّثتكم بكلّ ماأعلم من فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام لقال طائفة منكم: هو مجنون، وقال طائفة اخرى: اللّهم اغفر لقاتل سلمان، ألا! إنّ لكم منايا تتبعها بلايا، ألا! وإنّ عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام المنايا والبلايا وميراث الوصايا وفصل الخطاب وأصل الانساب على منهاج هارون بن عمران من موسى عليهما السلام إذ يقول له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنت وصيي في أهلي وخليفتي في امّتي وبمنزلة هارون من موسى، ولكنّكم أخذتم سنّة بني إسرائيل، فأخطأتم الحقّ، تعلمون فلا تعملون، أما والله! لتركبنّ طبقاً عن طبق على سنّة بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة.أما والذي نفس سلمان بيده! لو وليتموها عليّاً عليه السلام لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم، ولو دعوتم الطير في جوّ السماء لأجابتكم، ولو دعوتم الحيتان من

---

(١) البحار: ج٨ ص٨٦ ط الكمباني عن الاحتجاج.

البحار لأ تتكم، ولما عال وليّ الله، ولاطاش لكم سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله، ولكن أبيتم فولّيتموها غيره، فابشروا بالبلاء، واقنطوا من الرخاء، وقد نابذتكم على سواء، فانقطعت العصمة فيما بيني وبينكم من الولاء، عليكم بآل محمّد عليهم السلام فإنّهم القادة إلى الجنّة والدعاة إليها يوم القيامة.

عليكم بأميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب، فوالله لقد سلّمنا عليه بالولاية وإمرة المؤمنين مراراً جمّة مع نبيّنا، كلّ ذلك يأمرنا به ويؤكّده علينا، فما بال القوم عرفوا فضله فحسدوه؟ وقد حسد قابيل هابيل فقتله، وكفّاراً قد ارتدّت امّة موسى بن عمران عليه السلام فأمر هذه الامّة كما أمر بني إسرائيل، فأين يذهب بكم أيّها الناس؟ ويحكم! ماأنا وأبو فلان وفلان؟ أجهلتم أم تجاهلتم؟ أم حسدتم أم تحاسدتم؟ والله لترتدّنّ كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف، يشهد الشاهد على الناجي بالهلكة، ويشهد الشاهد على الكافرين بالنجاة.

ألا! وإنّي أظهرت أمري وسلّمت لنبيي، واتّبعت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة عليّاً أميرالمؤمنين وسيّد الوصيين وقائد الغرّ المحجّلين وإمام الصدّيقين والشهداء والصالحين[١].

(٢٨٣)

أُبيّ وأبو بكر

احتجاج أُبيّ بن كعب مع أبي بكر برواية الاحتجاج، وقد مرّ برواية كشف اليقين، ولقد أوردنا الروايتين لما بينهما من الاختلاف.

عن عليّ بن أبي طلب صلوات الله عليه قال: لمّا خطب أبو بكر قام أُبيّ

---

(١) البحار: ج٨ ص٨٧ ط الكمباني عن الاحتجاج:ج١ ص١٥١.

ابن كعب، فكان يوم الجمعة أوّل يوم من شهر رمضان؛ فقال:

يامعاشر المهاجرين الذين اتّبعوا مرضات الله وأثنى الله عليهم في القرآن! ويامعاشر الأنصار الذين تبوّأوا الدار والإيمان وأثنى الله عليهم في القرآن! تناسيتم أم نسيتم؟ أم بدّلتم أم غيّرتم؟ أم خذلتم أم عجزتم؟

ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله قام فينا مقاماً أقام فيه عليّاً فقال: من كنت مولاه فهذا مولاه ـ يعني عليّاً ـ ومن كنت نبيّه فهذا أميره؟

ألستم تعلمون أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله قال: ياعليّ أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، طاعتك واجبة على من بعدي كطاعتي في حياتي، إلّا أنّه لانبيّ بعدي؟

ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله قال: اوصيكم بأهل بيتي خيراً، فقدّموهم ولا تتقدّموهم، وأمّروهم ولا تتأمّروا عليهم؟

ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله قال: أهل بيتي منار الهدى والدالّون على الله؟

ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله قال لعليّ: أنت الهادي لمن ضلّ؟

ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله قال: عليّ المحيي لسنّتي، ومعلّم امّتي، والقائم بحجتي، وخير من أخلف من بعدي، وسيّد أهل بيتي، أحبّ الناس إليّ، طاعته كطاعتي على امّتي؟

ألستم تعلمون أنّه لم يولّ على عليّ عليه السلام أحداً منكم وولّاه في كلّ غيبته عليكم؟

ألستم تعلمون أنّه كان منزلهما في أسفارهما واحداً، وارتحالهما وأمرهما واحداً؟

ألستم تعلمون أنّه قال: إذا غبت فخلفت فيكم عليّاً فقد خلفت فيكم

رجلاً كنفسي؟

ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله قبل موته قد جمعنا في بيت ابنته فاطمة عليها السلام فقال لنا: إنّ الله أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام أن اتّخذ أخاً من أهلك فاجعله نبيّاً، واجعل أهله لك ولداً اطهّرهم من الآفات واخلّصهم من الريب، فاتّخذ موسى هارون أخاً وولده أئمّة لبني إسرائيل من بعده، يحلّ لهم في مساجدهم مايحلّ لموسى، وإنّ الله أوحى إليّ أن اتّخذ عليّاً عليه السلام أخا كموسى اتّخذ هارون أخاً واتّخذ ولده ولداً، فقد طهّرتهم كما طهّرت ولد هارون، إلا أنّي ختمت بك النبيّين فلا نبيّ بعدك ، فهم الأئمّة الهادية؟

أفما تبصرون؟ أفما تفقهون؟ أما تسمعون؟ ضربت عليكم الشبهات، فكان مثلكم كمثل رجل في سفر فأصابه عطش شديد حتّى خشي أن يهلك ، فلقي رجلاً هادياً في الطريق فسأله عن الماء، فقال له: أمامك عينان: أحدهما مالحة والاخرى عذبة، فان أصبت المالحة ضللت، وإن أصبت العذبة هديت ورويت، فهذا مثلكم أيّتها الامّة المهملة كما زعمتم.

وأيم الله! مااهملتم، لقد نصب لكم علم يحلّ لكم الحلال ويحرّم عليكم الحرام، لو أطعتموه مااختلفتم ولا تدابرتم ولاّ تقاتلتم،ولابرئ بعضكم من بعض.

فوالله! إنّكم بعده لمختلفون في أحكامكم،وأنّكم بعده لناقضوا عهد رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله،وإنكم على عترته لمختلفون، إن سئل هذا عن غير من يعلم أفتى برأيه.

فقد أبعدتم وتجاريتم[1] وزعمتم الاختلاف رحمة، هيهات! أبى الكتاب ذلك عليهم[2]، يقول الله تبارك وتعالى: «ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد

---

(١) في الاحتجاج: «تخارستم».

(٢) في الاحتجاج:«عليكم».

ماجاءتهم البيّنات واولئك لهم عذاب عظيم» ثمّ أخبرنا باختلافكم، فقال: «ولايزالون مختلفين إلّا من رحم ربّك ولذلك خلقهم» أي الرحمة وهم آل محمّد.

سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله يقول: «ياعليّ أنت وشيعتك على الفطرة والناس منهم براء» فهلا قبلتم من نبيّكم صلّىٰ الله عليه وآله ،كيف! وهو خبّركم بانتكاصكم عن وصيّه عليه السلام وأمينه ووزيره وأخيه ووليّه دونكم أجمعين، أطهركم قلباً، وأعلمكم علماً، وأقدمكم سلماً، وأعظمكم غناءً عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله،أعطاه تراثه، وأوصاه بعداته، واستخلفه على امّته، ووضع عنده سرّه، فهو وليّه دونكم أجمعين، وأحقّ به منكم على التعيين[1]، سيّد الوصيّين، وأفضل المتقين، وأطوع الامّة لربّ العالمين، سلّمتم عليه بخلافة المؤمنين في حياة سيّد النبيين وخاتم المرسلين.

فقد أعذر من أنذر، وأدّى النصيحة من وعظ، وبصّر من عمى؛ فقد سمعتم كما سمعنا، ورأيتم كما رأينا، وشهدتم كما شهدنا.

فقام عبدالرحمن بن عوف وأبوعبيدة بن الجرّاح ومعاذ بن جبل ـلعنهم اللهـ فقالوا: ياأُبيّ! أصابك خبل؟ أم بك جنّة؟ فقال: بل الخبل فيكم! كنت عند رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله يوماً فالفيته يكلّم رجلاً أسمع كلامه ولاأرى وجهه، فقال فيما يخاطبه: ماأنصحه لك ولامّتك! وأعلمه بسنّتك! فقال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله:أفترى امّتي تنقاد له من بعدي؟ قال: يامحمّد تتبعه من امّتك أبرارها وتخالف عليه من امّتك فجّارها، وكذلك أوصياء النبيين من قبلك، يامحمّد صلّىٰ الله عليه وآله إنّ موسى بن عمران عليه السلام أوصى ليوشع بن نون، وكان أعلم بني إسرائيل وأخوفهم لله وأطوعهم له، وأمره

---

(١) في الاحتجاج «منكم أكتعين».

الله أن يتّخذه وصيّاً، كما اتّخذت عليّاً وصيّاً وكما اُمرت بذلك ، فحسده بنو إسرائيل سبط موسى خاصّة، فلعنوه وشتموه وعنّفوه ووضعوا منه، فان أخذت امّتك سنن بني إسرائيل كذّبوا وصيّك وجحدوا أمره وابتزّوا خلافته وغالطوه في علمه.

فقلت: يارسول الله من هذا؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: هذا ملك من ملائكة الله ربيّ عزّوجلّ ينبئني أنّ امتيّ تختلف[1] على وصيي عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإنّي اوصيك ياأُبيّ بوصيّة إن حفظتها لم تزل بخير: ياأُبيّ عليك بعليّ، فانّه الهادي المهديّ والناصح لأُمّتي، المحيي لسنّتي، وهو إمامكم بعدي، فمن رضي بذلك لقيني على مافارقته عليه. ياأُبيّ ومن غيّر وبدّل لقيني ناكثاً لبيعتي، عاصياً أمري جاحداً لنبوّتي، لاأشفع له عند ربّي ولااسقيه من حوضي.

فقامت إليه رجال من الأنصار، فقالوا: قد رحمك الله ياأُبيّ! فقد أدّيت ماسمعت ووفيت بعهدك[2].

(٢٨٤)

اُسامة وأبو بكر

روي عن الباقر عليه السلام: أنّ عمر بن الخطّاب قال لأبي بكر: اكتب إلى اُسامة يقدم عليك ، فانّ في قدومه قطع الشنعة عنّا، فكتب أبو بكر إليه:

من أبي بكر خليفة رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى اُسامة بن زيد، أمّا بعد: فانظر إذا أتاك كتابي فأقبل إليّ أنت ومن معك ، فانّ المسلمين قد اجتمعوا وولّوني أمرهم، فلا تتخلّفن فتعصي ويأتيك منّي ماتكره، والسلام.

---

(١) في الاحتجاج: تتخلّف.

(٢) البحار: ج٨ ص٨٧ ط الكمباني عن الاحتجاج:ج١ ص١٥٣.

قال: فكتب إليه أُسامة جواب كتابه:

من أُسامة بن زيد عامل رسول الله صلّى الله عليه وآله على غزوة الشام أمّا بعد، فقد أتاني لك كتاب ينقض أوّله آخره! ذكرت في أوّله أنّك خليفة رسول الله صلّى الله عليه وآله وذكرت في آخره أنّ المسلمين اجتمعوا عليك فولّوك امورهم ورضوا بك! واعلم أنّي أنا ومن معي من جماعة المسلمين والمهاجرين، فلا والله مارضينا بك ولاولّيناك أمرنا!

وانظر أن تدفع الحقّ إلى أهله وتخلّيهم وإيّاه، فانّهم أحقّ به منك، فقد علمت ماكان من قول رسول الله صلّى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام يوم غدير خمّ، فما طال العهد فتنسى. انظر بمركزك ولاتخالف فتعصي الله ورسوله وتعصي مااستخلفه رسول الله صلّى الله عليه وآله عليك وعلى صاحبك، ولم يعزلني حتّى قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله،وإنّك وصاحبك رجعتما وعصيتما فأقمتما في المدينة بغير إذني،الخ[1].

(٢٨٥)

خطبة الزهراء عليها السلام في المسجد

روى عبدالله بن الحسن باسناده، عن آبائه عليهم السلام: أنّه لمّا أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة عليها السلام فدكاً وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ماتخرم مشيتها مشية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى دخلت على أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم.

فنيطت دونها ملاءة، فجلست، ثمّ أنّت أنّةً أجهش القوم لها بالبكاء! فارتج المجلس، ثمّ أمهلت هنيئة حتّى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم،

---

(١) البحار: ج٨ ص٨٨ ط الكمباني عن الاحتجاج وكشف اليقين.

افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم،فعاد القوم في بكائهم ،فلمّا أمسكوا عادت في كلامها، فقالت عليها السلام:

الحمد لله على ماأنعم، وله الشكر على ماألهم، والثناء بما قدّم: من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولاها، جمّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء امدها، وتفاوت عن الإدراك ابدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لا تّصالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالندب إلى أمثالها.

وأشهد أن لاإله إلاّ الله وحده لاشريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها وضمّن القلوب موصولها، وانار في التفكّر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيّته، ابتدع الأشياء لامن شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كوّنها بقدرته، وذرأها بمشيّته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولافائدة له في تصويرها، إلّا تثبيتاً لحكمته وتنبيهاً على طاعته، وإظهاراً لقدرته تعبّداً لبريّته، وإعزازاً لدعوته، ثمّ جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادة لعباده من نقمته وحياشة لهم إلى جنّته.

وأشهد أنّ أبي محمّداً صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم عبده ورسوله، اختاره قبل أن أرسله، وسمّاه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالى بما يلي الامور (بمآيل الامورخ) وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع الامور.

ابتعثه الله إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه (رحمته خ) فرأى الامم فرقاً في أديانها، عكفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله بأبي محمّد صلّىٰ الله عليه وآله ظلمها، وكشف

عن القلوب بهمها، وجلى عن الأبصار غممها (عماها خ) وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصّرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم ودعاهم إلى الطريق المستقيم.

ثمّ قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار، ورغبة وإيثار، فمحمد صلّى الله عليه وآله من تعب هذه الدار في راحة، قد حفّ بالملائكة الأبرار، ورضوان الربّ الغفّار، ومجاورة الملك الجبّار، صلّى الله على أبي نبيّه وأمينه وخيرته من الخلق وصفيّه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثمّ التفتت إلى أهل المجلس، وقالت:.

أنتم عباد الله! نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وامناء الله على أنفسكم وبلغاؤه إلى الامم، زعيم حقّ له فيكم، وعهد قدّمه إليكم، وبقيّة استخلفها عليكم: كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بيّنة بصائره، منكشفة سرائره، منجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائد إلى الرضوان اتباعه[1]، مؤدٍّ إلى النجاة استماعه، به تنال حججَ الله المنوّرة، وعزائمه المفسّرة، ومحارمه المحذّرة، وبيّناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة.

فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للاخلاص، والحجّ تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً للفرقة، والجهاد عزّاً للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامّة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منساة في العمر ومنماة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية

---

(١) في الاحتجاج: «قائداً إلى الرضوان أتباعه».

المكائيل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة ايجاباً للعفّة، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبيّة «فاتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتن إلّا وانتم مسلمون» وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فانّه «إنّما يخشى الله من عباده العلماء».

ثمّ قالت:

أيّها الناس! اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمّد صلّىٰ الله عليه وآله أقول عوداً وبدواً، ولاأقول ماأقول غلطاً، ولاأفعل ماأفعل شططاً «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» فان تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم وأخا ابن عمّي دون رجالكم، ولنعم المعزيّ إليه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم فبلّغ الرسالة صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثبجهم، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجف (يكسرخ) الأصنام، وينكث الهام، حتّى انهزم الجمع وولّوا الدبر، حتىّ تفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلّت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماصر وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القدّ، أذلّة خاسئين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمّد صلّىٰ الله عليه وآله.

بعد اللتيا والّتي وبعد أن مني بهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب «كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله» أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتّى يطأ جناحها (صماخها خ) بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر

الله، قريباً من رسول الله، سيّداً في أولياء الله، مشمراً ناصحا،مجدّا كادحا، لا تأخذه في اللهلومة لائم، وأنتم في رفاهيّة من العيش وادعون فاكهون آمنون، تتربّصون بنا الدوائر، وتتوكّفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرّون من القتال.

فلمّا اختار الله لنبيّه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلّين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرّة فيه ملاحظين، ثمّ استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم،و وردتم غير شربكم.

هذا، والعهد قريب، والكُلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرسول لـمّا يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة، «ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين».

فهيهات منكم! وكيف بكم! وأنّى تؤفكون؟ وكتاب الله بين أظهركم: اموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، وقد خلّفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ «بئس للظالمين بدلاً»! «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين».

ثمّ لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثمّ أخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغويّ، وإطفاء أنوار الدين الجليّ، وإهمال سنن النبيّ الصفيّ، تشربون حسواً في ارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء، ويصبر منكم على مثل حزّ المدى و وخز السنان في الحشا.

وأنتم الآن تزعمون ان لاإرث لنا! «أفحكم الجاهليّة تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون»؟ أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية.

إنّي ابنته أيّها المسلمون! أأُغلب على إرثي؟!

ياابن أبي قحافة! أفي كتاب الله أن ترث أباك ولاأرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فريّاً! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول «وورث سليمان داود» وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريّا عليهما السلام إذ قال: «فهب لي من لدنك وليّاً يرثني ويرث من آل يعقوب» وقال: «واولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» وقال: «يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الانثيين» وقال: «إن ترك خيراً الوصيّة للوالدين والأقربين بالمعروف حقّاً على المتّقين».

وزعمتم أن لاحظوة لي ولاأرث من أبي ولارحم بيننا، أفخصّكم الله بآية أخرج منها أبي؟ أم تقولون:أهل ملّتين لايتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟ فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولاينفعكم إذ تندمون «لكلّ نبأمستقرّ وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم».

ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار، فقالت:

يامعشر الفتية[١] وأعضاد الملّة وحضنة الإسلام! ماهذه الغميزة في حقّي والسِنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أبي يقول: «المرء يحفظ في ولده»؟ سرعان ماأحدثتم! وعجلان ذا إهالة! ولكم طاقة بما احاول،وقوّة على ماأطلب وازاول، أتقولون: مات محمّد؟ فخطب جليل:

---

(١) في الاحتجاج:«النقيبة».

استوسع وهنه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، وأظلمت الأرض لغيبته [واكتأبت خيرة الله لمصيبته][1] وكسفت الشمس والقمر، وانتشرت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، واضيع الحريم، وازيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى! لامثلها نازلة، ولابائقة (باقية خ) عاجلة، اعلن بها كتاب الله جلّ ثناؤه في افنيتكم وفي ممساكم ومصبحكم (يهتف في أفنيتكم خ) هتافاً وصراخاً وتلاوة وألحاناً، ولقبله ماحلّت بأنبياء الله ورسله، حكم فصل وقضاء حتم «ومامحمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين».

إيهاً بني قيلة! أأهضم تراث أبي؟ وأنتم بمرأى منّي ومسمع ومنتدى ومجمع، تلبسكم الدعوة وتشملكم الخبرة، وأنتم ذووا العدد والعدّة والأداة والقوّة، وعندكم السلاح والجنّة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتم العرب، وتحمّلتم الكدّ والتعب، وناطحتم الامم، وكافحتم البهم، لانبرح أو تبرحون نأمركم فتأتمرون، حتّى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودرّ حلب الأيّام، وخضعت ثغرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنّى حزتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان؟ بؤساً لقوم! «نكثوا أيمانهم وهمّوا باخراج الرسول وهم بدؤوكم أوّل مرّة أتخشونهم فالله أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين».

ألا! قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط

---

(١) مابين العلامتين لم يرد في الاحتجاج.

والقبض، وخلوتم بالدعة، ونجوتم بالضيق من السعة، فمججتم ماوعيتم، ودسعتم الذي تسوّغتم «فان تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فانّ الله لغنيّ حميد» ألا ! وقد قلت ماقلت هذا على معرفة منّي بالجذلة التي خامرتكم،والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنّها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القناة، وبثة الصدر، وتقدمة الحجّة، فدونكموها! فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخفّ، باقية العار، موسومة بغضب الله وشنار الأبد، موصولة بـ«نار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة»! فبعين الله ماتفعلون «وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون» ،وأنا ابنة «نذير لكم بين يدي عذاب شديد»،«فاعملوا إنّا عاملون وانتظروا إنّا منتظرون».

فاجابها أبوبكر عبدالله بن عثمان، وقال:

ياابنة رسول الله! لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً رؤوفاً رحيماً،وعلى الكافرين عذاباً أليماً وعقاباً عظيماً، إن عزوناه وجدناه أباك دون النساء،وأخا إلفك دون الأخلّاء، آثره على كلّ حميم، وساعده في كلّ أمر جسيم، لايحبّكم إلا سعيد ولايبغضكم إلا شقي بعيد، فأنتم عترة رسول الله صلّى الله عليه وآله الطيّبون الخيرة المنتجبون، على الخير أدلّتنا وإلى الجنّة مسالكنا، وأنت ياخيرة النساء وابنة خير الأنبياء صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقّك، ولامصدودة عن صدقك، والله ماعدوت رأي رسول الله صلّى الله عليه وآله ولاعملت إلّا باذنه، وإنّ الرائد لايكذب أهله، فانّي أشهد الله وكفى به شهيداً: أنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «نحن معاشر الأنبياء لانورّث ذهباً ولافضّة ولاداراً ولاعقاراً، وإنّما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوّة، وماكان لنا من طعمة فلوليّ الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه» وقد جعلنا ماحاولته في الكراع والسلاح يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفّار ويجالدون المردة الفجّار، وذلك باجماع من المسلمين لم أنفرد به وحدي،ولم

استبدّ بماكان الرأي فيه عندي، وهذه حالي، ومالي هي لك وبين يديك لا تزوى عنك ولاندّخر دونك ، وإنّك وأنت سيّدة امّة أبيك ، والشجرة الطيّبة لبنيك ، لاندفع مالك من فضلك ، ولايوضع في فرعك وأصلك ، وحكمك نافذ فيما ملكت يداي، فهل ترين أن اخالف في ذلك أباك صلّى الله عليه وآله؟!

فقالت عليها السلام:

سبحان الله! ماكان أبي رسول الله صلّى الله عليه وآله عن كتاب الله صادفاً ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتبع أثره ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور؟ وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته، هذا كتاب الله حكماً عدلاً وناطقاً فصلاً يقول: «يرثني ويرث من آل يعقوب» ويقول: «وورث سليمان داود» فبيّن عزّوجلّ فيما وزع من الأقساط وشرع من الفرائض والميراث وأباح من حظّ الذكران والاناث، ماأزاح به علّة المبطلين، وأزال التظنّي والشبهات في الغابرين، كلّا! «بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون».

فقال أبوبكر:

صدق الله ورسوله وصدقت ابنته! أنت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجّة، لاابعد صوابك ولاانكر خطابك ، هؤلاء المسلمون بيني وبينك قلّدوني ماتقلّدت، وباتّفاق منهم أخذت ماأخذت غير مكابر ولامستبدّ ولامستأثر،وهم بذلك شهود.

فالتفتت فاطمة عليها السلام إلى الناس، وقالت:

معاشر الناس! المسرعة إلى قيل الباطل،والمغضية على الفعل القبيح الخاسر «أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها»؟ كلا! بل ران على قلوبكم ماأسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم ولبئس ماتأوّلتم! وساء مابه أشرتم!

وشرّ مامنه اغتصبتم[1] لتجدنّ والله محمله ثقيلاً وغبّه وبيلاً، إذا كشف لكم الغطاء وبان ماوراءه[2] الضراء، وبدا لكم من ربّكم مالم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون.

ثمّ عطفت على قبر النبيّ صلّى الله عليه وآله وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة — لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها — واختلّ قومك فاشهدهم ولا تغب
وكلّ أهل له قربى ومنزلة — عند الإله على الأدنين مقترب
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم — لمّا مضيت وحالت دونك الترب
تجهّمتنا رجال واستخفّ بنا — لمّا فُقدت وكلّ الأرض مغتصب
وكنت بدراً ونوراً يستضاء به — عليك ينزل من ذي العزّة الكتب
وكان جبرئيل بالآيات يؤنسنا — فقد فُقدت وكلّ الخير محتجب
فليت قبلك كان الموت صادفنا — لمّا مضيت وحالت دونك الكثب

ثمّ انكفأت عليها السلام وامير المؤمنين عليه السلام يتوقّع رجوعها إليه ويتطلّع طلوعها عليه، فلمّا استقرت بها الدار قالت لأمير المؤمنين عليه السلام:

ياابن أبي طالب! اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل، فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافة يبتزّني نحلة أبي وبلغة ابنيّ، لقد أجهد في خصامي، وألفيته ألدّ في كلامي، حتى حبستني قيلة نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولامانع، خرجت كاظمة وعدت راغمة، أضرعت خدّك يوم أضعت حدّك، افترست الذئاب وافترشت التراب، ماكففت قائلاً ولا أغنيت طائلاً، ولا

(١) في البحار: «اعتصمتم».
(٢) في الاحتجاج: «بإورائه».

خيار لي، ليتني متّ قبل هنيئتي ودون ذلّتي ،عذيري الله منه عادياً ومنك حامياً، ويلاي في كلّ شارق! ويلاي في كلّ غارب! مات العمد ووهن العضد، شكواي إلى أبي وعدواي إلى ربيّ، اللّهم إنّك أشدّ منهم قوّة وحولاً وأشدّ بأساً وتنكيلاً.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام:

لاويل لك، بل الويل لشانئك، ثمّ نهنهي عن وجدك يابنة الصفوة وبقيّة النبوّة، فما ونيت عن ديني، ولاأخطأت مقدوري، فان كنت تريدين البلغة فرزقك مضمون وكفيلك مأمون، وماأُعد لك افضل ممّا قُطع عنك، فاحتسبي الله.

فقالت: حسبي الله،وأمسكت.

«مصادر الخطبة»

أقول: هذه الخطبة الشريفة التي فيها مسحة من النبوّة ولمعة من الرسالة منقولة عن سيّدة النساء بطرق كثيرة أخرجها الأعلام في كتبهم من المؤرخين والمحدّثين واللغويين والادباء.

ولأهميّة المورد نورد كلّ ماعثرنا عليه من المصادر، وإن كان بعضها مشتملاً على نقل الخطبة تماماً وبعضها على نقلها بعضاً أو إيعازاً؛ ونحن نقلناها عن الاحتجاج:ج١ ص١٣١-١٤٦:

١- نقلها الطبرسي في الاحتجاج مع التزامه في أوّل الكتاب بأن لاينقل فيه إلاّ ماكان مؤيّداً بالإجماع أو العقل أو الشهرة بين المخالف والمؤالف. واللفظ له.

٢- وأخرجها المسعودي في كتابيه «أخبار الزمان» و «الكتاب الأوسط» على ماذكره في تاريخه المختصر «مروج الذهب» قال مالفظه: وما كان من قصّة

فدك .... وما كان من فاطمة وكلامها متمثّلة حتّى عدلت إلى قبر أبيها عليه السلام من قول صفيّة بنت عبد المطّلب ـ ثمّ ذكر البيت الأوّل ـ ثمّ قال: إلى آخر الشعر، إلى غير ذلك ممّا تركنا ذكره من الأخبار في هذا الكتاب، إذ كنا قد أتينا على جميع ذلك في كتاب أخبار الزمان والكتاب الأوسط[1].

٣ـ وأخرجها السيّد ـ رحمه الله تعالى ـ في الشافي في ردّ قاضي القضاة باسناده وفي تلخيصه للشيخ ـ رحمه الله ـ قال[2]: أخبرنا جماعة عن أبي عبدالله محمّد بن عمران المرزباني، قال: حدثني محمّد بن أحمد الكاتب، قال: حدّثنا أحمد بن عبيد ناصح النحوي، قال: حدثني الزنادي، قال: حدّثني شرقي بن قطامة، عن محمد بن اسحاق، قال: حدّثنا صالح بن كيسان، عن عروة، عن عائشة، قالت...

ثمّ قال: قال المرزباني: وحدّثني أبو بكر أحمد بن محمّد المكيّ، قال: حدّثنا محمّد بن القاسم التمامي أبو العيناء، قال: حدّثنا ابن عائشة، قال: لمّا قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله...

٤ـ وأوعز إليها اليعقوبي في تاريخه المعروف، وذكر بعض جُمَل الخطبة[3].

٥ـ ونقل أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد المكيّ أخطب خوارزم (المتوفّى ٥٦٨) في مقتل الحسين عليه السلام[4] الخطبة كما تقدّم باختلاف يسير زيادة ونقصاناً بهذا الإسناد: أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه، أخبرنا عبدالله ابن اسحاق، أخبرنا محمّد بن عبيد، أخبرنا محمّد بن زياد، أخبرنا شرقي بن

---

(١) مروج الذهب: ٢/٣٠٤.

(٢) ج٣ ص١٣٩ الطبعة الثالثة.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٢٧.

(٤) ج١ ص٧٧ ط نجف سنة ١٣٦٧.

قطامي، عن صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت:.....

٦ـ وقال الإربلي في كشف الغمّة: وحيث انتهى القول إلى هنا، فلنذكر خطبة فاطمة عليها السلام فانّها من محاسن الخطب وبدايعها، عليها مسحة من نور النبوّة، وفيها عبقة من أرج الرسالة، وقد أورده المؤالف والمخالف. ونقلتها من كتاب السقيفة عن عمر بن شبه تأليف أبي بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري من نسخة قديمة مقروءةعلى مؤلّفها المذكور، وقرئت عليه في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وثلا ثمائة، روى عن رجاله بعدة طرق. ثمّ نقل الخطبة كما مرعن الاحتجاج مع اختلاف في الألفاظ، ثمّ قال بعد نقلها:هذه الخطبة نقلتها من كتاب السقيفة وكانت مع قدمها مغلوطة، فحقّقتها من مواضع اخر.

٧ـ وفي دلائل الإمامة لأبي جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبري[1] نقلها بهذا الإسناد:

حدّثني أبو الفضل محمّد بن عبدالله، حدثنا أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني، حدثنا أحمد بن محمّد بن عثمان بن سعيد الزيّات، حدثنا محمّد ابن الحسين العضباني، حدّثنا أحمد بن محمّد بن نصر البزنطي السكوني، عن أبان بن عثمان الأحمر، عن أبان بن تغلب الربعي، عن عكرمة، عن ابن عبّاس.

وأخبرني أبو الحسين محمّد بن هارون التلعكبري، حدّثنا أبي، حدّثنا أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني، حدّثني محمّد بن المفضّل بن إبراهيم ابن قيس الأشعري، حدّثنا عليّ بن حسّان، عن عمّه عبدالرحمن بن كثير، عن

(١) ط نجف ص٣٠.

أبي عبدالله جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن الحسين، عن عمّته زينب بنت أميرالمؤمنين.

قال أبو العبّاس: وحدّثنا محمّد بن المفضّل بن إبراهيم، حدّثني أبي، حدّثنا أحمد بن محمّد بن عمرو بن عثمان الجعفي، حدّثني أبي، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن الحسين، عن عمّته زينب بنت أميرالمؤمنين وغير واحد.

وحدّثني القاضي أبو اسحاق إبراهيم بن مخلّد بن جعفر بن سهل بن حمران الدقّاق، حدّثتني امّ الفضل خديجة بنت محمّد بن أبي الثلج، حدّثنا أبوعبدالله محمّد بن أحمد الصفواني، حدثنا أبو أحمد عبدالعزيز بن يحيى الجلودي البصري، حدّثنا محمّد بن زكريّا، حدّثنا جعفر بن عمارة الكندي، حدّثني أبي، عن الحسن بن صالح بن حيّ، قال: ومارأت عيناي مثله، حدّثني رجلان من بني هاشم عن زينب بنت عليّ.

قال الصفواني: حدّثني محمّد بن محمّد بن يزيد مولى بني هاشم، حدّثني عبدالله بن محمّد بن سليمان بن عبدالله بن الحسن بن الحسن، عن عبدالله بن الحسن بن الحسن، عن جماعة من أهله.

قال الصفواني: حدثني أبي، عن عثمان، حدّثنا نابل بن نجيح، عن عمر ابن شمر، عن جابر الجعفي، عن ابي جعفر، عن آبائه.

قال الصفواني: حدّثنا عبدالله بن ضحّاك ، حدّثنا هشام بن محمّد، عن أبيه وعوانة.

قال الصفواني: حدّثنا ابن عائشة ببعضه.

وحدّثنا العبّاس بن بكّار، حدّثنا حرب بن ميمون، عن زيد بن عليّ عن آبائه عليهم السلام،ثمّ ساق الخطبة بتمامها كما في الاحتجاج، مع تفاوت في النظم والألفاظ.

٨ـ أشار ابن الأثير في النهاية في مادة «لمم» إلى هذا الحديث، وتشييد

المطاعن، عن الفائق للزمخشري في «لمم» أيضاً و«هنبثة».

٩ـ وأخرجها ابن شهر آشوب في المناقب[(١)].

١٠ـ أخرجها الصدوق ـ رحمه الله ـ في كتبه بهذه الأسانيد:

محمّد بن موسى المتوكّل، عن عليّ بن الحسين السعدآبادي، عن احمد بن أبي عبد الله البرقي، عن إسماعيل بن مهران، عن أحمد بن محمّد بن جابر[(٢)] عن زينب بنت عليّ.

عليّ بن حاتم، عن محمّد بن أسلم، عن عبدالجليل الباقطاني، عن الحسن ابن موسى الخشّاب، عن عبدالله بن محمّد العلوي، عن رجال من أهل بيته عن زينب بنت عليّ عليه السلام.

ومحمّد بن أبي عمير، عن محمّد بن عمارة، عن محمّد بن إبراهيم المصري، عن هارون بن يحيى الناشب، عن عبيدالله بن موسى العبسي، عن عبيدالله ابن موسى العمري، عن حفص الأحمر، عن زيد بن علي، عن عمّته زينب بنت عليّ عليه السلام[(٣)].

١١ـ روى العلامة المحقّق المجلسي ـ رحمه الله ـ هذه الخطبة عن الاحتجاج بتمامها، ثمّ عن بلاغات النساء لكثرة الاختلاف بين الروايتين (ونحن أيضاً نقتفي أثره إن شاء الله تعالى) وذكر مصادرها من شرح ابن أبي الحديد، وكشف الغمّة والطرائف لابن طاوس، والمسعودي، والصدوق ـ رحمه الله ـ والسيّد المرتضى ـ رحمه الله تعالى ـ وشرحها شرحاً وافياً (راجع البحار)[(٤)].

---

(١) المناقب: ج١ ص٣٨١ الطبعة القديمة.

(٢) أخرجها في الفقيه: ٥٦٧/٣ في باب معرفة الكبائر بهذا السند وفيه «أحمد بن محمّد عن جابر» ولعلّه الصحيح.

(٣) العلل: ٢٤٨/١ باب ١٨٢ علل الشرائع وأصول الاسلام حديث ٢ و٣ و٤.

(٤) راجع البحار: ج٨ ص١٠٥ ومابعدها.

١٢ـ نقلها الجاحظ في كتاب إمامة ولد العباس، على مانقله المسعودي في مروج الذهب في بيان إبتداء دولة بني العبّاس.

١٣ـ نقل ابن أبي الحديد في شرح كتابه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف هذه الخطبة بهذه الأسانيد:

قال أبو بكر (يعني أبابكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتاب السقيفة وفدك ، كما صرّح به في أوّل الفصل الأول): فحدّثني محمّد بن زكريّا، قال: حدّثني جعفر بن محمّد بن عمارة الكندي، قال: حدّثني أبي، عن الحسين بن صالح بن حيّ، قال: حدّثني رجلان من بني هاشم عن زينب بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال: وقال جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه.

قال أبو بكر: وحدّثني عثمان بن عمران العجيفي، عن نائل بن نجيح بن عمير بن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام.

قال أبو بكر: وحدّثني أحمد بن محمّد بن يزيد، عن عبدالله بن محمّد بن سليمان، عن أبيه، عن عبدالله بن حسن بن الحسن، قالوا جميعاً: لمّا بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك ، لاثت خمارها وأقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ في ذيولها، ماتخرم مشيتها مشية رسول الله صلّى الله عليه وآله حتّى دخلت على أبي بكر وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار، فضرب بينها وبينهم ريطة بيضاء ـوقال بعضهم قبطيّة، وقالوا: قبطيّة بالكسر والضمّ- ثمّ أنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء، ثمّ أمهلت طويلاً حتّى سكنوا من فورتهم، ثمّ قالت:

أبتدئ بحمد من هو أولى بالحمد والطول والمجد، الحمد لله على ماأنعم، وله الشكر بماألهم.

وذكر خطبة طويلة جيّدة، قالت في آخرها:

فاتّقوا الله حقّ تقاته! وأطيعوه فيما أمركم به، فانّما يخشى الله من عباده العلماء، واحمدوا الله الذي لعظمته ونوره يبتغي من في السموات والأرض إليه الوسيلة، ونحن وسيلته في خلقه، ونحن خاصّته ومحلّ قدسه، ونحن حجّته في غيبه، ونحن ورثة أنبيائه (ثمّ قالت): أنا فاطمة ابنة محمّد، أقول عوداً على بدء، وما أقول ذلك سرفاً ولاشططاً، فاسمعوا بأسماع واعية وقلوب راعية (ثم قالت): «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» فان تعزوه تجدوه أبي دون آبائكم وأخا ابن عميّ دون رجالكم.

ثمّ ذكرت كلاماً طويلاً سنذكره فيما بعد في الفصل الثاني، تقول في آخره:

ثمّ أنتم الآن تزعمون أن لا ارث لي «أفحكم الجاهليّة يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون».

إيهاً معاشر المسلمين! ابتُز إرث أبي! أبَى الله أن ترث ياابن أبي قحافة أباك ولاأرث أبي، لقد جئت شيئاً فريّاً ،فدونكها مخطومةً مرحولةً تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولكلّ نبأ مستقر، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم.

ثمّ التفتت إلى قبر أبيها فتمثّلت بقول هند بنت أثاثة:

قد كان بعدك أنباء وهينمة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
أبدت رجال نجوى صدورهم لمّا قضيت وحالت دونك الكتب
تجهّمتنا رجال واستخفّ بنا إذ غبت عنّا فنحن اليوم نُغتصب

قال: ولم ير الناس أكثر باك ولاباكية منهم يومئذ! ثمّ عدلت الى مسجد الأنصار، فقالت:

يامعشر البقيّة، وأعضاد الملّة، وحضنة الإسلام! ماهذه الفترة عن نصرتي والونية عن معونتي،والغمزة في حقّي،والسنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله يقول: «المرء يحفظ في ولده»؟ سرعان ماأحدثتم وعجلان ماأتيتم! ألأن مات رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله أمتّم دينه؟ إنّ موته لعمري خطب جليل ،استوسع وهنه، واستُبهم فتقه، وفُقد راتقه، وأظلمت الأرض له، وخشعت الجبال، وأكدت الآمال، اضيع بعده الحريم، وهتكت الحرمة، واذبلت المصونة، وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته وأنبأكم بها قبل وفاته، فقال: «وما محمّد إلّا رسول الله قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين».

إيهاً بني قيله! اهتضم تراث أبي وأنتم بمرأى ومسمع، تبلغكم الدعوة ويشملكم الصوت، وفيكم العدّة والعدد، ولكم الدار والجنن، وأنتم نخبة الله الّتي انتخب وخيرته التي اختار، باديتم العرب، وبادهتم الامور، وكافحتم البهم، حتّى دارت بكم رحى الإسلام، ودرّ حلبه، وخبت نيران الحرب، وسكنت فورة الشرك ، وهدأت دعوة الهرج، واستوثق نظام الدين، أفتأخّرتم بعد الإقدام؟ ونكصتم بعد الشدّة؟ وجبنتم بعد الشجاعة عن قوم «نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمّة الكفر أنّهم لاأيمان لهم لعلّهم ينتهون» ألا! وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة، فجحدتم الذي وعيتم، وسُغتم الذي سوّغتم، وإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فانّ الله لغني حميد،ألا! وقد قلت لكم ماقلت على معرفة منّي بالخذلة التي خامرتكم وخور القناة وضعف اليقين، فدونكموها ،فاحتووها مدبرة الظهر،ناقبة الخفّ،باقية العار،موسومة الشعار، موصولة بـ«نار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة» فبعين الله ماتعملون «وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب

ينقلبون)).

ثمّ نقل كلام أبي بكر في جوابها، فقال:

قال أبو بكر: وحدّثني محمّد بن زكريّا، قال: حدّثنا جعفر بن محمّد بن عمارة بالإسناد الأوّل، قال: فلمّا سمع أبو بكر خطبتها شقّ عليه مقالتها، فصعد المنبر وقال: أيّها الناس ماهذه الرعة إلى كلّ قالة؟ أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم؟ ألا! من سمع فليقل ومن شهد فليتكلّم، إنّما هو ثعالة شهيده ذنبه، مربّ لكلّ فتنة، هو الذي يقول: كرّوها جذعة بعد ماهرمت، يستعينون بالضعفة ويستنصرون بالنساء، كام طحال أحبّ أهلها إليها البغيّ، ألا! إنّي لو أشاء أن أقول لقلت ولو قلت لبحت، إنّي ساكت ماتركت. ثمّ التفت إلى الأنصار، فقال: قد بلغني يامعشر الأنصار مقالة سفهائكم، وأحقّ من لزم عهد رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم أنتم، فقد جاءكم فآويتم ونصرتم، الا! إنّي لست باسطاً يداً ولساناً على من لم يستحقّ ذلك منّا. ثمّ نزل.

فانصرفت فاطمة عليها السلام إلى منزلها.

قلت: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري وقلت له: بمن يعرّض؟! فقال: بل يصرّح، قلت: لو صرّح لم أسألك، فضحك وقال: بعليّ بن أبي طالب عليه السلام، قلت: هذا الكلام كله لعليّ يقوله! قال: نعم إنّه الملك يابنيّ! قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر عليّ عليه السلام، الخ[١].

أقول: وذكر في الفصل الثاني إسناداً آخر، قال: أخبرنا أبو عبيد الله محمّد بن عمران المرزباني، قال: حدّثني محمّد بن أحمد الكاتب، قال: حدثنا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦ ص٢١١-٢١٥.

أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي، قال:حدّثني الزيادي، قال: حدّثنا الشرقي ابن القطامي، عن محمّد بن إسحاق قال: حدّثنا صالح بن كيسان، عن عروة، عن عائشة، قالت: لمّا بلغ فاطمة إجماع أبي بكر عن منعها فدك لا ثت خمارها على رأسها، وأشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمّة من حفدتها...

قال المرتضى: وأخبرنا المرزباني، قال: حدّثنا أبو بكر أحمد بن محمّد المكّي، قال: حدّثنا أبو العيناء بن القاسم اليماني، قال: حدّثنا ابن عائشة، قال: لمّا قبض رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم أقبلت فاطمة إلى أبي بكر في لمّة من حفدتها ـثمّ اجتمعت الروايتان من هاهنا ـ ونساء قومها تطأ ذيولها، ماتخرم مشيتها مشية رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله حتىّ دخلت على أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، ثمّ أنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء ،وارتجّ المجلس، ثمّ أمهلت هنيئة، حتىّ إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم،افتتحت كلامها بالحمد لله عزّوجلّ والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله،ثمّ قالت:

«لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» فان تعزوه تجدوه أبي دون آبائكم وأخا ابن عميّ دون رجالكم،فبلّغ الرسالة صادعاً بالنذارة،مائلاً عن سنن المشركين، ضارباً ثبجهم يدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، آخذاً بأكظام المشركين، يهشم الأصنام، ويفلّق الهام، حتى انهزم الجمع وولّوا الدبر، وحتّى تفرّى الليل عن صبحه واسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين، وتمّت كلمة الإخلاص، وكنتم على شفا حفرة من النار، نُهزة الطامع ومذقة الشارب، وقبسة العجلان وموطأ الأقدام، تشربون الطَّرْق

وتقتاتون القدّ، أذلّة خاسئين، يختطفكم الناس من حولكم حتى أنقذكم الله برسوله صلّىٰ الله عليه وآله بعد اللتيا والتي، وبعد أن مني بهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب و«كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله» أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة، قذف أخاه في لهواتها، ولاينكفي حتّى يطأ صماخها بأخمصه،ويطفئ عادية لهبها بسيفه ـأو قالت: يخمد لهبها بحدّه- مكدوداً في ذات الله، وأنتم في رفاهية فكهون آمنون وادعون.

إلى هنا انتهى خبر أبي العيناء عن ابن عائشة. وأمّا عروة عن عائشة، فزاد بعد هذا: حتىَ إذا اختار الله لنبيّه دار أنبيائه، طهرت حسيكة النفاق، وشمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الآفكين، وهدر فنيق المبطلين، فحظر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه صارخاً بكم، فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين، ولقربه متلاحظين، ثمّ استنهضكم فوجدكم خِفافاً ،وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، إنّما زعمتم ذلك خوف الفتنة «ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين» فهيهات! وأنّى بكم وأنّى تؤفكون؟ وكتاب الله بين أظهركم، زواجرهُ بيّنة وشواهده لائحة، وأوامره واضحة، أرغبة عنه تريدون؟ أم لغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلاً! «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين».

ثمّ لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتهاتسرّون حسواً في ارتغاء، ونحن نصبر منكم على مثل حزّ المدى، وأنتم الآن تزعمون ألّا إرث لنا «أفحكم الجاهليّة يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون».

ياابن أبي قحافة! أترث أباك ولاأرث أبي؟ لقد جئت شيئا فريّا

فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله والزعيم محمّد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون.

ثمّ انكفأت إلى قبر أبيها عليه السلام فقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنّا[1] فقدناك فقد الأرض وابلها واختلّ قومك فاشهدهم ولا تغب

وروى حرميّ بن أبي العلاء مع هذين البيتين بيتاً ثالثاً:

فليت بعدك كان الموت صادفنا لمّا قضيت وحالت دونك الكتب

ثمّ بعد ذكره جواب أبي بكر قريباً ممّا مرّ، قال:

قال المرتضى: وأخبرنا أبو عبدالله المرزباني، قال: حدّثني عليّ بن هارون، أخبرني عبيدالله بن أحمد بن أبي طاهر، عن أبيه، قال: ذكرت لأبي الحسين زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إيّاها فدك ، وقلت له: إنّ هؤلاء يزعمون أنّه مصنوع وأنّه من كلام أبي العيناء، لأنّ الكلام منسوق البلاغة. فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلّمونه أولادهم، وقد حدّثني به أبي عن جدّي يبلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية، وقد رواه مشايخ الشيعة وتدارسوه قبل أن يوجد جدّ أبي العيناء، وقد حدّث الحسين بن علوان عن عطيّة العوفي أنّه سمع عبدالله بن الحسن بن الحسن يذكر عن أبيه هذا الكلام.

ثمّ قال أبوالحسين زيد: وكيف تنكرون هذا من كلام فاطمة عليها السلام وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ماهو أعجب من كلام فاطمة عليها السلام ويحقّقونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت؟! ثمّ ذكر

---

(١) في المصدر: «إذا».

الحديث بطوله على نسقه، وزاد في الأبيات بعد البيتين الأوّلين:

ضاقت عليّ بلادي بعد مارحبت وسيم سبطاك خسفا فيه لي نصب

فليت قبلك كان الموت صادفنا قوم تمنّوا فاعطوا كلّ ماطلبوا

تجهّمتنا رجال واستخفّ بنا مذغبت عنّا وكلّ الإرث قد غصبوا

قال: فما رأينا يوماً أكثر باكياً أو باكية من ذلك اليوم.

قال المرتضى: وقد روي هذا الكلام على هذا الوجه من طرق مختلفة ووجوه كثيرة، فمن أرادها أخذها من مواضعها، فكيف يدّعى أنّها عليها السلام كفّت راضية وأمسكت قانعة لولا البُهت وقلّة الحياء؟![١].

١٤- نقل في بلاغات النساء[٢] الخطبة مختصراً قريباً ممّا مرّ عن ابن أبي الحديد. ثمّ نقل في ص١٥ وقال:

حدّثني جعفر بن محمّد -رجل من أهل ديار مصر لقيته بالرافقة- قال: حدّثني أبي، قال: أخبرنا موسى بن عيسى، قال: أخبرنا عبدالله بن يونس، قال: أخبرنا جعفر الأحمر، عن زيد بن علي -رحمة الله عليه- عن عمّته زينب بنت[٣] الحسين عليهما السلام قالت: لمّا بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك، لاثت خمارها، وخرجت في حشدة نسائها ولمّة من قومها، تجرّ أذراعها، ماتخرم من مشية رسول الله صلّى الله عليه وآله شيئاً، حتّى وقفت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار، فأنّت أنّةً اجهش لها القوم بالبكاء، فلمّا سكنت فورتهم قالت: أبدأ بحمد الله، ثمّ أسبلت بينها وبينهم سجفاً، ثمّ قالت:

---

(١) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد: ج١٦ ص٢١١ - ٢٥٣. وقاموس الرجال: ج١١ ص١٠ وبهج الصباغة: ج٥ ص٤٤.

(٢) بلاغات النساء: ص١٢.

(٣) كذا والصحيح اخت الحسين.

الحمد لله على ماأنعم، وله الشكر على ماألهم، والثناء بما قدّم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ الاء أسداها، وإحسان منن والاها، جمّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن المجازات أمدها،وتفاوت عن الإدراك آمالها، واستثنى[١] الشكر بفضائلها، واستحمد إلى الخلائق بأجزالها، وثنى بالندب إلى أمثالها، وأشهد أن لاإله إلّا الله، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنى في الفكرة معقولها، الممتنع عن الأبصار رؤيته، ومن الأوهام الإحاطة به، ابتدع الأشياء لامن شيءقبله، واحتذاها بلا مثال، لغير فائدة زادته، إلا إظهاراً لقدرته،وتعبّداً لبريّته وإعزازاً لدعوته، ثمّ جعل الثواب على طاعته والعقاب على معصيته زيادة لعباده عن نقمته،وجياشاً لهم إلى جنّته، وأشهد انّ أبي محمّداً عبده ورسوله، اختاره قبل أن يجتبله، واصطفاه قبل أن ابتعثه، وسمّاه قبل أن استنجبه، إذ الخلائق بالغيوب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله عزّوجلّ بمآيل الامور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواضع المقدور، ابتعثه الله عزّوجلّ إتماماً لأمره، وعزيمة على امضاء حكمه، فرأى الامم صلّىٰ الله عليه فرقاً في أديانها، عكفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله عزّوجلّ بمحمّد صلّىٰ الله عليه [وآله] ظلمها، وفرّج عن القلوب بهمها، وجلّى عن الأبصار غممها، ثمّ قبض الله نبيّه صلّىٰ الله عليه [وآله] قبض رأفة واختيار، رغبة بأبي صلّىٰ الله عليه [وآله] عن هذه الدار، موضوع عنه العبء والأوزار،محتف بالملائكة الأبرار، ومجاورة الملك الجبّار ورضوان الربّ الغفّار،صلى الله على محمّد نبيّ الرحمة، وأمينه على وحيه، وصفيّه من الخلائق ورضيّه،صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) في المصدر:«واستثن».

ثمّ أنتم عباد الله (تريد اهل المجلس) نصب أمر الله ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وامناء الله على أنفسكم وبلغاؤه إلى الامم، زعمتم حقّاً لكم لله فيكم عهد قدّمه إليكم، ونحن بقيّة استخلفنا عليكم، ومعنا كتاب الله بيّنة بصائره، وآي فينا منكشفة سرائره، وبرهان منجلية ظواهره، مديم البريّة إسماعه، قائد إلى الرضوان اتّباعه، مؤدّ إلى النجاة استماعه، فيه بيان حجج الله المنوّرة، وعزائمه المفسّرة، ومحارمه المحذّرة، وتبيانه الجالية، وجمله الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة.

ففرض الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك ، والصلاة تنزيهاً عن الكبر، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والزكاة تزييداً في الرزق، والحجّ تسلية للدين، والعدل تنسّكاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً، وإمامتنا أمناً من الفرقة، وحبّنا عزّاً للإسلام، والصبر منجاةً، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعرّضاً للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين تغييراً للبخسة، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، وقذف المحصنات اجتناباً للعنة،وترك السرق إيجاباً للعفّة، وحرّم الله عزّوجلّ الشرك إخلاصاً له بالربوبيّة، فاتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون، وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنّه إنّما يخشى الله من عباده العلماء.

ثمّ قالت:

أيّها الناس! أنا فاطمة، وأبي محمّد صلّى الله عليه [وآله] أقولها عوداً على بدء، لقد جاءكم رسول من أنفسكم ـ ثمّ ساق الكلام على مارواه زيد بن عليّ عليه السلام في رواية أبيه ـ ثمّ قالت في متّصل كلامها:

أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول تبارك وتعالى: «وورث سليمان داود» وقال الله عزّوجلّ فيما قصّ من خبر يحيى ابن زكريّا: «ربّ هب لي من لدنك وليّاً يرثني ويرث من آل يعقوب» وقال

عزّذكره: «واولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» وقال: «يوصيكمْ الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الانثيين» وقال: «إن ترك خيراً الوصيّة للوالدين والأقربين بالمعروف حقّاً على المتقين».

وزعمتم أن لاحقّ ولاإرث لي من أبي ولارحم بيننا! أفخصّكم الله بآية أخرج نبيّه صلّىٰ الله عليه [وآله] منها؟ أم تقولون اهل ملّتين لايتوارثان؟ أولست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟! لعلّكم اعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبيّ صلّىٰ الله عليه[وآله]؟ أفحكم الجاهليّة تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟ أأُغلب على إرثي جوراً وظلماً؟ «وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون».

وذكر أنّها لمّا فرغت من كلام أبي بكر والمهاجرين عدلت إلى مجلس الأنصار، فقالت:

يامعشر البقيّة وإعضاد الملّة وحصون الإسلام! ماهذه الغميزة في حقّي والسنة عن ظلامتي؟ أما قال رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله]: «المرء يحفظ في ولده»؟ سرعان ماأجدبتم فأكديتم! وعجلان ذا إهالة! أتقولون: مات رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله]؟ فخطب جليل استوسع وهيه،واستنهر فتقه وبعد وقته، وأظلمت الأرض لغيبته، واكتأبت خيرة الله لمصيبته، وخشعت الجبال، وأكدت الآمال، واضيع الحريم، وازيلت الحرمة عند مماته صلّىٰ الله عليه [وآله]،وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله[1] في أفنيتكم في ممساكم ومصبحكم، يهتف بها في أسماعكم، وقبله حلّت بأنبياء الله عزّوجلّ ورسله «ومامحمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين».

---

(١) في المصدر:«وتلك نازل علينا بها كتاب الله».

إيـهاً بني قيـلة! أأُهضمـم تراث أبي[١] وانتم بمرأى منـه ومسمع، تـلبسكم الدعوة، وتشملكم الحيرة، وفيكم العدد والعدّة، ولكم الدار، وعندكم الجنن، وأنتم الألى نخبـة الله التي انتـخب لديـنه، وأنصـار رسول الله وأهـل الإسلام، والخيرة التي اختار لنا اهل البيت، فباديتم العرب، وناهضتم الأمم، وكافحتم البهم، لانبرح نـأمركم وتـأتمرون، حتّى دارت لكم بـنا رحى الإسلام، ودرّ حلب الأنام، وخضعت نعـرة الشرك ، وباخت نيران الحرب، وهـدأت دعوة الهرج، واستـوسق نظـام الـديـن، فأنّـى حـرتم بعـد الـبيان؟ ونـكصتم بـعد الإقدام؟ وأسررتم بعد الإعلان؟ لقـوم نكثوا أيمانهم «أتخشونهـم فالله أحقّ أنّ تخشوه إن كنتم مؤمنين».

ألا! قد أرى أن قد أخـلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الـدعة، فعـجتم عن الـدين، ومججتم الذي وعيتم، ودسعتم الـذي سوّغتم «فان تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فانّ الله لغنيّ حميد».

ألا! وقد قلت الذي قلته على معرفة منيّ بالخذلان الذي خامر صدوركم واستشعـرته قلـوبـكم، ولكـن قلتـه فـيضة النـفس ونفثة الـغيظ وبثّـة الصدر ومعذرة الحجّة ،فـدونكموها فاحتـقبوها مدبـرة الظهر،ناكبـة الحقّ،باقية العار، موسومة بشنار الأبد، موصولة بـ«نار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة» فبعين الله ماتفعلون «وسيـعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون» وانا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنّا عاملون وانتظروا إنّا منتظرون.

قـال أبو الفضـل: وقد ذكر قـوم:أنّ أبا العيـناء ادّعى هـذا الكلام، وقد رواه قوم وصححوه وكتبناه على مافيه. وحدّثني عبدالله بن أحمد العبدي، عن حسين بـن علوان، عن عطيّة الـعوفي، أنّه سمع أبا بكـر ـرحمـه الله ـيومئذ يقول

---

(١) في المصدر:«أبيه».

لفاطمة عليها السلام:

يا ابنة رسول الله، لقد كان صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً وعلى الكافرين عذاباً أليماً، وإذا عزوناه كان أباك دون النساء وأخا ابن عمك دون الرجال، آثره على كلّ حميم وساعده على الأمر العظيم، لايحبّكم إلا العظيم السعادة ولايبغضكم إلا الرديّ الولادة، وأنتم عترة الله الطيّبون وخيرة الله المنتخبون، على الآخرة أدلّتنا، وباب الجنة لسالكنا، وأمّا منعك ماسألت فلا ذلك لي، وأمّا فدك وماجعل لك أبوك فان منعتك فأنا ظالم، وأمّا الميراث فقد تعلمين أنّه صلّىٰ الله عليه [وآله] قال: لانورث وماأبقيناه صدقة.

قالت: إنّ الله يقول عن نبيّ من انبيائه: «يرثني ويرث من آل يعقوب» وقال: «وورث سليمان داود» فهذان نبيّان، وقد علمت أنّ النبّوة لا تورث وإنّما يورث مادونها، فمالي أُمنع ارث أبي؟ أأنزل الله في الكتاب «إلا فاطمة بنت محمّد»؟ فتدلني عليه فأقنع به.

فقال: يابنت رسول الله أنت عين الحجة ومنطق الرسالة، لايد لي بجوابك ولاأدفعك عن صوابك، ولكن هذا أبو الحسن بيني وبينك هو الذي أخبرني بما تفقّدت،وأنبأني بما أخذت وتركت.

قالت: فان يكن ذلك كذلك فصبراً لمرّ الحقّ، والحمد لله آله الخلق.

قال أبو الفضل: وماوجدت هذا الحديث على التمام إلا عند ابي حفان.

قال الأحمدي: الخطبة الشريفة رويت بأسانيد كثيرة كما عرفت، ولايختصّ الراوي بأبي العيناء ولابشرقي بن قطامة، بل ظاهر نقل الاحتجاج والمناقب أنّها ممّا لاريب في صدورها؛لأنّهما تعهدا في أوّل الكتابين بنقل ماهو مؤيّد بالإجماع أو العقل،أو كان متواتراً كما في الاحتجاج ،أو ماكان صحيحاً كما في المناقب.

نعم نقلها مفصلاً يختصّ بالاحتجاج، وكشف الغمّة، وبلاغات النساء، ودلائل الإمامة، على اختلاف في رواياتهم.

وأمّا احتجاجها على أبي بكر وجوابه: فقد نقل بأنحاء مختلفة، فان شئت الوقوف عليها، فراجع البحار[١]، وابن أبي الحديد[٢].

وأمّا كلامها مع عليّ عليه السلام: فقد نقله الاحتجاج كما مرّ والمناقب لابن شهر آشوب، والشيخ في الأمالي[٣]، والبحار[٤] عن الاحتجاج وكشف الغمّة[٥] والشيخ رحمه الله[٦]، وأمّا خطبة ابي بكر في جوابها: فقد نقلها ابن أبي الحديد، وبهج الصباغة[٧].

١٥- قال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص[٨]، في بيان أحوالها عليها السلام: وقال الشعبي: لمّا منعت ميراثها لاثت خمارها على رأسها، وحمدت الله وأثنت عليه، ووصفت رسول الله بأوصاف، فكان ممّا قالت: كان كلّما فغرت فاغرة من المشركين فاها أو نجم قرن من الشياطين..ثمّ ساق قليلاً من الخطبة الشريفة.

١٦- قال في مقاتل الطالبيّن[٩]، في ذكر تاريخ الحسين عليه السلام في مقتل عون بن عبدالله بن جعفر: اُمّه زينب بنت علي بن أبي طالب واُمّها

---

(١) البحار: ج٨ ط الكمباني.

(٢) شرح النج لابن أبي الحديد: ج١٦.

(٣) أمالي الشيخ: ص٦٩ ط الحجرية.

(٤) البحار: ج٨ ط الكمباني.

(٥) عن الاحتجاج وكشف الغمّة في هامشه: وجد بخطّ السيّد المرتضى رحمه الله.

(٦) راجع ص١٢١-١٢٣. وراجع ج٤٣ الطبعة الحديثة ص١٤٨ عن المناقب.

(٧) بهج الصباغة: ج٥ ص٣٥، وفي الطرائف:ص٢٦٣ عن الفائق للشيخ أسعد.

(٨) تذكرة الخواص:ص٣١٧.

(٩) مقاتل الطالبين: ص٩١.

فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله ....والعقيلة هي التي روى ابن عبّاس عنها كلام فاطمة في فدك ، فقال: حدّثتني عقيلتنا زينب بنت عليّ.

١٧- وفي هامش إحقاق الحقّ[١] عن بلاغات النساء[٢] عن ابن أبي الحديد[٣]،وعن اعلام النساء وتظلّم الزهراء.

١٨- قاموس الرجال[٤] عن بلاغات النساء والطرائف وغيرهما.

١٩- تشييد المطاعن[٥] عن كشف الغمة وكتاب السقيفة للجوهري[٦]، وعن التذكرة للسبط ابن الجوزي وفائق الزمخشري في مادتي «لمّة» و«هنبثة» ونهاية ابن الاثيرفي مادتي «لـمّة» و«هـنبثة» وطرائف السيّد ابن طاوس. ثمّ نقل[٧] كلام بعض المنكرين، فراجع.

٢٠- كلام فاطمة في فدك لأبي الفرج عليّ بن الحسين الإصفهاني الزيدي صاحب الأغاني، كما ذكره العلّامة المتضلّع الشيخ آغا بزرك في الذريعة[٨] وخطبة فاطمة الزهراء لابن عبدون[٩] وقد ذكر هذا النحرير[١٠]:أنّ جمعاً كتبوا في فدك كتاباً، كابراهيم الثقفي المتوفى سنة٢٨٣ وجعفر بن بكير الخيّاط، وطاهر غلام أبي الجيش الذي قرأ عليه المفيد في

---

(١) احقاق الحق: ج١٠ ص٢٩٦.

(٢) احقاق الحق: ص٣٠٣.

(٣) احقاق الحق: ص٣٠٥.

(٤) قاموس الرجال: ج١١ ص١٠.

(٥) تشيد المطاعن: ج٢ ص٢٠٤ ط سنة ١٣٩٩،وص٢٩٧-٣٠٢ ج١ ط ١٣٨٣.

(٦) عن الجوهري: ص٢١١- ٣٠١.

(٧) التذكرة: ٣٠١-٣٠٢.

(٨) الذريعة: ج١٨ ص١٠٩.

(٩) راجع الذريعة: ج٤ ص٣٤٨.

(١٠) انظر: ج١٦ ص١٢٩.

أوائل أمره، وعبد الرحمان بن كثير الهاشمي، والأنباري، والنصير آبادي، وأبي الجيش المتوفّى سنة ٣٦٧ تلميذ النوبختي، ويحيى بن زكريّا الترماشيري، والسيّد محمّد باقر الصدر الشهيد، والأُطروش.

وذكر[١] كتباً في شرح هذه الخطبة،كاللمعة،والروضة، والدرة، وكشف المحجّة،واللمّة البيضاء. وذكر في طيّ الكتاب بعناوين وأسماء مختلفة كتباً كثيرة أيضاً.

(٢٨٦)

الزهراء مع نساء المهاجرين والأنصار

عن عبدالله بن الحسن، عن فاطمة بنت الحسين عليهما السلام قال: لمّا اشتدّت علّة فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليها اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار، فقلن لها: يابنت رسول الله كيف أصبحت من علّتك؟ فقالت:

أصبحت والله عائفة لدنياكم، قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن عجمتهم، وشنئتهم بعد أن سبرتهم، فقبحاً لفلول الحدّ وخور القناة وخطل الرأي! وبئس ماقدّمت لهم أنفسهم! ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لاجرم لقد قلّدتهم ربقتها وشننت عليهم عارها؛ فجدعاً وعقراً وسحقاً للقوم الظالمين!

ويحهم! أنّى زحزحوها؟ عن رواسي الرسالة،وقواعد النبوّة،ومهبط الوحي الأمين،والطبّين بأمر الدنيا والدين؟ ألا ذلك هو الخسران المبين .

ومانقموا من أبي حسن؟ نقموا والله منه نكير سيفه،وشدّة وطأته،ونكال وقعته،وتنمّره في ذات الله عزّوجلّ، والله لو تكافّوا عن زمام نبذه رسول الله

(١) أنظر الذريعة: ج١٣ ص٢١٥.

صلّى الله عليه وآله لأعتقله، ولسار بهم سيراً سجحاً لايكلم خشاشة، ولايتعتع راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً تطفح ضفّتاه، ولأصدرهم بطاناً قد تحيّر لهم الريّ غير متحلٍّ منه بطائل إلاّ بغمر الماء،وردعه سورة الساغب، ولفتحت عليهم بركات السماء والأرض؛ وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون.

ألا! هلّم فاسمع وماعشت أراك الدهر العجب، وإن تعجب وقد أعجبك الحادث، إلى أيّ سناد استندوا؟ وبأيّة عروة تمسّكوا؟ استبدلوا الذنابي والله بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا «ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لايشعرون» «أفمن يهدى الى الحقّ أحق ان يتّبع أمّن لايهدي إلّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون».

أما لعمر الهك لقد لقحت! فنظرة ريثما ننتجوا[1]، ثمّ احتلبوا اطلاع القعب دماً عبيطاً وزعافاً ممقراً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غِبّ ماأسسّ الأوّلون، ثمّ طيبوا عن أنفسكم [أ] نفساً، واطمأنّوا للفتنة جأشاً، وأبشروا بسيف صارم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيداً وزرعكم حصيداً، فياحسرتي لكم! وأنّى بكم؟ وقد عمّيت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون.

أقول: رواها الصدوق-رحمه الله-في معاني الأخبار[2] قال: حدّثنا أحمد بن الحسن القطان، قال: حدّثنا عبدالرحمن بن محمّد الحسيني، قال: حدّثنا أبو الطيب محمّد بن الحسين بن حميد اللخمي، قال: حدّثنا أبوعبدالله محمّد بن زكريّا، قال: حدّثنا محمّد بن عبدالرحمن المهلّبي، قال: حدّثنا عبدالله بن

(١) كذا في معاني الاخبار، والصحيح «تُنتَج» كما في سائر المصادر.
(٢) معاني الاخبار: ص٣٥٤ ط تحقيق الغفاري .

محمّد بن سليمان، عن أبيه، عن عبدالله بن الحسن، عن امّه فاطمة بنت الحسين عليهما السلام.

وقال بعد نقلها: وحدّثنا بهذا الحديث أبو الحسن عليّ بن محمّد بن الحسن -المعروف بابن مقبرة القزويني- قال: أخبرنا أبو عبدالله جعفر بن محمّد بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام قال: حدّثني محمّد بن عليّ الهاشمي، قال: حدّثنا عيسى بن عبدالله بن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: لما حضرت فاطمة الوفاة، الحديث.

ورواها الشيخ -رحمه الله- في أماليه[1] باسناده عن ابن مسعود، عن ابن عبّاس، قال: دخلن نسوة من المهاجرين والأنصار، الحديث.

ورواها الطبرسي -رحمه الله- في الاحتجاج[2] ونقلها الإربلي في كشف الغمّة عن كتاب السقيفة للجوهري، ونقل شطراً منها الكراجكي في كتاب التعجّب[3].

وأوردها ابن أبي الحديد[4] عن محمّد بن زكريّا، عن محمّد بن عبدالرحمن المهلبي، عن عبد الله بن حمّاد بن سليمان، عن ابيه، عن عبدالله بن الحسن ابن الحسن، عن امّه فاطمة بنت الحسين عليه السلام وقال بعد نقله الخطبة: قلت: هذا الكلام وإن لم يكن فيه ذكر فدك والميراث، إلا أنّه تتمّة ذلك، وفيه إيضاح لما كان عندها، وبيان لشدّة غيضها وغضبها، فانّه سيأتي فيما بعد

(١) الشيخ في اماليه : ص٢٣٨ ط الحجرية و٣٨٤ ط النجف .

(٢) الاحتجاج: ص١٤٧ ج١ دار النعمان النجف .

(٣) الكراجكي في كتاب التعجب: ص١٢ .

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج١٦ ص٢٣٣.

ذكر مايناقض به قاضي القضاة والمرتضى في أنّها هل كانت غضبى أم لا؟ ونحن لاننصر مذهباً بعينه وإنّما نذكر ماقيل، وإذا جرى بحث نظريّ قلنا مايقوى في أنفسنا منه. واعلم أنّا إنّما نذكر في هذا الفصل مارواه رجال الحديث وثقاتهم، وماأودعه أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتابه، وهو من الثقات الامناء عند أصحاب الحديث.....

وأخرجها الطبري في دلائل الامامة باسناده نحواً ممّا مرّ.

ونقلها في البحار عن معاني الأخبار[١] عن كشف الغمة.

ونقلها في هامش إحقاق الحق[٢] عن بلاغات النساء وأعلام النساء[٣] وابن أبي الحديد، و[٤] عن نفحات اللاهوت.

ونقلها في قاموس الرجال[٥]، وكذا عن معاني الأخبار وابن أبي الحديد والمرتضى وابن طاووس في الطرائف.

قال اليعقوبي: دخلت نساء النبي ونساء قريش على فاطمة عليها السلام في مرضها، فقلن: كيف أنت؟ قالت: أجدني كارهة لدنياكنّ، مسرورة لفراقكنّ، ألقى الله ورسوله بحسرات منكنّ، فما حفظ لي الحق، ولارعيت منّي الذمة، ولاقبلت الوصيّة، ولاعرفت الحرمة[٦].

---

(١) البحار: ج٤٣ ص١٥٨ عن معاني الاخبار وص١٦١ عن الامالي وص١٦٢ عن الامالي أيضاً وص١٦٢ عن كشف الغمة.

(٢) احقاق الحق: ج١٠ ص٣٠٦ عن بلاغات النساء.

(٣) اعلام النساء: ج٣ ص ١٢١٩، وابن أبي الحديد: ج٤ ص٨٧ ط قاهرة.

(٤) احقاق الحق: ج١٠ ص٣٠٨ عن نفحات اللاهوت.

(٥) قاموس الرجال: ج١١ ص١٥. وكذا عن معاني الأخبار وابن أبي الحديد والمرتضى وابن طاووس في الطرائف.

(٦) راجع بهج الصباغة: ج٥ ص١٧.

(٢٨٧)

هشام بن الحكم وضرار

قال ضرار لهشام بن الحكم: ألا دعا عليّ الناس عند وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى الائتمام به إن كان وصيّاً؟ قال: لم يكن واجباً عليه، لأنّه قد دعاهم إلى موالاته والائتمام به النبيّ صلّى الله عليه وآله يوم الغدير ويوم تبوك وغيرهما فلم يقبلوا منه، ولو كان ذلك جائزاً لجاز على آدم عليه السلام أن يدعوا إبليس إلى السجود له بعد أن دعاه ربّه إلى ذلك، ثمّ إنّه صبر كما صبر اولو العزم من الرسل[١].

(٢٨٨)

عمرو بن قيس مع صدقة

سأل صدقة بن مسلم عمرو بن قيس الماصر عن جلوس عليّ في الدار.

فقال: إنّ عليّاً في هذه الامّة كان فريضة من فرائض الله أدّاها نبيّ الله إلى قومه، مثل الصلاة والزكاة والصوم والحجّ، وليس على الفرائض أن تدعوهم إلى شيء، إنّما عليهم أن يجيبوا الفرائض، وكان عليّ أعذر من هارون لمّا ذهب موسى إلى الميقات، فقال لهارون: «اخلفني في قومي وأصلح ولا تتّبع سبيل المفسدين» فجعله رقيباً عليهم. وإنّ نبيّ الله نصب عليّاً لهذه الامّة علماً ودعاهم إليه، فعليّ في عذر لمّا جلس في بيته، وهم في حرج حتّى يخرجوه فيضعوه في الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله.فاستحسن منه جعفر الصادق عليه السلام[٢].

---

(١) البحار: ج٨ ص١٤٤ ط الكمباني عن المناقب،وبهج الصباغة:ج٤ ص٣٤٠.

(٢) البحار: ج٨ ص١٤٥. الكمباني

(٢٨٩)

متكلّم ورجل

سئل متكلّم: لم لم يقاتل الأوّلين حقّه وقاتل الاخرى؟ فقال: لِمَ لمْ يقاتل رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله على إبلاغ الرسالة في حال الغار ومدّة الشعب وقاتل بعدهما؟[١].

(٢٩٠)

مؤمن الطاق مع بعض النواصب

قال بعض النواصب لشيطان الطاق: كان عليّ عليه السلام يسلّم على الشيخين بإمرة المؤمنين، أفصدق أم كذب؟ قال: أخبرني أنت عن الملكين اللذين دخلا على داود، فقال أحدهما: «إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة» كذب أم صدق؟ فانقطع الناصبيّ[٢].

(٢٩١)

هشام وسليمان

سأل سليمان بن حريز هشام بن الحكم: أخبرني عن قول عليّ لأبي بكر: ياخليفة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله، أكان صادقاً أم كاذباً؟ فقال هشام: وماالدليل على أنّه قال؟ ثمّ قال: وان كان قاله فهو كقول إبراهيم: «إنّي سقيم»، وكقوله: «بل فعله كبيرهم»، وكقول يوسف: «أيّتها العير إنّكم لسارقون»[٣].

---

(١) البحار: ج٨ ص١٤٥ ط الكمباني .

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر نفسه.



محتويات الكتاب